# بيان تلبيس الأشعرية

# ونقض بدعهم الكفرية

نصيحة

قال الله سبحانه وتعالى :

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

أخرج ابْن أَبِي حَاتِمٍ في تفسيره بسنده عَن ابْن عَبَّاس قَالَ في الآية : [ لما جحد الْمُشْرِكُونَ مَا أنزل الله لـم تـثـبـت قُـلُـوبـهـم عـلـى شَيْء وَردت عَن كل أَمر ]

فـإيـاك إيـاك يا قارء هذا البحث أن تترك الحق الذي فيه بعد الوقوف عليه ومعرفتك به :

- بغضاً لي
- أو كراهيةً لألفاظي

فتكون –عياذاً بالله– ممن قال الله فيهم {وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}

قال عطاء بن أبي رباح –رحمه الله– في قوله {ونذرهم} قال :

[ أي نـخـذلـهـم ونـدعـهـم فـي ضلالـهـم ]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

## أما بعد

فإن الله عزوجل " خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، ووعد من أطاعه بأتم الجزاء، وتوعد من عصاه بأشد العذاب "

فعلى العبد الناصح لنفسه تحقيق الغاية من إيجاده في هذه الدار الفانية

والاستعداد للرحيل إلى دار الخلود

وذلك بالتزود بما ينفعه مما يرضي به مولاه وسيده سبحانه وتعالى

وقد قال سبحانه مبيناً سبب خلق الجن والإنس {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}

وقال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

وقال تعالى {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}

وبين سبحانه عاقبة ومآل من أطاعه فبادر لإرضائه

وعاقبة من عصاه وخذل عن إرضائه وترك توحيده

فقال سبحانه وتعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }

وإن من أسنى العبادات وأجل القربات لرب الأرض والسماوات

تعلم السنة والتمسك بها والدفاع عنها

قال الله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}

وقال الله سبحانه {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

قال بعض السلف [ العمل الصالح ما كان على السنة ]

وقال تعالى {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى}

قال الربيع بن أنس {ثُمَّ اهْتَدَى} [ أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ]

أخرجه الطبري في تفسيره .
وفي تفسير ابْن أَبِي حَاتِمٍ بسنده عَن سعيد بن جُبَير فِي قَوْله :
{ثمَّ اهْتَدَى} قَالَ : [ ثمَّ استقام لفرقة السّنة وَالْجَمَاعَة ]

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضّوا عليها بالنواجذ ]
أخرجه الترمذي في جامعه من حديث العرباض وقال : حسن صحيح

وقد أخرج الترمذي أيضاً من حديث أنس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم [ من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة ]
وقال الترمذي : حديث حسن غريب

وأخرج أيضاً من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال [ من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ] . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن

وروى أَبُو هُرَيْرَةَ وعبد الله بن عمرو وغيرهما –رضي الله عنهم–
عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله :[ يحمل هَذَا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ]

قال الخلال في كتاب العلل :

قرأت على زهير بن صالح بن احمد حدثنا مهنا قال سألت احمد عن حديث معاذ بن رفاعة عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يحمل هذا العلم من كل خلف ..

فقلت لاحمد : كأنه موضوع ؟ قال : لا هو صحيح

فقلت : ممن سمعته انت ؟ فقال من غير واحد

قلت من هم ؟ قال : حدثني به مسكين الا انه يقول عن معاذ عن القاسم بن عبدالرحمن ، قال أحمد : ومعاذ بن رفاعة لا بأس به

" فأخبر –صلى الله عليه وسلم– أن الغالين يحرفون ما جاء به

والمبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه

والجاهلون يتأولونه على غير تأويله

وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة

فلولا أن الله تعالى يقيم لدينه من ينفى عنه ذلك

لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء " **[1]**

وقد رُوي في الحديث [ من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد ]

وذكر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال [ رحمة الله على خلفائي

قيل ومن خلفاؤك يا رسول الله ؟

قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها الناس ]

وروي عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قوله [تكون أُمُور من كبرائكم

فأيما مرية أَو رجيل أدْرك ذَلِك الزَّمَان فالسمت الأول فَأَما الْيَوْم على السّنة ]

---

**[1]** إغاثة اللهفان لابن القيم [1–159]

وأخرج اللالكائي –وغيره– عن أبي بن كعب –رضي الله عنه– قوله :

[ عليكم بالسبيل والسنة ، فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة . وذكر الرحمن ؛ ففاضت عيناه من خشية الله عز وجل فيعذبه ]

وأخرج أيضاً عن أبي العالية –رحمه الله تعالى– أنه قال :
[ عليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء ]
وجاء من طريق الأعمش عن مجاهد بن جبر –رحمه الله تعالى– أنه قال :
[ أفضل العبادة حسن الرأي ] يعني به السنة
وقد أخرج الهروي في ذم الكلام بإسناده عن الزُّهْرِيَّ –رحمه الله– أنه قال :
[ تَعَلُّمُ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ مِائَتِيّ سَنَةٍ ]
وَقَالَ الْأَوْزَاعِيّ –رَحمَه الله تعالى– [ اصْبِر نَفسك على السّنة ]

وقال عبد الْعَزِيز بن عبد الله بن أبي سَلمَة [ عَلَيْك بِلُزُوم السّنة فَإِنَّهَا لَك بِإِذن الله عصمَة فَإِن السّنة إِنَّمَا جعلت عصمَة ليستن بهَا ويقتصر عَلَيْهَا ]

وإن من تمام معرفة السنة معرفة البدعة
" لأنه لا يكفي أنّ الإنسان يعرف السنة ويعمل به ، بل لابد أن يعرف ضدّها وهو البدعة، خشية أن يقع فيها، ويُفسد عليه سنته
لأن من لا يعرف الشيَّء يوشك أن يقع فيه
كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : [ يوشك أن تُنْقَض عُرى الإسلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ] "

وهذا حال البدع والمحدثات في الدين فإن [ آفَةَ هَذَا الدِّينِ الأَهْوَاءُ ]

كما ذُكر في الحديث
وقد روي في حديث الحكم بن عمير
[ الأمر المفظع ، والحمل المضلع ، والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع ]

ولو تدبر المرء أم الكتاب لوجد {الصراط المستقيم}

مقروناً بـ {صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم}

فلا بد من بيان الأمرين : بيان الحق والدعوة إليه ، وبيان الضلال والبعد عنه .

ثم إن معرفة السني من المبتدع –وهي من آثار معرفة السنة والبدعة– أمر مطلوب فإن لكل من الوصفين أحكام وآثار تترب على وصفه :
فالسني الواجب اتجاهه المحبة والتولي والنصرة والتأييد
وقد روي في الحديث أن ذلك [ أوثق عرى الإيمان ]
وقد روي هذا موقوفاً على أبي أمامة ومقطوعاً وهو ثابت عن مجاهد رحمه الله وغيره ومعناه متفق عليه في الآثار

والسني حقه الإكرام والثناء وبظهر الغيب له الدعاء
كما قال قال عبد الله بن أحمد [كان أبي يدعو للإمام الشافعي، ويكثر له الدعاء .. ]

و أما المبتدع فالواجب اتجاهه البغض والبراءة والقمع والهجران
قال الحسن البصري [ لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تسمعوا منهم ]

والبدعي يحذر منه ، ومن مجالسته ، ومن النظر في كتبه ، وقد قال الفضيل بن عياض –رحمه الله تعالى– [ من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام ]
وقال أبومحمد ابن أبي حاتم عن أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين في عقيدتهما :

[ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار ، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ، ويقولان : لا يفلح صاحب كلام أبداً ]

والمبتدع حقه الإهانة والثناء بالشر والتحذير والحذر
قال طاووس -رحمه الله- للناس لما رأى مبتدعاً يطوف في البيت :
[ هذا فلان ، فأهينوه ]
والعمل بهذه الواجبات والسنن متوقفة على معرفة أصحابها
ومعرفتهم متوقفة على معرفة سنن السلف ومنهجهم في هذا الباب ، فصار الأمر في غاية الأهمية والضرورة لتحقيق هذا المطلوب والتقرب إلى الله -عزوجل- به
لأجل هذا وغيره صنف الأئمة مصنفات مستقلة في بيان حال أهل الزيغ والكلام ، وذكروا في مقامات تبيين السنة أئمة السنة بأسمائهم وجعلوا حب المرء وذكره لهم علامة على سنيته ، وكذلك ذكروا رؤوس المبتدعة بأسمائهم وجعلوا ذكرهم علامة على ابتداع ذاكرهم .

وقد قال الوليد الكرابيسي -وصدق- في وصف أهل السنة : (ألم تروا إِلَى الْوَاحِد مِنْهُم يَجِيء إِلَى الرجل الْجَلِيل فيبدعه، ويمزق فِي وَجهه ) !!

هكذا هم أهل السنة ساروا على ما كان يبايع به النبي -صلى الله عليه وسلم- أصحابه من [ أن يقولوا الحق أينما كان ولا يخافوا في الله لومة لائم ]

فالواجب على كل متبع صادق في اتباعه إعمال هذا المنهج في الحكم على الصغير والكبير مهما عظمت منزلت المرء عند بعض الخلق فلا يخاف السني في الله لومة لائم .

واتباعاً لأولئك الأئمة –وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم– وبما أنه قد أثيرت في السنوات الأخيرة مسألة الحكم على بعض الأشخاص

والموقف منهم ومن آثارهم من تصانيف ومؤلفات

وقد تناولها البعض بشيء من العاطفة وعدم الضبط لأصول أهل السنة

في باب التبديع والحكم على المخالف

مما نتج عنه فساد عظيم من نشر أصول بدعية

وقواعد تمييعية لو طبقت لم تكد أن تُبقي على الأرض مبتدعاً !!

ولأظهرت منهج السلف عند إلتزامها –عياذاً بالله– بصورة المنهج المتعسف الظالم الذي يخمد الحسنات

ويطوي الخيرات

ويذكر الهنات

ويسقط العلماء بالزلات !!

ولأظهر أهله –وهم سلفنا الكرام– بصورة المنحرفين عن الطريق المستقيم وعن العدل حين الحكم في الرجال ، والله المستعان على زمان فشت فيه البدع ، وظهرت فيه الضلالات والموبقات حتى أصبح يصرخ

ويقال لمن دعا إلى السنة [ غيرت السنة ] !!

ووالله [ لَوْ أَنَّ رَجُلًا أُنْشِرَ فِيكُمْ مِنَ السَّلَفِ، مَا عَرَفَ غَيْرَ هَذِهِ الْقِبْلَةِ ]

كما قال أبوقلابة رحمه الله تعالى في زمان هو خير من زماننا هذا .

وقد جاء عن سفلنا الكرام آثار فيها الإخبار عن وقوع هذا الشر وتحققه

فقد روي عن حذيفة بن اليمان –رضي الله عنهما– أَخَذَ حَجَرَيْنِ، فَوَضَعَ أَحَدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ [ هَلْ تَرَوْنَ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنَ النُّورِ ؟ ]

قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا نَرَى بَيْنَهُمَا مِنَ النُّورِ إِلَّا قَلِيلًا. قَالَ [ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَتَظْهَرَنَّ الْبِدَعُ حَتَّى لَا يُرَى مِنَ الْحَقِّ إِلَّا قَدْرُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مِنَ النُّورِ، وَاللَّهِ لَتَفْشُوَنَّ الْبِدَعُ حَتَّى إِذَا تُرِكَ مِنْهَا شَيْءٌ؛ قَالُوا: تُرِكَتِ السُّنَّةُ ]

وذُكر عن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه قال [ ستكون ردة شديدة ]

وقد كان سلفنا الكرام يذكرون خطورة هذا الأمر وعظيم المصيبة به في أزمنة هي خير من أزمنتنا بكثير ، ففي صحيح البخاري عن الزهري أنه قال : دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟
فقال [ لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيعت ]

وأخرج مالك بن أنس في الموطأ عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه قال :
[ ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء للصلاة ]
وأخرج أحمد في المسند عن أم الدرداء أنها قالت : دخل علي أبو الدرداء وهو مغضب ، فقلت : من أغضبك ؟ قال [ والله لا أعرف منهم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ]
فاللهم رحماك رحماك والثبات على السنة إلى يوم نلقاك

والمقصود أنه لم يزل لتلك الأقوال والتقعيدات المومئ إليها آثار ورواسب على ما قام به جماعة من أهل العلم من جهاد في بيان السنة وطريقة السلف في هذا الباب .
ومع ما قاموا به أيضاً من التنبيه والرد على أغلاط المخطئين في تلك الأقوال والقواعد إلا أن الحال كما سبق بيانه ، فيه من الغبش ما فيه عند كثير من الناس
لذا ارتأيت نشر هذه الرسالة مشاركة في الخير
ومن باب عدم حقران شيء من المعروف ، مع علمي بقدري
وإدراكي لحالي فالأمر كما قَالَ أَبُو الدَّرْدَاء –رضي الله عنه– :
[ لَا يفقه الرجل كل الْفِقْه حَتَّى يمقت النَّاس –قلت : أي العصاة– فِي ذَات الله ثمَّ يرجع إِلَى نَفسه –قلت : أي العاصية– فَيكون لَهَا أَشد مقتاً ]
ولكن مما يعزيني بل ويدفعني في هذا المقام إلى المضي قدماً ما جاء عن السلف –رحمهم الله– في هذا المتعلق :

كقول سعيد بن جبير –رحمه الله– [ لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر

وفي وصية الخضر لموسى – عليهما السلام – :
[ استكثر من الحسنات فإنك لا بد تصيب السيئات ]

وقد اخترت من بين تلك الأسماء المشهورة
والتي كانت سبباً في إيقاع كثير من الشرور بناءاً على الموقف منها :
شارح صحيح الإمام مسلم يحيى بن شرف المعروف بالنووي
وذلك لظهور حاله عند من خبره ، مما يجعل النزاع لأجله والتبديع والتجديع للمحذر من طريقته والمبين لمنهجه نزاعاً غريباً أجنبياً عن العلم وأهله
لا ينبغي تركه من غير تحقيق المسائل التي تعلقت به
والتي ترتب من ورائها ما ترتب من الآثار .
وقد اختار قوم –ممن عرفوا الحق– الدعة والسلامة (!) –فيما يظنونه – في ترك البيان لحقيقة هذه المسائل خوفاً من ألسن الطاعنين من الجهلة والسفهاء وما أكثرهم ، وهم في هذا قد وقعوا في شر عظيم وغش مبين
فإن الأمر كما قال عدي بن حاتم –رضي الله عنه– :
[ إنكم لن تزالوا بخير ما لم تعرفوا ما كنتم تنكرون ، وتنكروا ما كنتم تعرفون ، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير خائف ]
أخرجه ابن بطة في الإبانة
فاللهم لا تؤاخذنا بما فعل الجبناء والمداهنون منا يا رب العالمين
وأنا أعلم أن حقيقة الحال عند الكثيرين هو كما ذُكر عن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– [ من جهل شيئاً عاداه ]
فارفق بنفسك يا مبتغي الحق
ولا تجعل ما تعرفه قبل قرائتك لما كتبت هنا حكماً ومعياراً للحكم على هذه الرسالة

وإياك إياك أن تُركب نفسك الصعب والذلول لأجل الدفاع عن أمرٍ ألفته ليس له في الحق أدنى نصيب لصعوبة مفارقة المألوف !

فإن النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول [ مَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُهُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ عَنْهُ ]

أخرجه أبوداود من حديث ابن عمر بسند جيد

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ أَيْضًا [ وَمَنْ أَعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ بِظُلْمٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ]

والمراد من هذا البحث تحقيق أمرين :

الأول : بيان عقيدة هذا الرجل والإعلام بأنه لا يسير على طريقة أهل السنة والجماعة ومن زعم خلاف هذا فقد أخطأ بلا مثنوية

الثاني : بيان ما وقع فيه بعض الناس من الأقوال الخاطئة

والتأصيلات المخالفة للسنة بغية الدفاع عنه

وقد قسمت هذا البحث على فصول تحقيقاً للمأمول :

الفصل الأول : في بيان موافقة النووي في تأويله لنصوص الصفات لطريقة الجهمية ومن سار في دربهم .

الفصل الثاني : في بيان تخبطه في باب توحيد الألوهية .

الفصل الثالث : في بيان تخبطه في باب الإيمان .

الفصل الرابع : في بيان تأثره بالجبرية في باب القدر .

الفصل الخامس : في بيان تخبطه في باب النبوات .

الفصل السادس : في بيان موقفه من خبر الآحاد والقول بالمجاز .

الفصل السابع : في بيان موقفه من الابتداع والمبتدعة .

الفصل الثامن : في بيان حقيقة شأنه في علم الحديث .

الفصل التاسع : شبهات والرد عليها .

الفصل العاشر : الخاتمة .

هذا وأسأل الله عزوجل أن يجعل عملي كله خالصاً لوجهه وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والله ولي التوفيق .

## الفصل الأول : تأويله للنصوص على طريقة الجهمية ومن سار في دربهم .

قال النووي في شرح مسلم [5-24] : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( أَيْنَ اللَّهُ قَالَتْ فِي السَّمَاءِ قَالَ مَنْ أَنَا قَالَتْ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ قَالَ أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ )

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ

وَفِيهَا مَذْهَبَانِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمَا مَرَّاتٍ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ

أَحَدُهُمَا : الْإِيمَانُ بِهِ مِنْ غَيْرِ خَوْضٍ فِي مَعْنَاهُ مَعَ اعْتِقَادِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ سِمَاتِ الْمَخْلُوقَاتِ

وَالثَّانِي تَأْوِيلُهُ بِمَا يَلِيقُ بِهِ فَمَنْ قَالَ بِهَذَا قَالَ : كَانَ الْمُرَادُ امْتِحَانَهَا هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ تُقِرُّ بِأَنَّ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ الْفَعَّالَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدَّاعِينَ كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّينَ أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَلَمَّا قَالَتْ فِي السَّمَاءِ عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ : لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قَاطِبَةً فَقِيهُهُمْ وَمُحَدِّثُهُمْ وَمُتَكَلِّمُهُمْ وَنُظَّارُهُمْ وَمُقَلِّدُهُمْ أَنَّ الظَّوَاهِرَ الْوَارِدَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى {أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السماء أن يخسف بكم الأرض} وَنَحْوِهِ لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا بَلْ مُتَأَوَّلَةٌ عِنْدَ جَمِيعِهِمْ ، فَمَنْ قَالَ بِإِثْبَاتِ جِهَةِ فَوْقُ مِنْ غَيْرِ تَحْدِيدٍ وَلَا تَكْيِيفٍ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ تَأَوَّلَ فِي السَّمَاءِ أَيْ عَلَى السَّمَاءِ

وَمَنْ قَالَ مِنْ دَهْمَاءِ النُّظَّارِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْحَابِ التَّنْزِيهِ بِنَفْيِ الْحَدِّ وَاسْتِحَالَةِ الْجِهَةِ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَأَوَّلُوهَا تَأْوِيلَاتٍ بِحَسَبِ مُقْتَضَاهَا . وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ

قَالَ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي جَمَعَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْحَقِّ كُلَّهُمْ عَلَى وُجُوبِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الْفِكْرِ فِي الذَّاتِ كَمَا أُمِرُوا وَسَكَتُوا لِحِيرَةِ الْعَقْلِ وَاتَّفَقُوا عَلَى تَحْرِيمِ التَّكْيِيفِ وَالتَّشْكِيلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ وُقُوفِهِمْ وَإِمْسَاكِهِمْ غَيْرُ شَاكٍّ فِي الوجود والموجود

وَغَيْرُ قَادِحٍ فِي التَّوْحِيدِ بَلْ هُوَ حَقِيقَتُهُ
ثُمَّ تَسَامَحَ بَعْضُهُمْ بِإِثْبَاتِ الْجِهَةِ خَاشِيًا مِنْ مِثْلِ هَذَا التَّسَامُحِ
وَهَلْ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَاتِ فَرْقٌ لَكِنْ إِطْلَاقُ مَا أَطْلَقَهُ الشَّرْعُ مِنْ أَنَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَأَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَعَ التَّمَسُّكِ بِالْآيَةِ الْجَامِعَةِ لِلتَّنْزِيهِ الْكُلِّيِّ الَّذِي لَا يَصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُهُ وهو قوله تعالى {ليس كمثله شيء}
عِصْمَةٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَهَذَا كَلَامُ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . ا.هـ

قلت : خلاصة ما قرره شارح صحيح مسلم هنا
زعمه أن النصوص المثبتة لعلو ربنا سبحانه كحديث الجارية المذكور وغيره
تحمل على أحد مذهبين :
المذهب الأول : تفويض معاني هذه النصوص
وعدم الخوض في فهمها من حيث المعنى اللغوي !
والمذهب الثاني صرفها إلى أحد (الأقوال=التحريفات) المذكورة
ويرجع الأمر على كلا المذهبين أن ظواهر هذه النصوص غير مرادة
كما قال عياض -والذي أقر الشارح كلامه- :
لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .. أَنَّ الظَّوَاهِرَ الْوَارِدَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ .. لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا .. ا.هـ المراد

وحاصل هذا التقرير أن النووي لا يثبت العلو للعزيز القهار !
وأنه يدور في كلامه الآنف الذكر على ما دارت حوله الجهمية الأوائل

قال محمد بن يحيى بن سعيد القطان : كان أبي وعبد الرحمن بن مهدي يقولان :
[ الجهمية تدور أن ليس في السماء شيء ]

وأخرج عبدالله في السنة بإسناده عن حماد بن زيد –رحمه الله– قال :
[ إن هؤلاء الجهمية إنما يحاولون يقولون : ليس في السماء شيء ]

وقال جرير بن عبدالحميد –رحمه الله– : [كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله ] .
قال الذهبي في العرش : أخرجه عبد الرحمن بن أبي حاتم، في كتاب "الرد على الجهمية"

وقال علي بن عاصم لرجل يا بني [ احذر بشرا المريسي ، فإن كلامه أبو جاد الزنادقة ، وأنا لقيت أستاذهم جهما ، فلم يكن يثبت أن في السماء إلها ]

وقال عباد بن العوام [كَلَّمْتُ بِشْرًا الْمِرِّيسِيَّ وَأَصْحَابَ بِشْرٍ، فَرَأَيْتُ آخِرَ كَلَامِهِمْ يَنْتَهِي إِلَى أَنْ يَقُولُوا: لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ ]
أخرجه عبدالله في السنة

وقال أبو معمر القطيعي [ آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله ].
قال الذهبي في العرش : ذكره ابن أبي حاتم في كتابه.

وأخرج الخلال في السنة بإسناده عن أبي بكر بن عياش قال :
[ إِنَّمَا يُحَاوِلُونَ الْجَهْمِيَّةُ أَنْ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ شَيْءٌ ]

وقال أيوب –رحمه الله– وذكر المعتزلة وقال
[ إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء ]
قال الذهبي في العرش : أخرجه الطبراني في كتاب "السنة" له

وعلق البخاري في خلق أفعال العباد وصححه ابن القيم عن وهب بن جرير قوله :
[ إياكم ورأي جهم ، فإنهم يجادلون أنه ليس في السماء شيء، وما هو إلا من وحي إبليس، وما هو إلا الكفر ]
فالنووي هنا إنما جنح في هذه المسألة إلى رأي جهم عياذاً بالله

ومما يؤكد هذه الحقيقة زيادةً على وضوح كلامه السابق في المقصود قوله –أي النووي– عند حديث [ حسر رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَوْبَهُ لما أَصَابَهُ الْمَطَرُ و قَالَ أَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ ]
قال : مَعْنَى حَسَرَ كَشَفَ أَيْ كَشَفَ بَعْضَ بَدَنِهِ
وَمَعْنَى حَدِيثُ عهد بربه أي بتكوين ربه اياه ، ومعناه أَنَّ الْمَطَرَ رَحْمَةٌ وَهِيَ قَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِخَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا فَيُتَبَرَّكُ بِهَا .ا.هـ

وهذا الحديث من حجج أهل السنة على إثبات العلو لله جل وعلا
وقد احتج به غير واحد على إثبات العلو :
منهم الإمام الدارمي –رحمه الله– في الرد على الجهمية
حيث قال بعد إيراده لحديث الجارية وبعض الآثار قال : ومما يحقق قول ابن المبارك قول رسول الله للجارية [ أين الله ] يمتحن بذلك إيمانها فلما قالت في السماء
قال رسول الله [ أعتقها فإنها مؤمنة ] والآثار في ذلك عن رسول الله كثيرة والحجج متظاهرة والحمد لله على ذلك .. ولو كان على ما يقول هؤلاء الزائغة أنه في كل مكان ما كان المطر أحدث عهدا بالله من غيره من المياه والخلائق .. ا.هـ

وذكر هذا الحديث أيضاً ابن أبي عاصم في السنة ضمن أحاديث الصفات
وذكره الذهبي في العرش أيضاً ضمن الأحاديث التي تثبت علو الرب سبحانه
وكذلك في كتابه العلو

حتى قال ذاك الألباني في "صحيح"الأدب المفرد" ص156 : وفي الحديث إشارة صريحة إلى علو الله تبارك وتعالى على خلقه .. . ا.هـ

وبهذا يظهر أيضاً غلط عبدالمحسن العباد في جوابه لما سئل :
هل يمكن الاستدلال بحديث حسر الثوب عند نزول المطر على علو الله عز وجل ؟
فقال : لا يظهر أن فيه دليلاً؛ لأن معنى قوله: (حديث عهد بربه)
يعني: بإنزال ربه . ا.هـ من شرحه لسنن أبي داود

و هنا فائدة :
قال ابن رجب في شرحه على البخاري :
روى بإسناده –أي ابن أبي الدنيا– عن جابر الجعفي، عن عبد الله بن نجي، قالَ : كانَ علي (إذا مطرت السماء خرج فإذا أصاب صلعته الماء مسح رأسه ووجهه وجسده، وقال [ بركة نزلت من السماء لم تمسها يد ولا سقاء ] .
وبإسناده، عن عبد الله بن مؤمل، عن ابن أبي مليكة، قالَ: كانَ ابن عباس يتمطر، يقول [ يا عكرمة، أخرج الرحل، أخرج كذا، أخرج كذا، حتَّى يصيبه المطر ] .
وبإسناده، عن وكيع، عن أم غراب، عن نباتة، قالَ [كانَ عثمان بن عفان يتمطر ] .
وبإسناده، عن أبي الأشعر، قالَ: رأيت أبا حكيم إذا كانت أول مطر تجرد، ويقول: إن عليا كانَ يفعله ويقول، أنه حديث عهد بالعرش.
**وهذا يدل على أن علياً كانَ يرى أن المطر ينزل من البحر الذي تحت العرش.**
وحديث العباس بن عبد المطلب، عن النَّبيّ (– في ذكر السحاب والمزن والعنان، وبعد ما بين السماء والأرض، وبعد ما بين السماوات بعضهما من بعض، وأن فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله، مثل ما بين سماء إلى سماء – شهد ذَلِكَ.

وقد خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم.
وقال: صحيح الإسناد. وقال الترمذي: حسن غريب.

وكذلك قاله عكرمة وخالد بن معدان وغيرهما من السلف [ المطر ينزل من تحت العرش ] .

وروي عن ابن عباس من وجوه ما يدل عليهِ.

وأما من قالَ: أن المطر كله من ماء البحر (!)

فإنه ما لا علم لهُ به.

فإن استدل بأنه يشاهد اغتراف السحاب من البحر، فقد حكم حكما كليا بنظر جزئي، ومن أين لهُ أن كل السحاب كذلك؟

وقد خرج ابن أبي الدنيا بإسناده، عن خالد بن يزيد [ منه من السماء، فلا ما يستقيه الغيم من البحر، فيعذبه الرعد والبرق، فإما ما يكون من البحر، فلا يكون لهُ نبات، وأما النبات فما كانَ من ماء السماء، وقال إن شئت أعذبت ماء البحر، فأمر بقلال من ماء، ثُمَّ وصف كيف يصنع حتَّى تعذب ] ا.هـ المراد

وعوداً إلى المراد ومما يزيد هذه الحقيقة الجلية –أي كون النووي لايثبت العلو– تأكيد أيضاً = ما قاله الشارح في حديث النزول

والذي هو من أقوى حجج أهل السنة في إثبات العلو أيضاً

وسوف يأتي ذكر كلامه والرد عليه بإذن الله

والرد الآن على كلامه الآنف الذكر حول حديث الجارية من وجوه :

الوجه الأول : ليعلم أن دلالة الكتاب والسنة والآثار والفطر السليمة قد اجتمعت على إثبات العلو لله تبارك وتعالى على جميع خلقه

أما الكتاب فالآيات كثيرة في هذا المعنى

قال الله تعالى { أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض }

وقال سبحانه { وهو القاهر فوق عباده }

وقال تعالى عن إبليس { فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ }

رُوي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قوله في تفسيرها
[ لم يستطع أن يقول من فوقهم ؛ علم أن الله من فوقهم ] أخرجه اللالكائي

وقال تعالى { إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ }
قال ابن مسعود –ري الله عنه– [ من قال: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، تلقاهن ملك فعرج بهن إلى الله تعالى، فلا يمر بملأ من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء بهن وجه الرحمن ]
قال الذهبي : أخرجه العسال، وإسناده كلهم ثقات

وقال سبحانه وتعالى { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى }
" فَالْأَعْلَى: مَفْهُومٌ فِي اللُّغَةِ : أَنَّهُ أَعْلَى شَيْءٍ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ تَنْزِيلِهِ وَوَحْيِهِ، أَعْلَمَنَا أَنَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، أَفَلَيْسَ الْعَلِيُّ يَا ذَوِي الْحِجَا مَا يَكُونُ عَلِيًّا " [1]

وأما السنة فالأحاديث فيه متواترة مشهورة ، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَة أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ [ الْمَلَائِكَة يتعاقبون فِيكُم مَلَائِكَة بِاللَّيْلِ وملائكة بِالنَّهَارِ ويجتمعون فِي صَلَاة الْفجْر وَصَلَاة الْعَصْر ثمَّ يعرج إِلَيْهِ الَّذين باتوا فِيكُم فيسألهم وَهُوَ أعلم بهم كَيفَ تركْتُم عبَادي فَيَقُولُونَ أتيناهم وهم يصلونَ وتركناهم وَهُوَ يصلونَ ]

---

[1] انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة –رحمه الله– [1–257]

وأخرج أبوداود من طريق جبير بن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن جده قال : إني لعند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ جاءه أعرابي فقال : يا رسول الله جهدت الأنعام ، وجاع العيال ، هلكت الأموال ، وهلكت الأنعام ، فاستسق لنا ، فإنا

نستشفع بك على الله عز وجل ، ونستشفع بالله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ هل تدري ما تقول ؟ ]

وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف في وجوه أصحابه ،

وقال [ ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد شأن الله أعظم من ذلك

ويحك إنه لفوق سماواته ، وهو على عرشه ، وإنه لهكذا مثل القبة –وأشار بيده– وإنه ليئط أطيط الرحل بالراكب ]

قال الذهبي في العرش : رواه أبو داود، وغيره، في الرد على الجهمية، بإسناد حسن عنده من حديث محمد بن إسحاق بن يسار

وكذلك صححه ابن القيم في تهذيب السنن

وفيه إثبات العلو بالسنة القولية

وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفات

[ ألا هل بلغت؟ ]

فقالوا: نعم، فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إليهم

ويقول: [ اللهم اشهد ] . رواه مسلم .

وهذه سنة فعلية في تثبيت العلو , وسبق دليل السنة التقريرية في حديث الجارية

فاجتمعت السنة القولية والفعلية والتقريرة في تثبيت هذا المعنى .

وقال أبو بكر الصديق –رضي الله عنه– لما مات النبي صلى الله عليه وسلم :

[من كان يعبد محمدًا فإنه قد مات ومن كان يعبد الذي في السماء فإنه حي لا يموت]

قال الذهبي : أخرجه هكذا الدارمي بإسناد صحيح

وعن عبد الرحمن بن غُنْم قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول :

[ ويل لديان من في الأرض، من ديان من في السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل، وقضى بالحق، ولم يقض على هوى، ولا على قرابة، ولا على رغب، ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه ]
أخرجه الدارمي بسند صحيح

وثبت عن ابن مسعود –رضي الله عنه– كما عند اللالكائي وغيره قوله :
[ ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء ]

وقال ابن عباس –رضي الله عنهما– [ تفكروا في كل شيء ، ولا تفكروا في ذات الله ؛ فإن بين كرسيه إلى السماء السابعة سبعة آلاف نور وهو فوق ذلك ]
أخرجه أبوالشيخ في العظمة وابن بطة في الإبانة

وكل إنسان صاحب فطرة سليمة يقر بهذا
قال ابن خزيمة –رحمه الله تعالى– في كتاب التوحيد :
هُوَ مَفْهُومٌ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، عُلَمَائِهِمْ وَجُهَّالِهِمْ، أَحْرَارِهِمْ وَمَمَالِيكِهِمْ، ذُكْرَانِهِمْ وَإِنَاثِهِمْ، بَالِغِيهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ، كُلُّ مَنْ دَعَا اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا: فَإِنَّمَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى اللَّهِ، إِلَى أَعْلَاهُ لَا إِلَى أَسْفَلَ ..ا.هـ

" وقد حكى محمد بن طاهر المقدسي عن أبي جعفر الهمذاني أنه حضر مجلس أبي المعالي فذكر العرش وقال : (كان الله ولا عرش ونحو ذلك )
وقام اليه أبو جعفر فقال : يا شيخ دعنا من ذكر العرش واخبرنا عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فانه ما قال عارف قط يا الله الا وجد في قلبه ضرورة لطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة ؟! قال : فضرب ابو المعالي على رأسه

وقال : (حيري الهمداني) فأخبر هذا الرجل عن كل من عرف الله أنه يجد في قلبه حركة ضرورية الى العلو اذا قال يا الله وهذا يقتضي انه في فطرتهم وخلقتهم العلم بأن الله فوق وقصده والتوجه اليه الى فوق "

وحتى –عامة– الكفرة وعبدة الأصنام والأوثان لا يجحدون هذه الحقيقة الفطرية

قال الدارمي –رحمه الله تعالى– :

حَدَّثَنا أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ الْبَغْدَادِيُّ الْأَصَمُّ، ثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنْ شبيب ابْن شيبَة، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ أَنَّ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لِأَبِيهِ :

[ يَا حُصَيْنُ، كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلَهًا ؟ ]

قَالَ سَبْعَةً، سِتَّة فِي الأَرْض وَوَاحِد فِي السَّمَاءِ

قَالَ فَأَيُّهُمْ تَعُدُّهُ لِرَغْبَتِكَ وَلِرَهْبَتِكَ؟ ]

قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ "

فَلَمْ يُنْكِرِ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى الْكَافِرِ إِذْ عَرَفَ أَنَّ إِلَهَ الْعَالَمِينَ فِي السَّمَاءِ. كَمَا قَالَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَحُصَيْنٌ الْخُزَاعِيّ فِي كفره يومئذ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ الْجَلِيلِ الْأَجَلِّ مِنَ الْمَرِيسِيّ وَأَصْحَابِهِ مَعَ مَا يَنْتَحِلُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ، إِذْ مَيَّزَ بَيْنَ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ وَبَيْنَ الْآلِهَةِ وَالْأَصْنَامِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي فِي الْأَرْضِ .

وَقَدِ اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَحَدُّوهُ بِذَلِكَ إِلَّا الْمَرِيسِيَّ الضَّالَّ وَأَصْحَابَهُ، حَتَّ الصِّبْيَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْث قَدْ عَرَفُوهُ بِذَلِكَ، إِذَا حَزَبَ الصَّبِي شَيْء يرفع يَدَيْهِ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ فِي السَّمَاءِ دُونَ مَا سِوَاهَا، فَكُلُّ أَحَدٍ بِاللَّهِ وَبِمَكَانِهِ أَعْلَمُ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ . ا.هـ

بل حتى الحيوانات والبهائم تقر بهذا ويأبى النووي الإقرار به (!)

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص211 :

هذه النملة وأخواتها من النمل أحرى أن يكونوا أعرف بالله من الجهمية ، وقد دل هذا على ما رواه الطبراني في معجمه قال حدثنا الدبري عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري أن سليمان عليه السلام خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة أحد قوائمها تستسقي فقال لأصحابه [ ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها ]

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع قال حدثنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال [ خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي بالناس فمر على نملة مستلقية على قفاها رافعة أحد قوائمها إلى السماء وهي تقول اللهم إنا خلق من خلقك ليس بنا غنى عن رزقك فإنا أن تسقينا أو تهلكنا قال سليمان عليه السلام للناس ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم ] ...

ورواه الحافظ أبو الحسن الدارقطني في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله [ خرج نبي من الأنبياء يستسقي فمر بنملة مستلقية على ظهرها رافعة يديها إلى السماء تستسقي فقال لأصحابه ارجعوا فقد سقيتم ]

وفي هذا الباب قصة حمر الوحش المشهورة التي ذكرها غير واحد إنها انتهت إلى الماء لترده فوجدت الناس حوله فتأخرت عنه

فلما جهدها العطش رفعت رأسها إلى السماء وجأرت إلى الله سبحانه بصوت واحد فأرسل الله سبحانه عليها السماء بالمطر حتى شربت وانصرفت ...

وذكر الهروي بإسناده عن عبد الله بن وهب قال [ أكرموا البقر فإنها لم ترفع رأسها إلى السماء منذ عبد العجل حياء من الله عز و جل ]

وقد روي مرفوعا عن ابن وهب عن يحيى بن أيوب عن أبي هند عن أنس قال قال رسول الله [ أكرموا البقر فإنها سيدة البهائم ما رفعت طرفها إلى السماء حياء من الله عز و جل منذ عبد العجل ]

قلت ولا يثبت رفعه فإن أبا هند مجهول
والمقصود أن هذه فطرة الله التي فطر عليها الحيوان حتى أبلد الحيوان الذي نضرب ببلادته المثل وهو البقر . ا.هـ المراد بتصرف يسير

والحاصل أن " أدلة علو الله على عرشه تبلغ ألف دليل أو أكثر من الوحي، ومن الفطرة، ومن الأدلة العقلية، وهذا ثابت لا شك فيه، ولا ينكره إلاّ الملاحدة من الجهميّة وأشباههم. " [5]
وبهذا يتبين عظيم جرم الأشاعرة ومن وافقهم في نفيهم للعلو
والذي هو رد للحجج الشرعية وجحد للأدلة العقلية والفطرية
فـ{ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا }

الوجه الثاني : قد ذكر النووي هنا مذهبان مبتدعان
المذهب الأول مذهب المفوضة الضالة
والثاني مذهب المحرفة النفاة .
وما ذكر مذهب أهل السنة ضمن مذاهب العلماء المزعومين (!!)
بل وأقر زعم عياض لما ادعى أنه لاخلاف بين المسلمين أن النصوص التي جاءت بأن الله في السماء ليست على ظاهرها
علماً بأن هذا هو اعتقاد أهل السنة وعليه إجماع السلف .
وكأن هذا تكفير ضمني لمن قال بهذه النصوص على ظاهرها !

ولايعجب امرؤ من ذلك فإن هذا مذهب الأشاعرة قديماً وحديثاً ينطقون بالباطل ثم يكفرون من خالفهم فيه ، كما قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى – (3 / 279)
:وَالْخَوَارِجُ هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَّرَ الْمُسْلِمِينَ يُكَفِّرُونَ بِالذُّنُوبِ ، وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَبْتَدِعُونَ بِدْعَةً وَيُكَفِّرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا . ا.هـ

وقد نص غير واحد منهم على تكفير من أثبت العلو لله تعالى
أو من أثبت ظواهر النصوص
قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد :
وعند الأشعري أن من اعتقد أن الله بذاته في السماء فهو كافر ! ..اهـ

وقال نظام الهندي في الفتاوى الهندية : ويكفر بإثبات المكان لله . (!!) ا.هـ

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول–كما في الصحيح– :
[ فرجعت إلى ربي وهو في مكانه ]
وفي رواية لحديث جابر في ذكر النزول الإلهي [ فَيَكُونُ ذَلِكَ مَكَانَهُ حَتَّى يُصَلَّى الْفَجْرُ، ثُمَّ يَعْلُو رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ إِلَى السَّمَاءِ الْعُلْيَا ]
وقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– [ لا يبلغ شيء مكانه ]
وقال حماد بن زيد –رحمه الله– [ هو في مكانه ويقرب من خلقه كيف شاء ]
وقال الحافظ عبدالغني المقدسي –رحمه الله تعالى– في الإقتصاد :
والمنكر لهذه اللفظة راد على الله ورسوله . ا.هـ

وعوداً إلى المراد ، قال محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي في مختصر الإفادات :
فمن اعتقد أو قال إن الله بذاته في كل مكان
أو في مكان فكافر . (!) .ا.هـ

ونقل النووي في روضة الطالبين عن المتولي الشافعي :
أن من وصف الله بالاتصال والانفصال كان كافرًا . (!) .ا.هـ

وأما أهل السنة فقد أجمعوا على أن الله عال على عرشه بائن من خلقه .

وتأمل هنا في نقل الشارح لهذا الكلام

وما قاله بعض السلف [ يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف ]

وقال المسمى بـ ولي الدين العراقي في أماليه ما نصه : اتفق السلف والخلف أن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافر اهـ

وقال ابن حجر الهيتمي –أخزاه الله– في الفتاوى الحديثية :

إِذا تقرر هَذَا فَقَائِل هَذِه الْمقَالة الَّتِي هِيَ القَوْل بالجهة فَوق إِن كَانَ يعْتَقد الْحُلُول والاستقرار والظرفية أَو التحيز فَهُوَ كَافِر، يُسلك بِهِ مَسْلَك الْمُرْتَدين إِن كَانَ مظْهرا لذَلِ ...وهؤلاء يريدون بنفي الجهة نفي حقيقة العلو كما هو معلوم من تجهمهم ا.هـ

وقال السنوسي في شرح أم البراهين ص317 :

أصول الكفر ستة ... 6– التمسك في أصول العقائد بظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل وهو أصل ضلال الحشوية ..ا.هـ

وهذا الذي يعده من أصول الكفر هو مما أجمع عليه أهل السنة ويأتي نقل إجماعهم عليه بإذن الله تعالى.

وقال الصاوي في تعليقه على الجلالين ج 3 ص9 :

الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر . ا.هـ

وقال الشيرازي صاحب كتاب المهذب

الذي تولى شرحه النووي – واستصحبوا معكم قبل هذا قول السلف [ لا نسأل عن الرجل بعد ثلاث : ممشاه ومدخله و ألفه من الناس ]–

قال الشيرازي في شرحه على اللمع :

فمن اعتقد غير ما أشرنا إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام أبي الحسن الاشعري رضي الله عنه فهو كافر.

ومن نسب إليهم غير ذلك فقد كفرهم فيكون كافرا بتكفيره لهم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [ ما كفر رجل رجلا إلا باء به أحدهما] ا.هـ

وهذا الشيرازي = الأشعري الجلد (!)

قال عنه الشارح في مقدمة المجموع : الإمام الجليل (!)

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ ]

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ –رضي الله عنه– [ اعْتَبِرُوا النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ ]

و قَالَ أَبُو قِلَابَةَ [ قَاتَلَ اللَّهُ الشَّاعِرَ حِينَ يَقُولُ: عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قَرِينَهُ ... فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارَنِ يَقْتَدِي ]

وذلك لأنه [ إِذَا تَلَاحَمَتْ بِالْقُلُوبِ النِّسْبَةُ تَوَاصَلَتْ بِالْأَبْدَانِ الصُّحْبَةُ ]

كما قال بعض السلف

وفي هذه الأعصر المتأخرة جاء محمود خطاب السبكي –لا رحمه الله– فقال : والحاصل: أن الخلف لم يخالفوا السلف في الاعتقاد وإنما خالفوهم في تفسير المتشابه للمقتضى الذي حدث في زمانهم دون زمان السلف كما علمت. بل اعتقادهم واحد, وهو أن الآيات والأحاديث المتشابهات مصروفة عن ظاهرها الموهم تشبيهه تعالى بشيء من صفات الحوادث وأنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث, وأنه سبحانه وتعالى مخالف للحوادث, فليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا مستقر على عرش ولا في سماء ولا يمر عليه زمان وليس له جهة إلي غير ذلك مما هو من نعوت المخلوقين، فمن اعتقد وصفه تعالى بشيء منها فهو كافر بإجماع السلف والخلف.

وقال : كل من اعتقد أنه تعالى حل في مكان أو اتصل به أو بشيء من الحوادث كالعرش أو الكرسي أو السماء أو الأرض أو غير ذلك فهو كافر قطعًا ، ويبطل جميع عمله من صلاة وصيام وحج وغير ذلك، وتبين منه زوجه وعليه أن يتوب فورًا ، وإذا مات على هذا الاعتقاد - والعياذ بالله تعالى - لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، ومثله في ذلك كله من صدّقه في اعتقاده أعاذنا الله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. وأما حمله الناس على أن يعتقدوا هذا الاعتقاد المكفر وقوله لهم من لم يعتقد ذلك يكون كافرًا!! فهو كفر وبهتان عظيم، واستدلاله على زعمه الباطل بهاتين الآيتين ونحوهما أن الله عز وجل يحل في عرشه أو يجلس عليه أو يحل في سماء أو نحو ذلك مما تزعمه تلك الشرذمة .. ا.هـ

فهؤلاء حالهم كما قال الهروي في ذم الكلام : وسموا الإثبات تشبيهاً فعابوا القرآن وضللوا الرسول .

ومن هنا يتبين للمتبع عظيم فقه السلف حين قائل قائلهم كأيوب –وغيره– أن أصحاب البدع كلهم خوارج وقال :

[ إن الخوارج اختلفوا في الاسم واجتمعوا على السيف ]

فهؤلاء المعطلة مع إرجائهم الغالي فهم خوارج يرون السيف على أمة محمد –صلى الله عليه وسلم– فيصدق عليهم قول الإمام أحمد [ الخوارج هم المرجئة ]

وقيل لابن المبارك : ترى رأي الإرجاء ؟

فقال –رحمه الله– [ كيف أكون مرجئاً وأنا لا أرى السيف ]

وقال سفيان الثوري –رحمه الله– في وصف المرجئة :

[ وهم يرون السيف على أهل القبلة ]

ولا يغترن مغتر بدعوة بعض ذيولهم في الأعصر المتأخرة إلى التسامح (!)

والتقارب مع أهل السنة (!)
فهذا الزنديق (السخاف=حسن السقاف) يقول في مجلس واحد :
ابن تيمية كافر (!) وما يستحق يدخل الجنة (!)
و يقول : أنا أدعوا إلى التسامح والتقارب (!)

فحال هؤلاء كما قال ابن قدامة في كتاب المناظرة في القرآن ص35 :
ولا نعرف في أهل البدع طائفة **يكتمون مقالتهم** ولا يتجاسرون على إظهارها إلا الزنادقة و الأشعرية ا.هـ

وليعلم أن المذهب (الأول=التفويض) الذي ذكره النووي في كلامه السابق وزعم في مكان آخر أنه مذهب " مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ "
هو مذهب بدعي من شر أقوال أهل البدع والإلحاد
ومن نسبه إلى السلف الصالح –كما فعل النووي– فقد كذب عليهم ونسبهم إلى ما هم منه براء ، وحقيقة هذا المذهب التوقف والسكوت عن معاني نصوص الصفات مع القطع بنفي إرادة الظاهر (!) كما قال المقريزي

وقال غيره ( هو صرف اللفظ عن ظاهره مع عدم التعرض لبيان المعنى بل يترك ويفوض علمه إلى الله )
وهذا باطل ، فإن الله عزوجل يقول { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }
وهذا يشمل حفظ لفظه من التبديل والزيادة والنقصان
وحفظ معانيه من التحريف
وعلى قول هؤلاء الضلال لا يوجد معاني (محفوظة=معلومة) !
وقد قال ربنا سبحانه { هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ }
وقال تعالى { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ }

ولم يستثني سبحانه شيئاً من كتابه في بيانه

فعلم بطلان قول أهل التفويض

وعلى قول أهل التفويض في كلام الرب " يجب أن لا خير من خطابهم بذلك لأنه على التقديرين لم يفهمهم حقًّا ، ولا خاطبهم بما يعلم به حق ولكن إذا كان الكلام أعجميًّا لا يترجم لهم لم يضلوا به كما لم يهتدوا به

وأما إذا كان عربيًّا وظاهره الباطل على زعم هؤلاء فإن الناس يفهمون ظاهره فيضلون به فلم يكتفوا به فهو على زعمهم من كونه هو لم يكن يفهم معناه فبخطاب الناس به فهموا منه ما هو كفر وضلال لاسيما ولم ينقل أحد عنه أنه نهى الناس عن اعتقاد ظاهره وما دل عليه "

**و " إن من المعلوم أن الله تعالي أمرنا أن نتدبر القرآن وحضنا علي عقله وفهمه فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ؟ !!! ..**

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا : أنه لم يبين الحق ولا أوضحه مع أمره لنا أن نعتقده وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه بل دل ظاهره علي الكفر والباطل وأراد منا أن نفهم منه شيئا

أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه **و أنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد "**

" وما ذكرناه من لوازم قول التفويض :

هو لازم لقولهم الظاهر المعروف بينهم إذ قالوا : إن الرسول كان يعلم معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة

ولكن لم يبين للناس مراده بها ولا أوضحه إيضاحا يقطع به النزاع

وأما على قول أكابرهم : إن معاني هذه النصوص المشكلة المتشابهة لا يعلمه إلا الله وأن معناها الذي أراده الله بها هو ما يوجب صرفها عن ظواهرها !

فعلى قول هؤلاء يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص ولا الملائكة ولا السابقون الأولون !

وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه ! بل يقولون كلاما لا يعقلون معناه ..

ومعلوم أن هذا قدح في القرآن والأنبياء إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدي وبيانا للناس

وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين وأن يبين للناس ما نزل إليهم

وأمر بتدبر القرآن وعقله ومع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الرب عن صفاته أو عن كونه خالقا لكل شيء وهو بكل شيء عليم أو عن كونه أمر ونهي ووعد وتوعد أو عما أخبر به عن اليوم الآخر . لا يعلم أحد معناه فلا يعقل ولا يتدبر ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم ولا بلغ البلاغ المبين

وعلى هذا التقدير فيقول كل ملحد ومبتدع : الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي وليس في النصوص ما يناقض ذلك لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة لا يعلم أحد معناها وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يستدل به

فيبقي هذا الكلام سدا لباب الهدي والبيان من جهة الأنبياء وفتحا لباب من يعارضهم ويقول : إن الهدي والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية والأنبياء لم يعلموا ما يقولون : فضلا عن أن يبينوا مرادهم

فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد "

فهذا هو ملخص حال المفوضة لا كثرهم الله

وقد صدق ابن عثيمين لما قال في تلخيصه للحموية ص2 :

قد قال بعض الأغبياء : طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ... وقول هذا الغبي يتضمن حقًّا وباطلاً:

فأما الحقّ فقوله: "إن مذهب السلف أسلم"

وأما الباطل فقوله: "إن مذهب الخلف أعلم وأحكم" وبيان بطلانه من وجوه:

الوجه الأول – أنه يُناقض قوله: "إن طريقة السلف أسلم"؛ فإن كون طريقة السلف أسلم من لوازم كونها أعلم وأحكم، إذ لا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم بأسباب السلامة، والحكمة في سلوك تلك الأسباب، وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم، وأعلم، وأحكم، وهو لازم لهذا الغبي لزوماً لا محيد عنه.
الوجه الثاني – أن اعتقاده أن الله ليس له صفة حقيقية – دلت عليها هذه النصوص – اعتقاد باطل؛ لأنه مبني على شبهات فاسدة ؛ ولأن الله تعالى قد ثبت له صفات الكمال عقلاً، وحِسًّا وفطرة، وشرعاً .ا.هـ المراد

وقد قال النووي كلاما قريبا من هذا فقال في شرحه [1–25] :
هَذِهِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَوْ جَمَاهِيرِهِمْ وَهِيَ أَسْلَمُ إِذْ لَا يُطَالَبُ الْإِنْسَانُ بِالْخَوْضِ فِي ذَلِكَ فَإِذَا اعْتَقَدَ التَّنْزِيهَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى الْخَوْضِ فِي ذَلِكَ وَالْمُخَاطَرَةِ فِيمَا لَا ضَرُورَةَ بَلْ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ دَعَتْ الْحَاجَةُ إِلَى التَّأْوِيلِ لِرَدِّ مُبْتَدِعٍ وَنَحْوِهِ تَأَوَّلُوا حِينَئِذٍ: وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا جَاءَ عَنْ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا . ا.هـ
فهو هنا يذكر أن طريقتهم أسلم
ثم هو في الوقت نفسه يميل إلى التأويل في مواضع عديدة يأتي ذكرها –بإذن الله– وهذا لا يكون –غالباً– الا من اعتقاد بأن هذا التأويل أفضل من الإمساك ، فتبين حينئذ مشابهة النووي لأولئك في قولهم طريقة السلف أسلم و طريقة الخلف أعلم .

يقول ابن تيمية مبيناً لفساد ظن هؤلاء في الحموية ص6 :
فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر وقد كذبوا على طريقة السلف وضلوا في تصويب طريقة الخلف؛ فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم . وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.
وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين؛ فلما اعتقدوا انتفاء الصفات

في نفس الأمر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى – وهي التي يسمونها طريقة السلف – وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف – وهي التي يسمونها طريقة الخلف – فصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والكفر بالسمع؛ فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه .

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين : كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم

واعتقاد أنهم كانوا قوما أميين بمنزلة الصالحين من العامة؛ لم يتبحروا في حقائق العلم بالله ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي

وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله .

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة؛ بل في غاية الضلالة .

كيف يكون هؤلاء المتأخرون – لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها　　وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعا كف حائر　　على ذقن أو قارعا سن نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم .

نهاية إقدام العقول عقال　　وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا　　وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا　　سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا ..

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر : لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضلون المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون : أعلم بالله وأسمائه

وصفاته وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة – لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته – من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم ؟

أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضلال اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم : أعلم بالله من ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان ؟!!

وإنما قدمت [ هذه المقدمة ] لأن من استقرت هذه المقدمة عنده عرف طريق الهدى أين هو في هذا الباب وغيره وعلم أن الضلال والتهوك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم وإعراضهم عما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم من البينات والهدى وتركهم البحث عن طريقة السابقين والتابعين والتماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه وبشهادة الأمة على ذلك وبدلالات كثيرة " ا.هـ المراد

فالسلف –رحمهم الله تعالى– كانوا يثبتون نصوص الصفات على ظاهرها

ولايصرفونها عن ظاهرها بلا تمثيل أو تكييف أو تحريف وعلى هذا أجمع أهل السنة ويأتي نقل إجماعهم بإذن الله

ومما يبين إثبات السلف لمعاني النصوص الواردة = الروايات الثابتة عنهم في هذا الباب منها : ما رواه الترمذي من طريق حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا}

قَالَ حَمَّادٌ: هَكَذَا، وَأَمْسَكَ سُلَيْمَانُ بِطَرَفِ إِبْهَامِهِ عَلَى أُنْمُلَةِ إِصْبَعِهِ الْيُمْنَى

قَالَ: فَسَاخَ الجَبَلُ {وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا}.
وقال الترمذي –رحمه الله– : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ

وأخرج أبوداود عن سُلَيْمُ بْنُ جُبَيْرٍ مَوْلَى أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقْرَأُ هَذِهِ الآيَةَ {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا}
إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى {سَمِيعًا بَصِيرًا} قَالَ [ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ ]
قال اللالكائي : إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه

وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ مِقْسَمٍ ، أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : يَأْخُذُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ ، فَيَقُولُ : أَنَا اللَّهُ ، وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا ، أَنَا الْمَلِكُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى الْمِنْبَرِ يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ :
أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟.

وفي هذه الأحاديث تأكيد حقيقة الصفة بالإشارة .
وأخرج الطبري في تفسيره بسند حسن عن ابن عباس
في قوله {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}
قال : [ الكلام الطيب : ذكر الله ، والعمل الصالح : أداء فرائضه ؛ فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه ، حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله ]

وأخرج الطبري بسند صحيح عن مجاهد في قول الله عز وجل {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام} قال [ هو غير السحاب لم يكن إلا لبني إسرائيل في تيههم حين تاهوا، وهو الذي يأتي الله فيه يوم القيامة ]

" وهذا تفسير صريح لآية من آيات الصفات على الإثبات خلافاً للمفوضة والمؤولة "

وأخرج عبدالله في السنة بسند جيد عن أبي عمران الجوني {ولتصنع على عيني} قال: [ يربى بعين الله ]

" وروى الخلال بإسناد ـ كلهم أئمة ثقات ـ عن سفيان بن عيينة، قال : سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}كيف استوى ؟
قال [ الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق ] .

وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه .

منها : ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني، وأبو بكر البيهقي، عن يحيى بن يحيى، قال : كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال : يا أبا عبد الله، { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} كيف استوى ؟
فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء [ أي : العرق ] . !
ثم قال [ الاستواء غيرمجهول، والكيف غيرمعقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا ] ثم أمر به أن يخرج . " " فقوله: "الاستواء معلوم" أي: معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن وله معان بحسب إطلاقه وتقييده بالحرف، فإذا قيد بـ "على" كان معناه العلو والاستقرار "

و هذا ابن بطة –رحمة الله عليه– يقول في الإبانة الصغرى:
ونحن الآن ذاكرون شرح السنة، ووصفها، وما هي في نفسها، وما الذي إذا تمسك به العبد ودان الله به سُمِّيَ بها، واستحق الدخول في جملة أهلها، وما إن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه وحُذّر منه، من أهل البدع والزيغ، مما أجمع

على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه - - صلى الله عليه وسلم - - إلى وقتنا هذا ... ولا تضرب لها المقاييس، ولا يعمل لها التفاسير إلا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو رجل من علماء الأمة؛ ممن قوله شفاء وحجة؛ مثل: أحاديث الصفات والرؤية ... ا. هـ المراد

وقال البربهاري -رحمة الله عليه- في شرح السنة:
لا تفسر شيئاً من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب فمن فسر شيئاً من هذا بهواه أو رده فهو جهمي. ا.هـ

وأما قول السلف في أحاديث الصفات " [ أمِرُّوها كما جاءت ] فإنه يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معانٍ، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمِرُّوا لفظها، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ : بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول . " ومما يبين عميق جهل الشارح بمذهب السلف أيضاً

قوله : في المجموع [1-25] :
اخْتَلَفُوا فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا هَلْ يُخَاضُ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ أَمْ لَا ؟
فَقَالَ قَائِلُونَ تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا أَشْهَرُ الْمَذْهَبَيْنِ لِلْمُتَكَلِّمِينَ:
وَقَالَ آخَرُونَ لَا تُتَأَوَّلُ بَلْ يُمْسِكُ عَنْ الْكَلَامِ فِي مَعْنَاهَا وَيُوكَلُ عِلْمُهَا إلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَعْتَقِدُ مَعَ ذَلِكَ تَنْزِيهَ اللَّهِ تَعَالَى
وَانْتِفَاءَ صِفَاتِ الْحَادِثِ عَنْهُ:
فَيُقَالُ مَثَلًا نُؤْمِنُ بِأَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
وَلَا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ مَعْنَى ذَلِكَ وَالْمُرَادَ بِهِ مَعَ أَنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى (لَيْسَ كمثله شئ)
وَأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ الْحُلُولِ وَسِمَاتِ الْحُدُوثِ

وَهَذِهِ طَرِيقَةُ السَّلَفِ أَوْ جَمَاهِيرِهِمْ .. ا.هـ

وهذا المثال المذكور –لو فقه الشارح– من أدل الدلائل على أن السلف رحمهم الله يثبتوت النصوص على ظاهرها بمعانيها

فإن الاستواء قد فسره السلف بأربعة تفاسير كلها حق لا مرية فيها :

فمنها تفسيره بالارتفاع والعلو : كما قال البخاري في صحيحه:

قال مجاهد [ استوى: علا على العرش ]

و قال أبو العالية الرياحي : {اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [ أي ارتفع ]

ومنها تفسير بالاستقرار : كما قال ابن تيمية: قال عبد الله بن المبارك . ومن تابعه من أهل العلم، وهم كثير . : إن معنى { اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} : استقر

ومنها تفسيره بالقعود والجلوس : كما قال الحكم بن معبد في كتابِ الرؤية :

عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن وعكرمة عن قول {الرحمن على العرش استوى} قالا: [ جالس ] وسنده حسن إلى الحسن وعكرمة

وقال الخلال : أخبرنا أبو بكر المروذي قال : سمعت عبدالوهاب يقول :{الرحمن على العرش استوى} قال [ قعد ]

وقيل للإمام أحمد بن حنبل: من نسأل بعدك؟ فقال: سل عبد الوهاب

ومنها تفسيره بالصعود : قال الفراء : أي صعد قاله ابن عباس .

ثانياً : "لو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه . على ما يليق بالله . لما قالوا [ الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ]

ولما قالوا [ أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف ] فإن الاستواء . حينئذ . لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم .

وأيضًا، فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات ."

ولما ظن –والظن أكذب الحديث– المتكلمون أن مذهب السلف هو التفويض تجرؤ
وقالوا –كذباً وزوراً– مذهب السلف أسلم
ومذهب الخلف أعلم !!

وليعلم أن من أنكر حقيقة الاستواء بمعناه المعلوم فهو جهمي خبيث
كما قال يزيد بن هارون لما قيل ، له : من الجهمية ؟
فقال –رحمه الله تعالى– : [ من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي ]
وبهذا يتبين جهل النووي بمذهب السلف حقاً في نصوص الصفات وكذلك في نصوص الوعيد أيضاً (!)
لأنه زعم تفويضها عند السلف حيث قال :
وَذَهَبَ الزُّهْرِيُّ إِلَى أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَمَا أَشْبَهَهُ يُؤْمَنُ بِهَا
وَيُمَرُّ عَلَى مَا جَاءَتْ
وَلَا يُخَاضُ فِي مَعْنَاهَا
وَأَنَّا لَا نَعْلَمُ مَعْنَاهَا وَقَالَ أَمِرُّوهَا كَمَا أَمَرَّهَا مَنْ قَبْلَكُمْ . ا.هـ

وهذا كسابقه في سوء الفهم
وإنما مراد السلف هنا من ترك تفسير نصوص الوعيد أحد شيئين :
الأول : الرد على ما فسرها به أهل البدع
كقول المرجئة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم [ ليس منا ] كذا

وكذا قالوا معناه : ليس مثلنا ! وقد أنكر هذا التفسير الأئمة :
قال حرب الكرماني : قيل لأحمد مامعنى حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – :
[ من غشنا فليس منا ] ؟ فلم يجب فيه.
قيل: فإن قومًا قالوا تفسير من غشنا فليس مثلنا !
فأنكره، وقال: هذا تفسير مسعر وعبد الكريم أبي أمية كلام المرجئة.

قال أحمد: وبلغ عبد الرحمن بن مهدي فأنكره وقال: ولو أن رجلًا عمل بكل حسنة أكان يكون مثل النبي – صلى الله عليه وسلم – ؟ !! .

قال ابن تيمية في المجموع [7–674] :
إِنَّ عَامَّةَ عُلَمَاءِ السَّلَفِ يُقِرُّونَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَيُمِرُّونَهَا كَمَا جَاءَتْ
وَيَكْرَهُونَ أَنْ تُتَأَوَّلَ تَأْوِيلَاتٍ تُخْرِجُهَا عَنْ مَقْصُودِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَقَدْ نُقِلَ كَرَاهَةُ تَأْوِيلِ أَحَادِيثِ الْوَعِيدِ: عَنْ سُفْيَانَ. وَأَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – وَجَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ الْعُلَمَاءِ وَنَصَّ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْحَدِيثِ لَا يُتَأَوَّلُ تَأْوِيلًا يُخْرِجُهُ عَنْ ظَاهِرِهِ الْمَقْصُودِ بِهِ وَقَدْ تَأَوَّلَهُ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ تَأْوِيلَاتٍ مُسْتَكْرَهَةً . ا.هـ المراد

الثاني : أن لا تتعرض لتأويل على العامة بل تبقى على ما هي وهذا وذلك أبلغ في الزجر والردع وهذا من أهم مقاصد نصوص الوعيد
وقد روى أبو نعيم في الحلية من طريق الوليد بن مسلم عن الأوزاعي أنه سأل الزهري عن حديث " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ... "
فقال [ من الله العلم، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم، أمروا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم كما جاءت ]

وهنا فائدة :

قول الأئمة عن نصوص الصفات بلا كيف ليس نفياً لوجود الكيفية إنما هو نفي للعلم بها ، قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية [1-347] :

أكثر (!) أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس الأمر بل يقولون لا نعلم الكيفية

ويقولون لا تجري ماهيته في مقال ولا تخطر كيفيته ببال

بل كما قال الشريف أبو علي ابن أبي موسى وأبو الفرج المقدسي وغيرهما وهو موافق لقول السلف رضي الله عنهم والأئمة كما قالوا لا يعلم كيف هو إلا هو

كما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول

وأمثال هذا كثير في كلامهم

ومنهم من ينفي ذلك ويقول لا ماهية له فتجري في مقال ولا كيف فيخطر ببال وهذا قول ابن عقيل وغيره وهذا موافق لقول نفاة الصفات . ا.هـ

وأما ما نقله الشارح من (تأويلات=تحريفات) فيأتي بيان بطلانه ، والحاصل في هذه النقطة أن النووي جمع في كلامه هذا بين :

1- الكذب على السلف

2- وبين تجهيلهم والقدح فيهم في لازم دعواه ، والله المستعان .

ومن الكذب البارد أيضاً على السلف رحمهم الله في هذه المسألة قول ذاك الجهمي الخبيث مفتي مصر السابق علي جمعة -لعنه الله- : الصحابة كانت عقيدتهم أشعرية !!

وهذا الزنديق من نفاة العلو فقد قال -أخزاه الله- :

الله ليس له مكان .. ولذلك لا يسأل عنه بأين !! ا.هـ

وهو من الطواغيت الداعين إلى الاستغاثة بالأموات فقد قال -لعنه الله- :

ذهبنا إلى الولي في القبر وقلنا له ادعوا الله لنا ..
الله يخليك ادعوا لي
هذه تقولها للحي وللميت ! من غير أي نوع من أنواع الشرك ! .. وهكذا فهم العلماء أجمعون إلى أن نبتت نابتة ! .. ا.هـ المراد

ورحم الله القائل [ علامة أهل البدع تسميتهم أهل السنة نابتة ]

وقد قال قبل هذا الزنديق زنديق آخر ، هو أيضاً من رؤوس الطواغيت الداعين إلى الشرك = المدعوا محمد متولي الشعراوي لما كان يتكلم في حديث عمر –رضي الله عنه– واستسقاؤه بالعباس –رضي الله عنه– قال :
يأتي بعض الناس ويقول هذا دليل أن الميت لا يستعان به ولا يتوسل به لأنه ميت ... فنقول هو استسقى بالعباس ؟أم بعم نبيك ؟
أنت أعطيتنا حجةً ... ونقول لهم الحديث ضدكم وليس لكم ! ا.هـ

وهذا الشعراوي جهمي حلولي أيضاً فقد قال في معجزة القرآن [2–128] :
تعلمنا أن الله سبحانه و تعالى موجود في كل مكان (!!) ... و لو كان الله سبحانه و تعالى موجوداً في السماوات وحدها ما كلم نبياً له على الأرض و لو كان موجوداً في الأرض وحدها ما كلم نبياً عند سدرة المنتهى أ.هـ المراد

وقد أحببت هنا ذكر حال هذا الخبيث وذاك لأبين أن عامة الأشاعرة المعاصرين لم يقتصروا في شركهم وكفرهم في باب الأسماء والصفات فقط ، بل هذا هو حالهم في الألوهية بل وحتى في الربوبية !

فاعجب ثم اعجب يأيه اللبيب من حال بعض أدعياء السنة في دفاعهم المستميت عن هؤلاء في نفي وصف بدعتهم بمسماها الصحيح

وهل يا ترى صنعيهم هذا من نصرة السنة والتوحيد ؟ !

أم هو من التخذيل والتهوين من الكفر والشرك بمسمى التحذير من الغلو ؟ !!

الوجه الثالث من وجوه الرد على النووي :

أما قوله أن المراد من الحديث –حال تأويله– هو :

( امْتِحَانهَا هَلْ هِيَ مُوَحِّدَةٌ تُقِرُّ بِأَنَّ الْخَالِقَ الْمُدَبِّرَ الْفَعَّالَ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَهُوَ الَّذِي إِذَا دَعَاهُ الدَّاعِي اسْتَقْبَلَ السَّمَاءَ كَمَا إِذَا صَلَّى الْمُصَلِّي اسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ

وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي السَّمَاءِ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مُنْحَصِرًا فِي جِهَةِ الْكَعْبَةِ بَلْ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّمَاءَ قِبْلَةُ الدَّاعِينَ

كَمَا أَنَّ الْكَعْبَةَ قِبْلَةُ الْمُصَلِّينَ

أَوْ هِيَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ الْعَابِدِينَ لِلْأَوْثَانِ الَّتِي بَيْنَ أَيْدِيهِمْ فَلَمَّا قَالَتْ فِي السَّمَاءِ عَلِمَ أَنَّهَا مُوَحِّدَةٌ وَلَيْسَتْ عَابِدَةً لِلْأَوْثَانِ . )

أقول هذا التأويل تأويل سمج

والقول به فتح لباب القرمطة والقدح في النصوص على مصراعيه .

ويدل على بطلانه أمور :

الأول : كون الامتحان لأجل معرفة هل الممتَحَن يقر بأن الله (الخالق المدبر الفعال)

أو لا ؟ !!

لا يصير المقر به –لوحده– من أهل الإيمان (!)

فإن عامة المشركين كانوا مقرين بذلك

فإن " مشركي العرب، ونحوهم، قد أقروا بوجود الله تعالى وربوبيته، كما قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} .

وقال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} ، فلم يدخلهم ذلك في الإسلام، لما جحدوا ما دلت عليه لا إله إلا الله من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده. "

فظهر بهذا بطلان هذا الزعم ، وهؤلاء المتكلمين إنما أتوا هنا من جهة كونهم متخبطين في أصل معنى لا إله الإ الله (!!)

فإنهم يزعمون أن معناها لا قادر على الاختراع الا الله !

وغاية تحقيقهم بهذا التفسير الشهادة بتوحيد الربوبية

قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبو بطين –رحمه الله تعالى– :

جميع العلماء من المفسرين، وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود ، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين، فظن أن الإله هو القادر على الاختراع ، وهذه زلة عظيمة، وغلط فاحش ، إذا تصوره العامي العاقل، تبين له بطلانه ، وكأنَّ هذا القائل، لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين ، في مواضع من كتابه ، ولم يعلم أن مشركي العرب ، وغيرهم ، يقرون بأن الإله هو القادر على الاختراع ، وهم مع ذلك مشركون

ومن أبعد الأشياء : أن عاقلاً يمتنعُ من التلفظ بكلمة يقرُّ بمعناها ، ويعترف به ليلاً ونهاراً سراً وجهاراً ، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل

قال أبو العباس : ليس المراد بالإله هو القادر على الاختراع كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين ، حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الاختراع ، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الاختراع، دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله ، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد ، كما قال تعالى { ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله } وقال تعالى { قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون، سيقولون لله قل أفلا تذكرون } الآيات وقال تعالى {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}

قال ابن عباس [ تسألهم، من خلق السماوات والأرض ؟ فيقولون : الله ، وهم مع هذا يعبدون غيره ] وهذا التوحيد، من التوحيد الواجب ، لكن لا يحصل به الواجب ، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك، الذي هو أكبر الكبائر، الذي لا يغفره الله ، بل لابد أن يخلص لله الدين ، فلا يعبد إلا إياه ، فيكون دينه لله ، والإله ، هو المألوه ، الذي تألهه القلوب ، فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى آله . ا.هـ

وأما أهل السنة فإنهم يقولون معنى هذه الكلمة الطيبة : لا معبود حق الإ الله ، وأدلتهم على هذا عديدة منها قول الرب سبحانه { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن –رحمه الله– في الرد على الكشميري :

**والكلمة هي لا إله إلا الله بإجماع المفسرين.**

فلا أحسن من هذا التفسير ولا أبين منه، وليس للجنة طريق إلا بمعرفته وقبوله واعتقاده والعمل به. ا.هـ

وقد قال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

الثاني : أن هذا (التأويل=التحريف) لهذا الحديث لم يقل به أحد من السلف ولا يعرف عن أحد من أئمة السنة أنه فسر هذا الحديث بذاك القول –وحاشاهم من ذلك– فإن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كانت أجل في نفوسهم من أن يقدحوا في دلالاتها هذا القدح الذي يشبه قدح القرامطة والمنافقين ، **وهذا الوجه لوحده كاف في إبطال هذا التأويل** فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

[ من أحدث في أمرنا ما ليس فيه فهو رد ]

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه [ اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ ]

أخرجه المروزي في السنة وهو ثابت عنه

وقال الشعبي رحمه الله [ ما حدثوك عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فخذ به وما قالوا برايهم فـبـل عـلـيـه ] أخرجه عبدالرزاق بسند صحيح

ورحم الله أحمد القائل [ ايّاك ان تتكلّم في مسألة ليس لك فيها امام ]
ولم يزل الأئمة رحمة الله عليهم
والمصنفون في السنة يحتجون بهذا الحديث على إثبات العلو للعلي الغفار
فأف ثم أف لمن يترك فهم السلف للنصوص ويجري وراء عياض والمازري وغيرهما من مخانيث الجهمية .
وأولائك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم .
فهذا الحق ما به من خفاء ... فدعني عن بنيات الطريق .
الثالث : أن الإجماع قد وقع على القول بظاهر هذه الأحاديث ويأتي ذكر من نقله

الرابع : أن لازم هذا (التأويل=التحريف) الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم !
إذ مؤداه أنه عليه الصلاة والسلام تكلم بما ظاهره الكفر –على قول الأشاعرة– وهو لا يريد معناه القريب المتبادر إلى الذهن !
وإنما أراد معنى آخر وذلك ليعرف اعتقاد الجارية !
وهذا لا يفعله امرئ إلا من نقص فيه :
إما من جهة بيانه وخطابه والعي في لسانه
إذ لم يستطع أن يعبر عن مراده الا بلفظ ظاهره الكفر !

أو من جهة صدق نصحه وإرادته الخير للمنصوح
إذ لو كان مستطيعاً لذلك لكنه غير مبالي لما يوهمه كلامه من الفساد

أو من جهة عدم علمه ، فإن الجاهل بالأمر لايمكنه إعطاء ما هو فاقد له .

وهذه الأوصاف الثلاثة منفية في حق نبينا صلى الله عليه وسلم

فهو قد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم

وقد روي في مراسيل أبي قلابة مرفوعاً [ اختصر لي الحديث اختصارا ]

وأما من جهة نصحه فإنه صلى الله عليه وسلم كما أخبر ربنا سبحانه وتعالى {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} قال ابْن عَبَّاس –رضي الله عنهما– فِي قَوْله {عَزِيز عَلَيْهِ مَا عنتم} قَالَ [ شَدِيد عَلَيْهِ مَا شقّ عَلَيْكُم {حَرِيص عَلَيْكُم} أَن يُؤمن كفاركم ] .

أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق أَبِي رَوْقٍ عَنِ الضَّحَّاكِ عنه

وأما من جهة علمه فهو كما قال عليه الصلاة والسلام [ أنا أعلمكم بالله ]

أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عائشة

وقد نص بعض المتجهمة على هذا اللازم الذي لا ينفك عن قولهم كلهم فقال ابن عبدالسلام المسمى بالعز في قواعد الأحكام ( 202/1 ) :

وكل ذلك مما لا يمكن تصويب للمجتهدين فيه بل الحق مع واحد منهم , والباقون مخطئون خطأ معفوا عنه لمشقة الخروج منه والانفكاك عنه , ولا سيما قول معتقد الجهة فإن اعتقاد موجود ليس بمتحرك ولا ساكن ولا منفصل عن العالم ولا متصل به , ولا داخل فيه ولا خارج عنه لا يهتدي إليه أحد بأصل الخلقة في العادة , ولا يهتدي إليه أحد إلا بعد الوقوف على أدلة صعبة المدرك عسرة الفهم فلأجل هذه المشقة عفا الله عنها في حق العامي ولذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يلزم أحدا ممن أسلم على البحث عن ذلك بل كان يقرهم على ما يعلم أنه لا انفكاك لهم عنه , وما زال الخلفاء الراشدون والعلماء المهتدون يقرون على ذلك مع علمهم بأن العامة لم يقفوا على الحق فيه ولم يهتدوا إليه ,وأجروا

عليهم أحكام الإسلام من جواز المناكحات والتوارث والصلاة عليهم إذا ماتوا وتغسيلهم وتكفينهم وحملهم ودفنهم في مقابر المسلمين , ولولا أن الله قد سامحهم بذلك وعفا عنه لعسر الانفصال منه ولما أجريت عليهم أحكام المسلمين بإجماع المسلمين , ومن زعم أن الإله يحل في شيء من أجساد الناس أو غيرهم فهو كافر لأن الشرع إنما عفا عن المجسمة لغلبة التجسم على الناس فإنهم لا يفهمون موجودا في غير جهة بخلاف الحلول فإنه لا يعم الابتلاء به ولا يخطر على قلب عاقل ولا يعفى عنه .ا.هـ

وهذا من أعظم القدح في النبي –صلى الله عليه وسلم– والصحابة –رضي الله عنهم– فلا رحمه الله ولا جزاه الله خيراً على ما قال .

وهكذا قد ذكر غير واحد من الأشاعرة هذا المعنى بقولهم أن ظاهر نصوص الصفات هو (التشبيه = الكفر !)

وهذا هو ظاهر كلام النووي في عدة مواضع من شرحه

وقد نص عليه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات حيث قال عن نصوص الصفات أنها : أحاديث جاءت في التشبيه !

وليعلم أن من قال هذا في النصوص فهو جهمي عند السلف

قَالَ المروذي : جاءني كتاب من دمشق فعرضته عَلَى أَبِي عبد اللَّه فنظر فِيهِ، وكان فِيهِ : أن رجلا ذكر حديث أَبِي هريرة، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ إن اللَّه عَزَّ وَجَلَّ خلق الخلق حتى إِذَا فرغ منها قامت الرحم فأخذت بحقو الرَّحْمَنِ ]

وكان الرجل تلقيه يَعْنِي حديث أَبِي هريرة فرفع المحدث رأسه

وَقَالَ: أخاف أن تكون كفرت

فَقَالَ أَبُو عبد اللَّه : هَذَا جهمي

فهكذا كل من قال أن ظواهر النصوص هو (التشبيه = الكفر) فهو جهمي عند أبي عبدالله رحمه الله ، والجهمي عند الإمام أحمد "كافر ليس من أهل القبلة حلال الدم لا يرث ولا يورث "كما قال البربهاري رحمه الله تعالى

الوجه الخامس : أن يقال " ما الموجب لأن يخاطبها الرسول بخطاب [خلاف] الظاهر من غير حاجة إليه ، فقد كان يمكنه تعرف إيمانها بأن يقول من ربك
ومن إلهك ؟ ومن تعبدين ؟ فتقول الله تعالى
فلم يعدل عن لفظ ظاهره وباطنه حق
إلى لفظ ظاهره باطل !!
ثم يكلفها مع ذلك تصديق الباطل !!
ويحرم عليها وعلى غيرها اعتقاد نقيض الباطل !!
**فهل هذا فعل عاقل فضلا عن أن يكون هذا فعل بالكذب"**

الوجه الرابع من وجوه الرد الأصلية : قد أقر النووي –وبئس ما صنع– كلام عياض والذي فيه زعمه أنه : لَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ .. أَنَّ الظَّوَاهِرَ الْوَارِدَةَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ .. لَيْسَتْ عَلَى ظَاهِرِهَا
وهذا كذب على المسلمين وخلاف ما هو ثابت في الفطر السليمة ولما هو معلوم حتى عند البهائم !

وقد نقل غير واحد الإجماع على أن في السماء على عرشه
وأن الواجب أخذ النصوص على ظاهرها دون تحريف أو تمثيل أو تعطيل ، ولم يذكر النووي شيئاً من هذه الإجماعات واكتفي بكلام عياض ومثله كمثل الذين قال الله فيهم { أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }
وهذه أقوال الأئمة وغيرهم في هذا :

قال ابن بطة –رحمه الله– في الإبانة الكبرى : أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين ، وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه ، فوق سماواته بائن من خلقه ، وعلمه محيط بجميع خلقه . ا.هـ

وقال أبوحاتم وأبوزرعة الرازيين –رحمهما الله– : أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم .. أن الله عز و جل على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف . ا.هـ المراد

وقال حرب الكرماني –رحمه الله– في السنة : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من العلماء .. عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أوعاب قائلها فهو مبتدع .. ثم ذكر أموراً منها قوله : والماء فوق السماء السابعة، وعرش الرحمن فوق الماء، والله تبارك وتعالى على العرش . ا.هـ المراد

وقال ابن عبد البر في كتابه في الأصول : أجمع أهل السنة على أنه تعالى استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز . ا.هـ المراد

وقال ابن أبي زمنين في أصول السنة : ومن قول أهل السنة أن الله عز و جل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه . ا.هـ

وقال قوام السنة التيمي : الْكَلَام فِي صِفَات اللَّه عَزَّ وَجَلَّ مَا جَاءَ مِنْهَا فِي كتاب اللَّه، أَو رُوِيَ بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَة عَن رَسُول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فمذهب السّلف رَحْمَة اللَّه عَلَيْهِم إِثْبَاتهَا وإِجراؤها عَلَى ظَاهرهَا، وَنفي الْكَيْفِيَّة عَنْهَا.ا.هـ

وقال أبو يعلى في كتاب "إبطال التأويل" :
لا يجوز رد هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها، والواجب حملها على ظاهرها، وأنها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها، لكن على ما رُوِيَ عن الإمام أحمد وسائر الأئمة. ا.هـ

وقال ابن قدامة في العلو : إن الله تعالى وصف نفسه بالعلو في السماء ووصفه بذلك رسوله خاتم الأنبياء عليه الصلاة و السلام
وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء ا.هـ

وقال ابن تيمية في المجموع (6 – 355) :
مذهب أهل الحديث وهم السلف من القرون الثلاثة المفضلة، ومن سلك سبيلهم من الخلف، أن هذه الآيات والأحاديث التي فيها إثبات الصفات تمر كما جاءت، ويؤمن بها، وتصدق وتصان عن تأويل يفضي إلى تعطيل، وتكييف يفضي إلى تمثيل.
وقد أطلق غير واحد ممن حكى إجماع السلف منهم – الخطابي– مذهب السلف: أنها تجرى على ظاهرها، مع نفي الكيفية، والتشبيه عنها. ا.هـ

وذكر إجماعات أهل العلم مما يطول الكتاب بنقله فأكتفي بما ذكر ، لكن حقيقة هؤلاء المتكلمين أنهم في الحقيقة أساؤا الفهم للنصوص ثم عطلوا ، وهذا ما وقع لعياض هنا فإنه لما ظن أن قوله {في} ظرفية تقتضي إحاطة الخالق
أو حلوله ببعض مخلوقاته زعم أن ظاهرها غير مراد
وهذا سوء فهم عن الله والا فإن {في} هنا على ظاهرها

وهي بمعنى : على ، كما قال سبحانه {ولأصلبنكم في جذوع النخل} أي : على جذوع النخل

وروي في الحديث [ ارحموا من في الأرض ] أي : من على الأرض .

الوجه الخامس : قول عياض –الذي أقره النووي– : وَهَلْ بَيْنَ التَّكْيِيفِ وَإِثْبَاتِ الْجِهَاتِ فرق ؟!

أقول نعم الفارق معلوم ظاهر عند أهل السنة والجماعة ، وهو خافٍ على أهل البدع والخيانة الذين هم أضل من البهائم وأشر حين لم يعرفوا أن ربهم في السماء ، وبيان ذلك أن الكيفية قد نهينا عن الخوض فيها

" لقول الله تعالى { وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً } ولقوله تعالى { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ } ومن المعلوم أن الله تعالى أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها فإذا حاولنا أن نُكيف صِرنا ممن افترى على الله كذبا "

و أمـــا إثبات الجهة ، فهنا يقال : ماذا تريد بهذا اللفظ ؟

فإن " لفظ الجهة يراد به أمر موجود وأمر معدوم

فمن قال إنه فوق العالم كله لم يقل أنه في جهة موجودة إلا أن يراد بالجهة العرش ويراد بكونه فيها أنه عليها

كما قيل في قوله أنه في السماء أي على السماء

وعلى هذا التقدير فإذا كان فوق الموجودات كلها وهو غني عنها لم يكن عنده جهة وجودية يكون فيها فضلا عن أن يحتاج إليها

وإن أريد بالجهة ما فوق العالم فذلك ليس بشيء ولا هو أمر وجودي حتى يقال أنه محتاج إليه أو غير محتاج إليه

وهؤلاء أخذوا لفظ الجهة بالاشتراك وتوهموا وأوهموا إذا كان في جهة كان في شيء غيره كما يكون الإنسان في بيته ثم رتبوا على ذلك أنه يكون محتاجا إلى غيره والله تعالى غني عن كل ما سواه وهذه مقدمات كلها باطلة "

وبهذا يتبين أن " لفظ الجهة لفظ مجمل

فإن الناطقين به من أهل الكلام والفلسفة قد يريدون بلفظ الجهة أمرا وجوديا ..

وقد يريدون بلفظ الجهة ما يكون معدوما كما وراء الموجودات

فقول القائل إن الحق في جهة

إن أراد به ما هو موجود مباين له

فلا موجود مباين له إلا مخلوقاته

فإذا كان مباينا لمخلوقاته فكيف تكون محتوية عليه ؟

وإن أراد بالجهة ما فوق العالم فلا ريب أن الله فوق العالم

وليس هناك إلا هو وحده

وليس فوق المخلوقات إلا خالقها هو العلي الأعلى "

والحاصل أنه إن أريد بهذا اللفظ إثبات العلو فهذا المعنى يثبته أهل السنة

وفرق بين إثباتهم لهم وبين عدم خوضهم في الكيف

فإن الأول قد أخبرنا الله عنه كما سبق في الأدلة

وأما الثاني فقد نهينا عن الخوض فيه وسبقت أدلته أيضاً .

وأخيراً ليعلم أن نفي العلو بدعة كفرية باتفاق السلف

وقد علق البخاري في خلق أفعال العباد وصححه ابن القيم عن وهب بن جرير قوله [ إياكم ورأي جهم ، فإنهم يجادلون أنه ليس في السماء شيء، وما هو إلا من وحي إبليس، وما هو إلا الكفر ]

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة ـ إمام الأئمة في زمانه– [ من لم يقل : إن الله فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه ثم أُلقي على مزبلة، لئلا يتأذى بنتن ريحه أهل القبلة، ولا أهل الذمة ] ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح كما قال ابن تيمية .

وعن عبد الرحمن بن مهدي ـ الإمام المشهور ـ أنه قال [ ليس في أصحاب الأهواء شر من أصحاب جهم، يدورون على أن يقولوا: ليس في السماء شيء، أرى ـ والله ـ أن لا يناكحوا، ولا يورثوا ]

وعن الأصمعي قال [ قدمت امرأة جهم فنزلت الدباغين، فقال رجل عندها: الله على عرشه. فقالت : محدود على محدود؟ . وقال الأصمعي : كافرة بهذه المقالة ]

وقال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل [7–27] :
القول بأن الله تعالى فوق العالم معلوم بالاضطرار من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بعد تدبر ذلك كالعلم بالأكل والشرب في الجنة .. بل نصوص العلو قد قيل إنها تبلغ مئين من المواضع ... ولهذا **كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك** لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين .. ا.هـ المراد

فنفي العلو بدعة ظاهرة في مخالفة الكتاب والسنة والإجماع فهي إذاً من البدع الكبرى الواضحة في مخالفة النصوص ولاريب ، ومن كان " من أهل السنة ووقع في بدعة واضحة كالقول بخلق القرآن أو القدر أو رأي الخوارج وغيرها فهذا يبدع وعليه عمل السلف " [1]
فإنه " من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة، أو ما أجمع عليه سلف الأمة؛ خلافاً لا يعذر فيه؛ فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع " [2]

وهذا الصنف لم يشترط الأئمة إقامة الحجة –ونصحه– قبل تبديعه وعليه كان صنيع السلف رحمهم الله .

" ومثال ذلك ما جاء عن ابن عمر - τ - حين سئل عن القدرية قال [ فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني ] رواه مسلم " [19]

وقال المروذي: أظن، ذكرت لأبي عبد الله عن بعض المحدثين بالبصرة أنه قال قول النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته قال صورة الطين

قال أحمد : هذا جهمي

وقال أبو بكر المروذي: أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذر أبو عبد الله منه

---

[1] انظر جواب ربيع المدخلي في مسألة إقامة الحجة قبل التبديع

[2] انظر مجموع الفتاوى [24–172]

وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عمن يقلد القضاء، قال عبد الرحمن: فسألته عن يعقوب بن شيبة، فقال: مبتدع صاحب هوى

وقال أبوداود : كَتَبْتُ رُقْعَةً، وَأَرْسَلْتُ بِهِ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، .. قُلْتُ: رَجُلٌ يَقُولُ: التِّلَاوَةُ مَخْلُوقَةٌ، وَأَلْفَاظُنَا بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ وَالْقُرْآنُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، مَا تَرَى فِي مُجَانَبَتِهِ؟ وَهَلْ يُسَمَّى مُبْتَدِعًا؟ .. قَالَ: هَذَا يُجَانَبُ، وَهُوَ فَوقُ الْمُبْتَدِعِ، وَمَا أَرَاهُ إِلَّا جَهْمِيًّا ..

وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: قلت لابي عبد الله: إن الكرابيسي وابن الثلجي قد تكلما، فقال: فيم؟

قلت: في اللفظ، قال أحمد: اللفظ بالقرآن هو مخلوق، ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي.

وفي رواية ابن خاقان: سألته عن ابن الثلجي، فقال مبتدع صاحب هوى.
وقال أبو بكر المروذي: أتيت أبا عبدالله ليلة في جوف الليل
فقال لي: يا أبا بكر؛ بلغني أن نعيماً كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فإن كان قاله فلا غفر الله له في قبره

"وقد تكلَّم المُحدِّثونَ, وأئمةُ السُّنةِ في عددٍ من أهلِ الحَديثِ الثِّقاتِ الأثباتِ, ورواةِ الحديثِ ممَّن عُرِفَ بالسُّنةِ, لكلماتٍ قالوها, تستلزمُ الباطلَ وتَحتَملُه, فأخذوا كلَّ واحدٍ منهم بلازمِ قَولهِ في قضيَّةٍ واحدةٍ؛ فبدَّعوهم, وحذَّروا منهم, وإن كانَ لبعضهم فيما قالَ وجهٌ صحيحٌ كانَ هو مقصُودُه
ولكن المَقصودُ توضيحُ اكتفاءَ أهل العلم من السَّلفِ في تبديع المُخالفِ بمُخالفةِ أصلٍ واحدٍ .

فمِن ذلكَ ما ذكرهُ الخَطيبُ في تاريخِ بغداد عن محمد بن يحيى الذُهليُّ أنهُ قال في البخاريِّ: ألا من يَختلفُ إلى مَجلسِه لا يَختلف إلينا, فإنَّهم كتبوا إلينا من بغدادَ أنَّه تكلَّم في اللفظِ, ونهيناهُ فلم ينتهِ, فلا تقربُوه, ومن يَقربْهُ فلا يَقربْنا .اهـ

وقال ابنُ أبي حاتمٍ في الجرحِ والتَّعديل: سمعَ منهُ – يعني البُخاري – أبي, وأبو زرعةَ, ثم تركَا حديثَهُ عندما كتبَ إليهِما مُحمدُ بن يحيى النَّيسابُوري أنهُ أظهَرَ عندَهم أن لَفظَهُ بالقُرآنِ مخلوقٌ.اهـ

قال الذَّهبيُّ في السِّير: فَهمَ منهُ الذُّهليُّ أنهُ يُوجِّهُ مسألةَ اللفظ؛ فَتكلَّمَ فيهِ, وأخذَهُ بلازمِ قَولِه هوَ وغيرُه.اهـ وإلا فالأمرُ كما ذكر الخَطيبُ في تاريخِ بغداد أن البُخاريَّ قال : مَن

زعمَ أنِّي قلتُ: لفظِي بالقُرآنِ مخلوقٌ, فهو كاذبٌ, إلا أنِّي قلتَ: أفعالَ العِبادِ مَخلوقةٌ.اهـ ونقلهُ عنهُ الذَّهبيٌّ في السِّير عقبَ قولِهِ السَّابقِ . " [1]

"فهناك أمور واضحة جلية فإذا وقع فيها العبد فهو مبتدع وهناك أمور تخفى ... لكن أن يعطل صفات الله " [2] فهذا حق له أن يضلل

"ولقد كان الرجل يزل زلة واحدة في العقيدة على عهد السلف فيسقطه أئمة السلف والحديث فهل هم هدامون مفسدون أعداء الدعوة السلفية . "[3]

فأئمة السنة كانوا " يبدعون من كان على أصول أهل السنة ومنهجهم؛ ثم وقع في بدعة من البدع الواضحة؛ كبدعة القدر أو الرفض أو بدعة الخوارج أو المرجئة أو القول بخلق القرآن. أو حتى التوقف في مسألة القرآن" [4]

---

[1] ضوابط الحكم بالابتداع لسعيد بن دعاس

[2] شرح السنة للبربهاري لربيع (1 – 499)

[3] قاعدة نصحح ولا نهدم عند أبي الحسن لربيع المدخلي

[4] انظركشف زيف التصوف وبيان حقيقته وحال حملته ص 136 لربيع

وعلى أنك " لا تجد أحداً وقع في بدعة؛ إلا لنقص اتباعه للسنة علماً وعملاً، وإلا فمن كان بها – أي بالسنة – عالماً ولها متبعاً؛ لم يكن عنده داع إلى البدعة؛ فإن البدعة يقع فيها الجهال بالسنة" [1]

فـ "كل ما كان من أصول الدين؛ فالأدلة عليها ظاهرة, والمخالف فيها مكابر, والقول بتضليله واجب, والبراءة منه شرع " [2]

وبهذا يعلم بطلان قول من يقول لا يجوز إخراج النووي من دائرة أهل السنة لأنه لم يناصح ويصر على باطله !

فهذه البدعة وحدها كافية عند أهل السنة في بيان انحراف الشارح عن طريقة السلف وخروجه من السنة والجماعة فإن الأمر كما قال سليمان بن حرب –في ذم الكلام :

[ مَنْ زَالَ عَنِ السُّنَّةِ بِشَعْرَةٍ فَلَا تَعْتَدَّنَّ بِهِ ]
وهذا الصديق وهو من هو رضي الله عنه يقول [ لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، و إنـي لأخشى إن تـركت شيـئا مـن أمـره أن أزيـغ ] وقد صدق ابن البناء لما قال في المختار : (66)

[ أهل السنة لا يختلفون في شيء من هذه الأصول ، ومن فارقهم فـي شـيء مـنـهـا نابذوه وباغضوه و بَـدُّعو ه وهجره ]

بل الحق الذي لا مرية فيه هو تكفير نفاة العلو

وقد سبق ذكر بعض الآثار الدالة على ذلك

ولا يقال أن التأويل بمانع عن التكفير في مثل هذا الجنس

وقد قال شيخ الدعوة محمد بن عبدالوهاب :

التأويل الفاسد في رد النصوص ليس عذرا لصاحبه، كما أنه سبحانه لم يعذر إبليس في شبهته التي ألقاها، كما لم يعذر من خالف النصوص متأولا مخطئا، بل كان ذلك التأويل زيادة في كفره. ا.هـ

---

[1] انظر جامع المسائل [5–250]

[2] انظر قواطع الأدلة [5–13] للسمعاني

وقال ابن سحمان في كشف الأوهام :

مسألة علو الله على خلقه واستوائه على عرشه وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله من المسائل الجلية الظاهرة ومما علم من الدين بالضرورة .. ا.هـ

وقال أيضاً في تمييز الصدق من المين : إِن حجَّة الله على خلقه الْقُرْآن فَمن بلغه الْقُرْآن فقد بلغته الْحجَّة وَقَامَت عَلَيْهِ قَالَ الله تَعَالَى {لأنذركم بِهِ وَمن بلغ}

وَقَالَ تَعَالَى {لِئَلَّا يكون للنَّاس على الله حجَّة بعد الرُّسُل}

وَقد أجمع الْعلمَاء على أَن من بلغته دَعْوَة الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَن حجَّة الله قَائِمَة عَلَيْهِ وَلَيْسَ المُرَاد بِقِيَام الْحجَّة أَن يفهمها الْإِنْسَان فهما جليا كَمَا يفهمها من هداه

الله ووفقه وانقاد لأَمره فَإِن الْكفَّار قد قَامَت عَلَيْهِ حجَّة الله مَعَ إخْبَاره بِأَنَّهُ جعل على قُلُوبهم أكنة أَن يفقهوا كَلَامه .. ا.هـ

" وإن زمانا يقبل فيه قول من يرد على الله سبحانه، وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ويخالف العقل، ويعد مع ذلك إماماً، لزمان صغب والله المستعان " [1]

وقد كان الأئمة ينكرون أشد الإنكار على وصف (التجهم=الكفر بالله) بالبدعة فقط (!) كما قال الخلال: أخبرنا أبو بكر المروذي ، قال : قلت لأبي عبد الله إني قلت لأبي ثور سألته عن الشراك ؟ فقال : هذه بدعة فـغضب غضبـاً شـديـداً

وقال : هكذا أراد أن يقول بدعة ، هذا كلام جهم بعينه

فماذا عسانا نقول ونفعل لمن يأبى على أهل السنة وصف من وقع في (التجهم الجلي = نفي العلو مثلاً ) بالبدعة فقط ؟!

فالله المستعان على غربة السنة ومنهج السلف ، فإن الأمر كما قال يونس بن عبيد – رحمه الله– [ ليس شيء أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها ]

وليعلم بأن المدعو مشهور حسن قد موه كثيراً في الدفاع عن الشارح في نفيه للعلو حتى زعم أنه تاب وأنه رجع إلى عقيدة السلف (!!)

ويأتي بيان بطلان هذا –بإذن الله– في فصل الرد على الشبهات .

---

[27] انظر رسالة السجزي إلى أهل زبيد ص 194

فصل

قال الشارح في شرحه [6–36] : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ

هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ

وَفِيهِ مَذْهَبَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ سَبَقَ إِيضَاحُهُمَا فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ

وَمُخْتَصَرُهُمَا أَنَّ أَحَدُهُمَا : وَهُوَ مَذْهَبُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وَبَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهُ يُؤْمِنُ بِأَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّ ظَاهِرَهَا الْمُتَعَارَفُ فِي حَقِّنَا غَيْرُ مُرَادٍ

وَلَا يَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهَا مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات وسائر سمات الخلق

والثاني مذهب أكثر المتكلمين وَجَمَاعَاتٍ مِنَ السَّلَفِ وَهُوَ مَحْكِيٌّ هُنَا عَنْ مَالِكٍ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ عَلَى مَا يَلِيقُ بها بِحَسَبِ مَوَاطِنِهَا فَعَلَى هَذَا تَأَوَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ تَأْوِيلَيْنِ :

أَحَدُهُمَا تَأْوِيلُ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَغَيْرِهُ مَعْنَاهُ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ كَمَا يُقَالُ فَعَلَ السُّلْطَانُ كَذَا إِذَا فَعَلَهُ أَتْبَاعُهُ بِأَمْرِهِ

وَالثَّانِي أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الداعين بالإجابة واللطف . ا.هـ

قبل الرد على هذا الهراء أقول :

ثبت في السنة الصحيحة والآثار المشهورة صفة النزول لله سبحانه وتعالى نزولاً حقيقياً يليق بجلاله سبحانه ولا يماثل نزول المخلوقين

بل قد احتج بعض الأئمة على إثباته بالقرآن الكريم أيضاَ

فقد قال الصابوني في اعتقاد السلف : سمعت الحاكم أبا عبد الله الحافظ يقول : سمعت إبراهيم بن أبي طالب يقول : سمعت أحمد بن إبراهيم أبا عبد الله الرباطي يقول : حضرت مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم وحضره إسحاق بن إبراهيم – يعني ابن راهويه – فسئل عن حديث النزول صحيح هو ؟ قال : نعم

قال فقال له بعض قواد عبد الله : يا أبا يعقوب أتزعم أن الله ينزل كل ليلة ؟

قال : نعم قال : كيف ينزل ؟

فقال له إسحاق : أثبته فوق حتى أصف لك النزول

فقال الرجل : أثبته فوق

فقال إسحاق : قال الله عز و جل { وجاء ربك والملك صفا صفا } فقال له الأمير عبدالله : يا أبا يعقوب هذا يوم القيامة !

فقال إسحاق : أعز الله الأمير ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟

وقال الدارمي في رده على الجهمية :

فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء ، فإن ردوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في النزول ، فماذا يصنعون بقول الله عز وجل تبارك وتعالى .. ا.هـ

ووجهه أن النزول والمجيء والإتيان صفات من (جنس واحد = جنس الحركة) ، يقول ابن تيمية في الاستقامة :
وبكل حال فالمشهور عن أصحاب الإمام أحمد أنهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والإتيان والنزول والهبوط والدنو والتدلي
كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح، وكلام السلف في هذا الباب يدل على إثبات المعنى المتنازع فيه .ا.هـ
و " حَقِيقَةُ لَفْظِ (النُّزُولِ) وَالتَّنْزِيلُ وَالْإِنْزَالُ حَقِيقَةُ مَجِيءِ الشَّيْءِ أَوِ الْإِتْيَانُ بِهِ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَسْفَلَ، هَذَا هُوَ الْمَفْهُومُ مِنْهُ لُغَةً وَشَرْعًا "[1]

وأما السنة : ففي الصحيحين من حديث أبي هُرَيْرَةَ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له ] .

---

[1] مختصر الصواعق [1-441]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد مرفوعاً [ إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ. ]

وأخرج ابن أبي عاصم بسند جيد مرسل عن سعيد بن السباق أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ يَنْزِلُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ الْعُلْيَا: أَلا نَزَلَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ فَيَسْجُدُ أَهْلُ السماء .. ] .

وأخرج بسند صحيح عن سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ [ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيُمْهِلُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ كُلَّ لَيْلَةٍ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأول وهبط إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ هَلْ مِنْ تائب يتاب عليه ]

وأخرج الدارمي بسند لابأس به إلى عاصم بن أبي النجود ، قال : قالت أم سلمة رضي الله عنها [ نعم اليوم يوم عرفة ، ينزل فيه رب العزة إلى السماء الدنيا ]

وبسند صحيح عن عبيد بن عمير قال [ إذا مضى ثلث ، أو : بقي نصف الليل ، ينزل الله عز وجل إلى سماء الدنيا ، فيقول : « من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ » ]

وبإسناده عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه أنه قال وتلا هذه الآية { يوم تبدل الأرض غير الأرض } قال [ يبدلها الله يوم القيامة بأرض من فضة ، لم يعمل عليها الخطايا ، ينزل عليها الجبار تبارك وتعالى ]

وبسند حسن عن ابن عباس ، رضي الله عنهما في هذه الآية { يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا } قال [ ينزل أهل سماء الدنيا ، وهم أكثر من أهل الأرض ومن الجن والإنس ، فيقول أهل الأرض : أفيكم ربنا ؟

فيقولون : لا ، وسيأتي

ثم تشقق السماء الثانية . وساق أبو سلمة الحديث إلى السماء السابعة قال : فيقولون : أفيكم ربنا ؟ فيقولون : لا ، وسيأتي

ثم يأتي الرب تبارك وتعالى في الكروبيين ، وهم أكثر من أهل السموات والأرض ]

وحال الحديث المرفوع الذي قدم بالذكر هو ما قاله ابن عبدالبر : هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مِنْ جِهَةِ النَّقْلِ، صَحِيحُ الأَسَانِيدِ، لَا يَخْتَلِفُ أَهْلُ الْحَدِيثِ فِي صِحَّتِهِ، وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ طُرُقٍ سِوَى هَذِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْعُدُولِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وقد " اتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول " فإذا تبين هذا فالرد على كلام النووي الآنف الذكر من وجوه :

الوجه الأول : سبق بيان بطلان الزعم أن مذهب السلف التفويض وزاد هنا بلية أخرى وهي قوله (مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات) وهذا كذب آخر على السلف فإن الحركة قد أثبتها عامة السلف –رحمهم الله– والقول بنفيها هو المشهور عند الجهمية ومن وافقهم
يقول حرب الكرماني –رحمه الله– في السنة : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها **فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أوعاب قائلها فهو مبتدع** خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، وهو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم بن مخلد، وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور، وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم فكان من قولهم ... والله تبارك وتعالى سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، يقظان لا يسهو، رقيب لا يغفل، يتكلم **ويتحرك** . ا.هـ المراد

وقال ابن تيمية في الدرء **[1–241]** :
وأمثال ذلك وأئمة السنة والحديث على إثبات النوعين
وهو الذي ذكره عنهم من نقل مذهبهم ك حرب الكرماني و عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما بل صرح هؤلاء بلفظ الحركة

وأن ذلك هو مذهب أئمة السنة والحديث من المتقدمين والمتأخرين
وذكر حرب الكرماني أنه قول من لقيه من أئمة السنة كأحمد بن حنبل و إسحاق بن راهويه و عبد الله بن الزبير الحميدي و سعيد ين منصور
وقال عثمان بن سعيد وغيره : إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك
وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم
وطائفة أخرى من السلفية كنعيم بن حماد الخزاعي و البخاري صاحب الصحيح و أبي بكر بن خزيمة وغيرهم .. وأمثاله :
يثبتون المعنى الذي يثبته هؤلاء ويسمون ذلك فعلا ونحوه ومن هؤلاء من يمتنع عن إطلاق لفظ الحركة لكونه غير مأثور ، وأصحاب أحمد منهم من يوافق هؤلاء كأبي بكر عبد العزيز و أبي عبد الله بن بطة وأمثالهما
ومنهم من يوافق الأولين كأبي عبد الله بن حامد وأمثاله ا.هالمراد

الوجه الثاني : أن هذا القول الذي نسبه إلى الامام مالك كذب عليه و" المحفوظ عن مالك رحمه الله رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات،فقال [ أمرها كما جاءت، بلا تفسير ] "
وأما سند (التأويل=التحريف) المنسوب إليه :
فهو ما قاله ابن عدي: حدثنا محمد بن هارون بن حسان، حدثنا صالح بن أيوب، حدثنا حبيب بن أبي حبيب، حدثني مالك قال :
[ يتنزل ربنا تبارك وتعالى أمره فأما هو، فدائم لا يزول ] .
وهذه الراوية باطلة ، فإن حبيباً هذا قال عنه أحمد : ليس بثقة
وقال ابن معين : ليس بشيء
و قال أبو داود : كان من أكذب الناس .
و ابن عدى : أحاديثه كلها موضوعة ، عن مالك و غيره
وقد جاء نحوه من طريق آخر عن مالك –رحمه الله–

فقال ابن عبد البر في التمهيد : وقد روى محمد بن علي الجبلي –وكان من ثقات المسلمين بالقيروان– قال حدثنا جامع بن سوادة بمصر قال حدثنا مطرف عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث "إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا"

فقال مالك [ يتنزل أمره ] .

وجامع هذا ضعفه الدارقطني ، فالرواية هذه منكرة باطلة لمخافتها المحفوظ عن الإمام مالك –رحمه الله– وقد قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق :

وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ لَهَا إِسْنَادَانِ

(أَحَدُهُمَا) مِنْ طَرِيقِ حَبِيبٍ كَاتِبِهِ، وَحَبِيبٌ هَذَا غَيْرُ حَبِيبٍ، بَلْ هُوَ كَذَّابٌ وَضَّاعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ وَلَمْ يَعْتَمِدْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى نَقْلِهِ، وَالْإِسْنَادُ

(الثَّانِي) فِيهِ مَجْهُولٌ لَا يُعْرَفُ حَالُهُ، فَمِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ أَثْبَتَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُثْبِتْهَا ; لِأَنَّ الْمَشَاهِيرَ مِنْ أَصْحَابِهِ لَمْ يَنْقُلُوا عَنْهُ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ. ا.هـ المراد

وأما الأوزاعي –رحمه الله– فلم أقف على شيء ثابت عنه في هذا التأويل –وحاشاه– والمشهور عنه : هو ما حكاه عنه ابن تيمية في الاستقامة : قال الأوزاعى لما سئل عن حديث النزول يفعل الله مايشاء

وقال حماد بن زيد يدنو من خلقه كيف شاء . ا.هـ المراد

وثبت عن الوليد بن مسلم أنه قال : سألت الأوزاعي ، والثوري ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد : عن الأحاديث التي فيها الصفات ؟ فكلهم قال :

[ أمروها كما جاءت بلا تفسير ]

فهذا هو مذهب الأوزاعي –رحمه الله– في نصوص الصفات عامة ، والله أعلم .

الوجه الثالث : وأما قوله (مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ وَعَنِ الِانْتِقَالِ والحركات) فيقال نعم أهل السنة ينزهون لكن " لا تنزيه ينفي حقيقة النزول "كما قال عبدالغني المقدسي في الاقتصاد عن الجهمية وإناثهم

وكما قال ابن رجب : فَإِن صح هَذَا عَنْهُ، فَهُوَ حق، وَهُوَ كقول القائل: لا أنزهه تنزيها ينفي حقيقة وجوده ، أَوْ حقيقة كلامه، أَوْ حقيقة علمه، أَوْ سمعه وبصره، ونحو ذَلِكَ. ا.هـ

وأما حال الجهمية ومن شابههم فقد أدخلوا فيما سموه تنزيها النفي المحض
فنفوا عن الله عن أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم
وصدق فيهم قول القائل : المعطل يعبد عدماً !
وقد شابه النووي الجهمية الخبثاء في ترك إثباته لحقيقة النزول وتمويهه بالكلام حول الانتقال أو عدمه كما كان الجهمية الأوائل يموهون إذا قوبلوا بأحاديث النزول بكلامهم حول الزوال عن مكانه أو عدمه
قال الفضيل بن عياض –رحمه الله– [ إِذا قَالَ لَك الجهمي أَنا أكفر بِرَبّ يَزُول عَن مَكَانَهُ (!) فَقل أَنْت أَنا لَا أكفر بِرَبّ يفعل مَا يَشَاء ]

الوجه الرابع : ليعلم أن هذا الحديث لم يزل المعطلة والنفاة يقدحون فيه قدحاً شديداً إما من ناحية ثبوته
أو من ناحية تحريفه بالتأويلات ، والتي هي من جنس تأويلات القرامطة والباطنية ،
وذلك لما تضمنه من إثبات صفة النزول ، وصفة العلو أيضاً وقد استدل غير واحد من أئمة أهل السنة وغيرهم بإثبات العلو للرب سبحانه بهذا الحديث :

قال الدارمي –رحمه الله– في الرد على الجهمية :
والآثار التي جاءت عن رسول الله في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أن الله عز و جل فوق السموات على عرشه بائن من خلقه . ا.هـ

وقال ابن عبد البر : وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ عَلَى الْعَرْشِ

مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ، كَمَا قَالَتِ الْجَمَاعَةُ، وَهُوَ مِنْ حُجَّتِهِمْ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ مَكَانٍ ا.هـ

وقال ابن القيم في إعلام الموقعين من أدلة العلو :
التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل . ا.هـ المراد

ونحوه في شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي
وبهذا يعلم تجهم ابن الجوزي –عامله الله بعدله– لما قال عمن يستدل بأحاديث النزول على إثبات العلو قال : هذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الجسام . فقاس صفة الحق عليه . !! ا.هـ

ولابن الجوزي أقوال عديدة تدل على تجهمه بل وتجلده في ذلك كقوله : عجبت من أقوام يدعون العلم ، و يميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على ظواهرها .. !!!
"وهذه لغة الجهمية المحضة يسمون كل من أثبت الصفات مشبها "

وقال أخزاه الله : ومن قال : استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات ، وينبغي ألا يعمل ما يثبت به الأصل ، وهو العقل
وقال لا رحمه الله : ومجيء وإتيان على معنى بر ولطف
وقال أيضاً : الواجب علينا أن نعتقد أنّ ذات الله لا تتبعض ولا يحويها مكان
ومنها قوله عن حديث النزول : " يستحيل على الله Y الحركة والنقلة والتغير ، فبقي الناس رجلين ؛ أحدهما : المتأول له بمعنى أنه يقرب رحمته ... الثاني : الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه " ا.هـ

ومنها قوله فض الله فاه : ثم لم يذكر الرسول الأحاديث جملة (أي: أحاديث الصفات)، وإنما كان يذكر الكلمة في الأحيان؛ فقد غلط من ألفها أبوابا على ترتيب صورة غلطا قبيحا

وقوله : قال الله تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ} قال المفسرون: معناه: يبقى ربك، وكذا قال في قوله {يُرِيدُونَ وجَهْهُ}، أي: يريدونه

وقوله : وقال الحسن في قوله تعالى{يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ}، أي: منته وإحسانه، قلت: وهذا كلام المحققين . ا.هـ

وقوله لعنه الله: وقد ذهب القاضي أبو يعلى إلى أن الساق صفة ذاتية، وقال مثله في «يضع قدمه في النار»... قلت: وذكرُ الساق مع القدم تشبيه محض.. ا.هـ

وقد كتب إليه إسحاق العثلي الحنبلي –رحمه الله– رسالةً يناصحه فيها فكان مما قال له : فكيف تصفون اللَّه سبحانه بشيء مَا وقفتم عَلَى صحته، بَل بالظنون والواقعات، وتنفون الصفات الَّتِي رضيها لنفسه، وأخبر بها رسوله بنقل الثقات الأثبات، يحتمل، ويحتمل... لَقَدْ آذيت عباد الله و أضللتهم، وصار شغلك نقل الأقوال فحسب ... ولقد سودت وجوهنا بمقالتك الفاسدة، وانفرادك بنفسك، كأنك جبار من الجبابرة، و لا كرامة لَك ولا نعمى، ولا نمكنك من الجهر بمخالفة السنة .ا.هـ المراد

لذا عده ابن تيمية ضمن المعطلة النفاة حيث قال في الدرء :

فإن قيل قلت إن أكثر أئمة النفاة من الجهمية والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء عن الرسول واقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين وما بلغوه عن الرسول ففي النفاة كثير ممن له معرفة بذلك

قيل هؤلاء أنواع نوع ليس لهم خبرة بالعقليات بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية وليس لهم قوة على الاستقلال بها بل هم في الحقيقة مقلدون فيها

وقد اعتقد أقوال أولئك فجميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف لا يحملونه على ما يخالف ذلك

بل إما أن يظنوه موافقا لهم وإما أن يعرضوا عنه مفوضين لمعناه

وهذه حال مثل أبي حاتم البستي وأبي سعد السمان المعتزلي ومثل أبي ذر الهروي وأبي بكر البيهقي والقاضي عياض وأبي الفرج ابن الجوزي وأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي وأمثالهم. ا.هـ

وتأمل كيف عد عياضاً مع النفاة والذي جل شرح النووي –في الحقيقة– نقل عنه وعن أخدانه من الأشاعرة والمتكلمين وأمرهم كما قال بعض السلف :

[ اعتبروا الناس بأخدانهم ]

والرجل –أعني ابن الجوزي– قبوري هالك فمن أقواله :

كثر ضجيجي من مرضي ، و عجزت عن طب نفسي ، فلجأت إلى قبور الصالحين ، و توسلت في صلاحي ..... !! .ا.هـ

ولأجل هذا وغيره " اشتد نكير العلماء عليه ونقموا أقواله " كما قال ابن رجب

والمقصود أن نفور النووي هنا من إثبات هذا الحديث –أي النزول– على ظاهره مما يؤكد ويبين نفيه للعلو مع ما سبق بيانه .

الوجه الخامس : وأما ذكره من التحريفات والتي زعم أنها أحد مذهبي العلماء (!) كقوله (مَعْنَاهُ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ وَأَمْرُهُ وَمَلَائِكَتُهُ ..)
أو (أَنَّهُ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ وَمَعْنَاهُ الْإِقْبَالُ عَلَى الداعين بالإجابة واللطف)
فالقولان ليسا بشيء ، وفي بيان بطلان ذلك وجوه :
الوجه الأول : " إِنَّ نُزُولَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا قَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رَوَاهُ عَنْهُ نَحْوَ ثَمَانِيَةٍ وَعِشْرِينَ نَفْسًا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يُبَلِّغُهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَجْمَعٍ، فَكَيْفَ تَكُونُ حَقِيقَتُهُ مُحَالًا وَبَاطِلًا وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَكَلَّمُ بِهَا دَائِمًا وَيُعِيدُهَا وَيُبْدِيهَا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، وَلَا يَقْرِنُ بِاللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَجَازِهِ بِوَجْهٍ مَا ، بَلْ يَأْتِي بِمَا يَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ؟
كَقَوْلِهِ: " [يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا أَسْأَلُ عَنْ عِبَادِي غَيْرِي] "
وَقَوْلُهُ: " [مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ] "
وَقَوْلُهُ: " [فَيَكُونُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ ثُمَّ يَعْلُو عَلَى كُرْسِيِّهِ] " فَهَذَا كُلُّهُ بَيَانُ الْإِرَادَةِ الْحَقِيقَةِ، وَمَانِعُ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْمَجَازِ، وَقَدْ صَرَّحَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ وَجَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ .. أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِذَاتِهِ "
الوجه الثاني : "إِنَّ أَعْلَمَ الْخَلْقِ بِاللَّهِ وَأَنْصَحَهُمْ لِلْأُمَّةِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَى الْعِبَارَةِ الَّتِي لَا تُوقِعُ لَبْسًا قَدْ صَرَّحَ بِالنُّزُولِ مُضَافًا إِلَى الرَّبِّ فِي جَمِيعِ الْأَحَادِيثِ، وَلَمْ يَذْكُرْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ مَا يَنْفِي الْحَقِيقَةَ ، بَلْ يُؤَكِّدُهَا فَلَوْ كَانَتْ إِرَادَةُ الْحَقِيقَةِ بَاطِلَةً، وَهِيَ مَنْفِيَّةٌ لَزِمَ الْقَدْحُ فِي عِلْمِهِ أَوْ نُصْحِهِ أَوْ بَيَانِهِ . "

" وَقَدْ صَرَّحَ أَئِمَّةُ الْعَرَبِيَّةِ بِأَنَّ الشَّيْءَ إِنَّمَا يَجُوزُ حَذْفُهُ إِذَا كَانَ الْمَوْضِعُ الَّذِي ادَّعَى فِيهِ حَذْفُهُ قَدِ اسْتُعْمِلَ فِيهِ ثُبُوتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حَذْفِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ ادِّعَاءِ الْحَذْفِ قَدِ اسْتُعْمِلَ فِيهِ ثُبُوتُهُ أَكْثَرَ مِنْ حَذْفِهِ، حَتَّى إِذَا جَاءَ ذَلِكَ مَحْذُوفًا فِي مَوْضِعٍ عُلِمَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ فِي نَظَائِرِهِ أَنَّهُ قَدْ أُزِيلَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ، فَهَذَا شَأْنُ مَنْ يَقْصِدُ الْبَيَانَ، وَأَمَّا مَنْ يَقْصِدُ التَّلْبِيسَ وَالتَّعْمِيَةَ فَلَهُ شَأْنٌ آخَرُ.... وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " [يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ...] " فِي نَحْوِ ثَلَاثِينَ حَدِيثًا، كُلُّهَا مُصَرِّحَةٌ بِإِضَافَةِ النُّزُولِ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى، وَلَمْ يَجِئْ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ بِقَوْلِهِ: يَنْزِلُ مَلَكُ رَبِّنَا، حَتَّى يُحْمَلَ مَا خَرَجَ عَنْ نَظَائِرِهِ عَلَيْهِ. "

الوجه الثالث : " أَنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى لَفْظِ النُّزُولِ الْعَارِي عَنْ قَرِينَةِ الْمَجَازِ الْمَذْكُورِ مَعَهُ مَا يُؤَكِّدُ إِرَادَةَ الْحَقِيقَةِ حَتَّى نَوَّعَ هَذَا الْمَعْنَى، وَعَبَّرَ عَنْهُ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ كَالْهُبُوطِ وَالدُّنُوِّ وَالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ وَالطَّوَافِ فِي الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ تَعَالَى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}

وَقَالَ: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} فَفَرَّقَ بَيْنَ إِتْيَانِ أَمْرِهِ وَبَيْنَ إِتْيَانِ نَفْسِهِ. "

الوجه الرابع : وأما دعواه أن المراد من النزول نزول الرحمة أو الملك أو أمره فيقال له هذا " مِنْ حُجَجِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ بَيَانٌ، وَلَا لِمَذْهَبِهِ بُرْهَانٌ؛ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ وَرَحْمَتَهُ يَنْزِلُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ وَوَقْتٍ وَأَوَانٍ، فَمَا بَالُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحُدُّ لِنُزُولِهِ اللَّيْلَ دُونَ النَّهَارِ؟

وَيُوَقِّتُ مِنَ اللَّيْلِ شَطْرَهُ أَوِ الْأَسْحَارَ؟

أَفَبِأَمْرِهِ وَرَحْمَتِهِ يَدْعُو الْعِبَادَ إِلَى الِاسْتِغْفَارِ؟

أَوْ يُقَدِّرُ الْأَمْرَ وَالرَّحْمَةَ أَنْ يَتَكَلَّمَا دُونَهُ فَيَقُولَا [ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَأُجِيبَ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فأعفر لَهُ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُعْطِيَ؟ !! ]

فَإِنْ قَرَّرْتَ مَذْهَبَكَ لَزِمَكَ أَنْ تَدعِي أَن الرَّحْمَة وَالْأَمْرَ اللَّذَيْنِ يَدْعُوَانِ إِلَى الْإِجَابَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ بِكَلَامِهِمَا دُونَ اللَّهِ. هَذَا مُحَالٌ عِنْدَ السُّفَهَاءِ، فَكَيْفَ عَنْدَ الْفُقَهَاءِ؟ وَقَدْ عَلِمْتُمْ ذَلِكَ وَلَكِنْ تُكَابِرُونَ.

وَمَا بَالُ رَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ يَنْزِلَانِ مِنْ عِنْدِهِ شَطْرَ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَا يَمْكُثَانِ إِلَّا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ ثُمَّ يُرْفَعَانِ؛ لِأَنَّ رِفَاعَةَ يَرْوِيهِ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ [ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ ] .

وَقَدْ عَلِمْتُمْ –إِنْ شَاءَ اللَّهُ– أَنَّ هَذَا التَّأْوِيلَ أَبْطَلُ بَاطِلٍ، لَا يَقْبَلُهُ إِلَّا كُلُّ جَاهِلٍ. " [1]

فحقيقة هذا التحريف هو التكذيب لكن بطريقة ملتوية

" فهم يقولون هذا مجاز ليس بحقيقة !

فنفي الحقيقة عنه تكذيب له بطريقة ملتوية

بدل أن يقولوا هذا كذب احتالوا وذهبوا يؤولون بمعان غير مرادة لله ولا لرسوله –صلى الله عليه وسلم– وهذا هو التكذيب "

الوجه الخامس : وأما تأويله ذلك بما يجد الداعي من الإجابة واللطف ولذة المناجاة فيقال " حصول هذا في القلوب حق، لكن هذا ينزل إلى الأرض إلى قلوب عباده لا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يصعد بعد نزوله، وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر، لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب، هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته . سبحانه وتعالى.

كما وصف نفسه بالنزول عَشِيَّة عَرَفَة في عدة أحاديث صحيحة، وبعضها في صحيح مسلم عن عائشة . رضي الله عنها . عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [ ما من يوم

أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة، وأنه ـ عز وجل ـ ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ ]

---

[1] نقض الدارمي –رحمه الله– [1–214]

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ إذا كان يوم عرفة أن الله ينزل إلى سماء الدنيا يباهي بأهل عرفة الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شُعْثًا غُبْرًا ضاحين من كل فَجّ عميق ] والشُّعْث: هو اغبرار الرأس، والغَبَرُ: هو التراب، والغُبْرة: لونه] .

وعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
[ إن الله ينزل إلى السماء الدنيا يباهي بأهل عرفة الملائكة ويقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شُعْثًا غُبْرًا ]

فوصف أنه يدنو عشية عرفة إلى السماء الدنيا، ويباهي الملائكة بالحجيج فيقول [ انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا ما أراد هؤلاء ؟ ] فإنه من المعلوم أن الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه، لكن ليس هذا الذى في قلوبهم هو الذى يدنو إلى السماء الدنيا، ويباهي الملائكة بالحجيج.
والجهمية ونحوهم من المعطلة، إنما يثبتون مخلوقًا بلا خالق، وأثرًا بلا مؤثر، ومفعولًا بلا فاعل، وهذا معروف من أصولهم، وهذا من فروع أقوال الجهمية. "
والحاصل أن تأويل النزول بنزول أمره هو قول (الجهمية =العلماء عند النووي) كما قال ابن بطة في الإبانة : إِذا قَامَت على الجهمي الْحجَّة وَعلم صِحَة هَذِه الْأَحَادِيث وَلم يقدر على جَحدهَا ، قَالَ –أي الجهمي– الحَدِيث صَحِيح وَإِنَّمَا معنى قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (ينزل رَبنَا فِي كل لَيْلَة) ينزل أمره . ا.هـ المراد

والمقصود أن التأويلات التي ذكرها النووي وزعم أنها أحد مذهبي العلماء هي في الحقيقة : تفتح الباب للزنادقة والباطنية ليحرفوا النصوص فإن " قوله ينزل ربنا أي ملك ربنا ..

لو علم هذا القائل أنه قد نهج الطريق وفتح الباب لكل ملحد على وجه الأرض وزنديق وصاحب بدعة يدعي فيما يحتج به لمذهبه عليه إضمار كلمة أو كلمتين نظير ما ادعاه لاختار أن يخرس لسانه

ولا يفتح هذا الباب على نصوص الوحي فإنه مدخل لكل ملحد ومبتدع ومبطل لحجج الله من كتابه

ومن رأى ما أضمره المتأولون من الرافضة والجهمية والقدرية والمعتزلة مما حرفوا به الكلم عن مواضعه وأزالوه به عن ما قصد له من البيان والدلالة

علم أن لهم أوفر نصيب من مشابهة أهل الكتاب الذين ذمهم الله بالتحريف واللي والكتمان أفترى يعجز الجهمي عن الإضمار في قوله إنكم ترون ربكم عيانا فيضمر ملك ربكم ونعيمه وثوابه ونحو ذلك ويعجز الملحد عن الإضمار في قوله وأن الله يبعث من في القبور ، أي أرواح من في القبور

وإذا انفتح سد يأجوج ومأجوج أقبلوا من كل حدب ينسلون " والله المستعان .

وليعلم أن من أنكر صفة النزول فحقه التبديع ولا كرامة لأنه ملحد خبيث .

قال معمر بن أحمد الأصبهاني : من أنكر النزول أو تأوله فهو مبتدع ضال .ا.هـ

وقد ذكر صفة النزول حرب الكرماني في السنة التي قال عنها :

من خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .. ا.هـ

وقال الآجري في الشريعة : الأخبار قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة » والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج ، والجهاد ، فكما قبل العلماء عنهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، **وقالوا : من ردها فهو ضال خبيث** ، يحذرونه ويحذرون منه . ا.هـ

وقال ابن بطة في الإبانة الكبرى :

قد صَحَّ عَن النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه قَالَ (إِن الله عز وَجل ينزل فِي كل لَيْلَة إِلَى سَمَاء الدُّنْيَا ... .) فِي حَدِيث طَوِيل سَنذكرُهُ إِن شَاءَ الله بِتَمَامِهِ رَوَاهُ الْأَئِمَّة المحدثون الثِّقَات والمثبتون وَالْفُقَهَاء الورعون الَّذين نقلوا إِلَيْنَا شَرِيعَة الْإِسْلَام ودعائمه مثل الصَّلَاة وَالزَّكَاة وَالصِّيَام وَالْحج وَالْجِهَاد وَمَا يَتْلُوا ذَلِك من سَائِر الْأَحْكَام من النِّكَاح وَالطَّلَاق والبيوع والحلال وَالْحَرَام فَلَنْ يطعن عَلَيْهِم فِيمَا رَوَوْهُ من هَذِه الْأَحَادِيث **إِلَّا خَبِيث مخبث ضال مضل ملحد الْحَد** يُرِيد إِبِطَال الشَّرِيعَة وَتَكْذيب الْأمة .

وقد أخرج أبوداود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال [كَانَ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ مُذْنِبٌ، فَأَبْصَرَ الْمُجْتَهِدُ الْمُذْنِبَ عَلَى ذَنْبٍ، فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ لَهُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، قَالَ: وَكَانَ يُعِيدُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ، فَاسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ: وَيْحَكَ أَقْصِرْ قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا

فَبُعِثَ إِلَيْهِمَا مَلَكٌ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلَا، فَقَالَ رَبُّنَا لِلْمُجْتَهِدِ:

أَكُنْتَ عَالِمًا؟

أَمْ كُنْتَ قَادِرًا عَلَى مَا فِي يَدِي؟

أَمْ تَحْظُرُ رَحْمَتِي عَلَى عَبْدِي؟

اذْهَبْ إِلَى الْجَنَّةِ يُرِيدُ الْمُذْنِبَ
وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ ]
قال أبوهريرة –رضي الله عنه– : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ
.
فهذا حبط عمله لأنه حجر رحمة الله تعالى بغير إذن من الله

وما أشبهه بالذي يصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه أو وصفه به رسوله –صلى الله عليه وسلم– أو صحابته الكرام ، أو ينفي عن الله ما أثبته لنفسه أو ما أثبته له رسوله –صلى الله عليه وسلم– أو صحابته الكرام من الصفات .

وتأويل النزول بنزول الأمر –في الحقيقة– من كفريات الجهمية كما قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية : " من شأن الجهميَّة أنَّهم يجعلون المخاطب للعباد بدعوى الربوبيَّة غير الله كما قالوا إنَّ الخطاب الذي سمعه موسى بقوله إِنِّي أَنَا رَبُّكَ كان قائما بمخلوق كالشجرة
وكما قال في قوله [ من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له ] إنه يقول هذا ملك من الملائكة
وكما زعم هذا المؤَسسُ في قوله تعالى {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}
إن ربه ملك من الملائكة (!) وهذا كُلُّه من الكفر والإلحاد " ا.هـ المراد

فهذا شيء من أقوال السلف فيمن يرد حديث النزول
أما حاله عند كثير من الخلف هو : أن هذا لا ينقص من مكانته (!)
ولا علمه (!) ولكل جواد كبوة (!)
وليس من شرط العالم أن لا يزل !! وكفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه (!)
وما دام قدم في خدمة السنة ما قدم فهو إمام !!

فــأقــول نعم قولكم (هذا لاينقص من مكانته) هذا على طريقة الخلف ، أما على سنن السلف فإن الأمر مختلف فإن تلبس المرء بالبدع مما ينقص مكانته عندهم بلا مثنوية كما قال السجزي عنهم : كان في وقتهم علماء لهم تقدم في علوم، واتباع على مذهبهم لكنهم وقـعوا فـي شيء من الـبـدع إما القدر، وإما التشيّع أو الإرجاء عرفوا بذلك فـانـحطت مـنـزلـتـهم عـنـد أهـل الـحق ا.هـ

و أمــا إدخال هذه البدع الكفرية في قول من يقول ( لكل جواد كبوة ) باطل لازمه الطعن في السلف (!)

إذ الكلام هنا عن (الكبوات الكبرى =البدع والضلالات الكبرى) فمن زعم أن لكل عالم كبوات من هذا الجنس فقد طعن في العلماء

وعلى رأس العلماء السلف الكرام

فانظر كيف وقع هؤلاء القوم في الطعن بالعلماء دفاعاً عن المنحرفين وقد ذُكر في الحديث [ من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله ]

وقال الحسن –رحمه الله– [كانوا يقولون ( من رمى أخاه بذنب تاب إلى الله منه ، لم يمت حتى يبتليه الله به) ]

وهذا في ذنب اقترف ثم تيب منه فكيف بما لم يقترف أصلاً ؟!

والمقصود هنا : تبيين من هم الغلاة الطاعنون في العلماء حقيقة ؟ !!

و أمــا أنه (ليس من الشرط العالم أن لا يزل) فصحيح

لكن من شرطه ألا يكثر منه أو يفحش في الزلات العظام

وإلا فما الفرق بين العالم والجاهل حينئذ ؟ !!

بل قد يصير العالم جاهلاً بزلة واحدة !

قال تعالى عن نبيه موسى –عليه السلام– وقومه { قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ } وقال تعالى { إني أعظك أن تكون من الجاهلين }

كما أنه قد يرفع اسم الإيمان –لا الإسلام– بزلة واحدة كما قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم [ لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ] وذكر السارق والمنتهب في الحديث فيرفع عنه اسم الإيمان حتى يتوب بزلة واحدة ولايشترط في هذا التكرار ولا العنادفتنبه

ثم أن العالم حقاً هو الفقيه المتبع لا المبتدع المخالف للسنة ،كما قال الحسن –رحمه الله– [ الفقيه : المقيم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ]
وقال الفضيل [ الفقيه الذي أنطقته الخشية وأسكتته الخشية ، إن قال قال بالكتاب والسنة ، وإن سكت سكت بالكتاب والسنة ]

**و أمــا** قول القائل في معرض الكلام عمن وقع في بدع كبرى (كفى بالمرء نبلاً أن تعد معايبه) غلو في الإرجاء
إذ جَعل الوقوع في هذه الضلالات من النبل (!)
وهذا من أقبح الإرجاء عند (مرجئة التبديع=الذين لا يريدون أن يبدعوا إلا المعاند المتعمد في مخالفة الشرع) (!)
**و أمــا** قولهم (ما دام قدم في خدمة السنة ما قدم فهو إمام)
أقول نعم (!) هذا على طريقة المنتكسين من الخلف في حصانتهم البدعية لكل من توسع في معرفة المعلومات (!)
أما سلفنا الصالح فوربي قد بدعوا وضللوا أناساً أفضل من الشارح بكثير كيعقوب بن شيبة والكرابيسي وداود الظاهري وغيرهم .
ورضي الله عن حذيفة القائل [ إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا ، وإني لأسمعها اليوم من أحدكم عشر مرات ] أخرجه ابن بطة في الإبانة
وفي البخاري عن أنس –رضي الله عنه وأرضاه– قال :
[ إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا لنعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات ] .

وأخرج أبونعيم في الحلية بسنده عن سفيان الثوري –رحمه الله– قال [ بلغني أنه يسخط الله المقام الواحد، والكلمة الواحدة ]

فالرجل قد يخرج بكلمة واحدة من السنة بل من الإسلام

قال الله سبحانه وتعالى { وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم }

فاللهم عفوك ومسامحتك .

فصل

قال الشارح في شرحه [7–119] : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَيُوعِيَ عَلَيْكِ) هُوَ مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ لِلتَّجْنِيسِ

كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمَكَرُوا ومكر الله}

وَمَعْنَاهُ يَمْنَعُكِ كَمَا مَنَعْتِ وَيَقْتُرُ عَلَيْكِ كَمَا قَتَرْتِ وَيُمْسِكُ فَضْلَهُ عَنْكِ كَمَا أَمْسَكْتِهِ

وَقِيلَ مَعْنَى لَا تُحْصِي أَيْ لَا تَعُدِّيهِ فَتَسْتَكْثِرِيهِ فَيَكُونُ سَبَبًا لِانْقِطَاعِ إِنْفَاقِكِ ا.هـ

أقول صفة المكر ثابتة بالكتاب والسنة

قال الله تعالى : { وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }

وقال سبحانه { وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ }

وفي حديث ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول [ رب أعني ولا تعن علي وانصرني ولا تنصر علي وامكر لي ولا تمكر علي ...]

أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

وهكذا قد أثبتها السلف مع نفي التمثيل كما قال الحربي –رحمه الله– في غريب الحديث : والكيد من الله خلافه من الناس ، كما المكْر منه خلافه من الناس .

وهؤلاء المتكلمون إنما وقعوا في التعطيل بعد تشبيههم ، لأنهم لما رأوا الغالب على استعمال هذا (الوصف = المكر والسخرية والخداع) بالمعاني المذمومة عند البشر وغاب

عليهم انها تستعمل في حق المخلوق بمعاني محمودة كما قال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام {قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} فلما غاب عنهم هذا أولاً ، ثم فهموا من ظواهر النصوص التمثيل لفساد عقولهم عطلوها .

قال ابن القيم كما في مختصر الصواعق –عن صفات المكر والخداع والكيد والاستهزاء ونحوها–: لا ريب أن هذه المعاني يذم بها كثيراً ، فيقال فلان صاحب مكر وخداع وكيد واستهزاء ، ولا تكاد تطلق على سبيل المدح بخلاف أضدادها ، وهذا هو الذي غر من جعلها مجازاً في حق من يتعالى ويتقدس عن كل عيبٍ وذم .

والصواب : أن معانيها تنقسم إلى محمود ومذموم ، فالمذموم منها يرجع إلى الظلم والكذب ، فما يذم منها إنما لكونه متضمناً للكذب والظلم أو لهما جميعاً ، وهذا هو الذي ذمه الله تعالى لأهله ... **فلما كان غالب استعمال هذه الألفاظ في المعاني المذمومة ظن المعطلون أن ذلك هو حقيقتها** ، فإذا أطلقت لغير الذم كان مجازاً ، والحق خلاف هذا الظن ، وأنها منقسمة إلى محمود ومذموم ، فما كان منها متضمناً للكذب والظلم فهو مذموم ، وما كان منها بحق وعدل ومجازاة على القبيح فهو حسن محمود ، فإن المخادع إذا خادع بباطل وظلم حسُن من المجازي له أن يخدعه بحقٍ وعدلٍ –إلى أن قال– أن الله سبحانه لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد عُلِم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق ، فكيف من الخالق سبحانه ؟ .. ا.هـ المراد

وأما قوله إنه ( مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ ) وبالتالي يكون إطلاقه مجازاً لا حقيقة ! فيقال : إطلاق " هَذِهِ الْأَلْفَاظِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى إِطْلَاقِهَا عَلَى الْمَخْلُوقِ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا مَجَازٌ لِتَوَقُّفِهَا عَلَى الْمُسَمَّى الْآخَرِ " " فَإِنَّ دَعْوَاكُمْ أَنَّ إِطْلَاقَهُ عَلَى أَحَدِ مَدْلُولَيْهِ مُتَوَقِّفٌ عَلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الْآخَرِ دَعْوَى بَاطِلَةٌ مُخَالِفَةٌ لِصَرِيحِ الِاسْتِعْمَالِ، وَمَنْشَأُ الْغَلَطِ فِيهَا أَنَّكُمْ نَظَرْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ}

وَقَوْلِهِ {وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا} وَذَهَلْتُمْ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} فَأَيْنَ الْمُسَمَّى الْآخَرُ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ} " جاء من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال {شديد المحال} [ شديد المكر شديد القوة ]

" وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ – وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ} "

وسبق البيان أن الواجب هو إمرار النصوص على ظاهرها وترك التعرض لها بتأويل أو تكييف أو تمثيل ، والله الموفق .

فصل

قال الشارح في شرحه [2-236] : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى) مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَعَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ

وَأَنَّ الدَّجَّالَ مَخْلُوقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى نَاقِصُ الصُّورَةِ فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا هَذَا وَتُعَلِّمُوهُ النَّاسَ لِئَلَّا يَغْتَرَّ بِالدَّجَّالِ مَنْ يَرَى تَخْيِيلَاتِهِ وَمَا مَعَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ . ا.هـ

هذا تعطيل لدلالة الحديث هرباً من إثبات الصفة ، فإن صفة العين ثابتة بالكتاب والسنة والآثار وقد أجمع العلماء وأئمة الدين على إثباتها .

قال الله تعالى {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا}

وقال تعالى {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}

وقال سبحانه {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ عن نبيه مُوسَى عليه السلام :

{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}

وأما السنة ففي الباب عدة أحاديث منها حديث أنس الآنف الذكر

وقد احتج ابن خزيمة –رحمه الله– في كتاب التوحيد بحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال { إنه سميع بصير }

فوضع إصبعه الدعاء وإبهامه على عينه وأذنه .

قال اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد :

أخرجه أبو داود وهو إسناد صحيح على شرط مسلم يلزمه إخراجه

وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات بإسناده عَنْ عِكْرِمَةَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا {وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا} قَالَ [ بِعَيْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ]

وعند اللالكائي بسنده عن عطاء عن ابن عباس ، في قوله عز وجل {تجري بأعيننا} قال [ أشار بيده إلى عينيه ]

وثبت –كما في السنة لعبدالله– عن أبي عمران الجوني قال {ولتصنع على عيني} قال : [ يربى بعين الله .]

قال ابن خزيمة –رحمه الله– في كتاب التوحيد :
فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ أَنْ يُثْبِتَ لِخَالِقِهِ وَبَارِئِهِ مَا ثَبَّتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ لِنَفْسِهِ، مِنَ الْعَيْنِ، وَغَيْرُ مُؤْمِنٍ مَنْ يَنْفِي عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا قَدْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، بِبَيَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا عَنْهُ، عَزَّ وَجَلَّ، فِي قَوْلِهِ: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} ا.هـ

وقد استدل بحديث أنس –الذي تعرض له النووي بالتحريف– جماعة من الأئمة وغيرهم من المصنفين في الاعتقاد على إثبات العينين لله جل وعلا –وعليه إجماع السلف– منهم :

أبو سعيد الدارمي –رحمه الله– في النقض حيث قال :
الْعَوَرُ عِنْدَ النَّاسِ ضِدُّ الْبَصَرِ، وَالْأَعْوَرُ عِنْدَهُمْ ضِدُّ الْبَصِيرِ بِالْعَيْنَيْنِ. ا.هـ

وابن خزيمة –رحمه الله– في التوحيد حيث قال : فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ لِلَّهِ عَيْنَيْنِ . ا.هـ ثم أورد أحاديثاً من ضمنها حديث أنس

واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد عند باب :
ما دل من كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على أن من صفات الله عز وجل : الوجه والعينين واليدين ..

وأبو يعلى في الإبطال عند باب : إثبات صفة العينين لربنا جل شأنه

حتى قال ابن القيم في الصواعق :
قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " «إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» " صَرِيحٌ بِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ إِثْبَاتُ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ عَوَرٌ ظَاهِرٌ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْهُ .ا.هـ المراد

وقد قال ابن عثيمين في عقيدة أهل السنة والجماعة ص 12 :
وأجمع أهل السنة على أن العينين اثنتان ، ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وسلم في الدجَّال [ إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ] اهـ .

وبهذا يعلم أن النووي في تأويله لهذه الصفة أيضاً سلك مسلك الجهمية ومن وافقهم وخالف الكتاب والسنة والإجماع .

وقريباً من تأويله الآنف –في البطلان– قول ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح الإمام البخاري –رحمه الله– عند حديث أنس : لم أر في كلام أحد من الشراح في حمل هذا الحديث على معنى خطر لي (!) فيه اثبات التنزيه وحسم مادة التشبيه عنه
وهو أن الإشارة إلى عينه صلى الله عليه و سلم انما هي بالنسبة الي عين الدجال فانها كانت صحيحة مثل هذه
ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه في دعوى الإلهية

وهو انه كان صحيح العين مثل هذه
فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه . (!!) ا.هـ

وفي شرحه هذا تجهمات أخر ، وبواطيل وضلالات عديدة كقوله عند حديث ابن عمر مرفوعاً [ إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلَا يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى ]
قال : وفيه الرد على من زعم أنه على العرش بذاته !! ا.هـ
قارن يا أيها السني –الصادق في اتباعك واحترامك للسلف– بين هذا

وبين قول السجزي فِي كِتَابِ " الْإِبَانَةِ " لَهُ حيث قَالَ : و
َأَئِمَّتُنَا كَالثَّوْرِيِّ وَمَالِكٍ وَابْنِ عيينة وَحَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ وَحَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ وَابْنِ الْمُبَارَكِ وفضيل بْنِ عِيَاضٍ وَأَحْمَد وَإِسْحَاقَ : **مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ بِذَاتِهِ** ؛ وَأَنَّ عِلْمَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ .. ا.هـ

وقد روى الهروى في كتابه الفاروق بسنده عن يحيى بن معاذ أنه قال :
[ إن الله على العرش بائن من خلقه وقد أحاط بكل شئ علما وأحصى كل شئ عددا **لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمى ردئ** ]

وأما تمويهه بحديث ابن عمر [ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ ]
فهو لا يخالف ما ذكر إذ " مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ مَنْ تَوَجَّهَ إلَى الْقَمَرِ وَخَاطَبَهُ إذَا قُدِّرَ أَنْ يُخَاطِبَهُ لَا يَتَوَجَّهُ إلَيْهِ إلَّا بِوَجْهِهِ مَعَ كَوْنِهِ فَوْقَهُ، فَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ لَهُ بِوَجْهِهِ مَعَ كَوْنِهِ فَوْقَهُ، وَمِنْ الْمُمْتَنِعِ فِي الْفِطْرَةِ أَنْ يَسْتَدْبِرَهُ وَيُخَاطِبَهُ مَعَ قَصْدِهِ التَّامِّ لَهُ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَيْسَ مَقْصُودُهُ مُخَاطَبَتَهُ، كَمَا يَفْعَلُ مَنْ لَيْسَ مَقْصُودُهُ التَّوَجُّهَ إلَى شَخْصٍ بِخِطَابِ، فَيُعْرِضُ عَنْهُ بِوَجْهِهِ وَيُخَاطِبُ غَيْرَهُ، لِيَسْمَعَ هُوَ الْخِطَابَ، فَأَمَّا مَعَ زَوَالِ الْمَانِعِ فَإِنَّمَا يَتَوَجَّهُ إلَيْهِ

فَكَذَلِكَ الْعَبْدُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ وَهُوَ فَوْقَهُ، فَيَدْعُوهُ مِنْ تِلْقَائِهِ لَا مِنْ يَمِينِهِ وَلَا مِنْ شِمَالِهِ، وَيَدْعُوهُ مِنْ الْعُلُوِّ لَا مِنْ السُّفْلِ، كَمَا إِذَا قدر أنه يخطاب الْقَمَرَ.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ [ لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ فِي الصَّلَاةِ أَوْ لَا تَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبْصَارُهُمْ ]

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ رَفْعَ الْمُصَلِّي بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ

وَرَوَى أَحْمَد عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِين [ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ فِي الصَّلَاةِ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فَكَانَ بَصَرُهُ لَا يُجَاوِزُ مَوْضِعَ سُجُودِه ]

فَهَذَا مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ تَكْمِيلًا لِلْفِطْرَةِ؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ السَّائِلَ الَّذِي يُؤْمَرُ بِالْخُشُوعِ وَهُوَ الذُّلُّ وَالسُّكُوتُ لَا يُنَاسِبُ حَالَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَاحِيَةِ مَنْ يَدْعُوهُ وَيَسْأَلُهُ بَلْ يُنَاسِبُ حَالَهُ الْإِطْرَاقُ، وَغَضُّ بَصَرِهِ أَمَامَهُ.

وَلَيْسَ نَهْيُ الْمُصَلِّي عَنْ رَفْعِ بَصَرِهِ فِي الصَّلَاةِ رَدًّا عَلَى أَهْلِ الْإِثْبَاتِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّهُ عَلَى الْعَرْشِ، كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ جُهَّالِ الْجَهْمِيَّة، فَإِنَّ الْجَهْمِيَّة عِنْدَهُمْ لَا فَرْقَ بَيْنَ الْعَرْشِ وَقَعْرِ الْبَحْرِ، فَالْجَمِيعُ سَوَاءٌ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يُنْهَ عَنْ رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى جِهَةٍ وَيُؤْمَرُ بِرَدِّهِ إِلَى أُخْرَى، لِأَنَّ هَذِهِ وَهَذِهِ عِنْدَ الْجَهْمِيَّة سَوَاءٌ. "

فـ " الحديث، حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات .

فإن الإنسان لو أنه يناجي السماء أو يناجي الشمس والقمر، لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضًا قبل وجهه . "

وشرح العسقلاني هذا مليء بالتجهمات والبدع

سواءاً في باب الصفات أو الإيمان أو غيره

كما أشار إلى ذلك سليمان بن سحمان –رحمه الله – لما قال :

وأما قول ابن حجر أن تسمية هؤلاء (مانعي الزكاة) أهل الردة تغليباً مع الصنفين الأولين، وإلا فليسوا بكفار انتهى. فهذا تأويل منه

وليس بأبشع ولا أشنع من ما تأولوه في الصفات .ا.هـ

ولا يقولن قائل أنه وقع في ذلك لعدم معرفته بقول السلف (!)

فإن هذا كلام متعجل جاهل بحقيقة شرح هذا الرجل

بل الأمر كما قال محمد بن عبدالوهاب رحمه الله –في الدرر السنية– **[1-50]** :

وهم معترفون أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي، بل من عقولهم، ومعترفون أنهم مخالفون للسلف في ذلك، مثل ما ذكر في فتح الباري، في مسألة الإيمان، على قول البخاري: وهو قول وعمل، ويزيد وينقص؛ فذكر إجماع السلف على ذلك، وذكر عن الشافعي: أنه نقل الإجماع على ذلك، وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين، ولم يرده .ا.هـ

وفي هذا رد على كل متهور يقول ( لم يطعن أحد من العلماء في أمير (!) المؤمنين (!) في الحديث (!) الإمام (!) ابن حجر منذ زمانه إلى زماننا هذا حتى جاء بعض الغلاة (!) فـ )

... وهؤلاء وأمثالهم إنما يريدون تفريق الأمة

وقطعها عن سلفها الصالح بهذه التلبيسات ، وذلك لأنهم يعرفون أن تطبيق منهج السلف على الكبير والصغير يقتضي إسقاط شيوخهم وأئمتهم الذين موهوا على الناس فيهم وبتلميعهم على إنحرافهم ، ولكنهم أبوا إلا الفضيحة (!)

فتراهم اليوم يأخذون بقول من يسمونهم بالغلاة لما يقومون بالرد على خصومهم المميعة (!) ثم إذا أرادوا الرد على من يتهمونه بالغلو

تراهم يأخذون بأقوال من ينبزونه بالتمييع { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} { إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

والمقصود أن حديث أنس في ذكر الدجال وبيان أن [ الله عزوجل ليس بأعور ] دليل صريح على إثبات العينين فلا يتفلت بعده إلى وسوسات المتجهمة .

و هـنـا فـائـدة :

قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم إخباره باتباع طائفة من يهود أصبهان للدجال فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ ] .

وكذلك قد جاءت الآثار في الإخبار أن طائفة من أهل البدع يكونون أتباعه أيضاً فقد ورد من طريق علي بن نصر عَنْ قُرَّةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ :

[ لَوْ خَرَجَ الدَّجَّالُ لرأيت أنه سيتبعه أهل الْأَهْوَاء ]

رَوَاهُ اللالكائي فِي شرح أصُول الِاعْتِقَاد بسند صحيح

وعند الهروي في ذم الكلام بسنده عَنْ مُطَرِّفٍ قَالَ :

[ أَكْثَرُ أَتْبَاعِ الدَّجَّالِ الْيَهُود وَأهل الْبدع ]

وأخرج اللالكائي بسنده عن الحكم بن أبان ، قال : ثنا عكرمة ، قال : كنت حاضرا عند عبد الله بن عباس فجاءه رجل

فقال : يا أبا عباس أخبرني من القدرية ؟

فقال ابن عباس –رضي الله عنهما– [ القدرية قوم يكونون في آخر الزمان ، دينهم الكلام .... أولئك أتباع الدجال ]

وأخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى بسنده عن حذيفة [ تفترق هذه الأمة ، حتى تبقى فرقتان .. تقول إحداهما ... : إنا مؤمنون كإيمان الملائكة ما فينا كافر ولا منافق ! حقا على الله تعالى أن يحشرهم مع الدجال ] وفي إسناده ضعف

وقد ذُكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [ لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر .. وهم شيعة الدجال وحق على الله عز وجل أن يلحقهم بالدجال ]

وأخرج الهروي في ذم الكلام بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ يَأْتِي عَلَى النَّاس زمَان يكون عامتهم يقرؤون الْقُرْآنَ
وَيَجْتَهِدُونَ فِي الْعِبَادَةِ يَشْتَغِلُونَ بِأَهْلِ الْبِدَعِ
يُشْرِكُونَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ..
هُمْ أَتْبَاعُ الدَّجَّالِ الْأَعْوَرِ .. ] وليس إسناده بذاك

وفي الابانة الكبرى بسنده عن العباس بن مشكويه الهمذاني ، قال [ أدخلت على الخليفة المتكني بالواثق أنا وجماعة من أهل العلم
فأقبل بالمسألة علي من بينهم
فقلت : يا أمير المؤمنين إني رجل مروع ولا عهد لي بكلام الخلفاء من قبلك .
فقال : لا ترع ولا بأس عليك ، ما تقول في القرآن ؟
فقلت : « كلام الله غير مخلوق » ... ثم قال : أخرجوا الزنديق وضعوه في أضيق المحابس ، فأخرجت إلى دار العامة ، فإذا أنا بابن أبي دؤاد يناظر الناس على خلق القرآن ، فلما نظر إلي قال : يا خرمي
قلت [ أنت والذين معك وهم شيعة الدجال ]

وهذه الأخبار شديدة على أهل الابتداع { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }

فصل

قال النووي في شرحه [3-12] : (رَأَيْتُ نُورًا) مَعْنَاهُ رَأَيْتُ النُّورَ ..وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ رَاجِعًا إِلَى مَا قُلْنَاهُ أَيْ خَالِقُ النُّورِ الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ
فَيَكُونُ مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ
قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذِهِ الرِّوَايَةُ لم تقع الينا ولا رأيتها في شئ مِنَ الْأُصُولِ
وَمِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَكُونَ ذَاتُ اللَّهِ تَعَالَى نُورًا !
إِذِ النُّورُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَجْسَامِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَجِلُّ عَنْ ذَلِكَ
هَذَا مَذْهَبُ جَمِيعِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ !!!!!
وَمَعْنَى قَوْلِهِ تعالى الله نور السماوات والارض
وَمَا جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ مِنْ تَسْمِيَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالنُّورِ
مَعْنَاهُ ذُو نُورِهِمَا وَخَالِقُهُ
وَقِيلَ هادى أهل السماوات والأرض
وقيل منور قلوب عباده المومنين
وقيل معناه ذُو الْبَهْجَةِ وَالضِّيَاءِ وَالْجَمَالِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ا.هـ

هذا الكلام الذي نقله الشارح –مقراً– عن عياض هو سائر على طريقة المعطلة في نفيهم أن الله سبحانه وتعالى نور ، وإجلاله –المزعوم– عن كون الله جسماً أيضاً سائر على طريقة القوم فإن أهل السنة –حقاً– لا يطلقون القول في نفي أو إثبات لفظة الجسم .

قال ابن تيمية في بان تلبيس الجهمية [1-9] :

إثبات لفظ الجسم ونفيه بدعة لم يتكلم به أحد من السلف .. ولكن أثبتوا الصفات التي جاء بها الكتاب والسنة ونفوا مماثلة المخلوقات. ا.هـ المراد

وقال أيضاً : لفظ الجسم لم يتكلم به أحد من الأئمة والسلف في حق الله لا نفيا ولا إثباتا ولا ذموا أحدا ولا مدحوه بهذا الاسم ولا ذموا مذهبا ولا مدحوه بهذا الاسم وإنما تواتر عنهم ذم الجهمية الذين ينفون هذه الصفات وذم طوائف منهم كالمشبهة وبينوا مرادهم بالمشبهة . اهـ

وأول من عرف بالخوض في لفظ الجسم نفياً –كصنيع الشارح –أو إثباتاً –كصنيع بعض المتكلمين من أصحاب الشارح– هم الشيعة والمعتزلة .

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية أيضاً [1–54] :
لفظ الجسم ... لا يوجد له ذكر في كلام أحد من السلف كما لا يوجد له ذكر في الكتاب والسنة لا بنفي ولا إثبات إلا بالإنكار على الخائضين في ذلك من النفاة الذين نفوا ما جاءت به النصوص والمشبهة الذين ردوا ما نفته النصوص
كما ذكرنا أن أول من تكلم بالجسم نفيا وإثباتا هم طوائف من الشيعة والمعتزلة وهم من أهل الكلام الذين كان السلف يطعنون عليهم وهم في مثل هذا على المعتزلة أعظم إنكارا .ا.هـ المراد

وقد بدع السلف قاطبة نفاة الجسم والخائضين فيه وذموهم غاية الذم
قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية [1–100] : لفظ الجسم والعرض والمتحيز ونحو ذلك ألفاظ اصطلاحية وقد قدمنا غير مرة أن السلف والأئمة لم يتكلموا في ذلك حق الله لا بنفي ولا بإثبات بل بدعوا أهل الكلام بذلك وذموهم غاية الذم والمتكلمون بذلك من النفاة أشهر ولم يذم أحد من السلف أحدا بأنه مجسم ولا ذم المجسمة وإنما ذموا الجهمية النفاة لذلك وغيره
وذموا أيضا المشبهة الذين يقولون صفاته كصفات المخلوقين

ومن أسباب ذمهم للفظ الجسم والعرض ونحو ذلك ما في هذه الألفاظ من الاشتباه ولبس الحق كما قال الإمام أحمد يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما يشبهون عليهم . ا.هـ المراد

وذلك لأن ": لفظ الجسم فيه إجمال قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت أو ما يقبل التفريق والانفصال .. والله تعالى منزه عن ذلك كله .. وقد يراد بالجسم ما يشار إليه أو ما يرى

أو ما تقوم به الصفات والله تعالى يرى في الآخرة وتقوم به الصفات ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم

فإن أراد بقوله ليس بجسم هذا المعنى قيل له هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول وأنت لم تقم دليلا على نفيه

وأما اللفظ فبدعة نفيا وإثباتا فليس في الكتاب ولا السنة ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ الجسم في صفات الله تعالى لا نفيا ولا إثباتا . ا.هـ المراد

"فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل ويراعون أيضا الألفاظ الشرعية فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه إلى البدعة"

وأما النور فمن الأسماء الحسنى الثابتة لله عزوجل المجمع على إثباتها وتلقيها بالقبول عند السلف ، وقد نص الأئمة على تسمية الرب نوراً

وبأن له نوراً مضافاً إليه وبأنه نور وبأن حجابه النور

وذلك بدليل الكتاب والسنة والآثار السلفية والإجماع والقياس المعتبر .

**أما الكتاب : فقد قال الله تعالى { اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ }**

**وقال في إضافة النور إلى ذاته المقدسة { وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا }**

**قال ابن القيم –كما في مختصر الصواعق– : فَأَخْبَرَ أَنَّ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُشْرِقُ بِنُورِهِ، وَهُوَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نُورُهُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَأْتِي لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَيَنْصِبُ كُرْسِيَّهُ بِالْأَرْضِ، فَإِذَا جَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تُشْرِقَ بِنُورِهِ، وَعِنْدَ الْمُعَطِّلَةِ لَا يَأْتِي وَلَا يَجِيءُ وَلَا لَهُ نُورٌ تُشْرِقُ بِهِ الْأَرْضُ. ا.هـ**

**وهذا هو حال الشارح وأصحابه المتكلمين**

**وأما السنة : فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضى الله عنهما – قَالَ [كَانَ النَّبِيُّ – صلى الله عليه وسلم – يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ» اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ ، لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، قَوْلُكَ الْحَقُّ ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ ، وَالنَّارُ حَقٌّ ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وَبِكَ آمَنْتُ ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وَبِكَ خَاصَمْتُ ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ، فَاغْفِرْ لِى مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ ، وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ ، أَنْتَ إِلَهِى لاَ إِلَهَ لِى غَيْرُكَ ] .**

**وأما الآثار السلفية : فقد أخرج ابن أبي شيبة في المصنف بسند جيد عن سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ [كَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُك بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أَنْ تَجْعَلَنِي فِي حِرْزِكَ وَحِفْظِكَ وَجِوَارِكَ وَتَحْتِ كَنَفِك ]**

**قال ابن تيمية في المجموع 6–391 : قَدْ ثَبَتَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : إنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ نُورُ السَّمَوَاتِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ . ا.هـ المراد**

**وقال ابن القيم في روضة المحبين ص 419 :**

وقول عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه "نور السموات والأرض من نور وجهه" : تفسيرٌ لقوله تعالى {الله نور السموات والأرض} . ا.هـ المراد

وأما الإجماع : فقد قال ابن القيم –كما في مختصر الصواعق– :
النُّورَ جَاءَ فِي أَسْمَائِهِ تَعَالَى، وَهَذَا الِاسْمُ مِمَّا تَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ وَأَثْبَتُوهُ فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَهُوَ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَالَّذِي رَوَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ وَمِنْ طَرِيقِهِ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ... . هـ المراد

وقال أيضاً : مُثْبِتِي الصِّفَاتِ كَأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كُلَّابٍ وَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَئِمَّةِ أَتْبَاعِهِمَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخِلَافَ فِي ذَلِكَ إِلَّا عَنِ الْمُعْتَزِلَةِ، فَإِنْكَارُ كَوْنِهِ نُورًا هُوَ قَوْلُ الْمُبْتَدِعَةِ ... .هـ المراد

والعجيب أن الجهمية الأوائل لم يكونوا ينكرون هذا الاسم (!)

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية 5–493 :

كونه نوراً أو تسميته نوراً مما لم يكن ينازع فيه قدماء الجهمية وأئمتهم الذين ينكرون الصفات (!) بل كانوا يقولون إنه نور (!)

قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية :

وقلنا للجهمية حين زعموا أن الله بكل مكان لايخلو منه مكان (!)

فقلنا لهم : أخبرونا عن قول الله جل ثناؤه {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا } لِمَ تجلى للجبل إذا كان فيه بزعمكم ؟!!

فلو كان فيه كما تزعمون لَمْ يكن متجلياً لشيء هو فيه

لكن الله تبارك وتعالى على العرش وتجلى لشيء لم يكن فيه

ورأى الجبل شيئاً لم يكن رآه قط قبل ذلك

وقلنا للجهمية : الله نور ؟

فقالوا : هو نور كله (!)

فقلنا قال الله {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} فقد أخبر جل ثناؤه أن له نوراً

وقلنا لهم : أخبرونا حين زعمتم أن الله في كل مكان وهو نور فلِمَ لايضيء البيت مظلم من النور الذي هو فيه ؟!!

إذ زعمتم أن الله في كل مكان (!)

وما بال السراج إذا دخل البيت المظلم يضيء ؟!!

فعند ذلك تبين كذبهم على الله .ا.هـ

وقال الخلال : حدثنا يحيى ن أبي طالب قال كنا عند عمر بن يحيى الواسطي بن أخي علي بن عاصم فتذاكرنا من قال القرآن مخلوق

فقال حدثني يحيى بن عاصم قال كنت عند أبي فاستأذن عليه بشر المريسي فقلت له : يا أبت مثل هذا يدخل عليك ؟ قال يا بني ما له ؟

قلت : إنه يقول القرآن مخلوق وإن الله معه في الأرض

وإن الشفاعة باطلة وإن الصراط باطل وإن الميزان باطل

وإن منكراً باطل مع كلامٍ كثير

قال : ويحك أدخِله عليَّ

قال : فأدخلته فجعل يقول : ويلك يا بشر أُدْنُه فما زال يدنيه حتى قرب منه

ثم قال : ويلك يا بشر ما هذا الكلام الذي بلغني عنك

قال : وما هو يا أبا الحسن ؟

قال : بلغني أنك تقول القرآن مخلوق وأن الله في الأرض معك مع كلام كثير

فقال : ويلك من تعبد وأين ربك ؟

قال : يا أبا الحسن لم أجئ لهذا إنما جئت لتقرأ عليَّ كتاب خالد

قال فقال : لا ولا نعمة عين ولا عزازة حتى أعلم ما أنت عليه أين ربك ويلك

قال فقال : أما إذ أبيت عليَّ يا أبا الحسن فربي نور في نور

قال : فجعل يزحف إليه من ضعف ويقول ويحكم اقتلوه فإنه والله زنديق وقد كلمت هذا الصنف بخراسان قال فأخرجناه . ا.هـ المراد

وأما قول عياض –والذي أقره الشارح– ( وَمَعْنَى قَوْلِهِ تعالى
{الله نور السماوات والارض} .. مَعْنَاهُ ذُو نُورِهِمَا وَخَالِقُهُ
وَقِيلَ هادى أهل السماوات والأرض
وقيل منور قلوب عباده المومنين )
فالجواب عنه أن يقال :

**أ و لاً** : قد مضى ذكر دلالة الكتاب والسنة على إثبات هذا الاسم وأنه سبحانه وتعالى نور ولذلك تشرق بنوره يوم القيامة
وأن السلف لم يختلفوا في إثباته فظهر بذلك بطلان نفيه بهذه الإيرادات

**ثـــا نــيــاً** : تفسير الآية المذكورة بأن الله منور السماوات والأرض ((فقط)) خطأ وبيانه من وجوه :

الوجه الأول : صح في حديث ابن عباس مرفوعاً [ أنت نور السموات والأرض .. أنت رب السموات والأرض .. أنت قيم السموات ومن فيهن ] وهو يدل على أن معنى كونه {نُور السماوات وَالأرض}
وراء ربوبيته لها لتفريقه بين الأمرين
وكونه منوراً للسماوات والأرض أمر داخل في تدبيره وتصريفه .

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية 5–488 : وهذا [ أي الحديث الآنف الذكر ] يقتضي أن كونه نور السموات والأرض أمر مغاير لكونه رب ذلك وقيمه ومن المعلوم أن إصلاح ذلك وهدايته وجعله نيِّراً هو داخل في كونه ربه وقيمه فعلم أن معنى كونه نور السموات والأرض غير ذلك . ا.هـ

الوجه الثاني : أن هذا التفسير (أي كونه منوراً) لا ينافي كونه نوراً سبحانه
إذ لا تعارض بين إثبات المعنيين معاً

قال ابن القيم في إجتماع الجيوش الإسلامية ص11 : في معجم الطبراني والسنة له وكتاب عثمان الدارمي وغيرها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال [ ليس عند ربكم ليل ولا نهار نور السموات والأرض من نور وجهه ]
وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض
وأما من فسرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود والحق أنه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها . ا.هـ

الوجه الثالث : أن هذا التفسير نفسه هو دليل على أنه نور في ذاته سبحانه (!)
لأنه ما من شيئ منور لغيره وهو في نفسه ليس بنور
بل إنارته لغيره دليل على كونه نوراً في نفسه.

قال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية 5-525 :
وأما ما ذكره عن ابن مسعود أنه قال " منور " وأنها في مصحفه كذلك
فهذا لا ينافي كونه نوراً بل هو توكيد فإن الموجودات النورانية نوعان
منها ما هو بنفسه مستنير كالجمرة فهذا لا يقال له نور
ومنها ما هو مستنير وهو ينير غيره فهذا هو النور كالشمس والقمر والنار
وليس في الموجودات ما ينوِّر غيره وهو في نفسه ليس بنور فقراءة ابن مسعود منوِّر هو تحقيق لمعنى كونه نوراً ، وهذا مثل كونه مكلماً ومعلماً فإن ذلك فرعُ كونه في نفسه

متكلماً عالماً يؤيد ذلك أن ابن مسعود كان يقول إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات من نور وجهه . ا.هـ المراد

الوجه الرابع : " قال الإقليشي : وتسمية الله سبحانه وتعالى بهذا صحيح في الشرع والنظر أما الشرع فقوله سبحانه وتعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ }

فإن احتج محتج وقال أراد منير السموات والأرض

أو هادي أهل السموات والأرض

وأبى من تسمية الله نوراً ، احتججنا عليه بالحديث الذي خرَّجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم [ هل رأيت ربك فقال نور أنَّ أراه ]

وحديث ابن عباس المخرج في مصنف الترمذي إذ قال [ رأى محمد ربه ]

قيل له أليس يقول لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ

قال [ ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره ]

فهذان الحديثان يصرحان بتسمية الله تعالى نوراً

قال وأما النظر فإن النور يطلق على ما يظهر في ذاته فقط

وعلى ما يظهر في ذاته ويُظهر غيره

كجمرة النار فإنها تسمى نوراً لظهورها وكالشمس فإنها تسمى نوراً لأنها تظهر في ذاتها ويظهر بضوئها غيرُها

وهذا القول وهو نفي كونه نوراً في الحقيقة حكاه الشعري في كتاب المقالات عن الجبائي

فقال وكان الجبائي يزعم أن الباري نور السموات ومعنى ذلك أنه هادي أهل السموات والأرض

وأنهم به يهتدون كما يهتدون بالنور والضياء

وأنه لايجوز أن نسميه نوراً على الحقيقة إذا لم يكن من جنس الأنوار لأنا لو سميناه بذلك وليس هو من جنسها لكانت التسمية له

بذلك تلقيباً إذا كان لايستحق معنى الاسم من جهة المعقول واللغة ولو جاز أن يسمى بأنه جسم محدث السلف والأئمة "

الوجه الخامس : " لو لم يكن النور إلا الهادي
لكانت الهداية مختصة بالحيوانات ، فأما الأرض نفسها فما توصف بهدى
والحديث صريح بأنه نور السموات والأرض ومن فيهن
وأيضاً فوصفه بأنه القيم والرب فرق بين ذلك
وبين النور ولكن عادة السلف من الصحابة والتابعين كل منهم يذكر في تفسير الآية أو الاسم بعض معانيه التي يصلح للسائل
كما ذكروا مثل ذلك في اسمه الصمد واسمه الرحمن
وغيرهما من أسمائه لا يريدون بذكر ما يذكرونه نفي ما سواه مما يدل عليه الاسم وكذلك في سائر تفسير القرآن
مثل تفسير قوله {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ}
حيث يذكر كل منهم بعض أنواع هذه الأصناف
وهذا كثير في التفسير ، ومقصوده هنا بذكر نوره الذي في قلوب المؤمنين
ولاريب أن هذا متعلق بهدايته للمؤمنين فذكر من معنى الاسم ما يناسب مقصوده وكونه هادياً مثل كونه نوراً في ما يلزم عليهما "

فـ " هذا القول الذي قاله بعض المفسرين في قوله الله نور السماوات والأرض أي هادي أهل السماوات لا يضرنا
ولا يخالف ما قلناه .. ثم قول من قال من السلف هادي أهل السماوات والأرض لا يمنع أن يكون في نفسه نورا
فإن من عادة السلف في تفسيرهم أن يذكروا بعض صفات المفسر من الأسماء أو بعض أنواعه

ولا ينافي ذلك ثبوت بقية الصفات المسمى
بل قد يكونان متلازمين ولا دخول لبقية الأنواع فيه
وهذا قد قررناه غير مرة في القواعد المتقدمة
ومن تدبره علم أن أكثر أقوال السلف في التفسير متفقة غير مختلفة
مثال ذلك قول بعضهم في الصراط المستقيم إنه الإسلام
وقول آخر إنه القرآن ، وقول آخر إنه السنة والجماعة
وقول آخر إنه طريق العبودية ، فهذه كلها صفات له متلازمة لا مباينة
وتسميته بهذه الأسماء بمنزلة تسمية القرآن والرسول بأسمائه
بل بمنزلة أسماء الله الحسنى "
والحاصل ثبوت أن الله نور سبحانه ، وأن هذا بإجماع السلف ، حتى أنه قد قال به بعض الجهمية الأوائل وجماعة من مخانيثهم
حتى أن " ابن كلاب ذكره في الصفات
ورد على الجهمية تأويل اسم النور
وهو شيخ المتكلمين الصفاتية الأشعرية الشيخ الأول وحكاه عنه ابن فورك في كتاب مقالات ابن كلاب والأشعرية ولم يذكرا تأويله إلا عن الجهمية المذمومين باتفاق "

وبهذا يعلم أي الأقوال نصر عياض في هذه المسألة وأقره عليها الشارح ، نسأل الله العافية .

فصل

قال الشارح : مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُحَدِّثِينَ مَعْنَى سُبُحَاتُ وَجْهِهِ نُورُهُ وَجَلَالُهُ وَبَهَاؤُهُ

وَأَمَّا الْحِجَابُ فَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ وَالسَّتْرُ

وَحَقِيقَةُ الْحِجَابِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَجْسَامِ المحدودة

والله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَدِّ

وَالْمُرَادُ هُنَا الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِعُ نُورًا أَوْ نَارًا لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ فِي الْعَادَةِ لِشُعَاعِهِمَا ، وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ

وَالْمُرَادُ بِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ لِأَنَّ بَصَرَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُحِيطٌ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ . ا.هـ

والرد على هذا الكلام من وجوه :

الوجه الأول : قوله ( الله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ وَالْحَدِّ ) سبق الكلام حول لفظة وبيان أن هذا الإطلاق إنما هو مورث من الجهمية الأوائل

وأما الحد لله فقد أثبته الأئمة وأجمع السلف عليه ، وأصل معناه هو ما قاله إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني « أن حد كل شيء موضع بينونته عن غيره ))

وهو في هذا الباب مبين لحقيقة قول السلف أن الله [ عال على عرشه بائن من خلقه ]

ووجه إثبات الأئمة لذلك أنه " لما كان الجهمية يقولون ما مضمونه إن الخالق لا يتميز عن الخلق فيجحدون صفاته التي تميز بها ويجحدون قدره

حتى يقول المعتزلة إذا عرفوا أنه حي عالم قدير قد عرفنا حقيقته وماهيته ويقولون إنه لا يباين غيره ، بل إما أن يصفوه بصفة المعدوم

فيقولوا لا داخل العالم ولا خارجه ولا كذا ولا كذا

أو يجعلوه حالا في المخلوقات ، أو وجود المخلوقات

فبين ابن المبارك أن الرب سبحانه وتعالى على عرشه مباين لخلقه منفصل عنه وذكر الحد لأن الجهمية كانوا يقولون ليس له حد

وما لا حد له لا يباين المخلوقات ولا يكون فوق العالم لأن ذلك مستلزم للحد

فلما سألوا أمير المؤمنين عبد الله بن المبارك بماذا نعرفه

قال بأنه [ فوق سماواته على عرشه بائن من خلقه ]

فذكروا لازم ذلك الذي تنفيه الجهمية

وبنفيهم له ينفون ملزومه الذي هو موجود فوق العرش ومباينته للمخلوقات فقالوا له بحد قال بحد

وهذا يفهمه كل من عرف ما بين قول المؤمنين أهل السنة والجماعة

وبين الجهمية الملاحدة من الفرق "

فمراد الجهمية من نفي الحد هو نفي حقيقة العلو لله تبارك وتعالى

ولأجل هذا قال الامام الدارمي –رحمه الله– عن نفي الحد : وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي بنى عَلَيْهِ جهم ضَلَالَاتِهِ وَاشْتَقَّ مِنْهَا أُغْلُوطَاتِهِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّهُ سَبَقَ جَهْمًا إِلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ . ا.هـ المراد

قال الأثرم : قلت لأحمد: يحكى عن ابن المبارك : « نعرف ربنا في السماء السابعة على عرشه بِحَدٍّ » فقال أحمد « هكذا هو عندنا»

وقال عثمان بن سعيد الدارمي–رحمه الله–: «زعمت الجهميةُ أنْ ليس لله حدٌّ، وإنما يَعنُونَ بهذه الكلمة أن الله تعالى لا شيء، إذ كان معلوماً عند الخلق كلهم أنه ليس شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حدٌّ وصفة، فقولهم: لا حدَّ له أنَّهُ لا شيءَ، وقد قال الله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ}

قال: ومذهب علماء السلفِ: أن الله هو الأولُ القديم، وله حدٌّ لا يعلمه غيرُهُ، ولكن ليس لأحد أن يتوهم لحده غايةٌ في نفسه، ولكن عليهم أن يؤمنوا بذلك، ويَكِلُوا عِلْمَ ذلك إلى الله تعالى. .هـ

وقال أبو القاسم عبدُالرحمن ا بنِ مندهْ أنه : لا دين لمن لا يرى لله الحدَّ . ا.هـ

وقال الخلال: أخبرنا الحسن بن صالح العطار ثنا هارون بن يعقوب الهاشمي قال: سمعت أبي يقول عند أبي عبدالله، فسألناه عن قول ابن المبارك: «على العرش استوى بحدٍّ» قال–يعني: أحمد بن حنبل–: «لهذا شواهد من القران في خمس مواضع: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} ، {أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ} ، و {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ} .

"وقال الإمام أحمدُ {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ} {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} يعني أن هذه الآيات تدل على أن الله عز وجل استوى على عرشه بحدٍّ، وهو سبحانه وتعالى يعلم بِحَدِّهِ، **فمن زعم أن الله على العرش استوى على خلاف ما تقرَّرَ في قلوب العامَّةِ فقد كفر وارتد عن دين الإسلام ."**

فلا ينكر حقيقة الحد الذي أثبته أهل السنة إلا مبتدع بل كافر
قال حرب الكرماني –رحمه الله– في السنة : هذا مذهب أئمة العلم .. **فمن خالف شيئًا** من هذه المذاهب .. **فهو مبتدع** خارج من الجماعة ..

فكان من قولهم .. والله تبارك وتعالى على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، ولله عرش، وللعرش حملة يحملونه، ولــه حـدٌّ الله أعلم بحده . ا.هـ المراد

وقال الدارمي –رحمه الله– في النقض :
مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ حَدٌّ فَقَدْ رَدَّ الْقُرْآنَ، وَادَّعَى أَنَّهُ لَا شَيْءٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَدَّ مَكَانَهُ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ فَقَالَ: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}
{أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ} {يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ}
{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} فَهَذَا كُلُّهُ وَمَا أَشْبَهَهُ شَوَاهِدُ وَدَلَائِل على الحْد.
**وَمَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِهِ فَقَدْ كَفَرَ بِتَنْزِيلِ اللهِ وَجَحَدَ آيَاتِ اللهِ.**
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ" ، وَقَالَ لِلْأَمَةِ السَّوْدَاءِ: "أَيْنَ اللَّهُ؟ قَالَتْ: "فِي السَّمَاءِ فَقَالَ: أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" .
فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ لم تكن مُؤمنَة، وَأَنه لايجوز فِي الرَّقَبَة إِلَّا مَنْ يُحِدُّ اللَّهَ أَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُوله. ا.هـ المراد

وهكذا الأئمة كانوا ينكرون أشد النكير على من نفى الحد
حتى ذكر الهروي في ذم الكلام أنه سأل : يحيى بن عمار عن أبي حاتم بن حبان البستي؛ فقال له : رأيته ؟ قال [ كيف لم أره ونحن أخرجناه من سجستان؟!
كان له علم كثير، ولم يكن له كبير دين، قدم علينا، فأنكر الحد لله؛ فأخرجناه من سجستان ]

وابن حبان البستي مع توسعه في علم الحديث وكبير إطلاعه قام عليه أهل السنة وطردوه وهجروه لما ظهر منه نفي الحد ، وقد ذكر هذا في مقدمة كتابه الثقات فقال : الْحَمد لله الَّذِي لَيْسَ لَهُ حد مَحْدُود .ا.هـ

علماً بأن له في صحيحه تجهمات أخرى مثل قوله ( وَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا يَتَكَلَّمُ كَمَا شَاءَ بِلَا آلَةٍ، كَذَلِكَ يَنْزِلُ بِلَا آلَةٍ، وَلَا تَحَرُّكٍ، وَلَا انْتِقَالٍ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ )

وقوله بعد الحديث الإلهي : مرضت فلم تعدني ( ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ مِنْ هَذَا النَّوْعِ أُطْلِقَتْ بِأَلْفَاظِ التَّمْثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ، دُونَ الْحُكْمِ عَلَى ظَوَاهِرِهَا )

وقوله ( قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: » خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ «: إِبَانَةُ فَضْلِ آدَمَ عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ، وَالْهَاءُ رَاجِعَةٌ إِلَى آدَمَ )

وهذا هو قول الجهمية وقد سبق الكلام في هذا في ردي على ابن باديس .

وقوله عند الحديث الإلهي : إِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ( اللَّهُ أَجَلُّ وَأَعْلَى مِنْ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ خَرَجَتْ مِنْ أَلْفَاظِ التَّعَارُفِ عَلَى حَسَبِ مَا يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ مِمَّا بَيْنَهُمْ ..

وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ شِبْرٍ مِنَ الطَّاعَاتِ، كَانَ وُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ مِنَ الرَّبِّ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِذِرَاعٍ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى مَوْلَاهُ جَلَّ وَعَلَا بِقَدْرِ ذِرَاعٍ مِنَ الطَّاعَاتِ كَانَتِ الْمَغْفِرَةُ مِنْهُ لَهُ أَقْرَبَ بِبَاعٍ، وَمَنْ أَتَى فِي أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ بِالسُّرْعَةِ كَالْمَشْيِ، أَتَتْهُ أَنْوَاعُ الْوَسَائِلِ وَوُجُودُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِالسُّرْعَةِ كَالْهَرْوَلَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ. )

وقوله ( قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا كَأَنَّمَا يَضَعُهَا فِي يَدِ الرَّحْمَنِ» يُبَيِّنُ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ أُطْلِقَتْ بِأَلْفَاظِ التَّمْثِيلِ دُونَ وُجُودِ حَقَائِقِهَا، أَوِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهَا، إِذْ لَمْ يَتَهَيَّأْ مَعْرِفَةُ الْمُخَاطَبِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا بِالْأَلْفَاظِ الَّتِي أُطْلِقَتْ بِهَا )

وقوله عن حديث أبي هريرة الآنف الذكر ( أَرَادَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَضْعِهِ أُصْبُعَهُ عَلَى أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ تَعْرِيفَ النَّاسِ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَا يَسْمَعُ بِالْأُذُنِ الَّتِي لَهَا سِمَاخٌ وَالْتِوَاءٌ، وَلَا يُبْصِرُ بِالْعَيْنِ الَّتِي لَهَا أَشْفَارٌ وَحَدَقٌ وَبَيَاضٌ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يُشَبَّهَ بِخَلْقِهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، بَلْ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ بِلَا آلَةٍ كَيْفَ يَشَاء )

وقوله عند حديث يضع الرب جل وعلا قدمه في النار ( هَذَا الْخَبَرُ مِنَ الْأَخْبَارِ الَّتِي أُطْلِقَتْ بِتَمْثِيلِ الْمُجَاوَرَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُلْقَى فِي النَّارِ مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَمْكِنَةِ الَّتِي عُصِيَ اللَّهُ عَلَيْهَا، فَلَا تَزَالُ تَسْتَزِيدُ حَتَّى يَضَعَ الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا مَوْضِعًا مِنَ الْكُفَّارِ وَالْأَمْكِنَةِ فِي النَّارِ، فَتَمْتَلِئُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، تُرِيدُ: حَسْبِي حَسْبِي، لِأَنَّ الْعَرَبَ تُطْلِقُ فِي لُغَتِهَا اسْمَ الْقَدَمِ عَلَى الْمَوْضِعِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: {لَهُمْ قَدَمُ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} ، يُرِيدُ: مَوْضِعَ صِدْقٍ، لَا أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا يَضَعُ قَدَمَهُ فِي النَّارِ، جَلَّ رَبُّنَا وَتَعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذَا وَأَشْبَاهِهِ )

ولأجل هذه التحريفات الساقطة وغيرها عده ابن تيمية ضمن المتجهمة النفاة ، حيث قال في درء تعارض العقل والنقل [7–33] :

وأهل العلم بالحديث أخص الناس بمعرفة ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ) ومعرفة أقوال أصحابه والتابعين لهم بإحسان فإليهم المرجع في هذا الباب لا إلى أجنبي عن معرفته ليس له معرفة بذلك ولولا أنه قلد في الفقه لبعض الأئمة لكان في الشرع

مثل آحاد الجهال من العامة

فإن قيل : قلت إن أكثر أئمة النفاة من الجهمية والمعتزلة كانوا قليلي المعرفة بما جاء به الرسول وأقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين وما بلغوه عن الرسول , ففي النفاة كثير ممن له معرفة بذلك.

قيل : هؤلاء أنواع : نوع ليس لهم خبرة بالعقليات

بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قاطعة

وليس لهم قوة على الإستدلال بها

بل هم في الحقيقة مقلدون فيها وقد اعتقد أقوال أولئك

فجميع ما يسمعونه من القرآن والحديث وأقوال السلف لا يحملونه على ما يخالف ذلك

بل إما يظنوه موافقا لهم وإما أن يعرضوا عنه مفوضين لمعناه.

وهذه حال مثل أبي حاتم البستي وأبي سعد السمان المعتزلي ومثل أبي ذر الهروي وأبي بكر البيهقي والقاضي عياض وأبي الفرج الجوزي وأبي الحسن علي بن المفضل المقدسي وأمثالهم . ا.هـ المراد

وقد نطق البستي بكلمة الكفر !

الذي جعل بعض علماء عصره يكفرونه ويحكمون بزندقته

كما قال أبو إسماعيل الأنصاري في ذم الكلام : سمعت عبد الصمد بن محمد بن محمد بن صالح يقول: سمعت أبي يقول [ أنكروا على ابن حبان قوله (النبوة العلم والعمل) فحكموا عليه بالزندقة، وهجر، وكتب فيه إلى الخليفة؛ فكتب بقتله ]

وهذه الكلمة كان يقولها الفلاسفة الزنادقة ويريدون بها أن النبوة مكتسبة ينْتجُهَا العِلْمُ وَالعملُ، وهَذَا كفرٌ بين .

بل النبوة اصطفاء كما قال تعالى { اللهُ يَصْطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ } " والله أعلم حيث يجعل رسالته؛ فالنبي يختص بصفات ميزه الله بها على غيره، وفي عقله ودينه، واستعد بها لأن يخصه الله بفضله ورحمته".

فإن قيل أن مراد البستي من هذه الكلمة معنى آخر لا ما قصده الفلاسفة من إطلاقها فيقال إن السلف رحمهم الله كانوا إذا رأوا " من يتكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه إلى البدعة "
وقالوا [ إنما رد بدعة ببدعة ] فعلى كلا الأمرين لا يخلو المقام من وقوع في الابتداع .

الوجه الثاني : قوله عن حديث :حجابه النور ( الْمُرَادُ هُنَا الْمَانِعُ مِنْ رُؤْيَتِهِ وَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَانِعُ نُورًا أَوْ نَارًا لِأَنَّهُمَا يَمْنَعَانِ مِنَ الْإِدْرَاكِ فِي الْعَادَةِ لِشُعَاعِهِمَا ) وهذا تأويل باطل بل النص على ظاهره كما أجراه السلف والأئمة ، فللرب سبحانه حجاب وهو نور حقيقي ، وقد سبق نقل إجماعات السلف في إمرار النصوص على ظاهرها .

الوجه الثالث : قوله (حَقِيقَةُ الْحِجَابِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَجْسَامِ المحدودة والله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الْجِسْمِ) " يقال له هذا بعينه وارد في كل ما يضاف إلى الله عز وجل من أسمائه وصفاته فإن تلك الأسماء والصفات لا تعرف إلا للأجسام وصفات الأجسام " فيكون من التناقض إثبات بعض دون بعض كما هو حال الأشاعرة –مثلاً– في إثباتهم للصفات السبعة –والتي يزعم البعض أنهم وافقوا أهل السنة فيها (!) – ، وهؤلاء إنما أوتوا من قياسهم لما قاسوا المخلوق بالخالق .

ثم " أن الرؤية أيضا لا تعقل إلا لجسم ولا يعقل إثبات الرؤية إلا لجسم
فإثبات كون الرب مرئيّا ورائياً مع نفي الجسم ليس بأولى من إثبات كونه محجوباً ومحتجباً مع نفي الجسم "
والنووي زعم إثبات الرؤية " فإن كان الجمع بين هذا الإثبات والنفي حقّا هو حق في الموضعين وإن كان باطلاً في الموضعين
ومن قال إني أعقل الرؤية بغير جسم ولا أعقل الحجاب إلا لجسم
فهو جاحد لما يعلمه العقلاء بالاضطرار "
و " قد تقدم أنه ليس في العقل ولا في الشرع ما ينفي الجسم

وأن إطلاق القول بأن الله عز وجل ليس بجسم ولا جوهر بدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها بل ذلك أعظم ابتداعاً من القول بأنه جسم وجوهر وإذا كان هذا النفي بدعةً باطلةً لم يكن ذلك معارضاً لما ثبت بالكتاب والسنة وهذه الكلمة هي قول الجهمية المُعَطِلة لما جاء به الكتاب والسنة ولما عُلم بضرورة العقل والنظر المُعَطِلة في الحقيقة للرب المعبود ومعرفته وعبادته هي أساس الشر والردة والنفاق وإن كانت قد نفقت على طوائف من أهل الإيمان لم يعلموا ما قصدوا بها الذين "

الوجه الثالث : قوله ( الْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ ) هذا هو قول المعتزلة كما قال ابن الزاغوني –وليس هو بمرضي الحال– في الإيضاح في أصول الدين : ذهبت المعتزلة إلى أن المراد بالوجه الذات، فأما صفة زائدة على ذلك فلا . ا.هـ المراد

وعليه يكون الوجه مجازاً لا حقيقة ، والرد على هذا من وجوه :

الوجه الأول : أَنَّ الْمَجَازَ لَا يُمْتَنَعُ نَفْيُهُ، فَعَلَى هَذَا أَلَّا يَمْتَنِعَ أَنْ يُقَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ وَجْهٌ وَلَا حَقِيقَةَ لِوَجْهِهِ، وَهَذَا تَكْذِيبٌ صَرِيحٌ لِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَأَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثاني : أَنَّهُ خُرُوجٌ عَنِ الْأَصْلِ وَالظَّاهِرِ بِلَا مُوجِبٍ.

الوجه الثالث : أَنَّهُ لَا يُعْرَفُ فِي لُغَةٍ مِنْ لُغَاتِ الْأُمَمِ وَجْهُ الشَّيْءِ بِمَعْنَى ذَاتِهِ وَنَفْسِهِ، وَغَايَةُ مَا شَبَّهَ بِهِ الْمُعَطِّلُ وَجْهَ الرَّبِّ أَنْ قَالَ: هُوَ كَقَوْلِهِ: وَجْهُ الْحَائِطِ، وَوَجْهُ الثَّوْبِ، وَوَجْهُ النَّهَارِ، وَوَجْهُ الْأَمْرِ

(فَيُقَالُ) لِهَذَا الْمُعَطِّلِ الْمُشَبِّهِ: لَيْسَ الْوَجْهُ فِي ذَلِكَ بِمَعْنَى الذَّاتِ

بَلْ هَذَا مُبْطِلٌ لِقَوْلِكَ !

فَإِنَّ وَجْهَ الْحَائِطِ أَحَدُ جَانِبَيْهِ فَهُوَ مُقَابِلٌ لِدُبُرِهِ

وَكَمِثْلِ هَذَا وَجْهُ الْكَعْبَةِ وَدُبُرُهَا
فَهُوَ وَجْهٌ حَقِيقَةً وَلَكِنَّهُ بِحَسْبِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ
فَلَمَّا كَانَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ بِنَاءً كَانَ وَجْهُهُ مِنْ جِنْسِهِ
وَكَذَلِكَ وَجْهُ الثَّوْبِ أَحَدُ جَانِبَيْهِ وَهُوَ مِنْ جِنْسِهِ
وَكَذَلِكَ وَجْهُ النَّهَارِ أَوَّلُهُ
وَلَا يُقَالُ لِجَمِيعِ النَّهَارِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ [ وَجْهُ النَّهَارِ أَوَّلُهُ ] ..
وَالْوَجْهُ فِي اللُّغَةِ مُسْتَقْبِلُ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَا يُوَاجَهُ مِنْهُ
وَوَجْهُ الرَّأْيِ وَالْأَمْرِ مَا يَظْهَرُ أَنَّهُ صَوَابُهُ
وَهُوَ فِي كُلِّ مَحَلٍّ بِحَسْبِ مَا يُضَافُ إِلَيْهِ
فَإِنْ أُضِيفَ إِلَى زَمَنٍ كَانَ الْوَجْهُ زَمَنًا
وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى حَيَوَانٍ كَانَ بِحَسْبِهِ
وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى ثَوْبٍ أَوْ حَائِطٍ كَانَ بِحَسْبِهِ
وَإِنْ أُضِيفَ إِلَى مَنْ {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} كَانَ وَجْهُهُ تَعَالَى كَذَلِكَ.

الوجه الرابع : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ مَنِ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ فَأَعْطُوهُ ]
وَفِي السُّنَنِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةَ ]
فَكَانَ طَاوُسٌ يَكْرَهُ أَنْ يَسْأَلَ الْإِنْسَانُ بِوَجْهِ اللَّهِ
وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَرَفَعَ إِلَيْهِ حَاجَتَهُ ثُمَّ قَالَ: أَسْأَلُكَ بِوَجْهِ اللَّهِ، فَقَالَ عُمَرُ [ لَقَدْ سَأَلْتَ بِوَجْهِ اللَّهِ، فَلَمْ يَسْأَلْ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ ]
ثُمَّ قَالَ عُمَرُ [ وَيْحَكَ أَلَا سَأَلْتَ بِوَجْهِ اللَّهِ الْجَنَّةَ ...]
وَهَذِهِ الْآثَارُ صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ السُّؤَالَ بِوَجْهِهِ أَبْلَغُ وَأَعْظَمُ مِنَ السُّؤَالِ بِهِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ ]
**فَدَلَّ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِ مَنْ قَالَ هُوَ ذَاتُهُ.**

الوجه الخامس : مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ وَيُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ ]

فَإِضَافَةُ السُّبُحَاتِ الَّتِي هِيَ الْجَلَالُ وَالنُّورُ إِلَى الْوَجْهِ وَإِضَافَةُ الْبَصَرِ إِلَيْهِ تُبْطِلُ كُلَّ مَجَازٍ وَتُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ وَجْهُهُ.

الوجه السادس : مَا قَالَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ [ لَيْسَ عِنْدَ رَبِّكُمْ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ ]

وَهَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ وَأَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ] فَأَضَافَ النُّورَ إِلَى الْوَجْهِ

وَالْوَجْهَ إِلَى الذَّاتِ وَاسْتَعَاذَ بِنُورِ الْوَجْهِ الْكَرِيمِ

فَعُلِمَ أَنَّ نُورَهُ صِفَةٌ لَهُ كَمَا أَنَّ الْوَجْهَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ

الوجه السابع : أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ وَالْأَئِمَّةِ ، وَأَهْلِ الِاسْتِقَامَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى إثبات الوَجْهَ لرَبِّهِمْ سبحانه كما قال ابن خزيمة –رحمه الله–:

وَجَمِيع عُلَمَائِنَا .. يثبتون لله عَزَّ وَجَلَّ مَا أثبته اللَّه لنَفسِهِ من غير تَشْبِيه وَجه الْخَالِق بِوَجْه أحد من المخلوقين عز رَبنَاوجل عَن شبه المخلوقين وَجل عَن مقَالَة المعطلين ا.هـ

الوجه الثامن : فِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ [ أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ]

فَتَأَمَّلْ كَيْفَ قَرَنَ فِي الِاسْتِعَاذَةِ بَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالذَّاتِ

وَبَيْنَ اسْتِعَاذَتِهِ بِالْوَجْهِ الْكَرِيمِ وَهَذَا صَرِيحٌ فِي إِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ الذَّاتُ نَفْسُهَا ! .

وهذه الوجوه كلها –إلا السابع– منقولة من الصواعق لابن القيم بتصرف واختصار ، والله ولي التوفيق .

فصل

قال الشارح في شرحه [3–23] : قَوْلُهُ فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ قَالَ الْعُلَمَاءُ ضَحِكُ اللَّهِ تَعَالَى مِنْهُ هُوَ رِضَاهُ بِفِعْلِ عَبْدِهِ وَمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ وَإِظْهَارِ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِ وَإِيجَابِهَا عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ا.هـ

وقال في موضع آخر : قوله (قالوا مم تضحك يا رسول اللَّهِ قَالَ مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَدْ قَدَّمْنَا مَعْنَى الضَّحِكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ الرِّضَى وَالرَّحْمَةُ وَإِرَادَةُ الْخَيْرِ لِمَنْ يَشَاءُ رَحْمَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ا.هـ

وقال أيضاً : وَمَعْنَى يَتَجَلَّى يَضْحَكُ أَيْ يَظْهَرُ وَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ ا.هـ

هذا التفسير من التجهم والإلحاد في النصوص

كما قال أبوعمر محمد بن عبدالواحد –كما في الإبانة– : عن قول النبي ، صلى الله عليه وسلم [ ضحك ربنا من قنوط عباده ، وقرب غيره ]

فقال :[ الحديث معروف ، وروايته سنة ، والاعتراض بالطعن عليه بدعة ، وتفسير الضحك تكلف وإلحاد ]

أي بتفسير الجهمية كالذي ذكره الشارح

وليعلم أن هذا التأويل الذي نصره الشارح هو بعينه تأويل المريسي –الضال– الذي رد عليه وكفره الإمام الدارمي في النقض

وصفة الضحك ثابتة بالسنة والآثار ولا أعلم فيها نزاعاً بين السلف والأئمة .

ففي الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيُسْتَشْهَدُ ]

وثبت في حديث جابر : عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الورود قال : [ فيتجلى لهم ربهم عز وجل يضحك ]
قال جابر : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى تبدو لهواته

وأخرج ابن أبي عاصم بسند جيد عَنْ أَبِي رَزِينٍ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ ضَحِكَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ ]
قَالَ أَبُو رَزِينٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَضْحَكُ رَبُّنَا؟
قال: [ نعم ] قال: لن تعدم من رب يضحك خيرا.

وفي حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْدَفَهُ عَلَى دَابَّتِهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا وَحَمِدَ ثَلَاثًا، وَسَبَّحَ اللَّهَ ثَلَاثًا، وَهَلَّلَ وَاحِدَةً، ثُمَّ ضَحِكَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: [ مَا مِنَ امْرِئٍ يَرْكَبُ دَابَّةً، فَيَصْنَعُ كَمَا صَنَعْتُ، إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَضْحَكُ إِلَيْهِ كَمَا ضَحِكْتُ إِلَيْكَ ]

وأخرج ابن خزيمة في التوحيد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو –رضي الله عنهما– ، قَالَ [ يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى صَاحِبِ الْبَحْرِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، حِينَ يَرْكَبُهُ وَيَتَخَلَّى مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَحِينَ يَمِيدُ وَحِينَ يَرَى إِلَى إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ] وهو أثر ثابت

وفي الإبانة الكبرى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْهُذَيْلِ الْعَنَزِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: أَبَلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْجَبُ مِمَّنْ يَذْكُرُهُ ؟
فَقَالَ [ لَا، بَلْ يَضْحَكُ ]

وقد سأل المروذي الإمام أحمد عن أحاديث الضحك فقال : أفليس العلماء تلقته بالقبول؟ قَالَ: بلى

وعوداً على بدء في الرد على تأويل الشارح يقال في إبطاله وجوه :

الوجه الأول : يقال له " عمن رويت هذا التفسير من العلماء أن ضحك الرب رضاه ورحمته وإلا فأنت محرف قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم- بتأويل ضلال "

الوجه الثاني : " قَوْلُكَ: إِنَّ ضَحِكَهُ رِضَاهُ وَرَحْمَتُهُ، فَقَدْ صَدَقْتَ فِي بَعْضٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَضْحَكُ إِلَى أحد إِلَّا عَن رضى فَيَجْتَمِعُ مِنْهُ الضَّحِكُ وَالرِّضَا وَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا عَنْ عَدُوٍّ وَأَنْتَ تَنْفِي الضَّحِكَ عَنِ اللَّهِ، وَتُثْبِتُ لَهُ الرِّضَا وَحْدَهُ "

فهذا خروج عن الظاهر بلا معول

الوجه الثالث : " قَوْلُ أَبِي رَزِينٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسلم: أيضحك الرب؟ وَلَو كَانَ تَفْسِيرُ الضَّحِكِ الرِّضَى وَالرَّحْمَةُ وَالصَّفْحُ مِنَ الذُّنُوبِ فَقَطْ، كَانَ أَبُو رَزِينٍ فِي دَعْوَاكَ إِذًا جَاهِلًا أَنْ لَا يَعْلَمَ أَنَّ ربَّه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب، حَتَّى يَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيَرْحَمُ رَبُّنَا وَيَغْفِرُ وَيَصْفَحُ عَنِ الذُّنُوبِ؟ !!

بَلْ هُوَ كَافِر فِي دعواك، إِذا لم يعرف الله بالرضى وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَقَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَسَمِعَ مَا ذَكَرَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَصَفْحِهِ عَنِ الذُّنُوبِ، مَا كَانَ لَهُ فِيهِ مَنْدُوحَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَغْفِرُ رَبُّنَا وَيَرْحَمُ؟ إِنَّمَا سَأَلَهُ عَمَّا لَا يَعْلَمُ لَا عَمَّا عَلِمَ وَآمَنَ بِهِ قَبْلُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَوَجَدَ فِيهِ ذِكْرَهُ، وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ ذكر الضحك.

فَلَمَّا أَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ يَضْحَكُ قَالَ [ لَا نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْرًا ] ، وَلَوْ كَانَ عَلَى تَأْوِيلِكَ لَاسْتَحَالَ أَنْ يَقُولَ أَبُو رَزِينٍ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا

نَعْدَمُ مِنْ رَبٍّ يَرْحَمُ ويرضى ويغفر خيرًا، لِمَا أَنَّهُ قَدْ آمَنَ وَقَرَأَ قَبْلُ فِي كِتَابِهِ: {إِنّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ، فَـاعْقِـلْـهُ ، وَمَـا أَرَاكَ تَـعْـقِـلُـهُ . "

والعجيب أن الشارح يفسر الضحك بالرضا وهو لا يثبت أصلاً لله رضاً (!!)
وبهذا يتبين أيضاً بطلان قول ابن عبد البر لما قال في التمهيد : قوله ( ( يضحك الله إليه ) ) أي يتلقاه الله – عز و جل – بالرحمة والرضوان والعفو والغفران
ولفظ الضحك ها هنا مجازا لأن الضحك لا يكون من الله – عز و جل – على ما هو من البشر لأنه ليس كمثله شيء ولا تشبهه الأشياء . )
وهذا تاويل ساقط سبق بيان بطلانه .
ولابن عبدالبر مجازفات معلومة وبواطيل مسطورة كقوله عن تفسير مجاهد للمقام المحمود أنه : قول مهجور عند العلماء مرغوب عنه !!
والحق أن السلف قد أجمعوا على تلقي أثر مجاهد بالقبول
ومن أراد الاستزادة حوله فليراجع السنة للخلال رحمه الله

وقال في التمهيد أيضاً عن خبر الواحد : الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر .
ويأتي بيان ما في مخالفة –هذا الإطلاق– لقول أهل السنة كافة بإذن الله .
ويقول أيضاً بالتبرك بمواضع الصالحين وآثارهم !!
ونفى عن الله صفة المكر ! والكيد ! والاستهزاء ! والاستحياء !
وكذلك من انحرافاته قوله في ترجمة الوليد بن أبي عقبة –رضي الله عنه– : له أخبار فيها نكارة وشناعة تـقـطع عـلـى سـوء حـالـه وقـبـح أفـعـالـه، غفر الله لنا وله، فلقد كان من رجال قريش ظرفا وحلما وشجاعة وأدبا، وكان من الشعراء المطبوعين، وكان الأصمعي وأبو عبيدة وابن الكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد بن عقبة فاسقا شريب خمر، وكان شاعرا كريما تجاوز الله عنا وعنه

ثم قال : أخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زبيد الطائي مشهورة كثيرة، يسمح بنا ذكرها هنا !!!

فأين هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم [ إذا ذكر أصاحبي فامسكوا ] أخرجه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

وقوله –صلى الله عليه وسلم– [ دعوا لي أصحابي ]

أخرجه أحمد في المسند بسند صحيح من حديث أنس رضي الله عنه

وقوله –صلى الله عليه وسلم– [ الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا من بعدي ]

أخرجه الترمذي في جامعه من حديث عبدالله بن مغفل

وقال أبوعيسى : حديث حسن غريب .

وقال ابن عمر –رضي الله عنهما– [ لا تسبوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فإن مقام أحدهم خير من عمل أحدكم عمره كله ]

وقال العوام بن حوشب [ أذكروا محاسن أصحاب محمد صلى الله عيه وسلم تأتلف عليه قلوبكم ولا تذكروا غيره فتحرشوا الناس عليهم ]

وقال أيوب السختياني :

[ من قال الحسنى في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ]

وقال الميموني سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما لهم ولنا أسأل الله العافية

وقال لي : يا أبا الحسن إذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء فاتهمه على الإسلام

وقد أحسن ابن الصلاح –وليس هو بالمرضي– لما قال في صنيع ابن عبدالبر هذا أوغيره ونحوه : قد ألف الناس فيه كتبا كثيرة ، ومن أجلها وأكثرها فوائد كتاب " الاستيعاب " لابن عبد البر لولا ما شانه به من إيراده كثيرا مما شجر بين الصحابة وحكاياته عن الأخباريين لا المحدثين. وغالب على الأخباريين الإكثار والتخليط فيما يروونه."اهـ

ولأجل هذا وغيره قال ابن تيمية عنه في منهاج السنة النبوية [ 7–373 ] : لكن تشيعه، وتشيع أمثاله من أهل العلم بالحديث (!) ك ... وابن عبد البر، وأمثالهما لا يبلغ إلى تفضيله على أبي بكر وعمر. اهـ

وهذا التشيع –أي تشيع ابن عبدالبر– هلكة وضلالة ، كما أخرج حرب في السنة :
بسنده عن ابن جريح عن عطاء عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال :
[ كلام الشيعة هلكة ] .

وبسنده عن علي بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب قال :
[ من شتم أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – سلط الله عليه في قبره حيَّتان احدهن من قبل رأسه وأخرى من قبل رجليه تقرصانه حتى ينتهيا إلى وسطه، ثم يعاد ويعادان إلى يوم القيامة ] .

علماً بأن علمه بالحديث حجة عليه لا له ، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه :
[ وَيْلٌ لِمَنْ لا يَعْلَمُ وَلا يَعْمَلُ مَرَّةً وَوَيْلٌ لِمَنْ عَلِمَ وَلَمْ يَعْمَلْ ، سَبْعَ مَرَّاتٍ ]

و قالت أم الدرداء لرجل : [ هل عملت بما علمت ] ؟
قال : لا . قالت : [ فلم تستكثر من حجة الله عليك ؟ ] .

و قال الفضيل بن عياض –رحمه الله– :
[ يغفر للجاهل سبعون ذنباً ، قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد ]
وقال سري السقطي [ كلما ازددت علماً كانت الحجة عليك أوكد ]

وقال ابن سمعون الواعظ :
[ كل من لم ينظر بالعلم فيما لله عليه فالعلم حجة عليه ووبال ]

وقال سفيان بن عيينة –رحمه الله– [ العلم إن لم ينفعك ضرك ]
يعني أنه إن لم ينفع بأن يعمل به ضره بكونه حجة عليه .

ومن انتقص أحداً من الصحابة أو ذكر مساوئه فهو مبتدع
قال الإمام أحمد –رحمه الله– مبيناً أصول اعتقاد أهل السنة
والتي من خالف شيئاً منها لم يكن من أهلها قال : ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بغضه بحدث منه أو ذكر مساويه كان مبتدعاً حتى يترحم عليهم جميعاً ويكون قلبه لهم سليماً ا.هـ

وقال حرب الكرماني –رحمه الله– مبيناً إجماع السلف : لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب، ولا بنقص ولا وقيعة، فمن فعل ذلك فالواجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو بل يعاقبه ثم يستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة ثم خلده الحبس حتى يتوب ويراجع فهذا السنة في أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – ا.هـ

وقال ابن بطة –رحمه الله– في الإبانة الصغرى : ولا ينظر في كتاب صفين والجمل، ووقعة الدار، وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك، و لا ترويه عن أحد ولا تقرأه على غيرك، ولا تسمعه ممن يرويه فعلى ذلك اتفق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه منهم: حماد بن زيد، ويونس بن عبيد، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن إدريس، ومالك بن أنس، وابن أبي ذئب، وابن المنكدر، وابن المبارك، وشعيب بن حرب، وأبو إسحاق الفزاري، ويوسف بن أسباط، وأحمد بن حنبل، وبشر بن الحارث، وعبد الوهاب الوراق .
كل هؤلاء قد رأوا النهي عنها، والنظر فيها، والاستماع إليها، وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها، وقد روي عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة متفقة المعاني على كراهية ذلك، والإنكار على من رواها، واستمع إليه. ا.هـ

وقد صدق الفوزان لما قال عمن يذكر مساوئ الصحابة أنه : شقي ومجرم ... هذا فيه نفاق لا يبغض الصحابة ويتلمس عيوب الصحابة إلا منافق أو شيعي أو خارجي .. ولا يجوز تنقص الصحابة والبحث عن عيوبهم .. ا.هـ المراد

والمقصود هنا أن يعلم أن صفة الضحك صفة ثابتة لا ينكرها الا مبتدع مخالف حقه الهجر والذم ، كما قال ابن بطة في الإبانة الكبرى : كان مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، رواه أهل العدالة ، ومن يلزم المؤمنين قبول روايته وترك مخالفته : أن الله تعالى يضحك فلا ينكر ذلك ، ولا يجحده إلا مبتدع مذموم الحال عند العلماء ، داخل في الفرق المذمومة وأهل المذاهب المهجورة ، عصمنا الله وإياكم من كل بدعة وضلالة برحمته .ا.هـ

فصل

قال الشارح [6–39] : قَوْلُهُ [ثُمَّ يَبْسُطُ يديه سبحانه وَتَعَالَى] هُوَ إِشَارَةٌ إِلَى نَشْرِ رَحْمَتِهِ وَكَثْرَةِ عَطَائِهِ وَإِجَابَتِهِ وَإِسْبَاغِ نِعْمَتِهِ ا.هـ

وقال : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا) .. أَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ

فَهُوَ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ

وَقَدْ سَبَقَ فِي أَوَّلِ هَذَا الشَّرْحِ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا

وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ نُؤْمِنُ بِهَا وَلَا نَتَكَلَّمُ فِي تَأْوِيلِهِ وَلَا نَعْرِفُ مَعْنَاهُ لَكِنْ نَعْتَقِدُ أَنَّ ظَاهِرَهَا غَيْرُ مُرَادٍ وَأَنَّ لَهَا مَعْنًى يَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى

وَهَذَا مَذْهَبُ جَمَاهِيرِ السلف وطوائف من المتكلمين

والثاني أنها تؤول عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَا وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ

وَعَلَى هَذَا قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُرَادُ بِكَوْنِهِمْ عَنِ الْيَمِينِ الْحَالَةُ الحسنة والمنزلة الرفيعة ..

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ فَتَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالْيَمِينِ جَارِحَةً تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهَا مُسْتَحِيلَةٌ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ا.هـ

وقال : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيده ..) ..

قَالَ الْقَاضِي واليد هنا بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ وَالْمُلْكِ

وقال : قال العلماء .. وَأَمَّا إِطْلَاقُ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ تَعَالَى فَمُتَأَوَّلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ وَكَنَّى عَنْ ذَلِكَ بِالْيَدَيْنِ لِأَنَّ أَفْعَالِنَا تَقَعُ بِالْيَدَيْنِ فَخُوطِبْنَا بِمَا نَفْهَمُهُ لِيَكُونَ أَوْضَحَ وَأَوْكَدَ فِي النُّفُوسِ .. ا.هـ

وخلاصة هذا الكلام أن الشارح حمل بسط اليدين على المجاز

وجعله بمعنى الإعطاء ونشر الرحمة !

ثم نقل –في موضع آخر– قول إمامه المازري –وأقره– والذي فيه نفي الشمال عن الله بزعم أنها تتضمن التحديد والتجسيم !

ثم زعم –المازري– وجهاً آخر وهو تفسير اليد بالقدرة !

ثم حرف –أي المازري– حديث الكف بزعم أن ظاهره إثبات الجارحة وذلك مستحيل!

ثم نقل في موضع آخر عن عياض –وأقره– على أن المراد من ذكر الكف الاستعارة عن القبول والرضا !

أو أن المراد بذلك كف ملك !

والرد على هذه البواطيل من وجوه :

الوجه الأول : أَنَّ الْأَصْلَ الْحَقِيقَةُ فَدَعْوَى الْمَجَازِ مُخَالَفَةٌ لِلْأَصْلِ

الوجه الثاني : أَنَّ اطِّرَادَ لَفْظِهَا فِي مَوَارِدِ الِاسْتِعْمَالِ وَتَنَوُّعَ ذَلِكَ وَتَصْرِيفَ اسْتِعْمَالِهِ يَمْنَعُ الْمَجَازَ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}

وَقَوْلِهِ: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}

وَقَوْلِهِ: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

فَلَوْ كَانَ مَجَازًا فِي الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ لَمْ يُسْتَعْمَلْ مِنْهُ لَفْظُ يَمِينٍ، وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ [الْمُقْسِطُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ] فَلَا يُقَالُ هَذَا يَدُ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ

وَقَوْلِهِ: [ يَقْبِضُ اللَّهُ سَمَاوَاتِهِ بِيَدِهِ وَالْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ ] ، فَهُنَا هَزٌّ وَقَبْضٌ وَذِكْرُ يَدَيْنِ، وَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ وَيَبْسُطُهَا تَحْقِيقًا لِلصِّفَةِ لَا تَشْبِيهًا لَهَا كَمَا قَرَأَ: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ تَحْقِيقًا لِصِفَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَأَنَّهُمَا حَقِيقَةٌ لَا مَجَازًا، وَقَوْلِهِ: [ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ قَبَضَ بِيَدَيْهِ قَبْضَتَيْنِ وَقَالَ: اخْتَرْ، فَقَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، فَفَتَحَهَا فَإِذَا فِيهَا أَهْلُ الْيَمِينِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ ]

وَأَضْعَافُ أَضْعَافِ ذَلِكَ مِنَ النُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ فِي ثُبُوتِ الصِّفَةِ، كَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ [ إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا ]

وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ [ مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، تَقَبَّلَهَا بِيَمِينِهِ ]

وَقَوْلِهِ [ وَمَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ ] ، وَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي رَزِينٍ [ فَيَأْخُذُ رَبُّكَ غُرْفَةً مِنَ الْمَاءِ فَيَنْضَحُ بِهَا قِبَلَكُمْ فَلَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ ] يَعْنِي فِي الْمَوْقِفِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِ مَجَازًا لَا حَقِيقَةً، وَلَيْسَ مَعَهُ قَرِينَةٌ وَاحِدَةٌ تُبْطِلُ الْحَقِيقَةَ وَتُبَيِّنُ الْمَجَازَ.

الوجه الثالث : أَنَّ اقْتِرَانَ لَفْظِ الطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْإِمْسَاكِ بِالْيَدِ يَصِيرُ الْمَجْمُوعُ حَقِيقَةً، هَذَا فِي الْفِعْلِ، وَهَذَا فِي الصِّفَةِ، بِخِلَافِ الْيَدِ الْمَجَازِيَّةِ، فَإِنَّهَا إِذَا أُرِيدَتْ لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْيَدِ حَقِيقَةً، بَلْ مَا يَدُلُّ عَلَى الْمَجَازِ كَقَوْلِهِ: «لَهُ عِنْدِي يَدٌ، وَأَنَا قُمْتُ يَدَهُمْ»

وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَأَمَّا إِذَا قِيلَ: قَبَضَ بِيَدِهِ وَأَمْسَكَ بِيَدِهِ أَوْ قَبَضَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ كَذَا وَبِالْأُخْرَى كَذَا، وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِهِ، أَوْ كَتَبَ كَذَا وَعَمِلَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِيَدَيْهِ، فَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا أُتِيَ هَؤُلَاءِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُمْ رَأَوُا الْيَدَ تُطْلَقُ عَلَى النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ،

فَظَنُّوا أَنَّ كُلَّ تَرْكِيبٍ وَسِيَاقٍ صَالِحٌ لِذَلِكَ، فَوَهِمُوا وَأَوْهَمُوا، فَهَبْ أَنَّ هَذَا يَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: «لَوْلَا يَدٌ لَكَ لَمْ أَجْزِكَ بِهَا» ، أَفَيَصْلُحُ فِي قَوْلِهِ: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ}

وَفِي قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَر [ وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُبَاشِرْ بِيَدِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا: خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَغَرَسَ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَاةَ بِيَدِهِ ]

أَفَيَصِحُّ فِي عَقْلٍ أَوْ نَقْلٍ أَوْ فِطْرَةٍ أَنْ يُقَالَ: لَمْ يَخْلُقْ بِقُدْرَتِهِ أَوْ بِنِعْمَتِهِ إِلَّا ثَلَاثًا.

الوجه الرابع : أَنَّ مِثْلَ هَذَا الْمَجَازِ لَا يُسْتَعْمَلُ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ إِلَّا مُفْرَدًا أَوْ مَجْمُوعًا كَقَوْلِكَ: لَهُ عِنْدِي يَدٌ يَجْزِيهِ اللَّهُ بِهَا وَلَهُ عِنْدِي أَيَادٍ، وَأَمَّا إِذَا جَاءَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يُعْرَفِ اسْتِعْمَالُهُ قَطُّ إِلَّا فِي الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَهَذِهِ مَوَارِدُ الِاسْتِعْمَالِ أَكْبَرُ شَاهِدٍ فَعَلَيْكَ بِتَتَبُّعِهَا.

الوجه الخامس : أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْهُودِ أَنْ يُطْلِقَ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ مَعْنَى الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ بَلْ بِلَفْظِ الْإِفْرَادِ الشَّامِلِ لِجَمِيعِ الْحَقِيقَةِ، كَقَوْلِهِ {أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}

وَكَقَوْلِهِ: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}

وَقَدْ يَجْمَعُ النِّعَمَ كَقَوْلِهِ: {وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً}

وَأَمَّا أَنْ يَقُولَ: خَلَقْتُكَ بِقُدْرَتَيْنِ أَوْ بِنِعْمَتَيْنِ، فَهَذَا لَمْ يَقَعْ فِي كَلَامِهِ وَلَا كَلَامِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه السادس : أَنَّهُ لَوْ ثَبَتَ اسْتِعْمَالُ ذَلِكَ بِلَفْظِ التَّثْنِيَةِ لَمْ يَجُزْ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا الْقُدْرَةُ، فَإِنَّهُ يُبْطِلُ فَائِدَةَ تَخْصِيصِ آدَمَ، فَإِنَّهُ وَجَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى إِبْلِيسُ مَخْلُوقٌ بِقُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَأَيُّ مَزِيَّةٍ لِآدَمَ عَلَى إِبْلِيسَ فِي قَوْلِهِ: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}

الوجه السابع : أَنَّ نَفسَ هَذَا التَّرْكِيبِ الْمَذْكُورِ فِي قَوْلِهِ: {خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} يَأْبَى حَمْلَ الْكَلَامِ عَلَى الْقُدْرَةِ لِأَنَّهُ نَسَبَ الْخَلْقَ إِلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ عَدَّى الْفِعْلَ إِلَى الْيَدِ ثُمَّ ثَنَّاهَا ثُمَّ أَدْخَلَ عَلَيْهَا الْبَاءَ الَّتِي تَدْخُلُ عَلَى قَوْلِهِ: كَتَبْتُ بِالْقَلَمِ، وَمِثْلُ هَذَا النَّصِّ صَرِيحٌ لَا يَحْتَمِلُ الْمَجَازَ بِوَجْهٍ، بِخِلَافِ مَا لَوْ قَالَ: عَمِلْتُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} {بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ} فَإِنْ نُسِبَ الْفِعْلُ إِلَى الْيَدِ ابْتِدَاءً، وَخَصَّهَا بِالذِّكْرِ لِأَنَّهَا آلَةُ الْفِعْلِ فِي الْغَالِبِ، وَلِهَذَا لَمَّا لَمْ يَكُنْ خَلْقُ الْأَنْعَامِ مُسَاوِيًا لِخَلْقِ أَبِي الْأَنَامِ قَالَ تَعَالَى: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} فَأَضَافَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَيْدِي وَجَمَعَهَا وَلَمْ يُدْخِلْ عَلَيْهَا الْبَاءَ، فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ فُرُوقٍ تُبْطِلُ إِلْحَاقَ أَحَدِ الْمَوْضِعَيْنِ بِالْآخَرِ، وَيَتَضَمَّنُ التَّسْوِيَةُ بَيْنَهُمَا عَدَمَ مَزِيَّةِ أَبِينَا آدَمَ عَلَى الْأَنْعَامِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِ الْعُقُوقِ لِلْأَبِ، إِذْ سَاوَى الْمُعَطِّلُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْلِيسَ وَالْأَنْعَامِ فِي الْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ.

الوجه الثامن : أَنَّ يَدَ النِّعْمَةِ وَالْقُدْرَةِ لَا يَتَجَاوَزُ بِهَا لَفْظُ الْيَدِ فَلَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا بِمَا يَتَصَرَّفُ فِي الْيَدِ الْحَقِيقِيَّةِ، فَلَا يُقَالُ: كَفٌّ لَا لِلنِّعْمَةِ وَلَا لِلْقُدْرَةِ، وَلَا إِصْبَعٌ وَإِصْبَعَانِ وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَهَذَا كُلُّهُ يَنْفِي أَنْ يَكُونَ الْيَدُ نِعْمَةً أَوْ يَدَ قُدْرَةٍ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ [ يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يُغِيضُهَا نَفَقَةٌ ]
وَقَالَ [ الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ]
وَفِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ [ فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ غَيْرِي ]
وَإِذَا ضَمَمْتَ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}
إِلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمَاوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ] وَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ يَدَهُ وَيَبْسُطُهَا» .
وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ يُحْكَى عَنْ رَبِّهِ بِهَذَا اللَّفْظِ
وَقَالَ [ مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِنْ شَاءَ يُقِيمُهُ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ ]
وَلَفْظَةُ " بَيْنَ " لَا تَقْتَضِي الْمُخَالَطَةَ وَلَا الْمُمَاسَّةَ وَالْمُلَاصَقَةَ لُغَةً وَلَا عَقْلًا وَلَا عُرْفًا، قَالَ تَعَالَى: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ}

وَهُوَ لَا يُلَاصِقُ السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ [ وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفٍ ]

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: زِدْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ [ وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي ]

فَقَالَ عُمَرُ، حَسْبُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ، دَعْنِي يَا عُمَرُ، وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يُدْخِلَنَا الْجَنَّةَ كُلَّنَا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَدْخَلَ خَلْقَهُ الْجَنَّةَ بِكَفٍّ وَاحِدَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ صَدَقَ عُمَرُ ]

**فَصَدَّقَهُ فِي إِثْبَاتِ الْكَفِّ لِلَّهِ وَسَعَتِهَا وَعَظَمَتِهَا.**

فَهَذَا الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ وَالطَّيُّ وَالْيَمِينُ وَالْأَخْذُ وَالْوُقُوفُ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَالْكَفُّ وَتَقْلِيبُ الْقُلُوبِ بِأَصَابِعِهِ وَوَضْعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْجِبَالِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَذَكَرَ إِحْدَى الْيَدَيْنِ، ثُمَّ قَوْلُهُ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى مُمْتَنِعٌ فِيهِ الْيَدُ الْمَجَازِيَّةُ سَوَاءٌ كَانَتْ بِمَعْنَى الْقُدْرَةِ أَوْ بِمَعْنَى النِّعْمَةِ، فَإِنَّهَا لَا يُتَصَرَّفُ فِيهَا هَذَا التَّصَرُّفُ، هَذِهِ لُغَةُ الْعَرَبِ، نَظْمُهُمْ وَنَثْرُهُمْ، هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا ذَلِكَ أَصْلًا.

الوجه التاسع : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْكَرَ عَلَى الْيَهُودِ نِسْبَةَ يَدِهِ إِلَى النَّقْصِ وَالْعَيْبِ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ إِثْبَاتَ الْيَدِ لَهُ تَعَالَى فَقَالَ: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}

فَلَعَنَهُمْ عَلَى وَصْفِ يَدِهِ بِالْعَيْبِ دُونَ إِثْبَاتِ يَدِهِ وَقَدْرُ إِثْبَاتِهَا بِهِ زِيَادَةٌ عَلَى مَا قَالُوهُ بِأَنَّهُمَا يَدَانِ مَبْسُوطَتَانِ، وَبِهَذَا يُعْلَمُ تَلْبِيسُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ عَلَى أَشْبَاهِ الْأَنْعَامِ حَيْثُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْيَهُودَ عَلَى إِثْبَاتِ الْيَدِ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّهُمْ مُشَبِّهَةٌ وَهُمْ أَئِمَّةُ الْمُشَبِّهَةِ، فَتَأَمَّلْ هَذَا الْكَذِبَ مِنْ هَذَا الْقَائِلِ وَالتَّلْبِيسَ، وَأَنَّ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ بِخِلَافِ قَوْلِهِ.

الوجه العاشر : أَنَّ يَدَ الْقُدْرَةِ لَا يُعْرَفُ فِي الِاسْتِعْمَالِ أَنْ يُقَالَ فِيهَا: يَدُ فُلَانٍ كَذَا هَكَذَا، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَ هَذَا بِيَمِينِهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَهُ بِيَدَيْهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُقَالَ: فَعَلَهُ بِيَمِينِهِ، وَإِنَّمَا الْمُسْتَعْمَلُ فِي يَدِ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ أَنْ تَكُونَ مُجَرَّدَةً عَنِ الْإِضَافَةِ

وَعَنِ التَّثْنِيَةِ وَعَنْ نِسْبَةِ الْفِعْلِ إِلَيْهَا، فَيُقَالُ: لِفُلَانٍ عِنْدِي يَدٌ، وَلَوْلَا يَدٌ لَهُ عِنْدِي، وَلَا يَكَادُونَ يَقُولُونَ يَدُهُ أَوْ يَدَاهُ عِنْدِي، وَلَهُ عِنْدِي يَدُهُ وَيَدَاهُ

الوجه الحادي عشر : أَنَّ يَدَ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ لَا يُعْرَفُ اسْتِعْمَالُهَا الْبَتَّةَ إِلَّا فِي حَقِّ مَنْ لَهُ يَدٌ حَقِيقَةً، فَهَذِهِ مَوَارِدُ اسْتِعْمَالِهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا مُطَّرِدَةً فِي ذَلِكَ، فَلَا يَعْرِفُ الْعَرَبِيُّ خِلَافَ ذَلِكَ، فَالْيَدُ الْمُضَافَةُ إِلَى الْحَيِّ إِمَّا أَنْ تَكُونَ يَدًا حَقِيقَةً أَوْ مُسْتَلْزِمَةً لِلْحَقِيقَةِ، وَإِمَّا أَنْ تُضَافَ إِلَى مَنْ لَيْسَ لَهُ يَدٌ حَقِيقَةً، وَهُوَ حَيٌّ مُتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْأَحْيَاءِ فَهَذَا لَا يُعْرَفُ الْبَتَّةَ.

وَسِرُّ هَذَا أَنَّ الْأَعْمَالَ وَالْأَخْذَ وَالْعَطَاءَ وَالتَّصَرُّفَ لَمَّا كَانَ بِالْيَدِ وَهِيَ الَّتِي تُبَاشِرُهُ عَبَّرُوا بِهَا عَنِ الْغَايَةِ الْحَاصِلَةِ بِهَا، وَهَذَا يَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ أَصْلِ الْيَدِ حَتَّى يَصِحَّ اسْتِعْمَالُهَا فِي مُجَرَّدِ الْقُوَّةِ وَالنِّعْمَةِ وَالْإِعْطَاءِ، فَإِذَا انْتَفَتْ حَقِيقَةُ الْيَدِ امْتَنَعَ اسْتِعْمَالُهَا فِيهَا فِيمَا يَكُونُ بِالْيَدِ فَثُبُوتُ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ الْمَجَازِيِّ مِنْ أَدَلِّ الْأَشْيَاءِ عَلَى ثُبُوتِ الْحَقِيقَةِ

الوجه الثاني عشر : أَنَّ إِبْطَالَ حَقِيقَةِ الْيَدِ وَنَفْيَهَا وَجَعْلَهَا مَجَازًا هُوَ فِي الْأَصْلِ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطِّلَةِ وَتَبِعَهُمْ عَلَيْهِ الْمُعْتَزِلَةُ وَبَعْضُ الْمُسْتَأْخِرِينَ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى الْأَشْعَرِيِّ، وَالْأَشْعَرِيُّ وَقُدَمَاءُ أَصْحَابِهِ يَرُدُّونَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَيُبَدِّعُونَهُمْ وَيُثْبِتُونَ الْيَدَ حَقِيقَةً

الوجه الثالث عشر : وَرَدَ لَفْظُ الْيَدِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ مَوْضِعٍ

وُرُودًا مُتَنَوِّعًا مُتَصَرَّفًا فِيهِ مَقْرُونًا بِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا يَدٌ حَقِيقَةً مِنَ الْإِمْسَاكِ وَالطَّيِّ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالْحَثَيَاتِ وَالنَّضْحِ بِالْيَدِ، وَالْخَلْقِ بِالْيَدَيْنِ وَالْمُبَاشَرَةِ بِهِمَا وَكَتْبِ التَّوْرَاةِ بِيَدِهِ وَغَرْسِ جَنَّةِ عَدْنٍ بِيَدِهِ وَتَخْمِيرِ طِينَةِ آدَمَ بِيَدِهِ وَوُقُوفِ الْعَبْدِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَكَوْنِ الْمُقْسِطِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَقِيَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِهِ، وَتَخْيِيرِ آدَمَ بَيْنَ مَا فِي يَدَيْهِ، فَقَالَ [ اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي ]

وَأَخْذِ الصَّدَقَةِ بِيَمِينِهِ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا

وَكِتَابِهِ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّ رَحْمَتَهُ تَغْلِبُ غَضَبَهُ

وَأَنَّهُ مَسَحَ ظَهْرَ آدَمَ بِيَدِهِ

ثُمَّ قَالَ لَهُ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ [ اخْتَرْ، فَقَالَ اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ]

وَأَنَّ يَمِينَهُ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْقِسْطُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ وَأَنَّهُ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ

وَأَنَّهُ يَطْوِي السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَ بِالْيَدِ الْأُخْرَى

وَأَنَّهُ خَطَّ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَتَبَهَا لِمُوسَى بِيَدِهِ.

وَذَكَرَ عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ [ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَالَتْ: يَا رَبِّ قَدْ أَعْطَيْتَ بَنِي آدَمَ الدُّنْيَا يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَيَلْبَسُونَ، فَاجْعَلْ لَنَا الْآخِرَةَ كَمَا جَعَلْتَ لَهُمُ الدُّنْيَا؟ فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَأَعَادُوا ذَلِكَ، فَقَالَ: لَا أَفْعَلُ، فَأَعَادُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَالَ: " وَعِزَّتِي لَا أَجْعَلُ ذُرِّيَّةَ مَنْ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ كَمَنْ قُلْتُ لَهُ كُنْ فَكَانَ ]

وَرَوَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا.

وَقَوْلُهُ [ الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، فَيَدُ اللَّهِ الْعُلْيَا وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، وَيَدُ السَّائِلِ السُّفْلَى ]

فَهَلْ يَصِحُّ فِي عَقْلٍ أَوْ لُغَةٍ أَوْ عُرْفٍ أَنْ يُقَالَ: قُدْرَةُ اللَّهِ أَوْ نِعْمَتُهُ الْعُلْيَا وَيَدُ الْمُعْطِي الَّتِي تَلِيهَا، فَهَلْ يَحْتَمِلُ هَذَا التَّرْكِيبُ غَيْرَ يَدِ الذَّاتِ بِوَجْهٍ مَا؟ وَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِهِ غَيْرُ ذَلِكَ؟

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ [ الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا هِيَ الْمُنْفِقَةُ، وَالْيَدُ السُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ ]

فَضَمُّ هَذَا إِلَى قَوْلِهِ: الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ، فَيَدُ اللَّهِ الْعُلْيَا، وَيَدُ الْمُعْطِي هِيَ الَّتِي تَلِيهَا، وَإِلَى قَوْلِهِ {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} تَقْطَعُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّ الْمُرَادَ يَدُ الذَّاتِ لَا يَدُ الْقُدْرَةِ وَالنِّعْمَةِ، فَإِنَّ التَّرْكِيبَ وَالْقَصْدَ وَالسِّيَاقَ لَا يَحْتَمِلُهُ الْبَتَّةَ. ا.هـ المراد

الوجه الرابع عشر : أن جميع السلف وأهل السنة والحديث والأئمة قد إتفقوا على إثبات اليدين لله تعالى بخلاف تأويلات الأشعرية وأهل الكلام

أخرج الدارمي في نقضه بسند جيد عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: قَوْلُهُ {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} قَالَ: [ يَعْنِي الْيَدَيْنِ ]

وبسند صحيح عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ الْجُمَحِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ ابْنَ أَبِي مُلَيْكَةَ ، عَنْ يَدِ اللَّهِ أَوَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ قَالَ [ بل اثْنَتَانِ ]

وبسند صحيح أيضاً عَنْ عَاصِمٍ الْجَحْدَرِيِّ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} قَالَ [ بِيَدَيْهِ ]

قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد :

أهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين .ا.هـ

وقال الصابوني في اعتقاد أهل الحديث عن أهل السنة :

ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين أو القوتين تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله . ا.هـ

وكل هذه الوجوه –إلا الوجه الأخير– مستفادة من الصواعق لابن القيم بتصرف واختصار ، وأما الكلام على الجسم والحد فقد مضى بيانه ، وبقي ما يتعلق بنفي الجارحة ونفي الشمال لله جل وعلا .

أما الجارحة فلفظ مجمل لا يطلق نفيه ولا إثباته ، بل يقال لو أراد النافي ليد الجارحة نفي التمثيل فهذا المعنى حق

وإن أراد نفي حقيقة اليد كما هو ظاهر حال الجهمية ومن شابههم في ذلك فهذا باطل سبق بيان بطلانه .

وأما الزعم بأن إثبات الشمال يلزم منه التجسيم فهو من جنس لوازم الجهمية المعهودة منهم لنفي حقيقة الصفات وسبق البحث في هذا.

**وهنا فائدة :**

اعلم أنه قد اختلف علماء السنة في القول بإثبات الشمال لله تعالى ، وهو راجع إلى توفيقهم بين الأحاديث الواردة في الباب ، فقد جاء في الصحيحين أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَقَالَ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ وَقَالَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ ]

وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً [ إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا ]

وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث ابْنُ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ].

فاختلف أهل العلم في التوفيق بين هذه الأحاديث :

فذهب بعض أهل العلم إلى أن لله يدين وكلتا يديه سبحانه يمين ليس فيهما شمال وضعفوا تلك الرواية التي جاءت بلفظ الشمال من حديث ابن عمر لأنه قد تفرد بها عمر بن حمزة وقد ضعفه ابن معين و النسائى ، و قال أحمد بن حنبل : أحاديثه مناكير وممن ذهب إلى هذا من العلماء المتقدمين ابن خزيمة وغيره من أهل العلم .

وقال بعض العلماء بإثبات الشمال لورودها في الحديث الآنف
وحديث أبي الدرداء [ خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليَمِين فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحُمم ، فقال للتي في يَمِينه : إلى الجنة ولا أبالي ، وقال للتي في يساره : إلى النار ولا أبالي ]

ولثبوت هذا عن سلمان –رضي الله عنه– حيث قال [ خمر الله طينة آدم أربعين ليلة ثم جمعه بيده ، وأشار حماد بيده ، فخر طيبه بيمينه وخبيثه بشماله ]
ولا أعلم له مخالفاً من الصحابة
وهو قول الإمام الدارمي ومال إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب
وهو قول غير واحد من المعاصرين : كابن باز والفوزان وغيرهما
وهو الأرجح إن شاء الله .

قال الدارمي في النقض ص 155 :
وأعجب من هذا قول الثلجي الجاهل فيما ادعى تأويل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يَمِين الرحمن وكلتا يديه يَمِين)) ، فادعى الثلجي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تأول كلتا يديه يَمِين ؛ أنه خرج من تأويل الغلوليين أنها يَمِين الأيدي ، وخرج من معنى اليدين إلى النعم ؛ يعني بالغلوليين : أهل السنة ؛ يعني أنه لا يكون لأحد يَمِينان ، فلا يوصف أحد بيَمِينين ، ولكن يَمِين وشمال بزعمه
قال أبو سعيد : ويلك أيها المعارض! إنما عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد أطلق على التي في مقابلة اليَمِين الشِّمال ، ولكن تأويله : ((وكلتا يديه يَمِين)) ؛ أي : مُنَزَّه على النقص والضعف ؛ كما في أيدينا الشِّمال من النقص وعدم البطش ، فقال : ((كِلتا يدي الرحمن يَمِين)) ؛ إجلالاً لله ، وتعظيماً أن يوصف بالشِّمال ، وقد وصفت يداه بالشِّمال واليسار ، وكذلك لو لم يجز إطلاق الشِّمال واليسار ؛ لما أطلق رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يجز أن يُقال : كلتا يدي الرحمن يَمِين ؛ لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا قد جوزه الناس في الخلق ؛ فكيف لا يجوز ابن الثلجي في يدي الله أنهما جميعاً يَمِينان ، وقد سُمِّي من الناس ذا الشِّمالين ، فجاز نفي دعوى ابن الثلجي أيضاً ، ويخرج ذو الشِّمالين من معنى أصحاب الأيدي.

وقال أبو يعلى في إبطال التأويلات ص 176 بعد أن ذكر حديث أبي الدرداء :
واعلم أنَّ هذا الخبر يفيد جواز إطلاق القبضة عليه ، واليَمِين واليسار والمسح ، وذلك غير ممتنع ؛ لما بيَّنا فيما قبل من أنَّهُ لا يحيل صفاته ؛ فهو بمثابة اليدين والوَجْه وغيرهما

وقال محمد بن عبد الوهاب في آخر باب من (كتاب التوحيد) في المسألة السادسة :
التصريح بتسميتها الشِّمال
يعني : حديث ابن عمر رضي الله عنه عند مسلم.

و"قال غير واحد من العلماء : لما كانت صفات المخلوقين متضمنة للنقص فكانت يسار أحدهم ناقصة في القوة ناقصة في الفعل ، بحيث تفعل بمياسرها كل ما يُذمّ ، كما يباشر بيده اليسرى النجاسات والأقذار – بَيَّنَ النبي صلى الله عليه و سلم أن كلتا يمين الربّ مباركة ليس فيها نقص ولا عيب بِوَجْهٍ من الوجوه كما في صفات المخلوقين " فهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام [يَمِين الرحمن وكلتا يديه يَمِين] والله أعلم

وبهذا يتبين مجازفة أبو بكر لعويسي لما نقل–وأقر– قول شيخه الآثيوبي بعد أن ذكر كلام ابن خزيمة في عدم إثبات الشمال وقال :
ولا نعلم أحدا من السلف يقول بخلاف ذلك (!!!)
وفي الرسالة هذه على قلة حجمها أغلاط عديدة وصاحبها أقل من أن يؤبه له وغيره أولى ببيان حاله ، والله الموفق .

فصل

قال الشارح [3–4] : وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِي قوله تعالى ثم دنا فتدلى ..

وذكر عن ابن عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُ دُنُوٌّ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَوْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الدُّنُوُّ وَالتَّدَلِّي مُتَأَوَّلًا لَيْسَ عَلَى وَجْهِهِ ...

قال القاضي .. وَالدُّنُوُّ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لَهُ إِظْهَارُ ذَلِكَ لَهُ وَعَظِيمُ بِرِّهِ وَفَضْلِهِ الْعَظِيمِ لَدَيْهِ ... وَيُتَأَوَّلُ فِي ذَلِكَ مَا يُتَأَوَّلُ فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تقربت منه ذراعا الحديث هذا آخر كَلَامُ الْقَاضِي ا.هـ

هذا تحريف لحقيقة الصفة ومبناه عند هؤلاء النفاة نفيهم لحقيقة قرب الله تعالى لعباده أو للمؤمنين منهم .

يقول الله تعالى {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ}

وقال تعالى { فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيب}

وفي الصحيحين في الحديث الإلهي [ من تقرَّب مني شبراً ؛ تقرَّبتُ منه ذراعاً ، ومن تقرَّب مني ذراعاً ؛ تقرَّبتُ منه باعاً ]

وفي صحيح مسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه [ أيها الناس ! اربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً ، ولكن تدعون سميعاً قريباً ، إنَّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته ]

وفيه أيضاً من حديث عائشة مرفوعاً [ ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة ، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ]

قال ابن تيمية في شرح حديث النزول : أما دنوه نفسه وتقربه من بعض عباده؛ فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه، ومجيئه يوم القيامة، ونزوله، واستواءه على

العرش . وهذا مذهب أئمة السلف وأئمة الإسلام المشهورين وأهل الحديث، والنقل عنهم بذلك متواتر .

**و أ و ل مـن أ نـكـر هـذ ا فـي ا لإسلام الـجـهـمـيـة** ومن وافقهم من المعتزلة، وكانوا ينكرون الصفات والعلو على العرش، ثم جاء ابن كُلاب فخالفهم في ذلك، وأثبت الصفات والعلو على العرش، لكن وافقهم على أنه لا تقوم به الأمور الاختيارية؛ ولهذا أحدث قوله في القرآن : أنه قديم لم يتكلم به بقدرته . ولا يعرف هذا القول عن أحد من السلف، بل المتواتر عنهم أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، كما ذكرت ألفاظهم في كتب كثيرة في مواضع غير هذا .ا.هـ المراد

وبهذا يتبين بطلان قول الشارح لما قال :

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ الأخرى الذى تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَةِ أَحَدِكُمْ

هُوَ بِمَعْنَى مَا سَبَقَ وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ مجاز كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوريد وَالْمُرَادُ تَحْقِيقُ سَمَاعِ الدُّعَاءِ ا.هـ !

فصل

قال الشارح [3–15] : اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى مُمْكِنَةٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلَةٍ عَقْلًا

وَأَجْمَعُوا أَيْضًا عَلَى وُقُوعِهَا فِي الْآخِرَةِ

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى دُونَ الْكَافِرِينَ . ا.هـ

هذا الإجماع المدعى مجازفة من الشارح –وما أكثر مجازفاته– فإن الخلاف مشهور بين أهل العلم في رؤية الكفار للرب في العرصات !

ومن مجازفات الشارح أيضاً – على سبيل المثال لا الحصر– قوله :

اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِ اللَّعْنِ .. فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُبْعَدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مَنْ لَا يُعْرَفَ حاله وخاتمة أمره مَعْرِفَةً قَطْعِيَّةً

فَلِهَذَا قَالُوا لَا يَجُوزُ لَعْنُ أحد بعينه مسلما كان أوكافرا أَوْ دَابَّةً إِلَّا مَنْ عَلِمْنَا بِنَصٍّ شَرْعِيٍّ أَنَّهُ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ أَوْ يَمُوتُ عَلَيْهِ كَأَبِي جَهْلٍ وَإِبْلِيسَ . ا.هـ المراد

وهذه مجازفة بينة فإن النزاع في حكم لعن المستحق له معلوم بين أهل العلم

قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى : واللعنة تجوز مطلقا لمن لعنه الله ورسوله ، وأما لعنة المعين فإن علم أنه مات كافرا جازت لعنته ، وأما الفاسق المعين فلا تنبغي لعنته لنهي النبي صلى الله عليه وسلم أن يلعن عبد الله بن حمار الذي كان يشرب الخمر ، مع أنه قد لعن شارب الخمر عموما ، مع أن في لعنة المعين إذا كان فاسقا أو داعيا إلى بدعة نزاعاً اهـ

وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي لَعْنِ الْمُعَيَّنِ مِنْ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَغَيْرِهِمْ ، وَمِنْ الْفُسَّاقِ بِالِاعْتِقَادِ ، أَوْ بِالْعَمَلِ : لِأَصْحَابِنَا فِيهَا أَقْوَالٌ
( أَحَدُهَا : ) أَنَّهُ لَا يَجُوزُ بِحَالٍ ، وَهُوَ قَوْلَيْ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ
( وَالثَّانِي : ) يَجُوزُ فِي الْكَافِرِ دُون الْفَاسِقِ
( وَالثَّالِثُ ) يَجُوزُ مُطْلَقًا ... ا.هـ

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية :
وَيَجُوزُ لَعْنُ الْكُفَّارِ عَامًّا ، وَهَلْ يَجُوزُ لَعْنُ كَافِرٍ مُعَيَّنٍ ؟ عَلَى رِوَايَتَيْنِ .. ا.هـ

" وَقَدْ نُقِلَ عَنْ أَحْمَدَ لَعْنَةُ أَقْوَامٍ مُعَيَّنِينَ مِنْ دُعَاةِ أَهْلِ الْبِدَعِ ، وَلِهَذَا فَرَّقَ مَنْ فَرَّقَ مِنْ الْأَصْحَابِ بَيْنَ لَعْنَةِ الْفَاسِقِ بِالْفِعْلِ ، وَبَيْنَ دُعَاةِ أَهْلِ الضَّلَالِ إمَّا بِنَاءً عَلَى تَكْفِيرِهِمْ ، وَإِمَّا بِنَاءً عَلَى أَنَّ ضَرَرَهُمْ أَشَدُّ ، وَمَنْ جَوَّزَ لَعْنَةَ الْمُبْتَدِعِ الْمُكَفِّرِ مُعَيَّنًا
فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَعْنَةُ الْكَافِرِ الْمُعَيَّنِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى ، وَمَنْ لَمْ يُجَوِّزْ أَنْ يُلْعَنَ إلَّا مَنْ ثَبَتَ لَعْنُهُ بِالنَّصِّ ، فَإِنَّهُ لَا يُجَوِّزُ لَعْنَةَ الْكَافِرِ الْمُعَيَّنِ ، فَمَنْ لَمْ يُجَوِّزْ إلَّا لَعْنَ الْمَنْصُوصِ يَرَى أَنْ لَا يَجُوزَ ذَلِكَ لَا عَلَى وَجْهِ الِانْتِصَارِ وَلَا عَلَى وَجْهِ الْجِهَادِ ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ كَالْهِجْرَةِ ، وَالتَّعْزِيرِ وَالتَّحْذِيرِ . "

ومن مجازفات الشارح أيضاً نقله –وإقراره لما يزعم– عن الخضر عليه السلام أن :
جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ (!) عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ مَوْجُودٌ بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَذَلِكَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عِنْدَ الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْمَعْرِفَةِ وَحِكَايَاتُهُمْ فِي رُؤْيَتِهِ وَالِاجْتِمَاعِ بِهِ وَالْأَخْذِ عَنْهُ وَسُؤَالِهِ وَجَوَابِهِ وَوُجُودِهِ فِي الْمَوَاضِعِ الشَّرِيفَةِ وَمَوَاطِنِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَرَ وَأَشْهَرُ مِنْ ان يستر وقال الشيخ ابو عمر بْنُ الصَّلَاحِ هُوَ حَيٌّ عِنْدَ جَمَاهِيرِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْعَامَّةُ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ قَالَ وَإِنَّمَا شَذَّ بِإِنْكَارِهِ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ . ا.هـ

وهذا الذي أقر وصفه بالشذوذ هو الحق في المسألة عند أكثر أهل العلم

قال ابن تيمية في المنهاج : احتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر و الـذي عليـه سـائـر الـعـلـمـاء الـمحققـون أنـه مـات ا.هـ

وقال في الفتاوى : سُئِلَ " الْبُخَارِيُّ " عَنْ الْخَضِرِ وَإِلْيَاسَ : هَلْ هُمَا فِي الْأَحْيَاءِ ؟ فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ { لَا يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ } " ؟

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيّ : قَوْله تَعَالَى { وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِك الْخُلْدَ } وَلَيْسَ هُمَا فِي الْأَحْيَاءِ وَاَللَّهُ أَعْلَم ا.هـ

ومن مجازفات الشارح أيضاً قوله : قَوْلُهُ تَعَالَى {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي} ..

قَالَ الْمَازِرِيُّ الْكَلَامُ فِي الرُّوحِ وَالنَّفْسِ مِمَّا يَغْمُضُ وَيَدِقُّ وَمَعَ هَذَا فَأَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ الْكَلَامَ وَأَلَّفُوا فيه التآليف

قال أبوالحسن الأشعرى هو النفس الداخل والخارج

وقال بن الْبَاقِلَّانِيُّ هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ هَذَا الَّذِي قَالَهُ الْأَشْعَرِيُّ وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَقِيلَ هُوَ جِسْمٌ لَطِيفٌ مُشَارِكٌ لِلْأَجْسَامِ الظَّاهِرَةِ وَالْأَعْضَاءِ الظَّاهِرَةِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لا يعلم الروح إلاالله تَعَالَى ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}

وَقَالَ الْجُمْهُورُ هِيَ مَعْلُومَةٌ وَاخْتَلَفُوا فِيهَا عَلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ

وَقِيلَ هِيَ الدَّمُ وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ

وَلَيْسَ فِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لاتعلم وَلَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهَا وَإِنَّمَا أَجَابَ بِمَا فِي الآية الكريمة

لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنْ أَجَابَ بِتَفْسِيرِ الرُّوحِ فَلَيْسَ بِنَبِيٍّ .. ا.هـ

وهذه الأقوال التي ذكرها كلها بناءاً على ظنه أن المراد من الروح التي في الآية هي روح الإنسان ، وهذا خلاف إجماع السلف رحمه الله

أخرج الطبري في تفسيره بسند حسن عن ابن عباس، قوله {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} قال [ الروح: مَلك ] .

وأخرج بسنده عن أبي مروان يزيد بن سمرة ، عمن حدثه عن عليّ بن أبي طالب، أنه قال في قوله {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} قال [ هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه منها سبعون ألف لسان، لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله عزّ وجلّ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلكا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة ] .

وبسنده أيضاً عن ابن مسعود–رضي الله عنه– قال [ الرُّوح: ملك في السماء الرابعة، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح الله كلّ يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلَكا من الملائكة، يجيء يوم القيامة صفًّا وحده ] .

وبسنده الجيد عن قتادة {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} قال [ هو جبرائيل ].

قال ابن القيم في الروح : وَهَذَا بِنَاء على أَن المُرَاد بِالروحِ فِي الْآيَة روح الْإِنْسَان وَفِي ذَلِك خلاف بَين السّلف وَالْخلف وَأكْثر السّلف بل كلهم على أَن الرّوح الْمَسْئُول عَنْهَا فِي الْآيَة لَيست أَرْوَاح بنى آدم بل هُوَ الرّوح الَّذِي أخبر الله عَنهُ فِي كِتَابه أَنه يقوم يَوْم الْقِيَامَة مَعَ الْمَلَائِكَة وَهُوَ ملك عَظِيم ا.هـ

وَقد ثَبت فِي الصَّحِيح من حَدِيث الْأَعْمَش عَن إِبْرَاهِيم عَن عَلْقَمَة عَن عبد الله قَالَ بَينا أَنا أمشى مَعَ رَسُول الله فِي حرَّة الْمَدِينَة وَهُوَ متكىء على عسيب فمررنا على نفر من الْيَهُود فَقَالَ بَعضهم لبَعض سلوه عَن الرّوح

وَقَالَ بَعضهم لَا تسألوه عَسى أَن يخبر فِيهِ بِشَيْء تكرهونه

وَقَالَ بَعضهم نَسْأَلهُ فَقَامَ رجل فَقَالَ يَا أَبَا الْقَاسِم مَا الرّوح فَسكت عَنهُ رَسُول الله فَعلمت أَنه يوحي إِلَيْهِ فَقُمْت فَلَمَّا تجلى عَنهُ قَالَ {ويسألونك عَن الرّوح قل الرّوح من أَمر رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ من الْعلم إِلَّا قَلِيلا}

وَمَعْلُوم أَنهم إِنَّمَا سَأَلُوهُ عَن أَمر لَا يعرف إِلَّا بِالْوَحْي وَذَلِكَ هُوَ الرّوح الَّذِي عِنْد الله لَا يعلمهَا النَّاس

وَأما أَرْوَاح بنى آدم فَلَيْسَتْ من الْغَيْب وَقد تكلم فِيهَا طوائف من النَّاس من أهل الْملَل وَغَيرهم فَلم يكن الْجَواب عَنْهَا من أَعْلَام النُّبُوَّة ...ا.هـ المراد

وعوداً على مسألة رؤية الكفار لله تعالى في العرصات أقول :

قال ابن القيم في حادي الأرواح : قد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة

بل و الكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة ..

و في هذه المسألة ثلاثة اقوال لأهل السنة :

أحدها ان لا يراه إلا المؤمنون

و الثاني يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك

و الثالث يراه المنافقون دون الكفار

و الأقوال الثلاثة في مذهب احمد و هي لاصحابه

و كذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم

و لشيخنا في ذلك منصف مفرد

و حكى فيه أقوال الثلاثة وحجج اصحابها

و كذا قوله سبحانه وتعالى {يا أيها الإنسان انك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه} إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطورا مثبتا

و إن عاد على الرب سبحانه و تعالى فهو لقاؤه الذي وعد به . ا.هـ المراد

و " اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى و المانع اقتضى المعاينة و الرؤية " ولذلك جعل " السلف والأئمة اللقاء يتضمن الرؤية واستدلوا بآيات لقاء الله عز وجل على رؤيته " وهذا يرد على قول الشارح أيضاً : لَيْسَ الْمُرَادُ بِاللِّقَاءِ رُؤْيَةَ اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَحَدًا لَا يَقْطَعُ لِنَفْسِهِ بِرُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الرُّؤْيَةَ مُخْتَصَّةٌ بِالْمُؤْمِنِينَ

وقال ابن تيمية في المجموع [8-102] : قد تنازع الناس في الكفار : هل يرون ربهم مرة ثم يحتجب عنهم، أم لا يرونه بحال، تمسكًا بظاهر قوله : { كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } ، ولأن الرؤية أعظم الكرامة والنعيم، والكفار لا حظ لهم في ذلك .

وقالت طوائف من أهل الحديث والتصوف : بل يرونه ثم يحتجب، كما دل على ذلك الأحاديث الصحيحة التي في الصحيح وغيره، من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وغيرهما

مع موافقة ظاهر القرآن، قالوا : وقوله : { لَّمَحْجُوبُون } يشعر بأنهم عاينوا ثم حجبوا، ودليل ذلك قوله : { إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ } ، فعلم أن الحجب كان يومئذ . فيشعر بأنه يختص بذلك اليوم، وذلك إنما هو في الحجب بعد الرؤية، فأما المنع الدائم من الرؤية فلا يزال في الدنيا والآخرة، قالوا : ورؤية الكفار ليست كرامة ولا نعيمًا إذ [ اللقاء ] ينقسم إلى لقاء على وجه الإكرام، ولقاء على وجه العذاب، فهكذا الرؤية التي يتضمنها اللقاء .ومما احتجوا به الحديث الصحيح حديث أبي هريرة : " هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ " .. وفيه أنه سئل عن الرؤية فأجاب بثبوتها، ثم أتبع ذلك بتفسيره وذكر أنه يلقاه العبد، والمنافق، وأنه يخاطبهم . وفي حديث أبي سعيد وأبي هريرة أنه يتجلى لهم في القيامة مرة للمؤمنين والمنافقين بعد ما تجلى لهم أول مرة ويسجد المؤمنون دون المنافقين...ا.هـ المراد

وبهذا يتبين أيضاً بطلان قول النووي (=المجازف) لما قال : اعْلَمْ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ قَدْ يُتَوَهَّمُ مِنْهُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ يَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى ذلك طائفة حكاه بن فُورَكَ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى

وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ بَاطِلٌ بَلْ لَا يَرَاهُ الْمُنَافِقُونَ بِإِجْمَاعِ مَنْ يُعْتَدُّ بِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ ..

وَقَدْ قَامَتْ دَلَائِلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْمُنَافِقَ لَا يَرَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ

فصل

قال الشارح [3-68] : قَوْلُهُ (فَيَقُولُ آدَمُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)

الْمُرَادُ بِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظْهَرُ مِنَ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ

وَمَا يَرَوْنَهُ مِنْ أَلِيمِ عَذَابِهِ وَمَا يُشَاهِدُهُ أَهْلُ الْمَجْمَعِ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ وَلَا يَكُونُ مِثْلُهَا ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ هَذَا كُلَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِثْلُهُ وَلَا يَكُونُ بَعْدَهُ مِثْلُهُ

فَهَذَا مَعْنَى غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا أَنَّ رِضَاهُ ظُهُورُ رَحْمَتِهِ وَلُطْفُهُ بِمَنْ أَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ وَالْكَرَامَةَ

لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ التَّغَيُّرُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ا.هـ

أول الشارح هنا صفة الغضب بظهور الانتقام ممن عصاه !

وصفة الرضا بظهور الرحمة واللطف بمن أراد به الخير !

وبنحو هذه التأويلات حرف المريسي –الذي رد عليه الدارمي– صفتي الرضا والغضب ، والمتتبع لتأويلات القوم يجد أن عامتها مأخوذ من الجهمية الأوائل (=السباقون في الكفر والزندقة) فهم سلفهم في هذه الأقوال ، ثم يأتيك من يقول الأشاعرة (=مخانيث الجهمية) من أهل السنة !

وصفة الغضب ثابتة في الكتاب والسنة والآثار

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ }

وقال { كلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى }

وفي الحديث الإلهي الذي في الصحيحين [ إنَّ رحمتي غلبت غضبي ]

وأخرج الطبري في تفسير قوله {فلما آسفونا} عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة قال [ أي : أسخطونا ]
ومن طريق العوفيين عن ابن عباس، {فلما آسفونا} يقول [ لما أغضبونا ] .

وبسند صحيح عن مجاهد {فلما آسفونا} قال [ أغضبونا ] .

وبسند جيد عن قتادة، قوله: {فلما آسفونا} قال [ أغضبوا ربهم ] .
وكذلك ثبت نحوه عن السدي وعبدالرحمن بن زيد
وقوله " {فَلَمَّا} : هنا شرطية، فعل الشرط فيها: {آسَفُونَا} ، وجوابه: {انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}
.ففيها رد على من فسروا السخط والغضب بالانتقام
لأن أهل التعطيل من الأشعرية وغيرهم يقولون: إن المراد بالسخط والغضب الانتقام، أو إرادة الانتقام
ولا يفسرون السخط والغضب بصفة من صفات الله يتصف بها هو نفسه، فيقولون: غضبه، أي انتقامه، أو بالإرادة لأنهم يقرون بها، ولا يفسرونه بأنه صفة ثابتة لله على وجه الحقيقة تليق به.
ونحن نقول لهم: بل السخط والغضب غير الانتقام، والانتقام نتيجة الغضب والسخط، كما نقول: إن الثواب نتيجة الرضى، فالله سبحانه وتعالى يسخط على هؤلاء القوم ويغضب عليهم ثم ينتقم منهم.
وإذا قالوا: إن العقل يمنع ثبوت السخط والغضب لله عز وجل.
فإننا نجيبهم بما سبق في صفة الرضى، لأن الباب واحد.

ونقول: بل العقل يدل على السخط والغضب ، فإن الانتقام من المجرمين وتعذيب الكافرين دليل على السخط والغضب، وليس دليلاً على الرضى، ولا على انتفاء الغضب والسخط.

ونقول: هذه الآية: {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ} : ترد عليكم، لأنه جعل الانتقام غير الغضب، لأن الشرط غير المشروط. "

وهذا رد قاطع على مزاعم الشارح في نفيه لحقيقة الغضب

وكذلك صفة الرضى ، قال تعالى {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ}

وفي الحديث الصحيح [ إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً ..]

"ووصف الله تعالى بالرضى ثابت بالدليل السمعي، كما سبق، وبالدليل العقلي، فإن كونه عز وجل يثيب الطائعين ويجزيهم على أعمالهم وطاعاتهم يدل على الرضى. "

وقد أجمع السلف على إثبات صفة الغضب وأن من نفى حقيقتها فهو مبتدع ضال كما قال السجزي في كتاب الابانة له :

وأئمتنا رحمهم الله .. متفقون على ان الله سبحانه وتعالى .. يغضب ويرضى ..فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه برآء ا.هـ

فالنووي بريء من أهل السنة وهم منه براء

وقد نقل حرب –رحمه الله– إجماع السلف على إثبات صفتي الغضب والرضى وقد ذكر في مقدمة اعتقاده أن : خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . ا.هـ المراد

ونقل أيضاً ابن بطة –رحمه الله– في الإبانة الصغرى إجماع السلف على إثبات صفتي الغضب والرضى فقد ذكر في مقدمة إبانته أن من : خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة ما عبناه وذكرناه وحذرنا منه من أهل البدع والزيغ

، مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه –صلى الله عليه وسلم– إلى وقتنا هذا . ا.هـ المراد

فهل بعد هذا الوضوح وضوح في بيان المتبع من المبتدع {فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} {وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}

على أن حال كثيراً من المشغبين كما قال تعالى عن أشباههم { وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } والله المستعان .

فصل

قال الشارح في شرحه [3–15] : وَأَمَّا رُؤْيَةُ اللَّهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا فَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهَا مُمْكِنَةٌ وَلَكِنَّ الْجُمْهُورَ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهَا لَا تَقَعُ فِي الدُّنْيَا وَحَكَمَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيُّ فِي رِسَالَتِهِ الْمَعْرُوفَةِ عَنِ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ فُورَكَ أَنَّهُ حَكَى فِيهَا قَوْلَيْنِ لِلْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ أَحَدُهُمَا وُقُوعُهَا

وَالثَّانِي لَا تَقَعُ

ثُمَّ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الرُّؤْيَةَ قُوَّةٌ يَجْعَلُهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ وَلَا يُشْتَرَطُ فِيهَا اتِّصَالُ الْأَشِعَّةِ وَلَا مُقَابَلَةُ الْمَرْئِيِّ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ

لَكِنْ جَرَتِ الْعَادَةُ فِي رُؤْيَةِ بَعْضِنَا بَعْضًا بِوُجُودِ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ الِاتِّفَاقِ لَا عَلَى سَبِيلِ الِاشْتِرَاطِ ، وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ذَلِكَ بِدَلَائِلِهِ الْجَلِيَّةِ

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى إِثْبَاتُ جِهَةٍ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ

بَلْ يَرَاهُ الْمُؤْمِنُونَ لَا فِي جِهَةٍ كَمَا يَعْلَمُونَهُ لَا فِي جِهَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .ا.هـ

قام الشارح هنا بترجيح قول الأشعرية في الرؤية

وأتى بكلامهم وزعم أنه مذهب أهل الحق عنده (=الجهمية الإناث)

وبالتالي يكون ما خالف هذا المذهب باطلاً عنده .

وهذا أيضاً يبين –وبجلاء لا غبش– فيه أن الشارح أشعري وإن لجلج المدافعون ، ومخالفته للأشاعرة في بعض المسائل لا يلزم منه أنه ليس منهم ، [كما أن المالكي قد يوافق الشافعية في مسائل ولا يصير بها شافعياً ] (!!)

وأما أن يصير سنياً ؟ !

فلا وربي [ حتى تجتمع فيه السنة ] كما قال بعض السلف –رحمهم الله– ، ويأتي مزيد بيان في الرد على الشبه بإذن الله .

والرد على كلامهم أن يقال :

" كون الرؤية مستلزمة لأن يكون الله بجهة من الرائي امر ثبت بالنصوص المتواترة ففي الصحيحين وغيرهما الحديث المشهور عن الزهري قال انا سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا [ يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة

فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم هل تضامون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا لا ، قال فهل تمارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب

قالوا لا يا رسول الله ، قال فانكم ترونه كذلك .. ]

وذكر الحديث بطوله

قال أبو سعيد [ أشهد لحفظته من رسول الله صلى الله عليه و سلم ] ..

فهذا فيه مع اخباره انهم يرونه اخبارهم انهم يرونه في جهة منهم من وجوه:

أحدها : أن الرؤية في لغتهم لا تعرف الا لرؤية ما يكون بجهة منهم فأما رؤية ما ليس في الجهة فهذا لم يكونوا يتصورونه فضلا عن ان يكون اللفظ يدل عليه ..

فإنك لست تجد أحداً من الناس يتصور وجود موجود في غير جهة فضلا عن أن يتصور أنه يرى فضلا عن أن يكون اسم الرؤية المشهور في اللغات كلها يدل على هذه الرؤية الخاصة .

الوجه الثاني : أنه قال [ فإنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوا

وكما ترون القمر صحوا ] فشبه لهم رؤيته برؤية الشمس والقمر

وليس ذلك تشبيها للمرئي بالمرئى

ومن المعلوم انه اذا كانت رؤيته مثل رؤية الشمس والقمر وجب أن يرى في جهة من الرائي كما أن رؤية الشمس والقمر كذلك

فإنه لو لم يكن كذلك لأخبرهم برؤية مطلقة نتأولها على ما يتأول من يقول بالرؤية في غير جهة ، أما بعد ان يستفسرهم عن رؤية الشمس صحوا ورؤية البدر صحوا

ويقول أنكم ترون ربكم كذلك فهذا لا يمكن ان يتأول على الرؤية التي يزعمونها فان هذا اللفظ لا يحتملها لا حقيقة ولا مجازا

الوجه الثالث : أنه قال [ هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب وهل تضارون في القمر ليس دونه سحاب ] فشبه رؤيته برؤية اظهر المرئيات اذا لم يكن ثم حجاب منفصل عن الرائي يحول بينه وبين المرئي

ومن يقول انه يرى في غير جهة يمتنع عنده أن يكون بينه وبين العباد حجاب منفصل عنهم اذ الحجاب لا يكون الا لجسم ! ولما يكون في جهة ! وهم يقولون الحجاب عدم خلق الادراك في العين

والنبي صلى الله عليه و سلم مثل رؤيته برؤية هذين النورين العظيمين اذا لم يكن دونهما حجاب

الوجه الرابع : أنه أخبر أنهم لا يضارون في رؤيته

وفي حديث آخر لا يضامون

ونفي الضير والضيم انما يكون لامكان لحوقه للرائي

ومعلوم ان ما يسمونه رؤية وهو رؤية ما ليس بجهة من الرائي لا فوقه ولا شيء من

جهاته لا يتصور فيها ضير ولا ضيم حتى ينفي ذلك بخلاف رؤية ما يواجه الرائي ويكون فوقه فانه قد يلحقه فيه ضيم وضير اما بالازدحام عليه او كلال البصر لخفائه كالهلال

واما لجلائه كالشمس والقمر

ومثل هذا الحديث المشهور حديث قيس بن ابي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي قال [ كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه و سلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم عيانا كما ترون هذا لا تضارون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقرأ فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ]

وهذا لفظ البخاري في بعض طرقه ، وفيه زيادة لفظ[ عيانا ]

والا فبقية الفاظ الحديث مستفيضة في الصحيحين وغيرهما

وفي الصحيحين من حديث يحيى بن سعيد ثنا سعيد بن ابي عروبة ثنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه و سلم [ يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيلهمون ذلك فيقولون لو استشفعنا على ربنا فاراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم .. فذكر الحديث

إلى ان قالوا : [ ائتوا محمدا عبد قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني حتى استأذن على ربي فيؤذن لي

فاذا رأيت ربي وقعت او خررت ساجدا لربي

فيدعني ما شاء الله أن يدعني

ثم يقال لي ارفع محمد قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع

فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه الله

ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة

ثم أعود اليه الثانية فاذا رأيت ربي عز و جل وقعت أو خررت ساجدا

فيدعني ما شاء الله أن يدعني

ثم يقال لي ارفع رأسك قل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع

فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة

ثم أعود اليه الثالثة فإذا رأيت ربي وقعت أو خررت ساجدا لربي

فيدعني ما شاء الله أن يدعني .. ] فذكر الحديث

فكون الرائي وهو النبي صلى الله عليه و سلم يراه والرائي في مكان ولا يراه والرائي في مكان آخر ويعود الى ذلك المكان دليل على ان المرئي يرى والرائي في مكان ولا يرى اذا كان الرائي في مكان آخر وهذا الاختصاص لا يكون الا بما يكون بجهة من الرائي بخلاف ما يسمونه رؤية فانها من جنس العلم لا اختصاص لها بكون الرائي في مكان دون مكان ..

وأيضا ففي صحيح مسلم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [ إذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا يا أهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه

قال فيقولون ما هو الم يبيض وجوهنا ويزحزحنا عن النار ويدخلنا الجنة

قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم مما هم فيه ] ثم قرأ {للذين احسنوا الحسنى وزيادة}

فأخبر أنه يكشف الحجاب فينظرون اليه ومن يقول يرى لا في جهة لا يقول أن بينه وبين الخلق حجابا

ولا يتصور أن يحتجب عن الخلق

ولا أن يكشف الحجاب ، وقد صرحوا بذلك كله

قالوا لان ذلك كله من صفة الجسم المتحيز !!

فإذا كان النبي صلى الله عليه و سلم قد أخبر بذلك علم أنه يرى في الجهة وليست الرؤية التي أخبر بها ما يزعمونه من

## الأمر الذي لا يعقل الذي ينافقون فيه أهل الايمان

وعن شعبة عن يعلي بن عطاء عن وكيع بن عدس عن ابي رزين قال [ قلت: يا رسول الله أنرى ربنا يوم القيامة ؟ قال: نعم

قال: وما آية ذلك في خلقه ؟ قال: أليس كلكم ينظر الى القمر ليلة البدر

وإنما هو خلق من خلق الله الله أعظم وأ جل ] ..

قال الخلال سمعت ابا سعيد المصيصي الفقيه قال قال أبو صفوان [ رأيت المتوكل في النوم وبين يديه نار مؤججة عظيمة

فقلت يا أمير المؤمنين لمن هذه النار ؟

فقال : هذه لابني المنتصر لأنه قتلني

وتدري لم قتلني لأني حدثته أن الله يرى في الآخرة ]

قال أبو سعيد وقال إبراهيم الحربي هذه رؤيا حق

وذلك أن المتوكل كتب حديث حماد بن سلمة عن يعلي بن عطاء عن وكيع بن عدس بيده عن عبد الأعلى ، وقال [ لا اكتبه الا بيدي ]

فقد أخبر النبي صلى الله عليه و سلم ان الله يرى يوم القيامة لما سأله وسأله عن آية ذلك في خلقه ، والآية العلامة والدلالة ، وهو ما يعلم به ويدل على جواز ذلك

فذكر له النبي صلى الله عليه و سلم ما يدل بطريق قياس التنبيه والأولى

وقد قدمنا غير مرة ان مثل هذا القياس في قياس الغائب على الشاهد هو مما ورد في الكتاب والسنة

فقال [ أليس كلكم يرى القمر مخليا به ليلة البدر قال فالله اعظم وأجل ]

وقال [ إنما هو خلق من خلق الله وذلك آيته في خلقه ]

وإثباته صلى الله عليه و سلم جواز الرؤية لجميع الخلق في وقت واحد وكل منهم يكون مخليا به بالقياس على رؤية القمر مع قوله والله اعظم واجل دليل واضح على ان الناس يرونه مواجهة عيانا يكون بجهة منهم واذا امكن في بعض مخلوقاته انه يراه الناس في وقت واحد كلهم يكون

مخليا به فالله اولى ان يمكن ذلك فيه فانه اعظم و اجل

الوجه الرابع: أن كون الله يرى بجهة من الرائي ثبت باجماع السلف و الأئمة مثل ما روي اللآلكائي عن علي بن ابي طالب أنه قال [ إن من تمام النعمة دخول الجنة والنظر الى الله في جنته ]

وعن عبد الله بن مسعود أنه قال في مسجد الكوفة وبدأ باليمين قبل الحديث فقال : [ والله ما منكم من انسان الا ان ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر ] قال [ فيقول ما غرك بي يا ابن آدم ثلاث مرات ماذا أجبت المرسلين ثلاثا كيف عملت فيما عملت ]

وعن أبي موسى الأشعري أنه كان يعلم الناس سنتهم ودينهم قال فشخصت أبصارهم

قال: [ فما حرف أبصاركم عني ] قالوا: الهلال أيها الامير

قال: [ فذاك اشخص ابصاركم عني ؟ ]

قالوا: نعم قال: [ فكيف اذا رأيتم الله جهرة ]

وعن معاذ بن جبل قال: [ يحبس الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون ؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر ]

قلت: من المتقون ؟

قال: [قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان واخلصوا لله العبادة فيمرون الى الجنة]

وروي اللآلكائي عن ابن وهب قال سمعت مالك بن انس يقول [ الناظرون ينظرون الى الله عز و جل يوم القيامة بأعينهم ] ..

وعن الأوزاعي أنه قال [ إني لأرجو ان يحجب الله جهما وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياءه حيث يقول {وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة} فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه ] ...

وعلى هذا قد اتفق أهل السنة لا يخالف فيه إلا مبتدع ضال

كما السجزي في كتاب الابانة له :
وأئمتنا رحمهم الله .. متفقون على ان الله سبحانه وتعالى .. يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش .. فمن خالف شيئا من ذلك فهو منهم بريء وهم منه برآء ا.هـ

وليعلم أن قول الأشعرية في الرؤية المزعومة دون مقابلة (!) هو عند التحقيق قول المعتزلة ولكن القوم أهل نفاق وتمويهه ، كما قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد : قال الأشعري ( إنّ الله سبحانه يرى يوم القيامة على الحقيقة) وأظهر الرد على من أنكرها.
وأفصح في بعض كتبه (أنه يرى بالأبصار)
وقال في موضع آخر: (لا تختص الرؤية بالبصر ولا تكون عن مقابلة لأنّ ما يرى مقابلة كان جسماً) . فهو إذا قال: إنه يرى بالأبصار لم يجز في العقل أن تكون عن غير مقابلة ، وإن قال إنّ الرؤية لا تختص البصر عاد إلى قول المعتزلة، وصارت الرؤية في معنى العلم الضروري .
وقد حكي عن بعض متأخريهم أنه قال: لولا الحياء من مخالفة شيوخنا لقلتُ إنّ الرؤية هي العلم لا غير . ا.هـ المراد

وقال السجزي :
فأظهر –أي الأشعري– خلافهم –أي المعتزلة– وهو موافق لهم . ا.هـ المراد

وقال ابن تيمية في الدرء : الأصل الذي بنت عليه المعتزلة كلامها في أصول الدين هو هذا الأصل الذي ذكره الأشعري ، لكنه مخالف لهم في كثير من لوازم ذلك وفروعه وجاء كثير من أتباعه المتأخرين كأتباع صاحب الإرشاد فأعطوا الأصول التي سلمها للمعتزلة حقها من اللوازم ، فوافقوا المعتزلة على موجبها

وخالفوا شيخهم أبا الحسن وأئمة أصحابه

فنفوا الصفات الخبرية ونفوا العلو وفسروا الرؤية بمزيد علم لا ينازعهم فيه المعتزلة ، وقالوا ليس بيننا وبين المعتزلة خلاف في المعنى

وإنما خلافهم مع المجسمة . ا.هـ المراد

ونفي الرؤية كفر عند السلف كما ورد عن مالك –رحمه الله– أنه قيل له إنهم يزعمون ان الله لا يرى فقال [ السيف السيف ] ..

وروى الخلال في كتاب السنة قال حدثنا ابو بكر المروذي قال :

سألت أبا عبد الله عن أحاديث الرؤية فصححها وقال [ قد تلقتها العلماء بالقبول لنسلم الخبر كما جاء ] ..

وقال حنبل عن أبي عبدالله [ القوم يرجعون الى التعطيل في قولهم ينكرون الرؤية .. ]

وسمعت أبا عبد الله يقول [ قالت الجهمية ان الله لا يرى في الآخرة ونحن نقول ان الله يرى .. ] ..

وسمعت أبا عبد الله يقول [ من زعم ان الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله امره فيستتاب فان تاب والا قتل ] "

وقد صدق ابن تيمية لما قال في بيان تلبيس الجهمية : "مسألة الرؤية" كانت من أكبر المسائل الفارقة بين السنة المثبتة وبين الجهمية
حتى كان علماء أهل الحديث والسنة يصنفون الكتب في الأثبات ويقولون "كتاب الرؤية" و"الرد على الجهمية" وكذلك الأحاديث التي تنكرها الجهمية من أحاديث الرؤية وما يتبعها ويعدون من أنكر الرؤية معطلا . ا.هـ

فصل

قال الشارح [3–19] :

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فيأتيهم الله فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتَّبِعُونَهُ)

اعْلَمْ أَنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَآيَاتِ الصِّفَاتِ قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ السَّلَفِ أَوْ كُلِّهِمْ أَنَّهُ لَا يُتَكَلَّمُ فِي مَعْنَاهَا ..

وَالْقَوْلُ الثَّانِي وَهُوَ مَذْهَبُ مُعْظَمِ الْمُتَكَلِّمِينَ أنها تتأول على ما يليق بِهَا عَلَى حَسَبِ مَوَاقِعِهَا وَإِنَّمَا يَسُوغُ تَأْوِيلُهَا لِمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهِ بِأَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَقَوَاعِدِ الْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ ذَا رِيَاضَةٍ فِي الْعِلْمِ فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ يُقَالُ: فِي قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله أَنَّ الْإِتْيَانَ عِبَارَةٌ عَنْ رُؤْيَتِهِمْ إِيَّاهُ لِأَنَّ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ غَابَ عَنْ غَيْرِهِ لَا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هُنَا عَنِ الرُّؤْيَةِ مَجَازًا

وَقِيلَ الْإِتْيَانُ فِعْلٌ مِنْ أَفْعَالِ اللَّهِ تَعَالَى سَمَّاهُ إِتْيَانًا

وَقِيلَ المراد بيأتيهم اللَّهُ أَيْ يَأْتِيهِمْ بَعْضُ مَلَائِكَةِ اللَّهِ ..

قَالَ –أي عياض– أَوْ يَكُونُ مَعْنَاهُ يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَةٍ أَيْ يَأْتِيهِمْ بِصُورَةٍ وَيُظْهِرُ لَهُمْ مِنْ صُوَرِ مَلَائِكَتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ صِفَاتِ الْإِلَهِ لِيَخْتَبِرَهُمْ وَهَذَا آخِرُ امْتِحَانِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا قَالَ لَهُمْ هَذَا الْمَلَكُ أَوْ هَذِهِ الصُّورَةُ أَنَا رَبُّكُمْ رَأَوْا عَلَيْهِ مِنْ عَلَامَاتِ الْمَخْلُوقِ مَا يُنْكِرُونَهُ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَيْسَ رَبَّهُمْ وَيَسْتَعِيذُونَ بِاللَّهِ مِنْهُ

وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ) فَالْمُرَادُ بِالصُّورَةِ هُنَا الصِّفَةُ وَمَعْنَاهُ فَيَتَجَلَّى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَهُمْ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي يَعْلَمُونَهَا وَيَعْرِفُونَهُ بِهَا وَإِنَّمَا عَرَفُوهُ بِصِفَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ رُؤْيَةٌ لَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا يُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَبُّهُمْ فَيَقُولُونَ أَنْتَ رَبُّنَا وَإِنَّمَا عَبَّرَ بِالصُّورَةِ عَنِ الصِّفَةِ لِمُشَابَهَتِهَا إِيَّاهَا وَلِمُجَانَسَةِ الْكَلَامِ فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ ذِكْرُ الصُّورَةِ . ا.هـ

مضى الكلام عن نسبة التفويض إلى السلف ونفي التجسيم والجهة ، وزاد هنا ذكره لتأويل الإتيان بالرؤية أو إتيان الملك .

وقبل الرد –على هرائه– ليتأمل المتبع الصادق في نفرة الشارح الشديدة من إمرار الحديث –هذا وغيره– على ظاهره وتكثيره من ذكر الأقوال التي تحرفه عن معناه الظاهر وليستحضر قول الصابوني في عقيدة أهل الحديث : **الفروق** بين أهل السنة وأهل البدع أنه ماذا سمعوا خبراً في صفات الرب ردوه اصلا ولم يقبلوه **أو ثم تأولوه بتأويل يقصدون به رفع الخبر من أصله** . ا.هـ

والرد على كلامه الآنف من وجوه :

الوجه الأول : "من تأمل سياق هذه الأحاديث وما اتفقت عليه من المعاني وسياقها وما فيها من الإخبار بأن الله يأمر كل من عبد غيره أن يتبع معبوده فيمثله له أنه إذا تميَّز الموحدون من غيرهم امتحنهم هل يعبدون غير الإله الذي رأوه أولاً فلما تثبَّتهم بالقول الثابت تجلَّى لهم في الصورة التي يعرفون فيسجدون له ولما رفعوا رؤوسهم من السجود وجدوه قد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة ثم إنهم يتبعونه

بعد ذلك حتى يمروا على الصراط

علم بالاضطرار أن الذي يأتيهم في هذه الصورة هو رب العالمين نفسه لا ملك من الملائكة ولا مجرد بعض آياته ، ومن صرف مثل هذه الأحاديث

وهذه الألفاظ الصريحة المنصوصة إلى مَلك من الملائكة أو مجيء شيء من عذاب الله أو إحسان الله فإنه مع جحده لما يعلم بالاضطرار من هذه الألفاظ قد فتح من باب القرمطة وتحريف الكلم عن مواضعه ما لا يمكن سدُّه إذ لا يمكن بيان المخبر عنه بأعظم من هذا البيان التَّام فمن جعل هذا محتملاً لم يمكن قط أن يخبر أحدٌ أحدًا بشيء من الألفاظ المبينة لمراده قطعًا وهذا كله من أعظم السفسطة وجحد الحسيَّات والضروريات التي لا يستحقُّ جاحدها مناظرة ولهذا كان السلف ينهون عن مجادلة أمثال هؤلاء السوفسطائية القرامطة "

الوجه الثاني : "قوله [ فيأتي الله في صورته التي يعرفون ]

وقوله [ فيأتيهم الله في صورة غير صورته ]

وقوله [ أتاهم ربُّ العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها أول مرة ]

وفي [ صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ]

ونحو ذلك لو احتمل أن يكون بمعنى فيأتيهم بصورة

فقد تقدم أن لفظ الصورة المضاف إلى شيء هو من باب الإضافة النفسية لا الخلقية كما تقدم بيانه لأن الإضافة الخلقية تكون فيما هو قائم بنفسه كما في قوله ناقة الله بيت الله أرض الله

ونحو ذلك مما فيه دلالة على أنه منفصل عن المضاف إليه ولكن هو يحسن به

وأما الصفات مثل العلم والقدرة ونحو ذلك فإذا أضيف كانت إضافته إضافة نفسية إذا لم يتبين خلاف ذلك إذ لم يُعلم أن هذه الأمور تقوم بنفسها والصورة هي قائمة بذي الصورة فليست من الأعيان المنفصلة عن المضاف إليه حتى تجعل بمعنى الملك

فلا يمكن أن تكون صورة الله التي يأتي فيها مخلوقًا منفصلاً عنه يبعثه وهو لا يأتي "

الوجه الثالث : "أنه قد قال [ فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ]

وفي لفظ [ أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم ]

ومعلوم أن أحدًا من الملائكة لا يقول للخلق أنا ربكم بل لا يدَّعي هذه الدعوى إلا كافر بالله تعالى كفرعون والدجال والشيطان بل الملائكة عباد مطيعون لله تعالى لا يدعون الربوبية ولا الألوهية كما قال تعالى {وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ}

ولا يأمر الله أحدًا من الخلق أن يقول لجميع العباد أنا ربكم

فإنه تعالى لا يأمر بالشرك ومن زعم أن الله يأمر بهذا فهو مفتر على الله

وإن كان الملك يقوله امتحانًا فهذا لا يصلح كما لا يصلح أن يقول أحد من الأنبياء والمرسلين للناس أنا ربكم على سبيل الامتحان

وأمَّا ما ذكره من امتحان النَّاس في عرصات القيامة فلا ننكره

فإنَّ المحنة إنَّما تنقطع بدخول دار الجزاء الجنة أو النار

فأمَّا عَرَصَات القيامة فإنَّ المحنة في هذا وفي أمره لهم بالسجود

وفيما ورد من تكليف من لم يكلَّف في الدنيا من الأطفال والمجانين

كما أنَّهم يُمتَحَنُونَ في قبورهم بمسألة منكر ونكير لكن المحنة من الملَك أن يقول للعبد من ربُّكَ ومن نبيُّكَ "

وفي هذا رد على النووي أيضاً لما قال : إِنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ دَارَ تَكْلِيفٍ بِالسُّجُودِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ امْتِحَانُهُمْ ا.هـ

وقد قال ابن القيم –أيضاً في هذا المتعلق– في المدارج :

ومن له عذر من خلقه كالطفل الذي لا يميز والمعتوه ومن لم تبلغه الدعوة والأصم الأعمى الذي لا يبصر ولا يسمع فإن الله لا يعذب هؤلاء بلا ذنب ألبتة وله فيهم حكم آخر في المعاد يمتحنهم بأن يرسل إليهم رسولا يأمرهم وينهاهم فمن أطاع الرسول منهم

أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار حكى ذلك أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة والحديث في مقالاته وفيه عدة أحاديث بعضها في مسند أحمد كحديث الأسود بن سريع وحديث أبي هريرة

ومن طعن في هذه الأحاديث بأن الآخرة دار جزاء لادار تكليف فهذه الأحاديث مخالفة للعقل فهو جاهل فإن التكليف إنما ينقطع بدخول دار القرار الجنة أو النار وإلا فالتكليف واقع في البرزخ وفي العرصات ولهذا يدعوهم إلى السجود له في الموقف فيسجد المؤمنون له طوعا واختيارا ويحال بين الكفار والمنافقين وبين السجود .ا.هـ

وعوداً إلى ذكر وجوه الرد الأصلية

الوجه الرابع: " أنَّه لو كان الممتحن لهم في الآخرة ملكاً من الملائكة لقال لهم من ربُّكم وما تعبدون ولقال لهم هلا تذهبون مع ربِّكم

إذ من الممكن أن يُظهر لهم صورة

ويقول لهم ملَكٌ هلاَّ تذهبون مع هذه الصُّورة

كما أنَّه في أوَّل الحديث قال [ فأذَّن مؤذّنٌ ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ]

فلو كان المخاطب لهم عن الله لقال لهم ما يصلح له كما في نظائر ذلك

ولكن من شأن الجهميَّة أنَّهم يجعلون المخاطب للعباد بدعوى الربوبيَّة غير الله كما قالوا إنَّ الخطاب الذي سمعه موسى بقوله {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ} كان قائما بمخلوق كالشجرة وكما قال في قوله [ من يدعوني ..] إنه يقول هذا ملك من الملائكة وكما زعم هذا المؤَسسُ في قوله تعالى {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا}

إن ربه ملك من الملائكة (!) وهذا كُلُّه من الكفر والإلحاد "

الوجه الخامس: " أنه قال [ فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ]

وهذا نص في أنهم رأوا الله قبل هذا الخطاب في صورة غير هذه الصورة

فلو كان المخاطب لهم ملكا لكان المرئي قبل ذلك هو الملك لا الله

والحديث نص في أنهم رأوا الله قبل هذه المرة "

الوجه السادس: " أنه قال [ فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ]

وفي الحديث الآخر [ حتى إذا لم يبق إلاً من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم الله في أدنى صورة من التي رأوه فيها ]

وفي رواية [ إنا سمعنا مناديًا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ]

وفي رواية [ أتاهم الله رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها فيقال ماذا تنتظرون فيقولون فارقنا الناس أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد فيقول أنا ربكم فيقولون لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساقه فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقة ..ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في الصورة التي رأوه فيها أول مرة فقال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ] وهذا صريح بأن الذي أتاهم وقال أنا ربكم هو الذي أراهم العلامة حتى عرفوه فسجدوا له بعد ذلك وعرفوا أنه رب العالمين

ولو كان القائل أنا ربكم ملكًا لكان الملك هو الذي اعترفوا آخرًا أنه رب العالمين وهو الذي سجدوا له وهذا من أعظم الكفر والضلال "

الوجه السابع: "أن قوله [ فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ] وأنه يبدي العلامة التي ذكرها فيسجدون له صريح بأن الذي يسجدون له قد جاء في الصورة التي يعرفون

ويتجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة

وذلك صريح بأن الله هو الآتي في الصورة التي عرفوه فيها وسجدوا له لما عرفوه "

وبهذه الوجوه تبطل كل دعاوى المعطلة التي نقلها الشارح وقد نقلتها كلها –إلا قليلاً– من بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية

فصل

قال الشارح [3–27] : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) .. فسر ابن عَبَّاسٍ وَجُمْهُورُ أَهْلِ اللُّغَةِ وَغَرِيبِ الْحَدِيثِ السَّاقَ هُنَا بِالشِّدَّةِ أَيْ يُكْشَفُ عَنْ شِدَّةٍ وَأَمْرٍ مَهُولٍ ، وَهَذَا مَثَلٌ تَضْرِبُهُ الْعَرَبُ لِشِدَّةِ الْأَمْرِ .. . ا.هـ

هذا كذب على ابن عباس –رضي الله عنهما– وعلى جمهور أهل اللغة فإنهم لم يقولوا في الحديث بأن المراد من الساق –المذكورة فيه– قيام الشدة ، ولكن الشارح فيما يظهر يريد قول ابن عباس ومن وافقه في تفسير قوله تعالى {يوم يكشف عن ساق}

فـ " الصحابة قد تنازعوا في تفسير الآية هل المراد به الكشف عن الشدة أو المراد به أنه يكشف الرب عن ساقه ولم يتنازع الصحابة والتابعون في ما يذكر من آيات الصفات إلا في هذه الآية .. وذلك أنه ليس في ظاهر القرآن أن ذلك صفة لله تعالى لأنه قال {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ} ولم يقل عن ساق الله ، ولا قال يكشف الرب عن ساقه وإنما ذكر ساقاً منكَّرة غير معرَّفة ولا مضافة وهذا اللفظ بمجرده لا يدل على أنها ساق الله ، والذين جعلوا ذلك من صفات الله تعالى أثبتوه بالحديث الصحيح المفسر للقرآن وهو حديث أبي سعيد الخدري المخرج في الصحيحين الذي قال فيه [ فيكشف الرب عن ساقه ] " فقد ثبت عن ابن عباس ومجاهد وقتادة تفسيره بإزالة الشدة ، وفي الوقت نفسه ثبت عن ابن مسعود –رضي الله عنه– قوله في الآية [ عَن سَاقيه تبَارك وَتَعَالَى ] وقد روي من حديث أبي موسى مرفوعاً قوله –صلى الله عليه وسلم– [ عَن نور عَظِيم فَيَخِرُّونَ لَهُ سجدا ] وهذا هو الصواب فإن تفسيرها بكشف الشدة تفسير مرجوح إذ " لو أريد ذلك لقيل يوم يكشف عن الشدة أو يكشف الشدة ، و أيضاً فيوم القيامة لا يكشف الشدة عن الكفار "[1] " وقد يقال إن ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة

أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود والسجود لايصلح إلا لله فعلم أنه هو الكاشف عن ساقه "[2]

---

[1] الاستغاثة [2-542]

[2] بيان تلبيس الجهمية [5-473]

فصل

قال الشارح في شرحه [16-183] : قَالَ الْعُلَمَاءُ مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى لِعَبْدِهِ هِيَ إِرَادَتُهُ الْخَيْرَ لَهُ وَهِدَايَتُهُ وَإِنْعَامُهُ عَلَيْهِ وَرَحْمَتُهُ

وَبُغْضُهُ إِرَادَةَ عِقَابِهِ أَوْ شَقَاوَتِهِ وَنَحْوِهِ . ا.هـ

وهذا أيضاً من تأويلات النفاة والمعطلة وقد سبق نقل الإجماع على بطلانها ، وسبق بيان أن هذه اللوازم التي يثبتونها هرباً من القول بحقيقة الصفة هي في الحقيقة دليل عقلي على إثبات أصل الصفة أيضاً

وليعلم هنا أن هؤلاء النفاة في الحقيقة قطاع طريق عن العباد من الوصول إلى طريق المحبة شائوا أم أباوا !!

فإن من أعظم الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها " مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها ، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها

فمن عرف الله بأسمائه وصفاته و أفعاله أحبه لا محالة

ولهذا كانت المعطلة والفرعونية والجهمية قطاع الطريق على القلوب بينها وبين الوصول إلى المحبوب " فإن هؤلاء يقولون للعباد أن الرب لا يرحم المسترحمين رحمة حقيقية ! ولا يحب المتقين محبة حقيقة !

وأن الكافر وأتقى الأتقياء سواء في قربهما من الرب المعبود

وأنه لا يفرح فرحاً حقيقياً لتوبة عبده

وإذا جاءوا ليصفوا معبودهم قالوا : الله تعالى ليس بجوهر ولا عرض !

وليس بشبح ولا متحيز ! ولا فوق ولا تحت ! ولا يمين ولا شمال !ولا أمام ولا خلف !

ولا داخل العالم ولا خارج العالم ! ولا متصل بالعالم ولا منفصل عن العالم !

وليس بجسم ولا محدود ! وليس له لون ولا طعم ! .... **فهؤلاء يبغضون العباد بربهم** وقد جهل القوم " أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال إلا إذا تضمن إثباتًا

وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال

لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء

وما ليس بشيء فهو كما قيل : ليس بشيء، فضلًا عن أن يكون مدحًا أو كمالا ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع

والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال . فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمنًا لإثبات مدح "

فأين قول المعطلة الفرعونية من قول جند الله وحزب الرحمن

وأين آثار هذا المعتقد من ذاك

فإن " من عرف ما جاءت به الرسل من إثبات محبة الله تعالى و رضاه و فرحه بتوبة التائبين و سخطه و غضبه و مقته لمن عصاه "

ومتى علم العبد أنه مع كونه " لم يزل يتمقت إلى ربه بمعاصيه

حتى أعرض عنه وأغلق الباب في وجهه

ومع هذا فلم يؤيسه من رحمته

بل قال [ إن تقربت مني شبرا تقربت منك ذراعا وإن تقربت مني ذراعا تقربت منك باعا وإن مشيت إلى هرولت إليك ]

وقال لو [ لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا أتيتك بقرابها مغفرة ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ]

وقال [ عبادي يبارزونني بالعظائم وأنا أكلؤهم على فرشهم ]

[ إني والجن والإنس في نبإ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي

خيري إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد

أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم

ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ]
أهل ذكري أهل مجالستي وأهل شكري أهل زيادتي
وأهل طاعتي أهل كرامتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي
إن تابوا إلي فأنا حبيبهم فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين
وان لم يتوبوا إلي فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب
ومن آثرني على سواي آثرته على سواه
الحسنة عندي بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة
والسيئة عندي بواحدة فإن ندم عليها واستغفرني غفرتها له
أشكر اليسير من العمل وأغفر الكثير من الزلل
[ رحمتي سبقت غضبي ]
وحلمي سبق مؤاخذتي وعفوي سبق عقوبتي
[ أنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها ]

**فهذا شأن الرب وشأن العبد**

وهم يقيمون أعذار أنفسهم ويحملون ذنوبهم على أقداره
استأثر الله بالمحامد والمجد ... وولي الملامة الرجلا
وما أحسن قول القائل
تطوي المراحل عن حبيبك دائبا وتظل تبكيه بدمع ساجم "
فمن علم أن الله سبحانه [ أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض مهلكة دوية عليها طعامه وشرابه فطلبها حتى إذا أيس من حصولها نام في أصل شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا هي على رأسه قد تعلق خطامها بالشجرة فالله أفرح بتوبة عبده من هذا براحلته ]
كيف يكون إقباله إلى ربه ؟ من ذاك الذي يعبد عدماً ؟!!
و" هذا الفرح [الإلهي] له شأن ينبغي للعبد أهماله والإعراض عنه
ولا يطلع عليه إلا من له معرفة خاصة بالله وأسمائه وصفاته

وما يليق بعز جلاله وقد كان الأولى بنا طي الكلام فيه إلى ما هو اللائق بأفهام بني الزمان وعلومهم ونهاية أقدامهم من المعرفة وضعف عقولهم عن احتماله

**غير أنا نعلم أن الله عز و جل سيسوق هذه البضاعة إلى تجارها ومن هو عارف بقدرها**

وإن وقعت في الطريق بيد من ليس عارفا بها فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه

**فاعلم** أن الله سبحانه وتعالى اختص نوع الإنسان من بين خلقه بأن كرمه وفضله وشرفه وخلقه لنفسه وخلق كل شيء له

وخصه من معرفته ومحبته وقربه وإكرامه بما لم يعطه غيره

وسخر له ما في سماواته وأرضه وما بينهما

حتى ملائكته الذين هم أهل قربه استخدمهم له

وجعلهم حفظة له في منامه ويقظته وظعنه وإقامته

وأنزل إليه وعليه كتبه وأرسله وأرسل إليه

وخاطبه وكلمه منه إليه واتخذ منهم الخليل والكليم والأولياء والخواص والأحبار

وجعلهم معدن أسراره ومحل حكمته وموضع حبه

وخلق لهم الجنة والنار فالخلق والأمر والثواب والعقاب مداره على النوع الإنساني

فإنه خلاصة الخلق وهو المقصود بالأمر والنهي وعليه الثواب والعقاب

فللإنسان شأن ليس لسائر المخلوقات

وقد خلق أباه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته

وعلمه أسماء كل شيء وأظهر فضله على الملائكة فمن دونهم من جميع المخلوقات وطرد إبليس عن قربه وأبعده عن بابه إذ لم يسجد له مع الساجدين واتخذه عدوا له

فالمؤمن من نوع الإنسان خير البرية على الإطلاق

وخيرة الله من العالمين فإنه خلقه ليتم نعمته عليه

وليتواتر إحسانه إليه وليخصه من كرامته وفضله بما لم تنله أمنيته

ولم يخطر على باله ولم يشعر به ليسأله من المواهب والعطايا الباطنة والظاهرة العاجلة والآجلة التي لا تنال إلا بمحبته

ولا تنال محبته إلا بطاعته وإيثاره على ما سواه

فاتخذه محبوبا له وأعد له أفضل ما يعده محب غني قادر جواد لمحبوبه إذا قدم عليه

وعهد إليه عهدا تقدم إليه فيه بأوامره ونواهيه

وأعلمه في عهده ما يقربه إليه ويزيده محبة له وكرامة عليه وما يبعده منه ويسخطه عليه ويسقطه من عينه ، وللمحبوب عدو هو أبغض خلقه إليه قد جاهره بالعداوة

وأمر عباده أن يكون دينهم وطاعتهم وعبادتهم له دون وليهم ومعبودهم الحق واستقطع عباده واتخذ منهم حزبا ظاهروه ووالوه على ربهم

وكانوا أعداء له مع هذا العدو

يدعون إلى سخطه ويطعنون في ربوبيته وإلهيته ووحدانيته ويسبونه ويكذبونه ويفتنون أولياءه ويؤذونهم بأنواع الأذى

ويجهدون على إعدامهم من الوجود وإقامة الدولة لهم

ومحو كل ما يحبه الله ويرضاه

وتبديله بكل ما يسخطه ويكرهه

فعرفه بهذا العدو وطرائقهم وأعمالهم ومالهم وحذره موالاتهم والدخول في زمرتهم والكون معهم ، وأخبره في عهده أنه أجود الأجودين

وأكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين

وأنه سبقت رحمته غضبه وحلمه عقوبته وعفوه مؤاخذته

وأنه قد أفاض على خلقه النعمة

وكتب على نفسه الرحمة

وأنه يحب الإحسان والجود والعطاء والبر

وأن الفضل كله بيده والخير كله منه ، والجود كله له

وأحب ما إليه أن يجود على عباده ويوسعهم فضلا ويغمرهم إحسانا وجودا ويتم عليهم نعمته ويضاعف لديهم منته ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه ، فهو الجواد لذاته وجود كل جواد خلقه الله ويخلقه أبدا

أقل من ذرة بالقياس إلى جوده فليس الجواد على الإطلاق إلا هو وجود كل جواد فمن جوده ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق أو يدور في أوهامهم

وفرحه بعطائه وجوده وإفضاله أشد من فرح الآخذ بما يعطاه

ويأخذه أحوج ما هو إليه أعظم ما كان قدرا فإذا اجتمع شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها فما الظن بفرح المعطي

ففرح المعطي سبحانه بعطائه أشد وأعظم من فرح هذا بما يأخذه

ولله المثل الأعلى إذ هذا شأن الجواد من الخلق

فإنه يحصل له من الفرح والسرور والإبتهاج واللذة بعطائه وجوده فوق ما يحصل لمن يعطيه ، ولكن الآخذ غائب بلذة أخذه عن لذة المعطي وابتهاجه وسروره

هذا مع كمال حاجته إلى ما يعطيه وفقره إليه وعدم وثوقه بإستخلاف مثله وخوف الحاجة إليه عند ذهابه ، والتعرض لذل الإستعانة بنظيره ومن هو دونه ونفسه قد طبعت على الحرص والشح ، فما الظن بمن تقدس وتنزه عن ذلك كله

ولو أن أهل سماواته وأرضه وأول خلقه وآخرهم وإنسهم وجنهم ورطبهم ويابسهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد ما سأله ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة ، وهو الجواد لذاته كما أنه الحي لذاته العليم لذاته السميع البصير لذاته فجوده العالي من لوازم ذاته ، والعفو أحب إليه من الإنتقام ، والرحمة أحب إليه من العقوبة

والفضل أحب إليه من العدل ، والعطاء أحب إليه من المنع

فإذا تعرض عبده ومحبوبه الذي خلقه لنفسه وأعد له أنواع كرامته وفضله على غيره وجعله محل معرفته وأنزل إليه كتابه وأرسل إليه رسوله واعتنى بأمره ولم يهمله ولم يتركه سدى ، فتعرض لغضبه وارتكب مساخطه وما يكرهه

وأبق منه ووالى عدوه وظاهره عليه

وتحيز إليه وقطع طريق نعمه وإحسانه إليه التي هي أحب شيء إليه
وفتح طريق العقوبة والغضب والإنتقام
فقد استدعى من الجواد الكريم خلاف ما هو موصوف به من الجود والإحسان والبر
وتعرض لإغضابه وإسخاطه وانتقامه
وأن يصير غضبه وسخطه في موضع رضاه وانتقامه وعقوبته في موضع كرمه وبره وعطائه
فاستدعى بمعصيته من أفعاله ما سواه أحب إليه منه
وخلاف ما هو من لوازم ذاته من الجود والإحسان
فبينما هو حبيبه المقرب المخصوص بالكرامة إذا انقلب آبقا شاردا رادا لكرامته مائلا عنه إلى عدوه مع شدة حاجته إليه
وعدم استغنائه عنه طرفة عين ، فبينما ذلك الحبيب مع العدو في طاعته وخدمته ناسيا لسيده منهمكا في موافقة عدوه ، قد استدعى من سيده خلاف ما هو أهله
إذ عرضت له فكرة فتذكر بر سيده وعطفه وجوده وكرمه
وعلم أنه لا بد له منه وأن مصيره إليه وعرضه عليه
وأنه إن لم يقدم عليه بنفسه قدم به عليه على أسوأ الأحوال
ففر إلى سيده من بلد عدوه
وجد في الهرب إليه حتى وصل إلى بابه فوضع خده على عتبة بابه
وتوسد ثرى أعتابه متذللا متضرعا خاشعا باكيا آسفا
يتملق سيده ويسترحمه ويستعطفه ويعتذر إليه ، قد ألقى بيده إليه واستسلم له
وأعطاه قياده وألقى إليه زمامه ، فعلم سيده ما في قلبه
فعاد مكان الغضب عليه رضا عنه ، ومكان الشدة عليه رحمة به
وأبدله بالعقوبة عفوا ، وبالمنع عطاء ، وبالمؤاخذة حلما
فاستدعى بالتوبة والرجوع من سيده ما هو أهله
وما هو موجب أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فكيف يكون فرح سيده به
وقد عاد إليه حبيبه ووليه طوعا واختيارا ، وراجع ما يحبه سيده منه برضاه

وفتح طريق البر والإحسان والجود التي هي أحب إلى سيده من طريق الغضب والإنتقام والعقوبة ، وهذا موضع الحكاية المشهورة

أنه حصل له شرود وإباق من سيده فرأى في بعض السكك بابا قد فتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي وأمه خلفه تطرده

حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت فذهب الصبي غير بعيد

ثم وقف مفكرا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه

ولا من يؤيه غير والدته فرجع مكسور القلب حزينا

فوجد الباب مرتجا فتوسده ووضع خده على عتبة الباب ونام فخرجت أمه

فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه والتزمته تقبله وتبكي وتقول يا ولدي أين تذهب عني ، ومن يؤيك سواي

ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة بك والشفقة عليك وإرادتي الخير لك ثم أخذته ودخلت

فتأمل قول الأم لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جبلت عليه من الرحمة والشفقة

وتأمل قوله لله أرحم بعباده من الوالدة بولدها

وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء

فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه

فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به

فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح الله بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة بعد اليأس منها

ووراء هذا ما تجفو عنه العبارة وتدق عن إدراكه الأذهان

وإياك وطريقة التعطيل والتمثيل

فإن كلا منهما منزل ذميم ومرتع على علاته وخيم

ولا يحل لأحدهما أن يجد روائح هذا الأمر ونفسه

لأن زكام التعطيل والتمثيل مفسد لحاسة الشم

كما هو مفسد لحاسة الذوق
فلا يذوق طعم الإيمان ولا يجد ريحه
والمحروم كل المحروم من عرض عليه الغني والخير فلم يقبله فلا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع والفضل بيد الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم "
كما قال ابن القيم في المدارج السالكين

وليعلم أن الأمر في هذا الباب أجمع هو كما قال السجزي : اتفقت الأئمة على أنّ الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف فقول المتكلمين في نفي الصفات .. أو حملها على تأويل مخالف للظاهر ضلال .ا.هـ

وعليه فما أكثر ضلال الشارح نسأل الله العافية

فصل

قال الشارح [17–182]: فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ وَقَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ :
أَحَدُهُمَا وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وطائفة من المتكلمين أنه لايتكلم فِي تَأْوِيلِهَا.. وَالثَّانِي وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُتَأَوَّلُ بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِهَا فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ ، فَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ هُنَا الْمُتَقَدِّمُ وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ
وَمَعْنَاهُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مَنْ قَدَّمَهُ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ
الثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ قَدَمُ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَدَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمَعْلُوم
الثَّالِثُ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ ..
وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُرَادَ بِالرِّجْلِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ كَمَا يُقَالُ رِجْلٌ مِنْ جَرَادٍ أَيْ قِطْعَةٌ مِنْهُ ،
قَالَ الْقَاضِي أَظْهَرُ التَّأْوِيلَاتِ أَنَّهُمْ قَوْمٌ اسْتَحَقُّوهَا
وَخُلِقُوا لَهَا قَالُوا ولابد مِنْ صَرْفِهِ عَنْ ظَاهِرِهِ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ الْقَطْعِيِّ الْعَقْلِيِّ عَلَى اسْتِحَالَةِ الْجَارِحَةِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . ا.هـ المراد

التأويل الذي نقله الشارح هنا عن بعض العلماء (!) هو بعينه تأويل المريسي الذي رد عليه الدارمي رحمه الله فقال له : كَيف تَدعِي أَنَّهَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يُلْقِيَ اللَّهُ فِيهَا الْأَشْقِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ قَدَمُ الْجَبَّارِ عِنْدَكَ، فَتَمْتَلِئَ بِهِمْ فِي دَعْوَاكَ؟

وَهل استزادت بَعْدَ ذَلِكَ. أَفَيُلْقِيهُمْ فِيهَا ثَانِيَةً، وَقَدْ أَلْقَاهُمْ فِيهَا قَبْلُ، فَلَمْ تَمْتَلِئْ؟ كَأَنَّهُ فِي دَعْوَاكَ حَبسَ عَنْهَا الْأَشْقِيَاءَ، وَأَلْقَى فِيهَا السُّعَدَاءَ، فَلَمَّا اسْتَزَادَتْ أَلْقَى فِيهَا الْأَشْقِيَاءَ بَعْدُ، حَتَّى مَلَأَهَا .

لَوِ ادَّعَى هَذَا مَنْ لَمْ يَسْمَعْ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ مَا زَادَ. ا.هـ

وقد ذكر ابن بطة في الإبانة تحت باب : بَابٌ جَامِعٌ مِنْ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ رَوَاهَا الْأَئِمَّةُ، وَالشُّيُوخُ الثِّقَاتُ، الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ تَمَامِ السُّنَّةِ، وَكَمَالِ الدِّيَانَةِ، لَا يُنْكِرُهَا إِلَّا جَهْمِيٌّ خَبِيثٌ ا . هـ

ثم ذكر أول حديث من الأحاديث التي تنكرها الجهمية الخبثاء حديث [ حَتَّى يَضَعَ تَعَالَى قَدَمَهُ عَلَيْهَا ] !!!

والرد على الشارح في تمويهاته التي ذكرها من وجوه :

أولها : أن يقال هَذَا لأن قوله [ يضع قدمه ] هاء كناية، وهاء الكناية ترجع إلى المذكور، والمذكور فِي الخبر لله سُبْحَانَهُ

وفِي لفظ آخر [ الجبار ] وفِي لفظ آخر [ رب العزة ]، فوجب أن يرجع إليه، فأما المتقدم من الكفار فلم يتقدم ذكرهم، فلا يجب رجوع الهاء إليهم

ثانيها : أن هَذَا يسقط فائدة التخصيص بالنار، لأن المتقدم بفعل الخير يضعه فِي الجنة، فلو كان المراد بالقدم المتقدم لم يكن لتخصيصه بالنار فائدة، فوجب حمله عَلَى ظاهره ليفيد فائدة .

وأما قوله سُبْحَانَهُ: {أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ} فقد روي عن زيد بن أسلم المراد به مُحَمَّد، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وقيل: المراد به الثواب روي بذلك عن ابن زيد وغيره
وإنما حمل القدم هناك عَلَى السابق من الرسول والثواب، لأن فِي ظاهر اللفظ ما دل عليه، وهو قول سُبْحَانَهُ: {قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} وإنما قَالُوا ذَلِكَ فِي الرسول ، وكذلك قوله تَعَالَى: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} إنما يبشرون بما سبق لهم من الأعمال، فهناك ما دل عَلَى أن المراد بالقدم السابقة
وليس فِي الخبر ما يدل عَلَى ذَلِكَ
بل فيه ما يدل عَلَى خلاف ذَلِكَ من الوجه الذي ذكرنا ..

ثالثها : فِي الخبر تقول النار [ قط بعزتك وعظمتك ] ، وهذه صفة تختص بالله سُبْحَانَهُ، لأن هَذَا قسم منها بالله سُبْحَانَهُ، خرج منها مخرج الخضوع والتذلل، ولا يكون هَذَا منها بوضع الجبابرة ومن يستحق العذاب لأنها سحق لهم .

رابعها : قد جاء في الخبر قوله [ لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها ] ، والرجل لا يعبر بها عن الجبابرة، والمتقدم من المشركين
ولأن قوله: " لا تمتلئ " تعظيما لحالها وشدة غيظها، قَالَ تَعَالَى: {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} وما هَذَا صفته لا يكفه وضع بعض الجبابرة من الكفار، وإنما يكفيه قدم الصفة، ولأنه قَالَ [ ينزوي بعضها إلى بعض ] يعني مجتمع، وهذا لا يوجد ببعض خلقه، لأن النار تسحقه، كما قَالَ: {فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ} وإنما تجتمع من قدم الصفة

وقد نقل حرب –رحمه الله– إجماع السلف على إثبات صفة القدم للرب سبحانه وقد ذكر في مقدمة اعتقاده أن من :
خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أوعاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق . ا.هـ المراد

وعامة ما في هذا الفصل منقول من إبطال التأويلات وهو كاف في بيان بطلان التأويلات التي نقلها الشارح

فصل

قال الشارح [8–30] : وَأَمَّا مَعْنَى الْحَدِيثِ فَقَالَ الْقَاضِي قَالَ الْمَازِرِيُّ هَذَا مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ لِأَنَّ اسْتِطَابَةَ بَعْضِ الرَّوَائِحِ مِنْ صِفَاتِ الْحَيَوَانِ الَّذِي له طبائع تميل إلى شئ فَتَسْتَطِيبُهُ وَتَنْفِرُ مِنْ شَيْءٍ فَتَسْتَقْذِرُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ذَلِكَ لَكِنْ جَرَتْ عَادَتُنَا بِتَقْرِيبِ الرَّوَائِحِ الطَّيِّبَةِ مِنَّا فَاسْتُعِيرَ ذَلِكَ فِي الصَّوْمِ لِتَقْرِيبِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ الْقَاضِي وَقِيلَ يُجَازِيهِ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَتَكُونُ نَكْهَتُهُ أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ كَمَا أَنَّ دَمَ الشَّهِيدِ يَكُونُ رِيحُهُ رِيحَ الْمِسْكِ

وَقِيلَ يحصل لصاحبه من الثواب أكثر ممن يَحْصُلُ لِصَاحِبِ الْمِسْكِ

وَقِيلَ رَائِحَتُهُ عِنْدَ مَلَائِكَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَطْيَبُ مِنْ رَائِحَةِ الْمِسْكِ عِنْدَنَا وَإِنْ كَانَتْ رَائِحَةُ الْخُلُوفِ عِنْدَنَا خِلَافَهُ وَالْأَصَحُّ ما قاله الداورى مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَقَالَهُ مَنْ قَالَ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ الْخُلُوفَ أَكْثَرُ ثَوَابًا مِنَ الْمِسْكِ حَيْثُ نُدِبَ إِلَيْهِ فِي الْجُمَعِ وَالْأَعْيَادِ وَمَجَالِسِ الْحَدِيثِ وَالذِّكْرِ وَسَائِرِ مَجَامِعِ الْخَيْرِ . اهـ

هذا التأويل باطل وهو جار على طريقة المعطلة والنفاة لا أهل السنة .

يقول ابن القيم في الوابل الصيب : ثم ذكر كلام الشراح في معنى طيبه

وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضى بفعله

على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله وإخراج اللفظ عن حقيقته ؟ وكثير من هؤلاء ينشئ للفظ معنى

ثم يدعي إرادة ذلك المعنى بلفظ النص من غير نظر منه إلى استعمال ذلك اللفظ في المعنى الذي عينه أو احتمال اللغة له

ومعلوم أن هذا يتضمن الشهادة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم بأن مراده من كلامه كيت وكيت ، فإن لم يكن ذلك معلوما بوضع اللفظ لذلك المعنى

أو عرف الشارع صلى الله عليه و سلم وعادته المطردة

أو الغالبة باستعمال ذلك اللفظ في هذا المعنى

أو تفسيره له به وإلا كانت شهادة باطلة

ومن المعلوم أن أطيب ما عند الناس من الرائحة رائحة المسك فمثل النبي صلى الله عليه هذا الخلوف عند الله تعالى بطيب رائحة المسك عندنا وأعظم

ونسبة استطابة ذلك إليه سبحانه وتعالى كنسبة سائر صفاته وأفعاله إليه فإنها استطابة لا تماثل استطابة المخلوقين

كما أن رضاه وغضبه وفرحه وكراهته وحبه وبغضه لا تماثل ما للمخلوق من ذلك كما أن ذاته سبحانه وتعالى لا تشبه ذوات خلقه وصفاته لا تشبه صفاتهم وأفعالهم

وهو سبحانه وتعالى يستطيب الكلم الطيب فيصعد إليه والعمل الصالح فيرفعه وليست هذه الاستطابة كاستطابتنا

ثم إن تأويله لا يرفع الإشكال إذ ما استشكله هؤلاء من الاستطابة يلزم مثله الرضا فإن قال رضا ليس كرضا المخلوقين

فقولوا استطابة ليس كاستطابة المخلوقين

وعلى هذا جميع ما يجيء من هذا الباب .. ا.هـ المراد

فصل

قال الشارح في شرحه [14–61] :

ومعنى لا ينظر الله إليه أى لا يرحمه ولاينظر إِلَيْهِ نَظَرَ رَحْمَةٍ .هـ

هنا أحب أن أذكر فائدة في هذا المتعلق لذا أوردت كلام الشارح

قال ابن تيمية في المجموع :

لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ هَلْ يُقَالُ : إنَّ نَفْسَ الرُّؤْيَةِ وَالسَّمْعِ الَّذِي هُوَ مُطْلَقُ الْإِدْرَاكِ هُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ فَلَا يُمْكِنُ وُجُودُ مَسْمُوعٍ وَمَرْئِيٍّ

وَقَدْ تَعَلَّقَ بِهِ كَالْعِلْمِ ؟ أَوْ يُقَالُ : إنَّهُ أَيْضًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إلَى بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ ؟ هَذَا فِيهِ قَوْلَانِ : وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مَنْ لَا يَجْعَلُ ذَلِكَ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ يَجْعَلُونَهُ مُتَعَلِّقًا بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَقَدْ يَقُولُونَ : مَتَى وُجِدَ الْمَرْئِيُّ وَالْمَسْمُوعُ وَجَبَ تَعَلُّقُ الْإِدْرَاكِ بِهِ .

وَالْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ جِنْسَ السَّمْعِ وَالرُّؤْيَةِ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَيُمْكِنُ أَنْ لَا يَنْظُرَ إلَى شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ وَهَذَا هُوَ الْمَأْثُورُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْ السَّلَفِ كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الجوني قَالَ : مَا نَظَرَ اللَّهُ إلَى شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ إلَّا رَحِمَهُ وَلَكِنَّهُ قَضَى أَنْ لَا يَنْظُرَ إلَيْهِمْ. .ا.هـ المراد

فصل

قال الشارح في شرحه [16–217] : قَالَ الْغَزَالِيُّ فِي الْمُسْتَصْفَى ...وَأَمَّا الْمُتَشَابِهِ فَالْأَسْمَاءُ الْمُشْتَرَكَةُ كَالْقُرْءِ .. ويطلق على ماورد فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا يُوهِمُ ظَاهِرُهُ الْجِهَةَ وَالتَّشْبِيهَ وَيَحْتَاجُ إلَى تَأْوِيلٍ . ا.هـ

هذا القول –الذي أقره الشارح– قول محدث مخالف لإجماع السلف بل لازمه الكفر عياذاً بالله .

قال ابن تيمية في المجموع : وَأَمَّا إدْخَالُ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
أَوْ بَعْضِ ذَلِكَ فِي الْمُتَشَابِهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ.
أَوْ اعْتِقَادُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْمُتَشَابِهُ الَّذِي اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ
كَمَا يَقُولُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ الْقَوْلَيْنِ طَوَائِفُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ.
فَإِنَّهُمْ وَإِنْ أَصَابُوا فِي كَثِيرٍ مِمَّا يَقُولُونَهُ وَنَجَوْا مِنْ بِدَعٍ وَقَعَ فِيهَا غَيْرُهُمْ فَالْكَلَامُ عَلَى هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ:
الْأَوَّلُ: مَنْ قَالَ: إنَّ هَذَا مِنْ الْمُتَشَابِهِ وَأَنَّهُ لَا يُفْهَمُ مَعْنَاهُ

فَنَقُولُ أَمَّا الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ فَإِنِّي مَا أَعْلَمُ عَنْ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَلَا مِنْ الْأَئِمَّةِ لَا أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَلَا غَيْرِهِ أَنَّهُ جَعَلَ ذَلِكَ مِنْ الْمُتَشَابِهِ الدَّاخِلِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَنَفَى أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ مَعْنَاهُ.

وَجَعَلُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ بِمَنْزِلَةِ الْكَلَامِ الْأَعْجَمِيِّ الَّذِي لَا يُفْهَمُ وَلَا قَالُوا: إنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ كَلَامًا لَا يَفْهَمُ أَحَدٌ مَعْنَاهُ

وَإِنَّمَا قَالُوا كَلِمَاتٍ لَهَا مَعَانٍ صَحِيحَةٌ.

قَالُوا فِي أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ: تُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ وَنَهَوْا عَنْ تَأْوِيلَاتِ الْجَهْمِيَّةِ .. وَكَذَلِكَ نَصُّ أَحْمَد فِي كِتَابِ " الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ " أَنَّهُمْ تَمَسَّكُوا بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ

وَتَكَلَّمَ أَحْمَد عَلَى ذَلِكَ الْمُتَشَابِهِ وَبَيَّنَ مَعْنَاهُ

وَتَفْسِيرَهُ بِمَا يُخَالِفُ تَأْوِيلَ الْجَهْمِيَّةِ وَجَرَى فِي ذَلِكَ عَلَى سُنَنِ الْأَئِمَّةِ قَبْلَهُ.

فَهَذَا اتِّفَاقٌ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَلَى أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ مَعْنَى هَذَا الْمُتَشَابِهِ ...

و " التَّأْوِيلُ الْمَرْدُودُ " هُوَ صَرْفُ الْكَلَامِ عَنْ ظَاهِرِهِ إلَى مَا يُخَالِفُ ظَاهِرَهُ. فَلَوْ قِيلَ إنَّ هَذَا هُوَ التَّأْوِيلُ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ وَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ لَكَانَ فِي هَذَا تَسْلِيمٌ للجهمية أَنَّ لِلْآيَةِ تَأْوِيلًا يُخَالِفُ دَلَالَتَهَا لَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ وَلَيْسَ هَذَا مَذْهَبَ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَإِنَّمَا مَذْهَبُهُمْ نَفْيُ هَذِهِ التَّأْوِيلَاتِ وَرَدُّهَا؛ لَا التَّوَقُّفُ فِيهَا وَعِنْدَهُمْ قِرَاءَةُ الْآيَةِ وَالْحَدِيثِ تَفْسِيرُهَا وَتُمَرُّ كَمَا جَاءَتْ دَالَّةً عَلَى الْمَعَانِي لَا تُحَرَّفُ وَلَا يُلْحَدُ فِيهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِمُتَشَابِهِ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهُ أَنْ نَقُولَ: لَا رَيْبَ أَنَّ اللَّهَ سَمَّى نَفْسَهُ فِي الْقُرْآنِ بِأَسْمَاءِ مِثْلِ الرَّحْمَنِ وَالْوَدُودِ وَالْعَزِيزِ وَالْجَبَّارِ وَالْعَلِيمِ وَالْقَدِيرِ وَالرَّءُوفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ وَوَصَفَ نَفْسَهُ بِصِفَاتِ مِثْلِ " سُورَةِ الْإِخْلَاصِ " و " آيَةِ الْكُرْسِيِّ " وَأَوَّلِ " الْحَدِيدِ " وَآخِرِ " الْحَشْرِ " .. إلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِمَنْ ادَّعَى فِي هَذَا أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ لَا يُعْلَمُ مَعْنَاهُ: أَتَقُولُ هَذَا فِي جَمِيعِ مَا سَمَّى اللَّهُ وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَمْ فِي الْبَعْضِ؟

فَإِنْ قُلْت: هَذَا فِي الْجَمِيعِ كَانَ هَذَا عِنَادًا ظَاهِرًا وَجَحْدًا لِمَا يُعْلَمُ بِالِاضْطِرَارِ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ بَلْ كُفْرٌ صَرِيحٌ.

فَإِنَّا نَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: {إنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} مَعْنًى

وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: {إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} مَعْنًى لَيْسَ هُوَ الْأَوَّلَ

وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} مَعْنًى

وَنَفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: {إنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} مَعْنًى.

وَصِبْيَانُ الْمُسْلِمِينَ بَلْ وَكُلُّ عَاقِلٍ يَفْهَمُ هَذَا..

ثُمَّ يُقَالُ لِهَذَا الْمُعَانِدِ: فَهَلْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ دَالَّةٌ عَلَى الْإِلَهِ الْمَعْبُودِ وَعَلَى حَقٍّ مَوْجُودٍ أَمْ لَا؟

فَإِنْ قَالَ: لَا كَانَ مُعَطِّلًا مَحْضًا وَمَا أَعْلَمُ مُسْلِمًا يَقُولُ هَذَا.

وَإِنْ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ لَهُ: فَلِمَ فَهِمْت مِنْهَا دَلَالَتَهَا عَلَى نَفْسِ الرَّبِّ وَلَمْ تَفْهَمْ دَلَالَتَهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنْ الْمَعَانِي مِنْ الرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَكِلَاهُمَا فِي الدَّلَالَةِ سَوَاءٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ؛ لِأَنَّ ثُبُوتَ الصِّفَاتِ مُحَالٌ فِي الْعَقْلِ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ أَوْ الْحُدُوثُ بِخِلَافِ الذَّاتِ.

فَيُخَاطَبُ حِينَئِذٍ بِمَا يُخَاطَبُ بِهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي كَمَا سَنَذْكُرُهُ

وَهُوَ مَنْ أَقَرَّ بِفَهْمِ بَعْضِ مَعْنَى هَذِهِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ.

فَيُقَالُ لَهُ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ مَا أَثْبَتّه وَبَيْنَ مَا نَفَيْته

أَوْ سَكَتّ عَنْ إثْبَاتِهِ وَنَفْيِهِ ؟ فَإِنَّ الْفَرْقَ إمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِهَةِ السَّمْعِ

لِأَنَّ أَحَدَ النَّصَّيْنِ دَالٌّ دَلَالَةً قَطْعِيَّةً أَوْ ظَاهِرَةً بِخِلَافِ الْآخَرِ

أَوْ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ بِأَنَّ أَحَدَ الْمَعْنَيَيْنِ يَجُوزُ أَوْ يَجِبُ إثْبَاتُهُ دُونَ الْآخَرِ

وَكِلَا الْوَجْهَيْنِ بَاطِلٌ فِي أَكْثَرِ الْمَوَاضِعِ؟ .

أَمَّا " الْأَوَّلُ " فَدَلَالَةُ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّهُ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ وَدُودٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيٌّ عَظِيمٌ كَدَلَالَتِهِ عَلَى أَنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ لَيْسَ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ مِنْ جِهَةِ النَّصِّ وَكَذَلِكَ ذِكْرُهُ لِرَحْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَعُلُوِّهِ مِثْلَ ذِكْرِهِ لِمَشِيئَتِهِ وَإِرَادَتِهِ.

وَأَمَّا " الثَّانِي " فَيُقَالُ لِمَنْ أَثْبَتَ شَيْئًا وَنَفَى آخَرَ: لِمَ نَفَيْت مَثَلًا حَقِيقَةَ رَحْمَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَأَعَدْت ذَلِكَ إلَى إرَادَتِهِ؟

فَإِنْ قَالَ: لِأَنَّ الْمَعْنَى الْمَفْهُومَ مِنْ الرَّحْمَةِ فِي حَقِّنَا هِيَ رِقَّةٌ تَمْتَنِعُ عَلَى اللَّهِ قِيلَ لَهُ: وَالْمَعْنَى الْمَفْهُومُ مِنْ الْإِرَادَةِ فِي حَقِّنَا هِيَ مَيْلٌ يَمْتَنِعُ عَلَى اللَّهِ.

فَإِنْ قَالَ: إرَادَتُهُ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ إرَادَةِ خَلْقِهِ

قِيلَ لَهُ: وَرَحْمَتُهُ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ رَحْمَةِ خَلْقِهِ وَكَذَلِكَ مَحَبَّتُهُ ... وَإِذَا انْتَهَى الْأَمْرُ إلَى ثُبُوتِ الْمَعَانِي وَأَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ الْحُدُوثَ أَوْ التَّرْكِيبَ وَالِافْتِقَارَ كَانَ الْجَوَابُ مَا قَرَّرْنَاهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَسْتَلْزِمُ حُدُوثًا وَلَا تَرْكِيبًا مُقْتَضِيًا حَاجَةً إلَى غَيْرِهِ.

وَيُعَارِضُونَ أَيْضًا بِمَا يَنْفِي بِهِ أَهْلُ التَّعْطِيلِ الذَّاتَ مِنْ الشُّبَهِ الْفَاسِدَةِ وَيُلْزِمُونَ بِوُجُودِ الرَّبِّ الْخَالِقِ الْمَعْلُومِ بِالْفِطْرَةِ الْخِلْقِيَّةِ وَالضَّرُورَةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْقَوَاطِعِ الْعَقْلِيَّةِ وَاتِّفَاقِ الْأُمَمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الدَّلَائِلِ

ثُمَّ يُطَالِبُونَ بِوُجُودِ مِنْ جِنْسِ مَا نَعْهَدُهُ أَوْ بِوُجُودِ يَعْلَمُونَ كَيْفِيَّتَهُ

فَلَا بُدَّ أَنْ يَفِرُّوا إلَى إثْبَاتِ مَا لَا تُشْبِهُ حَقِيقَتُهُ الْحَقَائِقَ. فَالْقَوْلُ فِي سَائِرِ مَا سَمَّى وَوَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ كَالْقَوْلِ فِي نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. ا.هـ

فصل

قال الشارح في كتابه "آداب الفتوى" ص67 :

واستفتي الْغَزالِيّ فِي كَلَام الله تبَارك وَتَعَالَى فَكَانَ من جَوَابه وَأما الْخَوْض فِي أَن كَلَامه تَعَالَى حرف وَصَوت أَو لَيْسَ كَذَلِك فَهُوَ بدعَة

وكل من يَدْعُو الْعَوام إِلَى الْخَوْض فِي هَذَا فَلَيْسَ من أَئِمَّة الدّين وَإِنَّمَا هُوَ من المضلين ومثاله من يَدْعُو الصّبيان الَّذين لَا يحسنون السباحة إِلَى خوض الْبَحْر وَمن يَدْعُو الزِّمن المقعَد إِلَى السّفر فِي البراري من غير مركوب . ا.هـ

والرد على هذا الكلام من وجهين :

الوجه الأول : في بيان أن القول بأن كلام الله تعالى حرف وصوت حق لا مرية فيه دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف :

فقد أخبر تعالى أنه نادى في الجنة. ونادى كليمه.

وأنه ينادي عباده يوم القيامة.

وقد ذكر سبحانه النداء في تسعة مواضع في القرآن أخبر فيها عن ندائه بنفسه، ولا حاجة إلى أن يقيد النداء بالصوت؛ فإنه بمعناه وحقيقته باتفاق أهل اللغة، فإذا انتفى الصوت انتفى النداء قطعا

ولهذا جاء إيضاحه في الحديث الصحيح الذي بلغناه الصحابة والتابعون وتابعوهم، وسائر الأمة تلقته بالقبول. وتقييده بالصوت إيضاحا وتأكيدا كما قيد التكليم بالمصدر في قوله تعالى {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً}

وأخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ يقول الله تعالى: يا آدم فيقول لبيك وسعديك، فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار ]

وروى أبو داود من حديث ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيضعون، ولا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل، فإذا جاءهم جبرائيل فزّع عن قلوبهم فيقولون: يا جبرائيل: ما ذا قال ربكم؟ قال الحق فينادون الحق الحق ]

وهذا الإسناد كلهم أئمة ثقات

وقد فسر الصحابة هذه الآية بما يوافق هذا الحديث الصحيح

فقد أخرج أبو بكر ابن مردويه في تفسيره بسنده عن العوفيين عن ابن عباس في قوله تعالى {حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ؟ قالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [ قال لما أوحى الجبار جل جلاله إلى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة ليبعثه بالوحي فسمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي، فلما كشف عن قلوبهم فسألوه عما قال الله تعالى، قالوا الحق، علموا أن الله تعالى لا يقول إلا حقا، وأنه منجز ما وعد ]

قال ابن عباس [ وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا، فلما سمعوه خروا سجدا، فلما رفعوا رءوسهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق وهو العلي الكبير ].

وهذا إسناد معروف يروي به ابن جرير وابن أبي حاتم وعبد بن حميد وغيرهم التفسير وغيره عن ابن عباس، وهو إسناد متداول بين أهل العلم وهم ثقات.

وقد أخرج أبي يعلى الموصلي في مسنده من طريق عبد الله بن عقيل بن أبي طالب أن جابر بن عبد الله حدثه، قال بلغني حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم أسمعه منه قال فابتعت بعيرا فشددت عليه رحلي فسرت إليه شهرا حتى أتيت الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصاري، فأرسلت إليه أن جابر على الباب، قال فرجع إليّ الرسول، فقال جابر بن عبد الله؟ فقلت نعم، قال فرجع الرسول فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديثا بلغني أنك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المظالم لم أسمعه، فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه. فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول[ يحشر الله العباد أو قال يحشر الله الناس– قال وأومأ بيده إلى الشام– عراة غرلا بهما. قلت ما بهما؟
قال ليس معهم شي ء.
قال فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان، لا ينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل الجنة، وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة. قال: قلنا كيف هذا وإنما نأتي الله غرلا بهما؟ قال بالحسنات والسيئات ]

هذا حديث حسن جليل، وعبد الله بن محمد بن عقيل صدوق حسن الحديث. وقد احتج به غير واحد من الأئمة، وتكلم فيه من قبل حفظه، وهذا الضرب ينتفي من حديثهم ما خالفوا فيه الثقات، ورووا ما يخالف روايات الحفاظ وشذوا عنهم.

وأما إذا روي أحدهم ما شواهده أكثر من أن تحصر مثل هذا الحديث، فلا ريب في قبول حديثه. أما القاسم بن عبد الواحد بن أيمن الملكي فحسن الحديث أيضا.

ويكفي رواية البخاري في «صحيحه» مستشهدا به، واحتج به في «خلق أفعال العباد»، ورواه أئمة الإسلام في كتب «السنة»

وما زال السلف يروونه، ولم يسمع عن أحد من أئمة السنة أنه أنكره حتى جاءت الجهمية فأنكروه، ومضى على آثارهم من اتبعهم في ذلك.

وروى ابن خزيمة من حديث محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ثم يهتف بصوته: من كان لي شريكا فليأت، لمن الملك اليوم؟ فلا يجيبه أحد.

فيقول: لله الواحد القهار، ثم يزجر الخلائق زجرة أخرى فإذا هم بالساهرة ] الحديث، وهو قطعة من حديث الصور الطويل، ولم يزل الأئمة يروونه ويحتجون به حتى حدثت الجهمية.

وفي «تفسير» شيبان عن قتادة في تفسير قوله {فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ} قال [ صوت رب العالمين ].

وإنكار كون الله تبارك وتعالى متكلماً بحرف وصوت كفر وردة عياذاً بالله

قال عبدالله : سألت أبي رحمه الله عن قوم ، يقولون : لما كلم الله عز وجل موسى لم يتكلم بصوت فقال أبي : بلى إن ربك عز وجل تكلم بصوت هذه الأحاديث نرويها كما جاءت .

وقال أبي –رحمه الله– : « حديث ابن مسعود رضي الله عنه » إذا تكلم الله عز وجل سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان » قال أبي : وهذا الجهمية تنكره

وقال أبي : هؤلاء كفار يريدون أن يموهوا على الناس ، من زعم أن الله عز وجل لم يتكلم فهو كافر ، ألا إنا نروي هذه الأحاديث كما جاءت

وقال البربهاري –رحمه الله– في شرح السنة : والإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور وموسى يسمع من الله الكلام بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره فمن قال غير هذا فقد كفر بالله العظيما.هـ

فهذا من أوجه كفر الأشاعرة لا كثرهم الله

وقد جنح شارح البخاري العسقلاني في شرحه إلى قول الكلابية والأشاعرة في نفيهم لكون كلام الله تعالى بحرف وصوت (= الكفر ) فقد قال في شرحه [5–292] : قوله –أي ابن عباس رضي الله عنهما– وكتابكم أي القرآن قوله أحدث الأخبار بالله أي أقربها نزولا إليكم من عند الله عز و جل فالحديث بالنسبة إلى المنزول إليهم وهو في نفسه قديم . ا.هـ المراد

ومعنى كلامه هذا أن وصف القرآن بالحديث إنما هو راجع إلى نزوله على النبي –صلى الله عليه وسلم– وأما القرآن نفسه فهو قديم !

وهذا جار على مذهب الكلابية والأشعرية القائلين بالكلام النفسي والذي لا تعلق له بالمشيئة والإرادة !

أما أهل السنة " متفقون على أن كلام الله قائم بذاته

وكان أئمة السنة كأحمد وأمثاله والبخاري وأمثاله .. وابن المبارك وأمثاله وابن خزيمة وعثمان بن سعيد الدارمي وابن أبي شيبة وغيرهم متفقين على أن الله يتكلم بمشيئته وقدرته ولم يقل أحد منهم أن القرآن قديم

وأول من شهر عنه أنه قال ذلك هو ابن كلاب وكان الإمام أحمد يحذر من الكلابية وأمر بهجر الحارث المحاسبي لكونه كان منهم "

وقال الخلال أخبرنا المروذي أن أبا عبد اللَّه ذكر حارثا المحاسبي فقال : حارث أصل البلية يعني حوادث كلام جهم ما الآفة إلا حارث .. حذروا عَنْ حارث أشد التحذير قلت: إن قوما يختلفون إليه ؟!

قَالَ: نتقدم إليهم لعلهم لا يعرفون بدعته فإن قبلوا وإلا هجروا ليس للحارث توبة يشهد عليه ويجحد إنما التوبة لمن اعترف

وقد نص غير واحد من أهل العلم على تكفير الأشاعرة لقولهم الآنف في صفة الكلام منهم ابن الحنبلي في رسالته الواضحة حيث قال :

والجهمية –لعنهم الله– أصناف مختلفة

فمنهم من يقول القران ليس هو كلام الله ولا هو مخلوق

ومنهم من يقول .. وطائفة منهم تقول إنه حكاية عن ذلك القرآن

ومنهم من يقول ألفاظنا بالقرآن مخلوقة

ومنهم من يقول القرآن بألفاظنا مخلوق

ومنهم ...ومنهم من يقول لا يكفر هؤلاء بل يسكت عنهم

فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية وهم كفار زنادقة حلال القتل ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها فهو كافر زنديق حلال القتل . ا.هـ

وقال أيضاً : فكان آخر البدع ظهوراً مذهب الأشعري وتولى نصرته الظلمة وأرباب الدنيا وأصحاب المظالم .. هذه البدعة شر البدع بظهورها في آخر الزمان وانتشارها في فاسد البلدان وركوب دعاتها التمويه والمحال والكلام المزخرف وفي باطنه الكفر والضلال ... فقد خالفت الأشعرية ببدعتهم نص الكتاب وصريح السنة وأدلة العقول وإجماع أهل الملل من اليهود والنصارى والزيادة على كفار قريش في تكذيب القرآن ... فأي بدعة على شرع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أعظم من هذه البدعة وأي فتنة على هذه الأمة أعظم من هذه الفتنة .. واعلم يا أخي وفقنا الله واياك أن **الأشاعرة يسلكون في إبطال القرآن مسلك الباطنية في الإلحاد والزندقية** ... واعلم يا أخي أن الواجب هتك أستارهم وإظهار أسرارهم .. فنعوذ بالله مما اعتقدوا من الكفر والضلال وابطال الشرع بالمحال ...

فإذا قال الأشعري إنه معنى قائم بالنفس لم ينزل كان جميع ما ذكره الله من نزوله محالا لا يلتت اليه فهل قالت الباطنية والملحدة والكفرة أكثر من هذه المقالة وأشنع من هذه الضلالة ؟ .. ا.هـ

والقول بالحكاية هو قول الكلابية

كما أن حكم اللفظية منطبق على الأشعرية بلا مرية

وقد أجمع السلف على تكفير اللفظية بل وعلى تكفير من لايكفرهم

فقد أخرج ابن بطة في الإبانة بسنده عن أحمد بن حنبل –رحمه الله– قال [ اللفظية ، والواقفة زنادقة عتق ]

وبسنده عن أبي بكر بن سهل بن عسكر ، قال [من قال : لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي كافر بالله ]

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : سألت أبي : ما تقول في رجل قال : التلاوة مخلوقة ، وألفاظنا بالقرآن مخلوقة ، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق .. ما ترى في مجانبته ؟ وهل يسمى مبتدعا ؟

فقال [ هذا يجانب ، وهو فوق المبتدع ، وهذا كلام الجهمية ، ليس القرآن بمخلوق ، قالت عائشة : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : { هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات } والقرآن ليس بمخلوق ]

وقال ابن بطة –رحمه الله– في الإبانة :

من قال .. لفظي بالقرآن مخلوق ، فهؤلاء كلهم جهمية ضلال كفار ، لا يشك في كفرهم .. فهذا مذهبنا ، اتبعنا فيه أئمتنا ، واقتدينا بشيوخنا ، رحمة الله عليهم ، وهو قول إمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله .

وقال حرب الكرماني –رحمه الله– في السنة مبيناً لإجماع السلف : ومن زعم إن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي خبيث مبتدع ومن لم يكفرها ولا القوم ولا الجهمية كلهم فهو مثلهم . ا.هـ

و هذا هو قول الأشاعرة حقيقة وجماعة منهم يصرحون به ولا يستخفون !

كما قال الجويني في الإرشاد في معرض الردّ على المعتزلة : ... فإنّ معنى قولهم – أي المعتزلة –(هذه العبارات كلام الله) أنها خلقه، ونحن لا نمنع أنها خلق الله، ولكن نمتنع من تسمية خالق الكلام متكلما به فقد أطبقنا على المعنى وتنازعنا بعد الاتفاق في تسميته . ا.هـ المراد

وقد ذكر هذا السجزي أيضاً في رسالته إلى أهل زبيد فقال : والكلابية والأشعرية قد أظهروا الرد على المعتزلة، والذب عن السنة وأهلها، وقالوا في القرآن وسائر الصفات ما ذكرنا بعضه، وقولهم في القرآن حيره يدعون قرآنا ليس بعربي وأنه الصفة الأزلية

**وأما هذا النظم العربي فمخلوق عندهم** . ا.هـ

المراد

ولأجل هذا بلغ الحال ببعضهم إلى التجرؤ على إهانة المصحف !

قال ابن حزم في الفصل : أخبرني علي بن حمزة المراوي الصقلي الصوفي أنه **رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجله**

قال فأكبرت ذلك ، وقلت له ويحك هكذا تصنع بالمصحف وفيه كلام الله تعالى ؟ !!

فقال لي [ ويلك والله ما فيه إلا السخام والسواد

وأما كلام الله فلا ! ] ونحو هذا من القول الذي هذا معناه

وكتب إلي أبو المرحي بن رزوار المصري أن بعض ثقاة أهل مصر أخبره من طلاب السنن أن رجلاً من الأشعرية قال له مشافهة [ على من يقول أن الله قال قل هو أحد الله الصمد ألف لعنة ] !! .

قال ابن حزم : بل على من يقول إن الله عز وجل لم يقلها ألف ألف لعنة تترى وعلى من ينكر أننا نسمع كلام الله ونقرأ كلام الله ونحفظ كلام الله ونكتب كلام الله ألف ألف لعنة تترى من الله عز وجل فإن **قول هذه الفرقة في هذه المسألة نهاية الكفر بالله عز وجل** ومخالفة للقرآن والنبي صلى الله عليه وسلم ومخالفة جميع أهل الإسلام قبل حدوث هذه الطائفة الملعونة. ا.هـ

وقال ابن تيمية في المجموع عن القوم :

فَضَمُّوا إلَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُصْحَفَ لَيْسَ فِيهِ إلَّا مِدَادٌ وَوَرَقٌ

وَأَعْرَضُوا عَمَّا قَالَهُ سَلَفُهُمْ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى كَلَامِ اللَّهِ فَيَجِبُ احْتِرَامُهُ .. فَصَارَ هَؤُلَاءِ يَمْتَهِنُونَ الْمُصْحَفَ حَتَّى يَدُوسُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْتُبُ أَسْمَاءَ اللَّهِ بِالْعَذِرَةِ إسْقَاطًا لِحُرْمَةِ مَا كُتِبَ فِي الْمَصَاحِفِ، وَالْوَرَقُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ. وَقَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْمُصْحَفِ مِثْلَ أَنْ يُلْقِيَهُ فِي الْحُشِّ أَوْ يَرْكُضَهُ بِرِجْلِهِ إهَانَةً لَهُ إنَّهُ كَافِرٌ مُبَاحُ الدَّمِ. فَالْبِدَعُ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا شِبْرًا ثُمَّ تَكْثُرُ فِي الِاتِّبَاعِ حَتَّى تَصِيرَ أَذْرُعًا وَأَمْيَالًا وَفَرَاسِخَ .

ا.هـ المراد

وقد قال ابن قدامة في المناظرة عن الأشعرية : وَهَذَا حَال هَؤُلَاءِ الْقَوْم لَا محَالة فهم زنادقة بِغَيْر شكّ فَإِنَّهُ لَا شكّ فِي أَنهم يظهرون تَعْظِيم الْمَصَاحِف إيهاما أَنفِيهَا الْقُرْآن ويعتقدون فِي الْبَاطِن أَنه لَيْسَ فِيهَا إِلَّا الْوَرق والمداد ويظهرون تَعْظِيم الْقُرْآن ويجتمعون لقرَاءَته فِي المحافل والأعرية ويعتقدون أَنه من تأليف جِبْرِيل وَعبارَته ويظهرون أَن مُوسَى سمع كَلَام الله من الله ثمَّ يَقُولُونَ لَيْسَ بِصَوْت .

ا.هـ المراد

فهذا كله وجه من وجوه كفر وزندقة الأشاعرة لعنهم الله ولعن الله المدافعين عنهم

ورحم الله أئمة السنة الناصحين كأحمد بن حنبل فقد حذروا وبينوا مآل الكلام وحال أهله كما قال –رحمه الله– [من تعاطى الكلام لم يفلح ]

وقال عبدالرحمن بن مهدي –رحمه الله– [ من طلب الكلام؛ فآخر أمره الزندقة ]

وقال البربهاري –رحمه الله– [ اعلم أنها لم تكن زندقة ولا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام..]

الوجه الثاني في رد على كلام الغزالي الذي نقله الشارح : وأما مسألة تحديث العوام فيقال أولاً ليعلم أن علم التوحيد –ومنه باب الأسماء والصفات– أهم علم في العلوم الشرعية .

يقول ابن تيمية في الرد على المنطقيين :

وهذا بخلاف العلم الأعلى عند المسلمين فانه العلم بالله الذي هو في نفسه أعلى من غيره من كل وجه العلم به أعلى العلوم من كل وجه والعلم به أصل لكل علم .ا.هـ

وقال ابن القيم مفتاح دار السعادة :

لا ريب ان العلم به وباسمائه وصفاته وافعاله اجل العلوم وافضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات وكما ان العلم به اجل العلوم واشرفها فهو اصلها كلها كما ان كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر اليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته اليه فالعلم به اصل كل علم كما انه سبحانه رب كل شيء ومليكه وموجده ا.هـ

وقد ذم الله تبارك وتعالى اليهود على كتمهم العلم فقال سبحانه {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ}

وأخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم بسند جيد عَن قَتَادَة فِي هذه الْآيَة قَالَ [ هَذَا مِيثَاق أَخذه الله على أهل الْعلم فَمن علم علما فليعلمه للنَّاس

وَإِيَّاكُم وكتمان الْعلم فَإِن كتمان الْعلم هلكة

وَلَا يتكلفن رجل مَا لَا علم لَهُ بِهِ فَيخرج من دين الله فَيكون من المتكلفين ]
وقد ورد في جامع التِّرْمِذِيّ من حديث أبي هُرَيْرَة أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ [ من سُئِلَ عَن علم عِنْده فكتمه أَلْجمهُ الله بلجام من نَار يَوْم الْقِيَامَة ]
وقال الترمذي : حديث حسن
ولأجل هذا أبو هُرَيْرَة يقول –كما في صحيح البخاري– [ لَوْلَا آيَة فِي كتاب الله مَا حدثت أحدا بِشَيْء أبدا ثمَّ تَلا هَذِه الْآيَة {إِن الَّذين يكتمون مَا أنزلنَا من الْبَينَات وَالْهدى} الْآيَة ]
وعلم الأسماء الصفات داخل في هذا المعنى ، كيف لا وعمدة ما في كتاب الله الإخبار عن الله تعالى وصفاته .
قال ابن القيم في طريق الهجرتين : وهذا القرآن المجيد عمدته ومقصوده الإخبار عن صفات الرب سبحانه وأسمائه وأفعاله وأنواع حمده والثناء عليه والإنباء عن عظمته وعزته وحكمته وأنواع صنعه والتقدم إلى عباده بأمره ونهيه على ألسنة رسله وتصديقه يفهم بما أقامه من الشواهد والدلالات على صدقهم .. ا.هـ

والفقه في هذا الباب هو أعظم الفقه كما قال ابن القيم في التبيان : وإذا حصل للعبد الفقه في الأسماء والصفات إنتفع به في باب معرفة الحق والباطل من الأقوال والطرائق والمذاهب والعقائد – أعظم انتفاع وأتمه . ا.هـ

وذلك لأن الله سبحانه " يحب أسماءه وصفاته ويحب المتعبدين له بها ويحب من يسأله ويدعوه بها ويحب من يعرفها ويعقلها ويثني عليه بها ويحمده ويمدحه بها كما في الصحيح عن النبي لا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك أثنى على نفسه ولا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه العذر من الله من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين
وفي حديث آخر صحيح لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ولمحبته لأسمائه وصفاته أمر عباده بموجبها ومقتضاها فأمرهم بالعدل

والإحسان والبر والعفو الجود والصبر والمغفرة والرحمة والصدق والعلم والشكر والحلم والأناة والتثبت ولما كان سبحانه يحب أسماءه وصفاته كان أحب الخلق إليه من اتصف بالصفات التي يحبها وأبغضهم إليه من اتصف بالصفات التي يكرهها

فإنما أبغض من اتصف بالكبر والعظمة والجبروت لأن اتصافه بها ظلم إذ لا تليق به هذه الصفات ولا تحسن منه لمنافاتها لصفات العبد

وخروج من اتصف بها من ربقة العبودية ومفارقته لمنصبه ومرتبته

وتعديه طوره وحده

وهذا خلاف ما تقدم من الصفات

كالعلم والعدل والرحمة الإحسان والصبر والشكر

فإنها لا تنافي العبودية بل اتصاف العبد بها من كمال عبوديته إذ المتصف بها من العبيد لم يتعد طوره ولم يخرج بها من دائرة العبودية "

وأما ما نقل عن الإمام مالك من كراهية تحديث العوام بأحاديث الصفات فقد أجاب عن هذا الشيخ سليمان آل شيخ فقال : وما ذكره عن مالك في أحاديث الصفات ما أظنه يثبت عن مالك، وهل في أحاديث الصفات أكثر من آيات الصفات التي في القرآن؟ فهل يقول مالك أو غيره من علماء الإسلام: إن آيات الصفات لا تتلى على العوام، وما زال العلماء قديمًا وحديثًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يقرؤون آيات الصفات، وأحاديثها بحضرة عوام المؤمنين وخواصهم، بل شرط الإيمان هو الإيمان بالله، وصفات كماله التي وصف بها نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فكيف يكتم ذلك عن عوام المؤمنين؟! بل نقول: من لم يؤمن بذلك فليس من المؤمنين، ومن وجد في قلبه حرجًا من ذلك، فهو من المنافقين.

ولكن هذا من بدع الجهمية وأتباعهم الذين ينفون صفات الرب تبارك وتعالى، فلما رووا أحاديث الصفات مبطلة لمذاهبهم، قامعة لبدعهم تواصوا بكتمانها عن عوام المؤمنين، لئلا يعلموا ضلالهم، وفساد اعتقادهم فاعلم ذلك. ا.هـ

وأما قول علي –رضي الله عنه– [ حدثوا الناس بما يعرفون ]
وقول ابن مسعود –رضي الله عنه– [ ما من رجل يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ] فحق لاشك فيه
لكنه ليس على إطلاقه ، كما قال سليمان آل شيخ –رحمه الله– :
في الأثر دليل على أنه إذا خشي ضرر من تحديث الناس ببعض ما يعرفون فلا ينبغي تحديثهم به، وليس ذلك على إطلاق، وإن كثيرًا من الدين والسنن يجهله الناس، فإذا حدثوا به كذبوا بذلك وأعظموه، فلا يترك العالم تحديثهم، بل يعلمهم برفق ويدعوهم بالتي هي أحسن. ا.هـ

وبهذا يتبين بطلان قول الغزالي –والذي أقره الشارح– في أن من يتكلم في هذا الباب أمام العوام (لَيْسَ من أَئِمَّة الدّين وَإِنَّمَا هُوَ من المضلين) بل هو الضال المضل ومن أقره ،وهذا من موافقاته لأئمته من الجهمية لا كثرهم الله .
والمقصود : بيان الطريق التي سلكها الشارح في باب الصفات والا فتتبع جميع تأويلاته يخرج البحث عن المقصود فأكتفي بالإشارة إلى بقية ذلك فأقول :
قد تأول الشارح صفة الاستحياء
ومال إلى تأويل الجهمية على حديث [ خلق الله آدم على صورته ]
ونقل الشارح –مقراً– تأويل العجب وحديث الرحم عن عياض
وتأويل الغيض والسخرية عن الماوردي وسكت عنه
وتأويل الفرح للمازري وسكت عنه
ونقل تأويل الأصابع والْإِعْرَاضُ وَالْغَضَبُ وَالسَّخَطُ الوصل –عن أصحابه المتكلمين– وسكت عنه .
ومع كل هذه التأويلات الساقطة التي قالها أو نقلها وأقرها كأحد مذهبي العلماء إلا أن بعض نساخ الشرح قد حذفوا منه الكثير من التأويلات فكيف لو وصل كاملاً
يقول السخاوي في ترجمة النووي عن شرحه:والتأويل كثير في كلامه !

وقد قال السبكي –لا رحمه الله– في طبقات الشافعية الكبرى : وقد وصل حال بعض المجسِّمة في زماننا إلى أن كتب شرح صحيح مسلم للشيخ محيي الدين النووي، وحذف من كلام النووي ما تكلم به على أحاديث الصفات، فإن النووي أشعري العقيدة، فلم تحمل قوى هذا الكاتب أن يكتب الكتاب على الوضع الذي صنفه مصنفه، وهذا عندي من كبائر الذنوب؛ فإنه تحريف للشريعة، وفتح باب لا يؤمن معه بكتب الناس وما في أيديهم من المصنفات، فقبح الله فاعله وأخزاه، وقد كان في غنية عن كتابة هذا الشرح، وكان الشرح في غنية عنه

وبهذا يظهر جلياً لكل منصف متجرد عن الهوى الجامح أن الشارح لا يسير على طريقة أهل السنة في هذا الباب ، والله ولي التوفيق .

## الشارح وتخبطه في باب توحيد الألوهية

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

أما بعد

فإن من المعلوم لدى كل موحد –إن شاء الله– أن الله عزوجل خلق العباد لعبادته وتعظيمه كما قال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}

وقد بين نبينا –صلى الله عليه وسلم– التوحيد أتم بيان ، وحمى جناب التوحيد أتم حماية وسد وسائل الشرك أكمل إسداد .

و هذه المسألة =مسألة سد الوسائل المفضية إلى الشرك " **مسألة عظيمة ، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب الفتنة في القبور والغلو فيها**، وبسبب الغلو في الصالحين، والغلو في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالشرك إنما حصل في هذه الأمة بسبب هذه الأمور، منذ أن بُنيت المساجد على القبور، ومنذ أن ظهر التصّوف في هذه الأمة، والشرك يكثر ويتعاظم في هذه الأمة الا من رحم الله **فالأمر خطير جدًّا** "

" فالرسول –صلى الله عليه وسلم– نهى عن الصلاة عند القبور، ونهى عن الدعاء عند القبور، ونهى عن البناء على القبور، ونهى عن العكوف عند القبور، واتخاذ القبور عيداً، إلى غير ذلك، كل هذا من الوسائل التي تُفضي إلى الشرك، وهي ليست شركاً في نفسها، بل قد تكون مشروعة في الأصل، ولكنها تؤدي إلى الشرك بالله عزّ وجلّ، ولذلك منعها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. "

و"كره صلى الله عليه وسلم إطلاق [الإستغاثة] عليه فيما يستطيعه، ويقدر عليه، حماية لجناب التوحيد، وسداً لذريعة الشرك، وإن كان يجوز إطلاقه فيما يقدر عليه المخلوق، **فحماية جناب التوحيد من مقاصد الرسول** صلى الله عليه وسلم، **ومن قواعد هذه الشريعة** المطهرة "

" فالرسول صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد حماية محكمة، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك ولو من بعيد; لأن من سار على الدرب وصل، والشيطان يزين للإنسان أعمال السوء شيئا فشيئا حتى يصل إلى الغاية"

و"قد بالغ صلى الله عليه وسلم وحذر وأنذر، وأبدأ وأعاد، وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل"

فالأمر في هذا الباب كما قال عبداللطيف آل شيخ –رحمه الله– : حماية جناب التوحيد، وسد الذرائع الشركية: من أكبر المقاصد الإسلامية .ا.هـ

والشارح لم يحكم هذا الباب على طريقة أهل السنة فيه –كعادته في عامة أبواب المعتقد– فتخبط وانحرف فيه عدة انحرافات :

فمن ذلك قوله في المجموع [8 – 274] مبيناً ما يستحب أن يقوله من يزور النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا وقف أمام قبره قائلاً (!) ، بما نصه :

ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسل به في حق نفسه ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا – يعني سائر الشافعية – عن العتبي مستحسنين له

قال : (كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء أعرابي فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعت الله يقول : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله وأستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) وقد جئتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك إلى ربي . . . . .) اهـ

وهذا القول خلل في التوحيد من الشارح –كفى الله المسلمين شره– فإن قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم ( يتوسل به .. يستشفع به ..)

ألفاظ يستعملها هؤلاء المتصوفة ومرادهم منها السؤال والاستغاثة بالمخلوقين (!!) لا مجرد التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم حال سؤال الله تعالى .

ولا يستغربن مستغرب عديَ للشارح من المتصوفة فإنه متصوف جلد

و له كتاب اسمه " المقاصد " ذكر فيه أصول التصوف الخمسة !

كما أنه قد أخذ الطريقة الصوفية من شيخه –في الخزعبلات!– ياسين المراكشي

كما قال السخاوي في كتابه "المنهل الروي في ترجمة قطب (!) الأولياء (!) النووي" ص 5 عن النووي نقلاً عن السبكي في الطبقات الكبرى :
شيخه في الطريق [ قلت : أي التصوف !! ]: الشيخ ياسين المراكشي، الماضي، ويشهد له ما أسلفناه عن الذهبي في ترجمته: أن الشيخ كان يخرج إليه ويتأدب معه ويزوره، ويرجو بركته ويستشيره في أمور)) .ا.هـ
وللنووي أذكار مشهورة (!) لايزال المتصوفة يروها بأسانيدهم متصلةً إليه (!) فهذه حقيقة لا شك فيها عند المنصفين المطلعين

ولكن بعض الناس حالهم كما قال الله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ}

والمقصود وبناءاً على ما تقدم يقال هنا : إن أراد الشارح بالتوسل والاستشفاع أي : سؤال الله عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم متوسلاً بذاته –عليه الصلاة والسلام– فهذه بدعة شركية ووسيلة من وسائل الشرك الأكبر عياذاً بالله .

وإن أراد الشارح الاستدلال بهذا الأثر على سؤال النبي –صلى الله عليه وسلم– والاستغاثة به –وهي التي يسميها أصحاب الشارح من المتصوفة توسلاً– فهذا شرك أكبر مخرج من الملة

علماً بأنه قد استدل غير واحد من الملاحدة بهذه القصة على دعاء الأموات والاستغاثة بهم = منهم محمد الكسم وداود بن جرجيس وغيرهما من أهل الزندقة والشرك .

وعلى كلا الأمرين فلا يخرج قول الشارح من [الشرك = إما الأكبر أو الأصغر]

وهذا الشرك يراه الشارح من أحسن ما يقال (!!) عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وليس هذا بمستغرب من أذناب المتكلمين ممن أضاعوا ربهم وعطلوه .

والرد على استدلالهم بهذه القصة من وجوه :

الوجه الأول : هذه القصة لا تصح سنداً فإن " بعض من ذكر هذه الحكاية يرويها بلا إسناد, وبعضها عن محمد بن حرب الهلالي, وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسي الزعفراني عن الأعرابي

وقد ذكرها البيهقي بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي فذكر نحو ما تقدم.

ووضع لها بعض الكذابين إسنادا إلى علي بن أبي طالب .

كما روى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي, عن علي بن محمد بن علي, حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي, قال حدثنا أبي عن أبيه سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن أبي طالب, فذكر نحو ما تقدم .

قال الحافظ ابن عبد الهادي: هذا الخبر منكر موضوع لا يصلح الاعتماد عليه, ولا يحسن المصير إليه, وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض, والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي, فإن لم يكن هو فهو كذاب متروك, وإلا فمجهول

وقال عباس الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب ، وقال العجلي وأبو داود: كذاب

وقال أبو حاتم الرازي والنسائي والدولابي والأزدي متروك الحديث
وقال السعدي: ساقط كشف قناعه
وقال أبو زرعة: – ليس بشيء
وقال ابن عدي: ما أقل ما له من المسند, وإنما هو صاحب أخبار, وأسمار, ونسب, وأشعار ، وقال الحاكم أبو عبد الله:– الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديثه منكرة
وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب؟. فإذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به. "

الوجه الثاني : " ولو سلمنا ثبوت هذه الحكاية فلا دليل فيما على ما ذهب إليه [من ذهب] من تجويز دعاء الأنبياء والصالحين,[أو التوسل بذواتهم وجاههم] .
فالأعراب لا يحتج بأفعالهم ويجعلها دليلا شرعيا إلا مصاب في عقله, مفلس في فهمه وعلمه
وكذلك نقل العتبي ومن مضى من رجال سندها ليسوا بشيء..
ولم يأت عن أحد من الأئمة من عهد الصحابة إلى آخر القرون المفضلة
في هذا الباب ما يثبت, لا طلب الاستغفار ولا غيره, وقد حكى ابن تيمية الإجماع على منعه. "

الوجه الثالث : لو أريد من الاستدلال بهذا الأثر إثبات التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم فيقال : ترك الصحابة رضي الله عنه لهذا النوع من التوسل من أظهر الأدلة على عدم مشروعيته فقد " دعا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في الاستسقاء المشهور بين المهاجرين والأنصار وقوله [ اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ]

يدل على أن التوسل المشروع عندهم هو التوسل بدعائه وشفاعته لا السؤال بذاته، إذ لو كان هذا مشروعاً لم يعدل عمر والمهاجرون والأنصار عن السؤال بالرسول إلى السؤال بالعباس."

"والذي فعله عمر فعل مثله معاوية بحضرة من معه من الصحابة والتابعين، فتوسلوا بيزيد بن الأسود الجُرشيِّ كما توسل عمر بالعباس.

وكذلك ذكر الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهم أنه يتوسل في الاستسقاء بدعاء أهل الخير والصلاح، قالوا: وإن كان من أقارب رسول الله فهو أفضل، اقتداء بعمر. ولم يقل أحد من أهل العلم إنه يسأل الله تعالى في ذلك لا بنبي ولا بغير نبي."

و" عدول عمر عن هذا إلى التوسل بدعاء العباس رضي الله عنه أكبر دليل على أن عمر والصحابة الذين كانوا معه كانوا لا يرون التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم وعلى هذا جرى عمل السلف من بعدهم كما رأيت في توسل معاوية بن أبي سفيان والضحاك ابن قيس بيزيد بن الأسود الجرشي وفيهما بيان دعائه بصراحة وجلاء، فهل يجوز أن يجمع هؤلاء كلهم على ترك التوسل بذاته صلى الله عليه وسلم لو كان جائزا سيما والمخالفون يزعمون أنه أفضل من التوسل بدعاء العباس وغيره؟ اللهم إن ذلك غير جائز ولا معقول بل إن هذا الإجماع منهم من أكبر الأدلة على أن التوسل المذكور غير مشروع عندهم فإنهم أسمى من أن يستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير "

الوجه الرابع : ليعلم أن تحري الدعاء عند قبور الأنبياء أو الصالحين بدعة ووسيلة إلى الشرك بالله تعالى

وبيان هذا في وجوه :

" أحدها: أنه قد تبين أن العلة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم لأجلها عن الصلاة عندها إنما هو لئلا تتخذ ذريعة إلى نوع من الشرك بالعكوف عليها، وتعلق القلوب بها رغبة ورهبة.

الثاني: أن قصد القبور للدعاء عندها، ورجاء الإجابة بالدعاء هنالك، رجاء أكثر من رجائها بالدعاء في غير ذلك الموطن–أمر لم يشرعه الله ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا ذكره أحد من العلماء، ولا الصالحين المتقدمين

الوجه الثالث : في كراهة قصد القبور للدعاء أن السلف رضي الله عنهم كرهوا ذلك متأولين في ذلك قوله صلى الله عليه و سلم [ لا تتخذوا قبري عيدا ] كما ذكرنا ذلك عن علي بن الحسين والحسن بن الحسن ابن عمه

وهما أفضل أهل البيت من التابعين وأعلم بهذا الشأن من غيرهما لمجاورتهما الحجرة النبوية نسبا ومكانا

وقد ذكرنا عن أحمد وغيره أنه أمر من سلم على النبي صلى الله عليه و سلم وصاحبيه ثم أراد أن يدعو أن ينصرف فيستقبل القبلة

وكذلك أنكر ذلك غير واحد من العلماء المتقدمين كمالك وغيره ومن المتأخرين ..وما أحفظ لا عن صحابي ولا عن تابعي ولا عن إمام معروف أنه استحب قصد شيء من القبور للدعاء عنده ولا روى أحد في ذلك شيئا لا عن النبي صلى الله عليه و سلم ولا عن أحد من الأئمة المعروفين وقد صنف الناس في الدعاء وأوقاته وأمكنته وذكروا فيه الآثار فما ذكر أحد منهم في فضل الدعاء شيء من القبور حرفا واحدا فيما أعلم

فكيف يجوز والحالة هذه أن يكون الدعاء عندها أجوب وأفضل والسلف تنكره ولا نعرفه وتنهى عنه ولا تأمرنا به "

وبهذا يعلم أن قصد قبور الأنبياء والصالحين للدعاء عندها بدعة منكرة ، ووسيلة من وسائل الشرك ، وحينئذ يتبين بطلان قول ذاك الذهبي في سيره عند ترجمة السيدة (!) نفيسة (!) : والدعاء مستجابٌ عند قبرها بل وعند قبور الأنبياء والصالحين !!!

**وليعلم أيضاً أن التوجه الى القبر حال الدعاء كما استحب الشارح ذلك شرك واضح**

قال ابن تيمية في إقتضاء الصراط المستقيم : ومن الناس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها معظمه الصالح سواء كانت في المشرق أو غيره **و هذا ضلال بين وشرك واضح** .ا.هـ المراد

قال ابن عثيمين معلقاً على هذا الكلام : الآن **في المدينة كثير من الجهال يستقبلون القبر** سواء في المسجد أو خارج المسجد وتجدهم جلوساً حول المسجد بين المسجد وبين البقيع متجهين إلى القبر والقبلة على يسارهم والشيخ يقول هذا ضلال بين وشرك ظاهر . ا.هـ

الوجه الخامس –من الوجوه الأصلية– : أما لو أراد الشارح الاستدلال بالقصة على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم ودعاؤه (!)

ويكون بهذا تبع أصحابه في تسمية دعاء الاموات توسلاً (!)

فيقال " الدعاء عبادة من أجل العبادات، بل هو أكرمها على الله كما تقدم، **فإن لم يكن الإشراك فيه شركًا، فليس في الأرض شرك**، وإن كان في الأرض شرك فالشرك في الدعاء أولى أن يكون شركًا من الإشراك في غيره من أنواع العبادة، بل الإشراك في الدعاء – هو أكبر شرك المشركين الذين بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم يدعون الأنبياء والصالحين والملائكة، ويتقربون إليهم ليشفعوا لهم عند الله، ولهذا يخلصون في الشدائد لله وينسون ما يشركون، حتى جاء أنهم إذا جاءتهم الشدائد في البحر يلقون أصنامهم في البحر ويقولون: يا الله يا الله، لعلمهم أن آلهتهم لا تكشف الضر ولا تجيب المضطر. وقال تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ " الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ}.

فهم كانوا يعلمون أن ذلك لله وحده، وأن آلهتهم ليس عندها شيء من ذلك، ولهذا احتج سبحانه وتعالى عليهم بذلك أنه هو الإله الحق، وعلى بطلان إلهية ما سواه. وقال

تعالى: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} . فهذه حال المشركين الأولين.

وأما عباد القبور اليوم فلا إله إلا الله، كم ذا بينهم وبين المشركين الأولين من التفاوت العظيم في الشرك، فإنهم إذا أصابتهم الشدائد برًّا وبحرًا أخلصوا لآلهتهم وأوثانهم التي يدعونها من دون الله، وأكثرهم قد اتخذ ذكر إلهه وشيخه ديدنه، وهجيراه إن قام وإن قعد وإن عثر. هذا يقول: يا علي [الشّاذلي] ، وهذا يقول: يا عبد القادر [الجيلاني] ، وهذا يقول: يا ابن علوان، وهذا يدعو البدوي، وهذا يدعو العيدروس"

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول [ الدعاء هو العبادة ] .

رواه الترمذي من حديث النعمان بن بشير وقال : حديث حسن صحيح

وذكر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– [ سلوا الله كل شيء حتى الشسع إذا انقطع، فإنه إن لم ييسره لم يتيسر ] رواه أبو يعلى ي مسنده من حديث عائشة

وقال سليمان آل شيخ : بإسناد صحيح.اهـ والصحيح وقفه

وقال عبادة كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين.

فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه وسلم [ إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله ]

رواه الطبراني في الكبير وقال ابن تيمية في الاستغاثة : العلماء متفقون على جواز الاعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تكلم في بعض رواتها لسوء حفظ ونحو ذلك ... وهذا الخبر من النوع الأول فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة

وقد قال أحمد : قد كتبت حديث الرجل لأعتبر به واستشهد به مثل حديث ابن لهيعة .

ا.هـ المراد

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: [ أفضل العبادة الدعاء وقرأ {وقال ربكم ادعوني أستجب لكم} ] رواه الحاكم وصححه. "

وقال مطرف [ تذكرت ما جماع الخير؟

فإذا الخير كثير، الصلاة والصيام، وإذا هو في يد الله تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله فيعطيك ]. رواه أحمد. في الزّهد .

والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة

" فإذا تبين ذلك، فاعلم أن العلماء أجمعوا على أن من صرف شيئًا من نوعي الدعاء لغير الله فهو مشرك، ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام، إذ شرط الإسلام مع التلفظ بالشهادتين أن لا يعبد إلا الله، فمن أتى بالشهادتين وعبد غير الله فما أتى بهما حقيقة وإن تلفظ بهما كاليهود الذين يقولون: لا إله إلا الله وهم مشركون، ومجرد التلفظ بهما لا يكفي في الإسلام بدون العمل بمعناهما واعتقاده إجماعًا."

قال ابن تيمية : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم يدعوهم ويسألهم، **كفر إجماعًا** . ا.هـ المراد

وقال ابن القيم في "شرح المنازل" ومن أنواعه أي: الشرك، طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا **أصل شرك العالم**، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، فضلاً لمن استغاث به أو سأله أن يشفع إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإن الله سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والله سبحانه لم يجعل سؤال غيره سببًا لإذنه، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، والميت محتاج إلى من يدعو له، كما أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم، وندعو لهم، ونسأل

لهم العافية والمغفرة، فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة، وجعلوا قبورهم أوثانًا تعبد، فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبتهم إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق سبحانه بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم ومعاداتهم . ا.هـ

فصل

ومن انحرافات الشارح في هذا الباب أيضاً قوله في شرحه [6–109] : اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شَدِّ الرِّحَالِ وَإِعْمَالِ الْمَطِيِّ إِلَى غَيْرِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ كَالذَّهَابِ إِلَى قُبُورِ الصَّالِحِينَ وَإِلَى الْمَوَاضِعِ الْفَاضِلَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ

فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا هُوَ حَرَامٌ

وَهُوَ الَّذِي أَشَارَ الْقَاضِي عِيَاضٌ إِلَى اخْتِيَارِهِ
وَالصَّحِيحُ عِنْدَ أَصْحَابِنَا وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ و
ِالْمُحَقِّقُونَ أَنَّهُ لَا يَحْرُمُ وَلَا يُكْرَهُ قَالُوا وَالْمُرَادُ أَنَّ الْفَضِيلَةَ التَّامَّةَ إِنَّمَا هِيَ فِي شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى هَذِهِ الثَّلَاثَةِ خَاصَّةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ا.هـ

وقال في موضع آخر : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ فَضِيلَةُ هذه المساجد الثلاثة وفضيلة شد الرحال اليها لِأَنَّ مَعْنَاهُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لَا فَضِيلَةَ فِي شَدِّ الرِّحَالِ إِلَى مَسْجِدٍ غَيْرِهَا وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجُوَيْنِيُّ مِنْ أَصْحَابِنَا يَحْرُمُ شَدُّ الرِّحَالِ إِلَى غَيْرِهَا وَهُوَ غَلَطٌ وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا الْحَدِيثِ وَشَرْحِهِ قَبْلَ هَذَا بِقَلِيلٍ فِي بَابِ سَفَرِ الْمَرْأَةِ مَعَ مَحْرَمٍ إِلَى الْحَجِّ وَغَيْرِهِ .. اهـ المراد

بل الغلط هو تأويل الشارح لا قول الجويني
لأن الحديث دليل ظاهر في تحريم شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة
وهو الذي فهمه السلف
والقول الذي نصره الشارح تبعاً لأصحابه من المتكلمين والمتصوفة قول محدث مخالف لإجماع الصحابة والتابعين .
قال ابن تيمية في الأخنائية :
فإن الصحابة والتابعين والأئمة لم يعرف عنهم نزاع في أن السفر إلى القبور وآثار الأنبياء داخل في النهي، كالسفر إلى الطور الذي كلم الله عليه موسى وغيره، وإن كان الله سماه الوادي المقدس وسماه البقعة المباركة ونحو ذلك، فلم يعرف عن الصحابة نزاع أن هذا وأمثاله داخل في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن السفر إلى غير المساجد الثلاثة، كما لم يعرف عنهم نزاع أن ذلك منهي عنه، وأن قوله (لا تشد الرحال) نهي بصيغة الخبر، كما قد جاء في الصحيح بصيغة النهي من حديث

أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [ لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى] .

فالصحابة ومن تبعهم لم يعرف عنهم نزاع أن هذا نهي منه، فإن لفظه صلى الله عليه وسلم صريح في النهي، ولم يعرف عنهم نزاع أن النهي متناول للسفر إلى البقاع المعظمة غير المساجد، سواء كان النهي عنها بطريق فحوى الخطاب وأنه إذا نهى عن السفر إلى مسجد غير الثلاثة فالنهي عن السفر إلى ما ليس بمسجد أولى، أو كان بطريق شمول اللفظ، فالصحابة الذين رووا هذا الحديث بينوا عمومه لغير المساجد كما في الموطأ والمسند والسنن عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة [ من أين أقبلت؟ ] قال [ من الطور ].

فقال [ لو أدركتك قبل أن تخرج لما خرجت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى مسجد إيليا ] أو قال [ بيت المقدس ] .

وقال أبو زيد عمر بن شبة النميري، في كتاب أخبار المدينة النبوية: حدثنا هشام بن عبد الملك حدثنا عبد الحميد بن بهرام حدثنا شهر بن حوشب سمعت أبا سعيد الخدري وذكر عنده الصلاة في الطور

فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [ لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا ] .

فهذا فيه أنه رواه بلفظ مسجد، بين أن النهي متناول للطور وإن لم يكن مسجدًا بطريق الأولى، فإن الذين يقصدون الطور ومثله لا يقصدونه لأنه مسجد بل ولم يكن هناك قرية يتخذ المسلمون فيها مسجدًا، وبناء المسجد حيث لا يصلى فيه بدعة، وإنما يقصدونه لشرف البقعة، فعلم أن النهي عن المساجد نهي عن غيرها بطريق الأولى.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحب البقاع إلى الله المساجد). فإذا كان قد حرم السفر إلى أحب البقاع إلى الله غير الثلاثة، فما دونها في

الفضيلة أولى أن ينهى عنه، كما قال الصحابة، ومنهم أيضًا ابن عمر.

قال أبو زيد: حدثنا ابن أبي الوزير حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق عن قزعة قال [ أتيت ابن عمر فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى. فدع عنك الطور فلا تأته ] .ا.هـ

وقال في الإقتضاء : السفر إلى هذه المساجد الثلاثة للصلاة فيها والدعاء، والذكر والقراءة والإعتكاف، من الأعمال الصالحة. **وما سوى هذه المساجد لا يشرع السفر إليه باتفاق أهل العلم**، حتى مسجد قباء يستحب قصده من المكان القريب كالمدينة ولا يشرع شد الرحال إليه فإن في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا" وكان ابن عمر يفعله.

وفي لفظ لمسلم: فيصلي فيه ركعتين وذكره البخاري بغير إسناد .. ا.هـ المراد

وقال في الإقتضاء أيضاً : وهذا النهي يعم السفر إلى المساجد والمشاهد ، وكل مكان يقصد السفر إلى عينه للتقرب

بدليل أن بصرة بن أبي بصرة الغفاري ، لما رأى أبا هريرة راجعًا من الطور الذي كلم الله عليه موسى قال : لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » .

فقد فهم الصحابي الذي روى الحديث أن الطور وأمثاله من مقامات الأنبياء ، مندرجة في العموم ، وأنه لا يجوز السفر إليها ، كما لا يجوز السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة . وأيضًا فإذا كان السفر إلى بيت من بيوت الله –غير الثلاثة– لا يجوز . ا.هـ المراد

وروى الضياء المقدسي في المختارة عن علي بن الحسين : أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: ألا أحدثكم حديثا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [ لا تتخذوا قبري عيدا، ولا بيوتكم قبورا، وصلوا علي، فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم ]

قال سليمان آل شيخ –رحمه الله–:

وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره صلى الله عليه وسلم، وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعيادًا، **بل من أعظم أسباب الإشراك بأصحابها**، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلا مجرد الزيارة للقبور تبركًا بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك .

هذه المسألة التي أفتى فيها (ابن تيمية) أعني من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ومشاهدهم ونقل فيها اختلاف (الناس) في الإباحة والمنع، فمن مبيح لذلك كأبي حامد الغزالي وأبي محمد المقدسي

ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض، وهو قول الجمهور نص عليه مالك **ولم يكن يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب** .

فقام عليه بعض المعاصرين له كالسبكي ونحوه فنسبه إلى إنكار الزيارة مطلقًا وهو لم ينكر منها إلا ما كان بشد رحل، كما أنكره جمهور (الناس) قبله، أو الزيارة التي يكون فيها دعاء الأموات والاستغاثة بهم في الملمات، مع ما ينضم إلى ذلك من أنواع المنكرات .

ومما يدل على النهي عن شد الرحال إلى القبور ونحوها ما أخرجاه في "الصحيحين" عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال [ لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى ] .

فدخل في ذلك شدها لزيارة القبور والمشاهد فإما أن يكون نهيًا، وإما أن يكون نفيًا للاستحباب.

وقد جاء في رواية في "الصحيح" بصيغة النهي صريحًا فتعين أن يكون للنهي.

ولهذا فهم منه الصحابة المنع، كما في "الموطأ" و "السنن" عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه لما خرجت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" .

وروى الإمام أحمد وعمر بن شبه في "أخبار المدينة" بإسناد جيد عن قزعة. قال: أتيت ابن عمر فقلت: "إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور فلا تأته".

وروى أحمد وعمر بن شبه أيضًا عن شهر بن حوشب. قال: سمعت أبا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور. فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغي فيه الصلاة غير المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" .

فأبو سعيد جعل الطور مما نهي عن شد الرحال إليه، مع أن اللفظ الذي ذكره إنما فيه النهي عن شدها إلى المساجد، فدل على أنه علم أن غير المساجد أولى بالنهي.

والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة وأن الله تعالى سماه {الْوَادِ الْمُقَدَّسِ} و {الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} ، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى} هناك.

وهذا ظاهر لا يخفى على أحد ممن يقول بفحوى الخطاب وتنبيهه، وهم الجمهور ولهذا لم يوجبوا على من نذر أن يسافر إلى أثر نبي من الأنبياء قبورهم أو غير قبورهم الوفاء بذلك، بل لو سافر إلى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعًا باتفاق الأربعة، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأتيه كل سبت راكبًا وماشيًا، وإن كان في وجوب الوفاء بنذر إتيانه خلاف والجمهور على أنه لا يجب.

وقد صرح مالك وغيره بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وفَّى بنذره، وإن كان مقصوه مجرد زيارة القبر من غير

صلاة في المسجد لم يف بنذره. قال: لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد" . ذكره إسماعيل ابن إسحاق في "المبسوط" ومعناه في "المدونة" و "الجلاب" وغيرهما من كتب أصحاب مالك.

وبالجملة ... فاستحباب شد الرحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله كما ظنه السبكي وغيره، قول مبتدع مخالف للإجماع قبله، والأحاديث التي احتج بها كحديث: "من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي"، ونحوها لا يصح منها شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه البتة، بل هي ما بين ضعيف وموضوع، أو كلها موضوعة كما قد بين عِلَلَها (ابن تيمية) وغيره. وكثير منها لا يدل على محل النّزاع إذ ليس فيه إلا مطلق الزيارة.

وذلك لا ينكره (ابن تيمية) ولا غيره من العلماء، لأنه محمول على الزيارة الشرعية الجارية على وفق مراد النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي لا يكون فيها شرك ولا شد رحل إلى قبر، وبتقدير ثبوتها لا تدل على شد الرحال إلى قبر غيره، والسبكي أجاز ذلك في سائر القبور فخالف الأحاديث وخرق الإجماع، والله أعلم. ا.هـ المراد بتصرف

وما قاله الشيخ سليمان في السبكي منطبق على الشارح أيضاً من وجه

فيصح أن يقال أن الشارح خالف الأحاديث وخرق الإجماع

وأن قوله هذا (من أعظم أسباب الإشراك بأصحاب) القبور التي يشد إليها الرحال ، والله المستعان .

فصل

ومن مخالفات الشارح أيضاً في هذا الباب قوله في شرحه :

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنْوَاعٌ مِنَ الْعِلْمِ تَقَدَّمَ كثير منها ففيه التَّبَرُّكِ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ ا.هـ

وقال : فَتَوَضَّأَ فَمِنْ نَائِلٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَنَاضِحٍ تَبَرُّكًا بِآثَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ جَاءَ مُبَيَّنًا فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ فَرَأَيْتُ النَّاسَ يَأْخُذُونَ مِنْ فَضْلِ وَضُوئِهِ فَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ وَاسْتِعْمَالِ فَضْلِ طَهُورِهِمْ وَطَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ وَلِبَاسِهِمْ !! ا.هـ

وقال : وَالْحِكْمَةُ فِي إِشْعَارِهَا بِهِ تَبْرِيكُهَا بِهِ فَفِيهِ التَّبَرُّكُ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ وَلِبَاسِهِمْ ا.هـ

وقال : وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ التَّبَرُّكِ بِآثَارِ الصَّالِحِينَ ا.هـ

وفي الجواب عن هذه الإستدلالات

قال سليمان آل شيخ –رحمه الله – في تيسير العزيز الحميد : ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشرب سؤرهم، والتمسح بهم أو بثيابهم، وحمل المولود إلى أحد منهم ليحنكه بتمرة حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين، والتبرك بعرقهم ونحو ذلك، وقد أكثر من ذلك أبو زكريا النووي في "شرح مسلم" في الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا شيئًا من ذلك مع النبي صلى الله عليه وسلم وظن أن بقية الصالحين في ذلك كالنبي صلى الله عليه وسلم.

وهذا خطأ صريح لوجوه:

منها: عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي صلى الله عليه وسلم في الفضل والبركة.

ومنها: عدم تحقق الصلاح، فإنه لا يتحقق إلا بصلاح القلب، وهذا أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص، كالصحابة الذين أثنى الله عليهم ورسوله، أو أئمة التابعين، ومن شهر بصلاح ودين كالأئمة الأربعة ونحوهم من الذين تشهد لهم الأمة بالصلاح وقد عدم أولئك، أما غيرهم، فغاية الأمر أن نظن أنهم صالحون فنرجو لهم.

ومنها: أنا لو ظننا صلاح شخص، فلا نأمن أن يختم له بخاتمة سوء، والأعمال بالخواتيم، فلا يكون أهلاً للتبرك بآثاره.

ومنها: أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره لا في حياته، ولا بعد موته، ولو كان خيرًا لسبقونا إليه، فهلا فعلوه مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ونحوهم من الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وكذلك التابعون، هلا فعلوه مع سعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وأويس القرني، والحسن البصري ونحوهم ممن يقطع بصلاحهم، فدل أن ذلك مخصوص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أن فعل هذا مع غيره صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أن يفتنه، وتعجبه نفسه، فيورثه العجب والكبر والرياء، فيكون هذا كالمدح في الوجه بل أعظم.

والتبرك المذكور وسيلة من وسائل الشرك الأكبر فلا يستهينن مستهين بهذه المسألة

قال عبدالعزيز ابن باز : لا يجوز التبرك بأحد غير النبي صلى الله عليه وسلم لا بوضوئه، ولا بشعره، ولا بعرقه، ولا بشيء من جسده، بل هذا كله خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، لما جعل الله في جسده وما مسه من الخير والبركة، ولهذا لم يتبرك الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بأحد منهم، لا في حياته ولا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، لا مع الخلفاء الراشدين ولا مع غيرهم، فدل ذلك على أنهم قد عرفوا أن ذلك خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم دون غيره، ولأن ذلك وسيلة إلى الشرك وعبادة غير الله سبحانه .. ا.هـ المراد

فصل

ومن أغلاط الشارح في هذا الباب قوله في روضة الطالبين [6-11] :

الْحَلِفُ بِالْمَخْلُوقِ مَكْرُوهٌ (!) كَالنَّبِيِّ وَالْكَعْبَةِ وَجِبْرِيلَ وَالصَّحَابَةِ وَالْآلِ .. قَالَ الْأَصْحَابُ: فَلَوِ اعْتَقَدَ الْحَالِفُ فِي الْمَحْلُوفِ بِهِ مِنَ التَّعْظِيمِ مَا يَعْتَقِدُهُ فِي اللَّهِ تَعَالَى كَفَرَ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ كَفَرَ» وَلَوْ سَبَقَ لِسَانُهُ إِلَيْهِ بِلَا قَصْدٍ لَمْ يُوصَفْ بِكَرَاهَةٍ، بَلْ هُوَ

لَغْوُ يَمِينٍ وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: «أَفْلَحَ وَأَبِيهِ إِنْ صَدَقَ» . ا.هـ

وهذا القول غير صحيح وهو مخالف للسنة والآثار والإجماع

ففي الصحيحين من حديث ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ وَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ ]

النهي الأصل فيه التحريم وهذا وحده كاف في إثبات ذلك

وفي صحيح البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى فَلْيَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ]

وأمره –صلى الله عليه وسلم– بالتهليل لمن حلف بغيره دليل ظاهر في أنه مناف لكمال التوحيد الواجب ان لم يقترن معه اعتقاد يقتضي غير ذلك

وفي جامع الترمذي من حديث ابْنَ عُمَرَ أنه سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: لاَ وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لاَ يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : [ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ ] .

قال الترمذي : حديث حسن وصححه ابن حبان والحاكم

وقوله [ بغير الله ] يشمل جميع صور الحلف بغير الله وان لم يصاحب الحالف اعتقاد تعظيم في المحلوف

وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ {فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا} قَالَ [ الأَنْدَادُ هُوَ الشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ عَلَى صَفَاةٍ سَوْدَاءَ، فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ. وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: وَاللَّهِ، وَحَيَاتِكَ يَا فُلانَةُ، وَحَيَاتِي ] .

وقد حسن بعض أهل العلم إسناد هذا الأثر

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :
[ لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق ]
قال المنذري :رواه الطبراني موقوفا ورواته رواة الصحيح

وقال ابن تيمية عن قول ابن مسعود : وذلك لأن الحلف بغير الله شرك ، والشرك أعظم من الكذب . ا.هـ المراد

وأخرج ابن أبي الدنيا في الصمت بسند حسن عن كعب رضي الله عنه قال [ إنكم تشركون في قول الرجل: كلا وأبيك ، كلا والكعبة ، كلا وحياتك ، وأشباه هذا.....احلف بالله صادقا ، ولا تحلف بغيره ]

قال ابن عبد البر : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ا.هـ

وقال حسين ابن غنام : لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ا.هـ

وقال ابن تيمية في التوسل : الحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب أبي حنيفة وأحد القولين في مذهب الشافعي وأحمد

وقد حكي إجماع الصحابة على ذلك، وقيل: هي مكروهة كراهة تنزيه. والأول أصح حتى قال عبد الله بن مسعود وعبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر: لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقا.ا.هـ

ولا يعتد بقول يخالف النص أو إجماع الصحابة فكيف وقد اجتمعا هنا

وأما رواية [ أفلح وأبيه ] فقد قال ابن باز : قد تعلل بعض من سهل في ذلك بما جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حق الذي سأله عن شرائع الإسلام: ((أفلح وأبيه إن صدق)).

والجواب: أن هذه رواية شاذة مخالفة للأحاديث الصحيحة لا يجوز أن يتعلق بها، وهذا حكم الشاذ عند أهل العلم، وهو ما خالف فيه الفرد جماعة الثقات

ويحتمل أن هذا اللفظ تصحيف كما قال ابن عبد البر رحمه الله، وأن الأصل ((أفلح والله))، فصحفه بعض الكتاب أو الرواة

ويحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قبل النهي عن الحلف بغير الله

وبكل حال فهي رواية فردة شاذة لا يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتشبث بها ويخالف الأحاديث الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الحلف بغير الله، وأنه من المحرمات الشركية

وقد خرج النسائي بإسناد صحيح عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه حلف باللات والعزى فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: ((قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وانفث عن يسارك ثلاثاً وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تعد))، وهذا اللفظ يؤكد شدة تحريم الحلف بغير الله؛ وأنه من الشرك ومن همزات الشيطان، وفيه التصريح بالنهي عن العود إلى ذلك.

والخلاصة : أنه على كل متبع صادق في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم أن يحقق هذا الباب –التوحيد وسد الذرائع المفضية إلى الشرك– كما يجب وبلا مداهنة لأجل زيد أو عبيد ، وأن يكون سائراً فيه على الأثر

فلا يترك مدخلاً من مداخل الشيطان لبث الشرك بين عباد الله الا وقطعه .

وعليه فليعلم أن الدفاع المستميت عمن يهون من هذه المسائل :

بتجويزه للوسائل المفضية إلى الشرك الأكبر
كالتوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم ، و شد الرحال الى القبور
و تحري الدعاء عند قبور الصالحين، و استحباب التبرك بذوات الصالحين وآثارهم
و التهوين من الحلف بغير الله ، ونحو ذلك من أبواب الشر المفضية إلى خطر عظيم ،
فالدفاع عمن وصل إلى هذا الحال أمر ليس بالهين
ويزداد الأمر سوءاً لما يصل إلى درجة التحذير (!) والطعن (!) بمن يبين أخطاء –هذا المخالف– العقدية في كتاب أو بحث نصحاً للناس وبياناً لحاله
فهذا ليس من تحقيق الحماية لجناب التوحيد
فالله الله يا أهل التوحيد في دينكم ، ولا يكن هم أحدكم الرد على فلان
أو إظهار موافقته لعلان على حساب دينه
فإن [ الأمر قريب ] كما قال ابن مسعود و [ الموعد الله ] كما قال الحسن
{ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ }

## الشارح و تخبطه في باب الإيمان

" الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

أما بعد

فاعلموا رحمنا وإياكم أن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ليقروا بتوحيده
فيقولوا : لا إله إلا الله محمد رسول الله
فكان من قال هذا موقنا من قلبه وناطقا بلسانه أجزأه ، ومن مات على هذا فإلى الجنة ، فلما آمنوا بذلك ، وأخلصوا توحيدهم ، فرض عليهم الصلاة بمكة ، فصدقوا بذلك ، وآمنوا وصلوا ، ثم فرض عليهم الهجرة ، فهاجروا ، ثم فرض عليهم بالمدينة الصيام ،

فآمنوا وصدقوا وصاموا شهر رمضان ، ثم فرض عليهم الزكاة ، فآمنوا وصدقوا ، وأدوا ذلك كما أمروا ، ثم فرض عليهم الجهاد ، فجاهدوا البعيد والقريب ، وصبروا وصدقوا ، ثم فرض عليهم الحج ، فحجوا وآمنوا به ، فلما آمنوا بهذه الفرائض ، وعملوا بها تصديقا بقلوبهم ، وقولا بألسنتهم ، وعملا بجوارحهم قال الله تعالى { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا } " [1]

وقد ثبت من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله :

[ إن الله تعالى بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدق بها المؤمنون زادهم الله الصلاة ، فلما صدقوا بها زادهم الله الصيام ، فلما صدقوا به زادهم الزكاة ، فلما صدقوا بها زادهم الحج فلما صدقوا به زادهم الجهاد ثم أكمل لهم دينهم فقال تعالى {اليوم أكملت لكم دينكم ..}

---

[1] الشريعة للآجري ص 216 فما بعد

" ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقا ، ولا تجزيء معرفة بالقلب ، ونطق باللسان ، حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال : كان مؤمنا دل على ذلك القرآن ، والسنة ، وقول علماء المسلمين :

فأما ما لزم القلب من فرض الإيمان فقول الله تعالى { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم } الآية فهذا مما يدلك على أن على القلب الإيمان ، وهو التصديق والمعرفة ، ولا ينفع القول إذ لم يكن القلب مصدقا بما ينطق به اللسان مع العمل ، فاعلموا ذلك

**وأما فرض الإيمان باللسان** : فقوله تعالى في سورة البقرة { قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون }

**وأما الإيمان بما فرض على الجوارح** تصديقا بما آمن به القلب ، ونطق به اللسان : فقوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا } إلى قوله تعالى { تفلحون } ومثله فرض الصيام على جميع البدن ، ومثله فرض الجهاد بالبدن ، وبجميع الجوارح ، فالأعمال رحمكم الله بالجوارح : تصديق عن الإيمان بالقلب واللسان ، فمن لم يصدق الإيمان بعمله وبجوارحه : مثل الطهارة ، والصلاة والزكاة ، والصيام والحج والجهاد ، وأشباه لهذه ورضي من نفسه بالمعرفة والقول لم يكن مؤمنا ، ولم ينفعه المعرفة والقول ، **وكان تركه للعمل تكذيبا منه لإيمانه** ، وكان العمل بما ذكرناه تصديقا منه لإيمانه ، وقد قال تعالى في كتابه ، وبين في غير موضع أن **الإيمان لا يكون إلا بعمل** ، وبينه النبي صلى الله عليه وسلم **خلاف ما قالت المرجئة** فيا معشر من فقههم الله تعالى في الدين ، بعلم الحلال والحرام أنكم إن تدبرتم القرآن ، كما أمركم الله تعالى علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله : العمل ، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم وأنهم قد رضوا عنه وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة ، والنجاة من النار ، إلا الإيمان والعمل الصالح وقرن مع الإيمان العمل الصالح ، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده ، حتى ضم إليه العمل الصالح ، الذي قد وفقهم له ، **فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقا بقلبه ، وناطقا بلسانه ، وعاملا بجوارحه** لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه ، وجده كما ذكرت قال تعالى { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه } فأخبر تعالى بأن الكلم الطيب حقيقة أن يرفع إلى الله

تعالى بالعمل ، إن لم يكن عمل بطل الكلام من قائله ، ورد عليه ، ولا كلام طيب أجل من التوحيد ولا عمل من أعمال الصالحات أجل من أداء الفرائض " [1]

أخرج الآجري بإسناده عن أبي العالية : في قول الله تعالى { أولئك الذين صدقوا } يقول [ تكلموا بكلام الإيمان ، وحققوه بالعمل]

وقال الربيع بن أنس : وكان الحسن يقول [ الإيمان كلام ، وحقيقته العمل ، فإن لم يحقق القول بالعمل ، لم ينفعه ]

" وكذلك ذكر الله تعالى المتقين في كتابه في غير موضع منه ، ودخولهم الجنة ، فقال { ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون } كل هذا يدل العاقل على أن [ الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلوب ، وصدقته الأعمال ] كذا قال الحسن وغيره "

وأخرج الآجري بإسناده عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود
رضي الله عنهما قالا [ لا ينفع قول إلا بعمل ، ولا عمل إلا بقول ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا نية إلا بموافقة السنة ]

وبعد هذه المقدمة يتبين –وبجلاء– أن العمل جزء من الإيمان بإجماع السلف
ويتبين أيضاً أن تارك أعمال الجوارح بالكلية –مع القدرة– كافر
فمن زعم أن الإجماع منعقد على إسلام من أتى بالشهادة والاعتقاد دون العمل فقد جازف وهرف بما لم يعرف وقد نطق بالباطل

وبهذا يعلم بطلان قول الشارح في شرحه [1–149] : اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُحْكَمُ بِأَنَّهُ مِنْ

أَهْلِ الْقِبْلَةِ وَلَا يُخَلَّدُ فِي النَّارِ لَا يَكُونُ إِلَّا مَـنِ اعْـتَـقَـدَ بِقَلْبِهِ دِينَ الْإِسْلَامِ اعْتِقَادًا جَازِمًا خَالِيًا مِنَ الشُّكُوكِ وَنَـطَقَ بِالشَّهَادَتَيْنِ فَإِنِ اقْتَصَرَ عَلَى إِحْدَاهُمَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ أَصْلًا إِلَّا إِذَا عَجَزَ عَنِ النُّطْقِ لِخَلَلٍ فِي لِسَانِهِ أَوْ لِعَدَمِ التَّمَكُّنِ مِنْهُ لِمُعَاجَلَةِ الْمَنِيَّةِ أَوْ لِغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُؤْمِنًا . ا.هـ

وقال في موضع آخر : وَفِيهِ مَا قَدَّمْنَاهُ مِنَ الدَّلَالَةِ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُنْجِيَ مِنَ الْخُلُودِ فِي النَّارِ لَا بُـدَّ فِـيـهِ مِـنَ الِاعْـتِـقَـادِ وَالـنُّـطْقِ ..ا.هـ

فزعمه الإجماع على أن المعتقد بقلبه مع النطق بلسانه مؤمن

وأن بهذين الأمرين تكون النجاة –بإطلاق– باطل

بل لابد من أن يأتي بالعمل مع ذلك .

قال ابن تيمية في شرح العمدة :

حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله ديناً ومن لا دين له فهو كافر . ا.هـ

وقال محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله تعالى– : لا خلاف أن التوحيد لابد أن يكون بالقلب واللسان والعمل، فإن اختل شيء من هذا لم يكن الرجل مسلما ا.هـ

فزعمه للإجماع على ما ذكره مجازفة ظاهرة

بل قد نقل أهل العلم الإجماع على خلافه

كما قال الشافعي –رحمه الله تعالى– :

كان الإجماع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر . ا.هـ

وقال ابن بطة –رحمه الله تعالى– :

اعلموا رحمكم الله .. لا يكون العبد مؤمنا إلا بأن يجمعها كلها حتى يكون مؤمنا بقلبه مقرا بلسانه عاملا مجتهدا بجوارحه .. وبكل ما شرحته لكم نزل به القرآن ومضت به السنة وأجمع عليه علماء الأمة .ا.هـ

ولهذه المسألة بحث –بإذن الله قريب– ولات حين تفصيل .

ومما يدلك على عدم ضبط الشارح لباب الإيمان كما يجب –وعلى ما كان عليه السلف– عدم معرفته (بنقيضه=الكفر بالله) تعالى الله عما يقول الظالمون ، حيث يقول في شرحه [3–103] : وَلَوْ صَلَّى مُحْدِثًا مُتَعَمِّدًا بِلَا عُذْرٍ أَثِمَ وَلَا يَكْفُرُ عِنْدنَا وَعِنْدَ الْجَمَاهِيرِ ، وَحُكِيَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ يَكْفُرُ لِتَلَاعُبِهِ وَدَلِيلُنَا أَنَّ الْكُفْرَ لِلِاعْتِقَادِ وَهَذَا الْمُصَلِّي اعْتِقَادُهُ صَحِيحٌ

وقال الشارح في روضة الطالبين : وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ صَلَّى بِغَيْرِ وُضُوءٍ مُتَعَمِّدًا ، أَوْ مَعَ ثَوْبٍ نَجِسٍ، أَوْ إِلَى غَيْرِ الْقِبْلَةِ .

قُلْتُ: مَذْهَبُنَا وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ، لَا يَكْفُرُ إِنْ لَمْ يَسْتَحِلَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ا.هـ

فظاهر قوله ( الْكُفْرَ لِلِاعْتِقَادِ ) حصر للكفر في جانب الإعتقاد فقط ، وأن العمل لا يكون مكفراً لصاحبه

وهذا قول باطل مخالف للكتاب والسنة ولإجماع

فأهل السنة يقولون إن الكفر يكون بالقول أو بالفعل أو بالاعتقاد .

قال إسحاق بن راهويه – رحمه الله –: أجمع العلماء على أن من سب الله – عز وجل – أو رسوله – صلى الله عليه وسلم – أو دفع شيئا أنزله الله أو قتل نبيا وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر ا.هـ

و قال ابن القيم في كتاب الصلاة :

الكفر نوعان: كفر عمل وكفر جحود، فكفر الجحود: أنه يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله ـ جحوداً وعناداً ـ من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه.

وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاد الإيمان، فالسجود للصنم والاستهانة بالمصحف وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان . ا.هـ

وقال عبدالله أبا بطين –رحمه الله– كما في "مجموعة الرسائل والمسائل" [1– 659] :

والمرتدُّ هو الذي يكفر بعدَ إسلامه بكلامٍ أو اعتقادٍ أو فعلٍ أو شكٍّ وهو قبل ذلك يتلفَّظ بالشَّهادتين ويصلي ويصوم، فإذا أتى بشيءٍ مما ذكروه صار مرتدًّاً مع كونه يتكلَّم بالشَّهادتين ويصلي ويصوم ولا يمنعه تكلُّمه بالشَّهادتين وصلاته وصومه عن الحكم عليه بالرِّدَّة، وهذا ظاهرٌ بالأدلَّة من الكتابِ والسُّنَّة والإجماع ا.هـ

وقال محمد بن إبراهيم آل شيخ : في شرحه لكشف الشبهات (ص102):

فهذا المذكور في هذا الباب إجماع منهم أنه يخرج من الملة ولو معه الشهادتان

لأجل اعتقادٍ واحد أو عملٍ واحد أو قولٍ واحد

يكفي بإجماع أهل العلم لا يختلفون فيه ا.هـ

وقال عبد العزيز ابن باز في القوادح في العقيدة ص27:

فنواقض الإسلام , وهي الموجبة للردة , هذه تسمى نواقض , والناقض يكون قولاً , ويكون عملاً , ويكون اعتقاداً , ويكون شكاً , فقد يرتد الإنسان بقول يقوله، أو بعمل يعمله , أو باعتقاد يعتقده, أو بشك يطرؤ عليه , هذه الأمور الأربعة كلها يأتي منها الناقض الذي يقدح في العقيدة ويبطلها.

فسب الله عزوجل أو إهانة المصحف ونحو ذلك كفر في نفسه مضاد للإيمان من كل وجه عند أهل السنة. ا.هـ

كما يقول أهل السنة أيضاً بتلازم الظاهر مع الباطن

ويبرؤن من قول المرجئة من أن العبد قد يأتي في الظاهر بأعظم المنكرات والفواحش وهو في الباطن مؤمن تام الإيمان (!)

بل هذا لا يكون الا من فساد في الباطن –وليس بالضرورة جحوداً فتنبه– كما قال النبي صلى الله عليه وسلم [ إن في الجسد مُضْغَة، إذا صَلُحَت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، ألا وهي القلب]

و قول الشارح في عدم تكفير من يصلي مستدبراً للقبلة متعمداً (!)

قد حكى بعض السلف كفر قائله

فقال الخلال : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: قَالَ الْحُمَيْدِيُّ: وَأُخْبِرْتُ أَنَّ قَوْمًا يَقُولُونَ: " إِنَّ مَنْ أَقَرَّ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ وَالْحَجِّ وَلَمْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُصَلِّيَ مُسْنِدٌ ظَهْرَهُ مُسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ حَتَّى يَمُوتَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، مَا لَمْ يَكُنْ جَاحِدًا ، إِذَا عَلِمَ أَنْ تَرْكَهُ ذَلِكَ فِي إِيمَانِهِ إِذَا كَانَ يُقِرُّ الْفُرُوضَ وَاسْتِقْبَالَ الْقِبْلَةِ !!

فَقُلْتُ: هَذَا الْكُفْرُ بِاللَّهِ الصُّرَاحُ، وَخِلَافُ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِعْلِ الْمُسْلِمِينَ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ: {حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} .

قَالَ حَنْبَلٌ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَوْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ**، وَرَدَّ عَلَى اللَّهِ أَمْرَهُ، وَعَلَى الرَّسُولِ مَا جَاءَ بِهِ»

والذي يصلي إلى غير القبلة كفره متعين فإنه من الممتنع أن يكون المرء عالماً بوجوب الصلاة و وجوب توجه فاعلها إلى بيت الله

ثم يأبى الانقياد لهذا المعلوم ويختار استدبارها عن علم وعمد !

هذا لا يكون في العادة إلا من استكبار وإباء

أو استهزاء وسخرية ، ودع عنك وسوسات الذين يحصرون الكفر بالاستحلال

أخرج عبدالله بن أحمد في السُّنَّة بإسناده أنَّ: معقل بن عبيد الله العبسيّ قال قدم علينا سالم الأفطس بالإرجاء فعرضه .

قال : فنفر منه أصحابنا نفاراً شديداً . .قال فجلست إلى نافع

فقلت له : إِنَّهم يقولون : **نحن نقرُّ بأَنَّ الصّلاة فريضةٌ و لا نصلي** ، وأَنَّ الخمر حرامٌ ونحن نشربها وأن نكاح الأمهات حرامٌ ونحن نفعل .

قال : فنتر يده من يدي ثم قال [ من فعل هذا فهو كافر ]

والذي يصلي مستدبراً للقبلة عمداً أشد من هذا ، فإنه قد جمع بين ترك الصلاة المشروعة على وجهها وبين الإستهزاء أو الاستكبار

وقد ذكر غير واحد أن تارك الشرط أو الركن المجمع عليه في الصلاة حكمه كحكم التارك لها كما قال ابن قدامة في المغني [2–333] : وَمَنْ تَرَكَ شَرْطًا مُجْمَعًا عَلَى صِحَّتِهِ، أَوْ رُكْنًا، كَالطَّهَارَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَهُوَ كَتَارِكِهَا، حُكْمُهُ حُكْمُهُ؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ مَعَ ذَلِكَ **وُجُودُهَا كَعَدَمِهَا** . ا.هـ

واستقبال القبلة في الفرض لا أعرف نزاعاً بين السلف في اشتراطه في الجملة

وقد قال عبد الله بن أحمد حدَّثنا سويد بن سعيد الهرويّ قال : سألنا سفيان بن عيينة عن الإرجاء فقال [ يقولون الإيمان قولٌ وعملٌ ، و الـمـرجـئـة أوجبوا الجنَّة لمن شهد أَنَّ لا إله إلا الله مصرًّاً بقلبه على ترك الفرائض وسمُّوا تـرك الـفـرائـض ذنـبـاً بـمـنـزلـة ركـوب الـمـحـارم ، وليس بسواء لأَنَّ ركوب المحارم من غير استحلالٍ معصية، وترك الفرائض متعمِّداً من غير جهل ولا عذر هو كفر ]

والحاصل أن الشارح لم يحقق هذا الباب كما يجب ، كعادته في عامة أبواب المعتقد ، وهو مع ذلك محنة (!) وبه يفرق بين السني والمبتدع (!)

والله المستعان .

## سير النووي على طريقة الجبرية في باب القدر

الحمد لله ذي الإفضال والإنعام

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وصحبه والأئمة الأعلام

أما بعد

" فإن [ باب القدر من ] أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلا عن الفاضل الجليل، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان "
وانحراف المرء فيه عن طريقة السلف مخل –ولا محالة– بتوحيد العبد
ولأجل هذا يقول ابن عباس –رضي الله عنه– [ الإيمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر ، كان تكذيبه بالقدر نقضا للتوحيد ]

وقد سبق بيان خلل الشارح في عدة أبواب من أبواب الاعتقاد ولم يفتئ عن مخالفته لطريق الماضين وسنن السلف المكرمين حتى وقع فيما وقع فيه من انحراف في باب القدر أيضاً فقرر من البواطيل ما يخالف الكتاب والسنة والآثار والإجماع بل وحتى الفطر السليمة ما الله به عليم
وأقر ما أقر من البواطيل التي وقع فيها من يعظمه من المتكلمين والضلال

ومن ذلك قوله في كتابه الأصول والضوابط ص 23 : هل يُقَال انه يرضى الْمعاصِي ويحبها فِيهِ مذهبان لاصحابنا الْمُتَكَلِّمين حَكَاهُمَا امام الْحَرَمَيْنِ وَغَيره
قَالَ امام الْحَرَمَيْنِ فِي الارشاد مِمَّا اخْتلف اهل الْحق فِي اطلاقه وَمنع اطلاقه الْمحبَّة وَالرِّضَا ، فَقَالَ بعض أَئِمَّتنَا لَا يُطلق القَوْل بَان الله تَعَالَى يحب الْمعاصِي ويرضاها لقَوْله تَعَالَى {وَلَا يرضى لِعِبَادِهِ الْكفْر}
قَالَ وَمن حقق من أَئِمَّتنَا ( ! ) لم يلْتَفت الى تهويل الْمُعْتَزلَة لَهُ بل قَالَ الله تَعَالَى يُرِيد الْكفْر وَيُحِبهُ ويرضاه والارادة والمحبة وَالرِّضَا بِمَعْنى وَاحِد
قَالَ وَقَوله تَعَالَى {وَلَا يرضى لِعِبَادِهِ الْكفْر} المُرَاد بِهِ الْعباد الموفقون للايمان وأضيفوا الى الله تَعَالَى تَشْرِيفًا لَهُم كَقَوْلِه تَعَالَى {يشرب بهَا عباد الله}
أَي خواصهم لَا كلهم وَالله اعْلَم ا.هـ

قلت : قول الجويني –الذي أقره الشارح– ( من حقق من أَئِمَّتنَا .. قَالَ الله تَعَالَى يُرِيد الْكفْر وَيُحِبهُ ويرضاه والارادة والمحبة وَالرِّضَا بِمَعْنى وَاحِد )

قول باطل وزعم عاطل وكذب على الله

وأئمته (!) في الحقيقة هم (الجهمية الجبرية=وبئس الأئمة) ، وهم ممن يصدق عليهم قول ربنا سبحانه { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ }

وقول الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن أمثالهم [ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ ]

أخرجه البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه

فلا كثر الله أمثالهم ، وأما " مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن

لا رب غيره وهو مع ذلك أمر بالطاعة ونهى عن المعصية

وهو لايحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر

ولا يأمر بالفحشاء وإن كانت واقعة بمشيئته فهو لا يحبها ولا يرضاها

بل يبغضها ويذم أهلها ويعاقبهم "

" فهو سبحانه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر والعبد مأمور أن يتوب إلى الله تعالى دائما قال الله تعالى : { وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون }

وفي صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ]

وفي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ] ..

وقد أمر الله سبحانه عباده أن يختموا الأعمال الصالحات بالاستغفار

وكان النبي صلى الله عليه و سلم إذا سلم من الصلاة يستغفر ثلاثا ويقول :

[ اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام ] ..

وقد قال تعالى : { والمستغفرين بالأسحار } فأمرهم أن يقوموا بالليل ويستغفروا بالأسحار

وكذلك ختم سورة ( المزمل ) وهي سورة قيام الليل بقوله تعالى : { واستغفروا الله إن الله غفور رحيم }

وكذلك قال في ( الحج ) : { فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين * ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم } "

" وقد ذكر الله في كتابه : الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام والجعل

وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه ولا يجعلهم من أوليائه المتقين

وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين

وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه ومات على ذلك كان من أوليائه

ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه ومات على ذلك كان من أعدائه

فالإرادة الكونية هي مشيئته لما خلقه وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية والارادة الدينية هي المتضمنة لمحبته ورضاه المتناولة لما أمر به وجعله شرعا وديناً

وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح قال الله تعالى : { فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء }

وقال نوح عليه السلام لقومه : { ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم }

وقال تعالى { وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال }

وقال تعالى في الثانية : { ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر }

وقال في آية الطهارة : { ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون }

ولما ذكر ما أحله وما حرمه من النكاح قال : { يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم * والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا } "

" **فالله سبحانه وتعالى يفعل لحكمة يحبها ويحصل بها محبوبه** ، فإنه لا يزال مراده الذي يحبه يحصل بفعله، وهو غني عن كل ما سواه، ورحمته لعبده، وإحسانه إليهم هو مما يُحبّه، وهو سبحانه إذا أمر العباد ونهاهم: أمرهم بما يحبه ويرضاه لهم، وهو يحبهم ويرضى عنهم إذا فعلوه؛ قال تعالى: { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } .

**لكن فرق بين ما يريد هو أن يخلقه لما يحصل من الحكمة التي يحبها ، فهذا يفعله سبحانه** ، ولا بُدّ من وجوده، فإنّه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، **وبين ما يُريد من العباد أن يفعلوه ، ويحبه إذا فعلوه** ، ويأمرهم به من غير مشيئة منه أن يخلقه؛ فإنّ المشيئة متعلقة بفعله، والأمر متعلق بفعل عبده المأمور، فالإرادة منه تارة تكون بمعنى المشيئة، وتارة تكون بمعنى المحبة . فهو سبحانه محمود على كل حال، له الملك وله الحمد في الدنيا والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون . "

**وهؤلاء المتكلمون إنما أتوا من عدم ضبطهم لهذا الباب**

" وأما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان فالله لا يرضاه

كما قال تعالى { ولا يرضى لعباده الكفر }

وقال { والله لا يحب الفساد }

وقال تعالى { فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }

وقل تعالى { فجزاؤه حهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما }

وقال { ذلك بأنهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط اعمالهم } وقال تعالى { وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم }

وقال تعالى { لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون } وقال { فلما آسفونا انتقمنا منهم } فالله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه بل يسخطه ذلك وهو يسخط عليهم ويغضب عليهم "

" وَأَصْلُ " هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ " الْفَرْقُ بَيْنَ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرِضَاهُ وَغَضَبِهِ وَسَخَطِهِ

وَبَيْنَ إرَادَتِهِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالْفُقَهَاءِ وَأَكْثَرِ الْمُثْبِتِينَ لِلْقَدَرِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَغَيْرِهِمْ

وَصَارَ طَائِفَةٌ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ وَالْمُثْبِتِينَ لِلْقَدَرِ إلَى أَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَهُمَا

ثُمَّ قَالَتْ " الْقَدَرِيَّةُ " : هُوَ لَا يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ فَيَكُونُ مَا لَمْ يَشَأْ وَيَشَاءُ مَا لَمْ يَكُنْ .

وَقَالَتْ " الْمُثْبِتَةُ " مَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ

وَإِذَنْ قَدْ أَرَادَ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ

وَلَمْ يُرِدْهُ دِينًا أَوْ أَرَادَهُ مِنْ الْكَافِرِ

وَلَمْ يُرِدْهُ مِنْ الْمُؤْمِنِ فَهُوَ لِذَلِكَ يُحِبُّ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَلَا يُحِبُّهُ دِينًا وَيُحِبُّهُ مِنْ الْكَافِرِ وَلَا يُحِبُّهُ مِنْ الْمُؤْمِنِ .

وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ خَطَأٌ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا ؛ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ وَأَنَّهُ لَا يَكُونُ شَيْءٌ إلَّا بِمَشِيئَتِهِ

وَمُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَأَنَّ الْكُفَّارَ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنْ الْقَوْلِ "

" وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام وبإجماع سلف الأمة قبل حدوث أقوال النفاة من الجهمية ونحوهم إن الله يحب الإيمان والعمل الصالح ولا يحب الكفر والفسوق والعصيان وإنه يرضى هذا ولا يرضى هذا والجميع بمشيئته وقدرته

والذين لم يفرقوا لهم تأويلات تارة يقولون لا يرضاه لعباده المؤمنين فهم يقولون لا يحب الإيمان والعمل الصالح ممن لم يفعله !

كما لم يرده ممن لم يفعله ويقولون إنه يحب الكفر والفسوق والعصيان ممن فعله كما أراده ممن فعله ، وفساد هذا القول مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام مع دلالة الكتاب والسنة وإجماع السلف على فساده "

والحاصل أن هذا القول الذي أقره الشارح حقيقته " أن الله يحب الكفر والفسوق والعصيان ويرضاه هو المشهور من قول الأشعري وأصحابه وقد ذكر أبو المعالي أنه أول من قال ذلك وكذلك ذكر ابن عقيل أن أول من قال إن الله يحب الكفر والفسوق والعصيان هو الأشعري وأصحابه .. وجماهير المسلمين يعرفون أن هذا القول معلوم الفساد بالضرورة من دين أهل الملل وان المسلمين واليهود والنصارى متفقون على أن الله لا يحب الشرك ولا تكذيب الرسل ولا يرضى ذلك بل هو يبغض ذلك ويمقته ويكرهه كما ذكر الله في سورة بني إسرائيل ما ذكره من المحرمات ثم قال {كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها} "

" قال تعالى { فلما آسفونا انتقمنا منهم } وقال تعالى { ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم }

وقال { قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم }

وقال تعالى { إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم } فأخبر أن طاعته سبب لمحبته ورضاه ومعصيته سبب لسخطه واسفه "

وحقيقة قول هؤلاء أن الله " قد رضي عندهم من إبليس وفرعون ونحوهما كفرهم ولم يرض منهم الإيمان " !!!

فـ" الذي عليه أهل الحديث والسنة قاطبه والفقهاء كلهم وجمهور المتكلمين والصوفية أنه سبحانه يكره بعض الأعيان والأفعال

والصفات وإن كانت واقعة بمشيئته فهو يبغضها ويمقتها كما يبغض ذات إبليس وذوات جنوده ويبغض أعمالهم ولا يحب ذلك وإن وجد بمشيئته

قال الله تعالى { والله لا يحب الفساد } وقال {والله لا يحب الظالمين}

وقال { إن الله لا يحب كل مختال فخور }..

وقال {ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين }وقال {ولا يرضى لعباده الكفر}

فهذا إخبار عن عدم محبته لهذه الأمور ورضاه بها بعد وقوعها

فهذا صريح في إبطال قول من تأول النصوص على أنه لا يحبها ممن لم تقع منه ويحبها إذا وقعت فهو يحبها ممن وقعت منه ولا يحبها ممن لم تقع منه و هذا من أعظم الباطل والكذب على الله بل هو سبحانه يكرهها ويبغضها قبل وقوعها وحال وقوعها وبعد وقوعها فإنها قبائح وخبائث والله منزه عن محبة القبيح والخبيث بل هو أكره شيء إليه قال الله تعالى{كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها}

وقد أخبر سبحانه أنه يكره طاعات المنافقين ولأجل ذلك يثبطهم عنها فكيف يحب نفاقهم ويرضاه ويكون أهله محبوبين له مصطفين عنده مرضيين

ومن هذا الأصل الباطل نشأ قولهم باستواء الأفعال بالنسبة إلى الرب سبحانه وأنها لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح فلا فرق بالنسبة إليه سبحانه بين الشكر والكفر "

" وعلى قولهم فيكون معنى الآية {ولا يرضى لعباده الكفر} حيث لم يوجد منهم فلو وجد منهم أحبه ورضيه !

وهذا في البطلان والفساد كما تراه وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضى ما وجد من ذلك وإن وقع بمشيئته

كما قال تعالى { وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول }

فهذا قول واقع بمشيئته وتقديره وقد أخبر سبحانه أنه لا يرضاه

وكذلك قوله سبحانه {والله لا يحب الفساد}

فهو سبحانه لا يحبه كونا ولا دينا وإن وقع بتقديره كما لا يحب إبليس وجنوده وفرعون وحزبه وهو ربهم وخالقهم

فمن جعل المحبة والرضا بمعنى الإرادة والمشيئة لزمه أن يكون الله سبحانه محباً لإبليس وجنوده وفرعون وهامان وقارون وجميع الكفار وكفرهم والظلمة وفعلهم

وهذا كما أنه خلاف القرآن والسنة والإجماع المعلوم بالضرورة فهو خلاف ما عليه فطر العالمين التي لم تغير بالتواطئ والتواصي بالأقوال الباطلة

وقد أخبر سبحانه أنه يمقت أفعالا كثيرة ويكرهها ويبغضها ويسخطها

فقال {ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا} وقال { ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله }

وقال {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون}

وقال {ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم} ومحال حمل هذه الكراهة على غير الكراهة الدينية الأمرية لأنه أمرهم بالجهاد

وقال {كل ذلك كان سيئة عند ربك مكروها} فأخبر أنه يكره ويبغض ويمقت ويسخط ويعادي ويذم ويلعن

ومحال أنه يحب ذلك ويرضى به وهو سبحانه يكره ويتقدس عن محبة ذلك وعن الرضا به بل لا يليق ذلك بعبده فإنه نقص وعيب في المخلوق أن يحب الفساد والشر والظلم والبغي والكفر ويرضاه فكيف يجوز نسبة ذلك إلى الله تبارك وتعالى وهذا الأصل من أعظم ما غلط فيه كثير من مثبتي القدر وغلطهم فيه يوازن غلط النفاة في إنكار القدر أو هو اقبح منه وبه وتسلط عليهم النفاة وتمادوا على قبح قولهم وأعظموا الشناعة عليهم به

فهؤلاء قالوا يحب الكفر والفسوق والعصيان والظلم والبغي والفساد

وأولئك قالوا لا يدخل تحت مشيئته وقدرته وخلقه

وأولئك قالوا لا يكون في ملكه إلا ما يحبه ويرضاه

وهؤلاء قالوا يكون في ملكه ما لا يشاء ويشاء ما لا يكون

فسبحان الله وتعالى عما يقول الفريقان علوا كبيرا

والحمد لله الذي هدانا لما أرسل به رسوله وأنزل به كتابه وفطر عليه عباده وبرأنا من بدع هؤلاء وهؤلاء فله الحمد والمنة والفضل والنعمة والثناء الحسن ونسأله التوفيق لما يحبه يرضاه وان يجنبنا مضلات البدع والفتن الباب "

وبهذا يعلم أن القول الذي أقره الشارح هو قول الجبرية الضلال

وهو مخالف للكتاب والسنة والإجماع

بل ومخالف لما عليه فطر العالمين التي لم تتغير بالتواطئ والتواصي بالأقوال الباطلة

وقد صدق ابن تيمية لما قال

( ومن هذا الأصل الباطل نشأ قولهم باستواء الأفعال بالنسبة إلى الرب سبحانه

وأنها لا تنقسم في نفسها إلى حسن وقبيح )

فهذا فعلاً ما وقع فيه الشارح نسأل الله العافية من الخذلان ، حيث قال في شرحه

**[17–159]** : اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أهل السنة أنه لايثبت بالعقل ثواب ولاعقاب ولا أيجاب ولاتحريم ولاغيرها من أنواع التكليف ، ولاتثبت هذه كلها ولا غيرها الا بالشرع ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ بَلِ الْعَالَمُ مُلْكُهُ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ يَفْعَلُ فيهما ما يشاء

فلو عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ

وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ

وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ وَخَبَرُهُ صِدْقٌ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا بَلْ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَيُخَلِّدُهُمْ فى النار عدلا منه

وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَيُثْبِتُونَ الْأَحْكَامَ بِالْعَقْلِ وَيُوجِبُونَ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ وَيُوجِبُونَ الْأَصْلَحَ وَيَمْنَعُونَ خِلَافَ هَذَا فِي خَبْطٍ طَوِيلٍ لَهُمْ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ اخْتِرَاعَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ الْمُنَابِذَةِ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ وَفِي ظَاهِرِ هَذِهِ الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لايستحق أَحَدٌ الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ بِطَاعَتِهِ .. ا.هـ

وهذا هو قول الأشعرية فإنهم زعموا أن التحسين والتقبيح مرجعه إلى الشرع وحده فلا يعرف حسن الأشياء ولا قبحها ألبته إلا بما ورد في الشريعة

وبناءاً على ذلك فهؤلاء يجوزون أن يعذب الله من لم يذنب قط !

فيجوزون تعذيب الأطفال والمجانين ، ويقولون لو أمر الله بالشرك لكان حسناً ولو نهى عن التوحيد لكان قبيحاً لأن مرد ذلك إلى الشرع !

ولا فرق بين السجود للشيطان والسجود للرحمن في نفس الأمر

ولا بين الصدق والكذب ولا بين السفاح والنكاح

إلا أن الشارع حرم هذا وأوجب هذا !

فمعنى حسنه كونه مأمورا به لا أنه منشأ مصلحة

ومعنى قبحه كونه منهيا عنه لا أنه منشأ مفسدة

ولا فيه صفة اقتضت قبحه

ومعنى حسنه أن الشارع أمر به لا أنه منشأ مصلحة

ولا فيه صفة اقتضت حسنه !

وهذا القول قول باطل مخالف لما كان عليه السلف الكرام ، بل من الأشياء ما يعلم حسنه وقبحه بالعقل والشرع ، قال الله تعالى { وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون }

قال ابن القيم في المدارج : **فأخبر سبحانه أن فعلهم فاحشة قبل نهيه عنه** وأمر بإجتنابه بأخذ الزينة

والفاحشة ههنا هي طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء غير قريش

ثم قال تعالى { إن الله لا يأمر بالفحشاء } أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر ولو كان إنما علم وإنه لا معنى لكونه فاحشة إلا تعلق النهي به لصار معنى الكلام إن الله لا يأمر بما ينهى عنه وهذا يصان عن التكلم به آحاد العقلاء فضلا عن كلام العزيز الحكيم
وأي فائدة في قوله إن الله لا يأمر بما ينهى عنه فإنه ليس لمعنى كونه فاحشة عندهم إلا أنه منهي عنه لا أن العقول تستفحشه !

وقال تعالى { قل أمر ربي بالقسط }
قال ابن القيم: والقسط عندهم هو المأمور به لا أنه قسط في نفسه فحقيقة الكلام قل أمر ربي بما أمر به .ا.هـ
وقال تعالى { قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق }
قال ابن القيم : دل على أنه طيب قبل التحريم وأن وصف الطيب فيه مانع من تحريمه مناف للحكمة .. إلى أن قال رحمه الله : وكم في القرآن من مثل عقلي وحسي ينبه به العقول على حسن ما أمر به وقبح ما نهى عنه
فلو لم يكن في نفسه كذلك لم يكن لضرب الأمثال للعقول معنى ولكان إثبات ذلك بمجرد الأمر والنهي دون ضرب الأمثال وتبيين جهة القبح المشهودة بالحس والعقل والقرآن مملوء لهذا لمن تدبره
كقوله تعالى {ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون}
يحتج سبحانه عليهم لما في عقولهم من قبح كون مملوك أحدهم شريكا له فإذا كان أحدكم يستقبح أن يكون مملوكه شريكه ولا يرضى بذلك فكيف تجعلون لي من عبيدي شركاء تعبدونهم كعبادتي

وهذا يبين أن قبح عبادة غير الله تعالى مستقر في العقول والفطر والسمع نبه

العقول وأرشدها إلى معرفة ما أودع فيها من قبح ذلك وكذلك قوله تعالى {ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون}

احتج سبحانه على قبح الشرك بما تعرفه العقول من الفرق بين حال مملوك يملكه أرباب متعاسرون سيئو الملكة وحال عبد يملكه سيد واحد قد سلم كله له فهل يصح في العقول استواء حال العبدين ، فكذلك حال المشرك والموحد الذي قد سلمت عبوديته لإلهه الحق لا يستويان . ا.هـ المراد

وقال ابن تيمية في الفتاوى الكبرى 6–611 :

هم (أي الأشاعرة) نفوا التحسين والتقبيح العقلي وجعلوا أحكام الأفعال لا تتلقى إلا من الشرع فإنه بين بذلك تعظيمهم للشرع واتباعهم له

وأنهم لا يعدلون عنه ليثبت بذلك تسننهم

وهذا الأصل هو من الأصول المبتدعة في الإسلام لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها أن العقل لا يحسن ولا يقبح أو أنه لا يعلم بالعقل حسن فعل ولا قبحه بل النزاع في ذلك حادث في حدوث المائة الثالثة ... ا.هـ

وقال أيضاً في المجموع (8–433) عن قول الأشاعرة أنه : قَوْلٌ ضَعِيفٌ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَلِإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَالْفُقَهَاءِ مَعَ مُخَالَفَتِهِ أَيْضًا لِلْمَعْقُولِ الصَّرِيحِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ الْفَحْشَاءِ. فَقَالَ: {إنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ} كَمَا نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْ التَّسْوِيَةِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

فَقَالَ تَعَالَى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}

وَقَالَ: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}

وَقَالَ: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} وَعَلَى قَوْلِ النُّفَاةِ: لَا فَرْقَ فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ وَبَيْنَ تَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ

عَلَى بَعْضٍ لَيْسَ تَنْزِيهُهُ عَنْ أَحَدِهِمَا بِأَوْلَى مِنْ تَنْزِيهِهِ عَنْ الْآخَرِ وَهَذَا خِلَافُ الْمَنْصُوصِ وَالْمَعْقُولِ

وقال في الدرء (4-332) :

وقالت طائفة بل هي **( أي الأعمال )** متصفة بصفات حسنة وسيئة تقتضي الحمد والذم . . كما دل عليه القرآن في قوله تعالى : { وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا }

وفي قوله : { كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير }

وقال تعالى لإبليس : { لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين }

وهذا أصح الأقوال وعليه يدل الكتاب والسنة فإن الله أخبر عن أعمال الكفار بما يقتضي أنها سيئة قبيحة مذمومة قبل مجيء الرسول إليهم وأخبر أنه لا يعذبهم إلا بعد إرسال رسول إليهم ... **والقرآن دل على ثبوت حسن وقبح قد يعلم بالعقول** ويعلم أن هذا الفعل محمود ومذموم ودل على أنه لا يعذب أحدا بعد إرسال رسول والله سبحانه أعلم . ا.هـ

**فائدة :**

وممن تخبط في هذا الباب أيضاً الهروي صاحب "ذم الكلام" الملقب بشيخ الإسلام (!!)

فهو جبري صرف كما قال ابن تيمية:

وَهُوَ مَعَ هَذَا فِي مَسْأَلَةِ إرَادَةِ الْكَائِنَاتِ وَخَلْقِ الْأَفْعَالِ **أَبْلَغُ مِنْ الْأَشْعَرِيَّةِ** ؛ لَا يُثْبِتُ سَبَبًا وَلَا حِكْمَةً ، **بَلْ يَقُولُ إنَّ مُشَاهَدَةَ الْعَارِفِ الْحُكْمَ لَا يُبْقِ لَهُ اسْتِحْسَانَ حَسَنَةٍ وَلَا اسْتِقْبَاحَ سَيِّئَةٍ** ؛ وَالْحُكْمُ عِنْدَهُ هُوَ الْمَشِيئَةُ ؛ لِأَنَّ الْعَارِفَ عِنْدَهُ مَنْ يَصِلُ إلَى مَقَامِ الْفَنَاءِ ، وَالْحَسَنَةُ وَالسَّيِّئَةُ يَفْتَرِقَانِ فِي حَظِّ الْعَبْدِ لِكَوْنِهِ يُنَعَّمُ بِهَذِهِ وَيُعَذَّبُ بِهَذِهِ ؛ وَالِالْتِفَاتُ إلَى هَذَا مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ ؛ وَمَقَامُ الْفَنَاءِ لَيْسَ فِيهِ إلَّا مُشَاهَدَةُ مُرَادِ الْحَقِّ .

ا.هـ

وقال في المجموع : بَلْ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ عِنْدَهُ مَحْبُوبٌ لِلْحَقِّ كَمَا أَنَّهُ مُرَادٌ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَصْلُ قَوْلِهِمْ: هُوَ قَوْلُ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ فَهُمْ مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ الْجَبْرِيَّةِ فِي الْقَدَرِ وَإِنْ كَانُوا فِي الصِّفَاتِ يُكَفِّرُونَ الْجَهْمِيَّة نفاة الصِّفَاتِ كَحَالِ أَبِي إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيِّ صَاحِبِ " مَنَازِلِ السَّائِرِينَ " وَ " ذَمِّ الْكَلَامِ " و " الْفَارُوقِ " و " تَكْفِيرِ الْجَهْمِيَّة " وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ فِي بَابِ إثْبَاتِ الصِّفَاتِ فِي غَايَةِ الْمُقَابَلَةِ للجهمية والنُّفَاةِ وَفِي بَابِ الْأَفْعَالِ وَالْقَدَرِ قَوْلُهُ يُوَافِقُ الْجَهْمَ وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غُلَاةِ الْجَبْرِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ وَأَتْبَاعِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصُّوفِيَّةِ. ا.هـ

وقال ابن تيمية في النبوات : وطائفة ثالثة لما رأت ما دلّ على أنّ الله يُحِبّ أن يكون محبوباً من أدلة الكتاب والسنة، الذين غلطوا في مسمى المحبة والإرادة وكلام السلف وشيوخ أهل المعرفة، صاروا يقرّون بأنّه محبوب، لكنّه هو نفسه لا يحبّ شيئاً إلا بمعنى المشيئة، وجميع الأشياء مرادة له فهي محبوبة له !!.
وهذه طريقة كثير من أهل النظر والعبادة والحديث؛ كأبي إسماعيل الأنصاري، وأبي حامد الغزالي .. وحقيقة هذا القول أنّ الله يُحبّ الكفر، والفسوق، والعصيان، ويرضاه. وهذا هو المشهور من قول الأشعريّ وأصحابه، وقد ذكر أبو المعالي أنه أول من قال ذلك .. ا.هـ

والهروي أيضاً كان ممن يقول لفظي بالقرآن غير مخلوقاً كما قال ابن تيمية :
وَمَعَ هَذَا فَطَوَائِفُ مِنْ الْمُنْتَسِبِينَ إلَى السُّنَّةِ وَإِلَى اتِّبَاعِ أَحْمَد كَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ منده وَأَبِي نَصْرٍ السجزي وَ أَبِي إسْمَاعِيلَ الْأَنْصَارِيِّ وَأَبِي الْعَلَاءِ الهمداني وَغَيْرِهِمْ يَقُولُونَ : لَفْظُنَا بِالْقُرْآنِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ

.. وَقَدْ بَدَّعَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ مَنْ هُوَ أَحْسَنُ حَالًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَمَرَ بِهَجْرِهِمْ إنْ لَمْ يَرْجِعُوا عَنْ بِدْعَتِهِمْ .ا.هـ

ولم يختلف أئمة السلف في تبديع من قال لفظي بالقرآن غير مخلوق

كما قال ابن بطة في الإبانة : حدثنا أبو حفص قال : حدثنا أبو جعفر ، قال : حدثنا أبو بكر ، قال : وسمعت يعقوب الدورقي ، يقول [ من قال : لفظه بالقرآن غير مخلوق ، فهو مبتدع محدث ، يهجر ولا يكلم ولا يجالس ]

وبسنده عن أبي بكر بن سهل بن عسكر قال [ لم أر أحدا من العلماء قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق ]

وبسنده عن عبد الله بن أيوب المخرمي قال [ من قال : إن لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فهو ضال مبتدع ]

وقال ابن بطة –رحمه الله– : من قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق ، فهو مبتدع ، لا يكلم حتى يرجع عن بدعته ، ويتوب عن مقالته فهذا مذهبنا ، اتبعنا فيه أئمتنا ، واقتدينا بشيوخنا ، رحمة الله عليهم ، وهو قول إمامنا أحمد بن حنبل رحمه الله . ا.هـ

وله أيضاً أغلاط فاحشة كثيرة في كتابه "منازل السائرين" يطول المقام في ذكرها فأكتفي بما سبق .

وعوداً على بدء ، ومن تقريرات النووي أيضاً لأقوال الجبرية الضلال قوله : وَحَقِيقَةُ الظُّلْمِ مُسْتَحِيلَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ .هـ

وقوله : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ولايظلم اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا)
قَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ أَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تعالى فمن عذبه بذنب أو بلا ذنب فَذَلِكَ عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ا.هـ

وقوله : (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي) قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ تَقَدَّسْتُ عَنْهُ وَتَعَالَيْتُ وَالظُّلْمُ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ يُجَاوِزُ سُبْحَانَهُ حَدًّا وَلَيْسَ فَوْقَهُ مَنْ يُطِيعُهُ وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ فِي غَيْرِ مُلْكٍ
وَالْعَالَمُ كُلُّهُ فِي مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَأَصْلُ التَّحْرِيمِ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ فَسَمَّى تَقَدُّسَهُ عَنِ الظُّلْمِ تَحْرِيمًا لِمُشَابَهَتِهِ لِلْمَمْنُوعِ فِي أَصْلِ عَدَمِ الشئ ا.هـ

فقد وافق الشارح هنا الجبرية الضلال في قوله هذا وهو قول مخالف لما أجمع عليه أهل السنة وهو من تحريف الكلم عن مواضعه عياذاً بالله .

أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن العوفي عن ابن عباس :
[ يقول الله : أنا قاهر لكم اليوم، آخذكم بقوّتي وشدّتي، وأنا قادر على قهركم وهضمكم، فإنما بيني وبينكم العدل، وذلك يوم القيامة. ]

قال ابن القيم في الصواعق :
وأيضا فإنه سبحانه قال { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً } قال المفسرون من السلف والخلف قاطبة : الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسنات ما عمل، وعند الجبرية أن هذا لو وقع لم يكن ظلما، ومن المعلوم أن الآية لم ترفع عنه خوف المحال لذاته، وأنه لا يخاف الجمع بين النقيضين، فإنه لا يخاف ذلك، ولو أتى بكل كفر وإساءة، فلا يجوز تحريف كلام الله بحمله على هذا.

فإن الخوف من الشيء يستلزم تصور وجوده وإمكانه، وما لا يمكن وجوده يستحيل خوفه. ا.هـ

وقال ابن القيم في شفاء العليل :

أما القدرية الجبرية فعندهم الظلم لا حقيقة له بل هو الممتنع لذاته الي لا يدخل تحت القدرة فلا يقدر الرب تعالى عندهم على ما يسمى ظلما ، حتى يقال ترك الظلم وفعل العدل

فعلى قولهم لا فائدة في قوله [عدل في قضاءك]

بل هو بمنزلة أن يقال [نافذ في قضائك] ولا بد

وهو معنى قوله [ماض في حكمك] فيكون تكريرا لا فائدة فيه

وعلى قولهم فلا يكون ممدوحا بترك الظلم إذ لا يمدح بترك المستحيل لذاته ، ولا فائدة في قوله [أني حرمت الظلم على نفسي]

أو يظن معناه أني حرمت على نفسي ما لا يدخل تحت قدرتي وهو المستحيلات

ولا فائدة في قوله {فلا يخاف ظلما ولا هضما}

فإن كل أحد لا يخاف من المستحيل لذاته أن يقع ولا فائدة في قوله وما الله يريد ظلما للعباد ولا في قوله وما أنا بظلام للعبيد . ا.هـ

وقال في طريق الهجرتين :

ومعلوم أنه لا يمدح الممدوح بترك ما لو أراده لم يقدر عليه و أيضا فإنه قال وجعلته محرما بينكم فالذي حرمه على نفسه هو الذي جعله محرما بين عباده وهو الظلم المقدور الذي يستحق تاركه الحمد والثناء . ا.هـ

وقال في مفتاح دار السعادة :

الصواب الذي دلت عليه النصوص أن الظلم الذي حرمه الله على نفسه وتنزه عنه فعلا وارادة هو ما فسره به سلف الأمة وأئمتها أنه لا يحمل المرء سيئات غيره ولا يعذب بما لم تكسب يداه ولم يكن سعى فيه ولا ينقص من حسناته فلا يجازي بها أو ببعضها إذا قارنها أو طرأ عليها ما يقتضي إبطالها أو اقتصاص المظلومين منها

وهذا الظلم الذي نفى الله تعالى خوفه عن العبد بقوله {ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما}

قال السلف والمفسرون : [ لا يخاف أن يحمل عليه من سيئات غيره ولا ينقص من حسناته ما يتحمل ] فهذا هو المعقول من الظلم ومن عدم خوفه

وأما الجمع بين النقيضين وقلب القديم محدثا والمحدث قديما فمما يتنزه كلام آحاد العقلاء عن تسميته ظلما وعن نفي خوفه عن العبد

فكيف بكلام رب العالمين ؟

وكذلك قوله {وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين}

فنفى أن يكون تعذيبه لهم ظلما ثم أخبر أنهم {هم الظالمون} بكفرهم ولو كان الظلم المنفي هو المحال لم يحسن مقابلة قوله {وما ظلمناهم}

بقوله {ولكن كانوا هم الظالمين} بل يقتضي الكلام أن يقال ما ظلمناهم ولكن تصرفنا في ملكنا وعبيدنا فلما نفى الظلم عن نفسه وأثبته لهم دل على أن الظلم المنفي أن يعذبهم بغير جرم وأنه إنما عذبهم بجرمهم وظلمهم ولا تحتمل الآية غير هذا ولا يجوز تحريف كلام الله لنصر المقالات .ا.هـ

و لهذا القول المبتدع لوازم قبيحة ذكر بعضها ابن القيم فقال :

التزم هؤلاء عن هذا القول لوازم باطلة كقولهم أن الله تعالى يجوز عليه أن يعذب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه وأهل طاعته ويخلدهم في العذاب اليم

ويكرم أعداءه من الكفار والمشركين والشياطين ويخصهم بجنته وكرامته وكلاهما عدل وجائز عليه ، وأنه يعلم أنه لا يفعل ذلك بمجرد خبره فصار ممتنعا لإخباره أنه لا يفعله لا لمنافاته حكمته ، ولا فرق بين الأمرين بالنسبة إليه ولكن أراد هذا وأخبر به

وأراد الآخر وأخبر به فوجب هذا لارادته وخبره

وامتنع ضده لعدم إرادته واختياره بأن لا يكون

والتزموا له أيضا أنه يجوز أن يعذب الأطفال الذين لا ذنب لهم أصلا ويخلدهم في الجحيم

وربما قالوا بوقوع ذلك فأنكر على الطائفتين معا .. ا.هـ

وهذه اللوازم القبيحة قد نص على بعضها الشارح –وهي لازمة له كلها– فقال :

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (ولايظلم اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا) قَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ أَنَّ الظُّلْمَ مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ اللَّهِ تعالى

فمن عذبه بذنب أو بلا ذنب فَذَلِكَ عَدْلٌ مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ا.هـ

وقال في موضع آخر : فلو عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ وَالصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ

وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ ا.هـ

وقال : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فَهُوَ مِلْكٌ لِلَّهِ تَعَالَى يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَى الْمَالِكِ فِي مُلْكِهِ وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا عِلَّةَ لِأَفْعَالِهِ . ا.هـ

وقوله (لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا عِلَّةَ لِأَفْعَالِهِ) نفيه للعلة حقيقته نفي الحكمة عن الرب في أفعاله فإن هؤلاء الجبرية يزعمون أن الله " يفعل ما يفعله بلا سبب ولا غاية وإنما مصدر مفعولاته محض مشيئة وغايتها مطابقتها لعلمه وإرادته فجاء فعله على وفق إرادته وعلمه .. ولا يوصف (الفعل) بحسن ولا قبح عقليين بل الحسن ما فعله وما فعله فكله حسن لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

وقالوا والقبح والظلم هو تصرف الإنسان في ملك غيره بغير إذنه

فأما تصرف المالك الحق في ملكه من غير أن يكون تحت حجر حاجر أو أمر آمر أو نهي ناه فإنه لا يكون ظلما ولا قبيحا "

والحق ما دلت عليه النصوص وكان عليه السلف الصالح

" قال تعالى {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون}

أي لغير شيء ولا حكمة ولا لعبادتي ومجازاتي لكم

وقد صرح تعالى بهذا في قوله {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}

فالعبادة هي الغاية التي خلق لها الجن والإنس والخلائق كلها

قال الله تعالى {أيحسب الإنسان أن يترك سدى}

أي مهملا قال الشافعي [ لا يؤمر ولا ينهى ]

وقال غيره [ لا يثاب ولا يعاقب ]

والصحيح الأمران فإن الثواب والعقاب مترتبان على الأمر والنهي والأمر والنهي طلب العبادة وإرادتها وحقيقة العبادة امتثالهما

وقال تعالى {ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار}

وقال {وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق}

وقال {وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت}

فأخبر أنه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن أمره ونهيه وثوابه وعقابه

فإذا كانت السموات والأرض وما بينهما خلقت لهذا

وهو غاية الخلق

فكيف يقال إنه لا علة له ولا حكمة مقصودة هي غايته

أو إن ذلك لمجرد استئجار العباد حتى لا ينكد عليهم الثواب بالمنة أو لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها بمخالفة العوائد "

وقد سبق الرد على بقية الكلام وبيان بطلانه

وبه يعلم مخالفة الشارح لطريقة أهل السنة في تحقيق باب القدر كما يجب أيضاً

والله الموفق .

## النووي وتقريره لكلام الجهمية الإناث في باب النبوات

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد

فإن " الايمان بالنبوة أصل النجاة والسعادة فمن لم يحقق هذا الباب اضطرب عليه باب الهدى والضلال والايمان والكفر ولم يميز بين الخطأ والصواب "

وقد تخبط الشارح في هذا الباب أيضاً وسار فيه على خطى الجهمية الإناث ومن وافقهم في أقوال حقيقتها أنه لا دليل على نبوة النبي

وكان كلامهم في هذا الباب منتهاه التعطيل

قال الشارح في شرحه [14-175] : فَإِنْ قِيلَ إِذَا جَوَّزَتِ الْأَشْعَرِيَّةُ خَرْقَ الْعَادَةِ عَلَى يَدِ السَّاحِرِ فَبِمَاذَا يَتَمَيَّزُ عَنِ النَّبِيِّ فَالْجَوَابُ أَنَّ الْعَادَةَ تَنْخَرِقُ عَلَى يَدِ النَّبِيِّ وَالْوَلِيِّ وَالسَّاحِرِ لَكِنَّ النَّبِيَّ يَتَحَدَّى بِهَا الْخَلْقَ ويستعجزهم عن مثلها ويخبر عن الله تَعَالَى بِخَرْقِ

الْعَادَةِ بِهَا لِتَصْدِيقِهِ فَلَوْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ تَنْخَرِقِ الْعَادَةُ عَلَى يَدَيْهِ وَلَوْ خَرَقَهَا اللَّهُ عَلَى يَدِ كَاذِبٍ لَخَرَقَهَا عَلَى يَدِ الْمُعَارِضِينَ لِلْأَنْبِيَاءِ

وَأَمَّا الْوَلِيُّ وَالسَّاحِرُ فَلَا يَتَحَدَّيَانِ الْخَلْقَ

وَلَا يَسْتَدِلَّانِ عَلَى نُبُوَّةٍ وَلَوِ ادَّعَيَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ لَمْ تَنْخَرِقِ الْعَادَةُ لهما ا.هـ

القول باشتراط التحدي في آيات النبي غير صحيح

وإنما هذا هو قول الجهم بن صفوان الزنديق وقول من تابعه

قال ابن تيمية في النبوات : قالت طائفة بل كل هذا حق وخرق العادة جائز مطلقا

وكل ما خرق لنبي من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين

بل ومن السحرة والكهان !!

لكن الفرق أن هذه تقترن بها دعوة النبوة وهو التحدي

وقد يقولون إنه لا يمكن أحد أن يعارضها بخلاف تلك

وهذا قول من إتبع جهما على أصله في أفعال الرب من الجهمية وغيرهم حيث جوزوا أن يفعل كل ممكن !

فلزمهم جواز خرق العادات مطلقا على يد كل أحد

واحتاجوا مع ذلك الى الفرق بين النبي وغيره

فلم يأتوا بفرق معقول بل قالوا هذا يقترن به التحدي

فمن إدعى النبوة وهو كاذب لم يجز أن يخرق الله له العادة

أو يخرقها له ويكون دليلا على صدقه لما يقترن بها مما يناقض ذلك . ا.هـ المراد

وهذا القول باطل من وجوه كثيرة منها :

الوجه الأول : " أن حقيقة الامر على قول هؤلاء الذين جعلوا المعجزة الخارق مع التحدي أن المعجز في الحقيقة ليس الا منع الناس من المعارضة بالمثل سواء كان المعجز في نفسه خارقا أو غير خارق وكثير مما يأتي به الساحر والكاهن أمر معتاد لهم

وهم يجوزون أن يكون آية للنبي واذا كان آية منع الله الساحر والكاهن من مثل ما كان يفعل أو قيض له من يعارضه ..

واذا كان كذلك جاز أن يكون كل أمر كالأكل والشرب والقيام والقعود معجزة اذا منعهم أن يفعلوا كفعله

**وحينئذ فلا معنى لكونها خارقا** ولا لاختصاص الرب بالقدرة عليها **بل الاعتبار بمجرد عدم المعارضة** وهم يقرون بخلاف ذلك والله أعلم "

الوجه الثاني : **إن عامة معجزات الرسول لم يكن يتحدى بها** , ويقول ائتوا بمثلها, والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه, ولم يتحداهم به ابتداء, وسائر المعجزات لم يتحد بها, وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن، لكن قد علم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء, فهذا لازم لها, لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره وإذا علم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يتحدى بالمعجزات ابتداء، بل أكثر المعجزات لا يشهدها إلا الصحابة, ولا يمكن في حقهم التحدي بتلك المعجزات, بل هم مؤمنون به وإن لم يشهدوها، **فعلم أن ما شرطوه من اقتران التحدي ودعوى النبوة لا أصل له** "

لأن " آيات الأنبياء ليس من شرطها استدلال النبي بها ولا تحديه بالإتيان بمثلها بل هي دليل على نبوته وان خلت عن هذين القيدين

وهذا كإخبار من تقدم بنبوة محمد فانه دليل على صدقه

وان كان هو لم يعلم بما أخبروا به ولا يستدل به

وأيضا فما كان يظهره الله على يديه من الآيات مثل تكثير الطعام والشراب مرات كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف من كان محتاجا اليه وغير ذلك كله من دلائل النبوة

ولم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها بل لحاجة المسلمين اليها وكذلك إلقاء الخليل في النار إنما كان بعد نبوته ودعائه لهم الى التوحيد "

الوجه الثالث : أن من الآيات الدالة على صدق نبينا حادثة الإسراء والمعراج مع أنه لم يتحقق فيها هذه الشروط « استشهادٌ وتحدٍ فوقوع»، لذلك إن قيل إن الاستشهاد شرط في المعجزات التي هي أخص من الآيات على رأيٍ!!
قيل: هذه حادثة الإسراء قد عددتموها من المعجزات، فلو كنتم ترون هذا التفريق صحيحا لما وصفتموها بأنها من أعظم المعجزات .

الوجه الرابع : " ومما يلزم أولئك أن ما كان يظهر على يد النبي في كل وقت من الأوقات ليست دليلا على نبوته
لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به وتحدى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة، ولا نقل التحدي عن غيره من الأنبياء مثل موسى والمسيح وصالح ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل معارضتهم " فهذا القول في الحقيقة " إبطال لأكثر آيات الأنبياء لخلوها عن هذا الشرط ثم هو شرط بلا حجة " "والقرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه ولم يتحدهم ابتداء "

الوجه الخامس : " إن اشتراط التحدي في كون آية النبي آية دعوى كاذبة، سخيفة، لا دليل على صحتها، لا من قرآن, ولا سنة صحيحة ولا سقيمة, ولا من إجماع, ولا من قول صاحب, ولا من حجة عقل, ولا قال بهذا أحد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة " فكفى بهذا دليلاً على البطلان

قلت : وهؤلاء إنما نشأ غلطهم حين احتاروا في التفريق بين الآية والكرامة وغيرها

قال ابن تيمية : والذين قالوا إن شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة غلطوا غلطا عظيما، وسبب غلطهم أنهم لم يعرفوا ما يخص بالآيات, ولم يضبطوا خارق العادة بضابط يميز بينها وبين غيرها
بل جعلوا ما للسحرة والكهان هو أيضا من آيات الأنبياء، إذا اقترن بدعوى النبوة، ولم يعارضه معارض !!
وجعلوا عدم المعارض هو الفارق بين النبي وغيره ، وجعلوا دعواه جزءًا من الآية, فقالوا: هذا الخارق إن وجد مع دعوى النبوة كان معجزة
وإن وجد بدون دعوى النبوة لم يكن معجزة، فاحتاجوا لذلك أن يجعلوه مقارنا للدعوى
.ا.هـ المراد

فحقيقة قول الشارح وطائفته أن آية النبي مساوية لخارقة الساحر في الحد والحقيقة !
"وهذا مستدرك من وجوه منها :
الأول: أن كون آيات الانبياء مساوية في الحد والحقيقة لسحر السحرة أمر معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل
الثاني: أن هذا من أعظم القدح في الانبياء إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان
الثالث: أنه على هذا التقدير لا تبقى دلالة فان الدليل ما يستلزم المدلول ويختص به فاذا كان مشتركا بينه وبين غيره لم يبق دليلا
فهؤلاء قدحوا في آيات الانبياء ولم يذكروا دليلا على صدقهم
الرابع: أنه على هذا التقدير يمكن الساحر دعوى النبوة
وقوله إنه عند ذلك يسلبه الله القدرة على السحر
أو يأتي بمن يعارضه دعوى مجردة

فان المنازع يقول لا نسلم أنه أذا ادعى النبوة فلا بد أن يفعل الله ذلك لا سيما على أصله وهو أن الله يجوز أن يفعل كل مقدور وهذا مقدور للرب فيجوز أن يفعله "

**" وهؤلاء أدخلوا مع الانبياء من ليس بنبي ولم يعرفوا خصائص الانبياء ولا خصائص آياتهم** فلزمهم جعل من ليس بنبي نبياً أو جعل النبي ليس بنبي ! إذ كان ما ذكروه في النبوة مشتركا بين الانبياء وغيرهم

فمن ظن أنه يكون لغير الانبياء قدح في الانبياء أن يكون هذا هو دليلهم بوجود مثل ما جاءوا به لغير النبي

ومن ظن أنه لا يكون إلا لنبي إذا رأى من فعله من متنبئ كاذب وساحر وكاهن ظن أنه نبي "

والحق أن " آيات الانبياء هي أدلة وبراهين على صدقهم

والدليل يجب أن يكون مختصا بالمدلول عليه لا يوجد مع عدمه لا يتحقق الدليل إلا مع تحقق المدلول

كما أن الحادث لا بد له من محدث فيمتنع وجود حادث بلا محدث

ولا يكون المحدث إلا قادرا فيمتنع وجود الاحداث من غير قادر

والفعل لا يكون الا من عالم ونحو ذلك

فكذلك ما دل على صدق النبي يمتنع وجوده إلا مع كون النبي صادقا "

**فإن قيل** : وما الفارق إذاً على قول أهل السنة بين آيات الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام– وبين خوارق السحرة والكهان ؟

فيقال : **"جنس آيات الأنبياء خارجة عن مقدور البشر بل وعن مقدور جنس الحيوان**

وأما خوارق مخالفيهم كالسحرة والكهان فإنها من جنس أفعال الحيوان من الإنس وغيره من الحيوان والجن

مثل قتل الساحر وتمريضه لغيره فهذا أمر مقدور معروف للناس بالسحر وغير السحر

وكذلك ركوب المكنسة أو الخابية وغير ذلك حتى تطير به وطيرانه في الهواء من بلد إلى

بلد هذا فعل مقدور للحيوان فان الطير يفعل ذلك والجن تفعل ذلك ... وكذلك
إحضار ما يحضر من طعام أو نفقة أو ثياب أو غير ذلك من الغيب
وهذا إنما هو نقل مال من مكان إلى مكان وهذا تفعله الإنس والجن ..
وهذا بخلاف كون الماء القليل نفسه يفيض حتى يصير كثيرا
بأن ينبع من بين الأصابع من غير زيادة يزادها
فهذا لا يقدر عليه أنسي ولا جني
وكذلك الإخبار ببعض الأمور الغائبة مع الكذب في بعض الأخبار
فهذا تفعله الجن كثيرا مع الكهان وهو معتاد لهم مقدور
بخلاف اخبارهم بما يأكلون وما يدخرون مع تسمية الله على ذلك
فهذا لا تظهر عليه الشياطين .. والكهان لا بد لهم من الكذب
والرب قد أخبر في القرآن أن الشياطين تنزل على بعض الناس فتخبره ببعض الأمور الغائبة لكن ذكر الفرق
فقال {هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون}
كذلك مسرى الرسول صلى الله عليه و سلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه الرب من آياته
فخاصة الرسول ليست مجرد قطع هذه المسافة
بل قطعها ليريه الرب من الآيات الغائبة ما يخبر به
فهذا لا يقدر عليه الجن
وهو نفسه لم يحتج بالمسرى على نبوته بل جعله مما يؤمن به فأخبرهم به ليؤمنوا به والمقصود إيمانهم بما أخبرهم من الغيب الذي رآه تلك الليلة وإلا فهم كانوا يعرفون المسجد الأقصى ..
وكذلك ما يخبر به الرسول من أنباء الغيب
قال تعالى {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا}

فهذا غيب الرب الذي اختص به مثل علمه بما سيكون من تفصيل الأمور الكبار على وجه الصدق

فان هذا لا يقدر عليه إلا الله والجن غايتها أن تخبر ببعض الأمور المستقبلة كالذي يسترقه الجن من السماء مع ما في الجن من الكذب فلا بد لهم من الكذب ..

وأما ما يخبر به الرسول من الأمور البعيدة الكبيرة مفصلا

مثل إخباره [ إنكم تقاتلون الترك صغار الأعين ذلف الأنوف ينتعلون الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة ]

وقوله [ لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى] ونحو ذلك ، فهذا لا يقدر عليه جني ولا إنسي

والمقصود أن ما يخبر به غير النبي من الغيب معتاد معروف نظيره من الجن والإنس فهو من جنس المقدور لهم وما يخبر به النبي خارج عن قدرة هؤلاء وهؤلاء فهو من غيب الله .. والآيات الخارقة جنسان : جنس في نوع العلم ، وجنس في نوع القدرة

فما اختص به النبي من العلم خارج عن قدرة الإنس والجن

وما اختص به من المقدورات خارج عن قدرة الإنس والجن ..

**فينبغي أن يتدبر هذا الموضع وتعرف الفروق الكثيرة بين آيات الأنبياء وبين ما يشتبه بها**

كما يعرف الفرق بين النبي وبين المتنبي

وبين ما يجيء به النبي وما يجيء به المتنبي

فالفرق الحاصل بين صفات هذا وصفات هذا

وأفعال هذا وأفعال هذا ، وأمر هذا وأمر هذا ، وخبر هذا وخبر هذا ، وآيات هذا وآيات هذا ، إذ الناس محتاجون الى هذا الفرقان أعظم من حاجتهم الى غيره والله تعالى يبينه وييسره "

"ومن خصائص معجزات الانبياء أنه لا يمكن معارضتها فإذا عجز النوع البشري غير الأنبياء عن معارضتها كان ذلك أعظم دليل على اختصاصها بالانبياء بخلاف ما كان موجودا لغيرها فهذا لا يكون آية البتة "

"وكذلك ما يفعله الله من الآيات، والعقوبات بمكذّبي الرسل؛ كتغريق فرعون، وإهلاك قوم عاد بالريح الصرصر العاتية، وإهلاك قوم صالح بالصيحة، وأمثال ذلك؛ فإنّ هذا جنس لم يُعذّب به إلاّ من كذّب الرسل فهو دليلٌ على صدق الرسل.

وقد يميت الله بعض الناس بأنواع معتادة من البأس؛ كالطواعين، ونحوها لكن هذا معتاد لغير مكذبي الرسل. أمّا ما عذب الله به مكذّبي الرسل، فمختصٌ بهم.

ولهذا كان مختصّاً بهم، وكان من آيات الله كما قال: {وَآتَيْنَا ثَمُوْدَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيْفَاً} "

## فمجمل الفروق بين الآيات وغيرها :

" الأول: أنّ النبيّ صادقٌ فيما يخبر به عن الكتب، لا يكذب قط.

ومن خالفهم من السحرة، والكهّان، لا بُدّ أن يكذب؛ كما قال: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِين * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ} .

الثاني: من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله؛ فإنّ الأنبياء لا يأمرون إلاَّ بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى. ومخالفوهم يأمرون بالشرك، والظلم، ويعظّمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

الثالث: أنَّ السحر، والكهانة، ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم. وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتّبعهم.

الرابع: أنَّ الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلّمه، وسعيه، واكتسابه. وهذا مجرّبٌ عند الناس. بخلاف النبوة؛ فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.

الخامس: أنَّ النبوّة لو قُدِّر أنها تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد.

لا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلاً عن أن تحصل مع الكذب على الله.
فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به.

السادس: أنَّ ما يأتي به الكهّان، والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدوراً للجنّ والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل.
وآيات الرسل لا يقدر عليها؛ لا جنّ، ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كلّ من أُرسل النبيّ إليه: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالجِنّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً} .

السابع: أنَّ هذه يمكن أن تُعارض بمثلها.
وآيات الأنبياء لا يمكن أحداً أن يعارضها بمثلها.

الثامن: أنَّ تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كلّ ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء. وأما آيات الأنبياء: فليست معتادة لغير الصادقين على الله ، ولمن صدّقهم.

التاسع: أنَّ هذه قد لا يقدر عليها مخلوق؛ لا الملائكة، ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن، وتكليم موسى. وتلك تقدر عليها الجنّ والشياطين.

العاشر: أنَّ النبيّ قد تقدّمه أنبياء ؛ فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله؛ فله نظراء يعتبر بهم. وكذلك الساحر، والكاهن له نظراء يعتبر بهم . "

**فــإن قــيـل** : إذاً وما الفارق بين آية النبي وكرامة الولي ؟
وهل تبلغ كرامات الأولياء مبلغ آيات الأنبياء ؟

فيقال : "الصالحون الذين يدعون إلى طريق الأنبياء لا يخرجون عنها فتلك خوارقهم من معجزات الأنبياء

فإنهم يقولون نحن إنما حصل لنا هذا باتباع الانبياء ولو لم نتبعهم لم يحصل لنا هذا فهؤلاء

إذا قدر أنه جرى على يد أحدهم ما هو من جنس ما جرى للأنبياء

كما صارت النار بردا وسلاما على أبي مسلم كما صارت على إبراهيم وكما يكثر الله

الطعام والشراب لكثير من الصالحين

كما جرى في بعض المواطن للنبي صلى الله عليه و سلم

أو إحياء الله ميتا لبعض الصالحين كما أحياه للأنبياء

وهي أيضا من معجزاتهم

ومع هذا فالأولياء دون الأنبياء والمرسلين

فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين

كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم

ولكنهم قد يشاركونهم في بعضها كما قد يشاركونهم في

بعض أعمالهم وكرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول "

فهذا هو قول أهل السنة في هذا الباب

بينما إناث الجهمية يقولون " المعجزات لا تدل بجنسها على النبوة !

بل يوجد مثل المعجز من كل وجه ولا يدل على النبوة

كما يوجد للسحرة والكهان !!

والصالحين من الخوارق التي تماثل آيات الانبياء

لكن الفرق أن هذا يدعي النبوة

ويحتج بها

ويتحداهم بالمثل

فلا يقدر أحد على معارضته

وأولئك لو ادعوا النبوة لمنعهم الله منها
وان كانوا قبل ذلك غير ممنوعين منها
أو لقيض لهم من يعارضهم ولو عارضوا بها نبيا لمنعهم الله إياها ليسلم دليل النبوة " !!

"ومما يلزم أولئك أنّ ما كان يظهر على يد النبيّ صلى الله عليه وسلم في كل وقت من الأوقات ليست دليلاً على نبوّته !!
لأنّه لم يكن كلما ظهر شيءٌ من ذلك احتجّ به، وتحدّى الناس بالإتيان بمثله، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصّة ، ولا نُقل التحدي عن غيره من الأنبياء؛ مثل موسى، والمسيح، وصالح .
ولكنّ السحرة لمّا عارضوا موسى، أبطل معارضتهم."

## وهنا مسألة :

لو قال قائل ذكرت أن التحدي ليس شرطاً الآيات ، لكن هل الآيات شرط للإيمان أو تصديق الأنبياء ؟
وهل كرامة الولي آية للنبي ؟
فيقال "آيات الانبياء هي علامات وبراهين من الله تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره فالدليل–وهو الآية والعلامة– لا يدل إلا إذا كان مختصا بالمدلول عليه مستلزما له وإما مساويا له
وأما أخص منه لا يكون أعم منه غير مستلزم له

## فلا يتصور أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه

فالآيات التي أعلم الله بها رسالة رسله وصدقهم لا بد أن تكون مختصة بهم مستلزمة لصدقهم ،فإن الإعلام والإخبار بأن هذا رسول وتصديقه في قوله إن الله أرسلني لا يتصور أن يوجد لغير رسول

والآيات التي جعلها الله علامات هي أعلام بالفعل الذي قد يكون اقوى من القول فلا يتصور أن تكون آيات الرسول إلا دالة على صدقهم ومدلولها أنهم صادقون لا يجوز أن توجد بدون صدق الرسل البتة ، وكون الرب أراد بها إعلام عباده بصدقهم وصدقهم بها في إخبارهم أنه أرسلهم وكونها آية وعلامة على صدقهم أمر يعلم

كما تعلم دلالة سائر الادلة ، كما يعلم من الرجل أصدقاؤه ووكلاؤه أنه أرسل هذا بهذه العلامات فتارة يعلم ذلك بالضرورة بعد تصور الامر ، وتارة يحتاج الى نظر هل هذه العلامة منه أو من غيره ؟

وهل هو أرسله بها أو غيره ؟ وهل قصد بها الإعلام والتصديق أم لا ؟

وهل يعلم من حال الذاكر أنه أرسله أنه صادق ؟

فقد يرسل من يعلمون هم صدقه وأنه لا يكذب فيعلمون صدقه بمجرد قوله هو أرسلني من غير آية ولا علامة ..

فمن كان يعلم صدق موسى والمسيح ومحمد وغيرهم وأنهم لا يكذبون في أخف الامور فكيف بالكذب على الله

إذا أخبرهم أحدهم بما جاءه من الوحي والرسالة وما غاب من الملائكة فإنه قد يجزم بصدقه من غير آية

لا سيما ان كان ما يقوله لهم مما يؤيد صدقه ولهذا لم يكن من شرط الايمان بالانبياء وجود الآيات بل قد يعلم صدقهم بدون ذلك "

فـ " إيمان خديجة وأبو بكر وغيرهما من السابقين الاولين كان قبل انشقاق القمر وقبل إخباره بالغيوب وقبل تحديه بالقرآن

لكن كان بعد سماعهم القرآن الذي هو نفسه آية مستلزمة لصدقه ونفس كلامه وإخباره بأني رسول الله مع ما يعرف من أحواله مستلزم لصدقه إلى غير ذلك من آيات الصدق وبراهينه

بل خديجة قالت له [ كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ] فكانت عارفة بأحواله التي تستلزم نفي كذبه وفجوره وتلاعب الشيطان به

وأبو بكر كان من أعقل الناس وأخيرهم وكان معظما في قريش لعلمه وإحسانه وعقله فلما تبين له حاله علم علما ضروريا أنه نبي صادق وكان أكمل أهل الأرض يقينا: علما وحالا

وكذلك هرقل ملك النصارى لما أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام سأل عن عشرة خصال "

و " كثير من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة

بل إذا أخبره وهو خبير بحاله أو بحال ذلك المخبر به أو بهما علم بالضرورة إما صدقه وإما كذبه ، وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر فقال لهارون وغيره ان الله أرسلني علموا صدقه قبل أن يظهر لهم الآيات

ولما قال لهارون ان الله قد أمرك أن تؤازرني

صدقه هارون في هذا لما يعلم من حاله قديما

ولما رأى من تغير حاله الدال على صدقه

وكذلك النبي صلى الله عليه و سلم لما ذكر حاله لخديجة وغيرها

وذهبت به الى ورقة بن نوفل وكان عالما بالكتاب الأول

فذكر له النبي صلى الله عليه و سلم ما يأتيه علم أنه صادق

وقال [ هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى ياليتني فيها جذعا ياليتني أكون حيا حين يخرجك قومك ]

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [ أو مخرجي هم ]

قال [ نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ] وكذلك النجاشي لما سمع القرآن قال [ إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ]

وكذلك أبو بكر وزيد بن حارثة وغيرهما علموا صدقه علما ضروريا لما أخبرهم بما جاء به

وقرأ عليهم ما أنزل عليه وبقي القرآن الذي قرأه آية

وما يعرفون من صدقه وأمانته مع غير ذلك من القرائن يوجب علما ضروريا بأنه صادق

وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس قد تقترن به القرائن يعرف بها صدقه بالضرورة فكيف بمن عرف صدقه وأمانته وأخبر بمثل هذا الأمر الذي لا يقوله إلا من هو من أصدق الناس أو من أكذبهم وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني فإذا كان العلم بصدقه بلا آية قد يكون علما ضروريا فكيف بالعلم بكون الآية علامة على صدقه ؟

وجميع الأدلة لا بد أن تعرف دلالتها بالضرورة

فإن الأدلة النظرية لا بد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية

وأكثر الخلق اذا علموا ما جاء به موسى والمسيح ومحمد علموا صدقهم بالضرورة ولهذا لا يوجد أحد قدح في نبوتهم إلا أحد رجلين :

إما رجل جاهل لم يعرف أحوالهم

واما رجل معاند متبع لهواه "

وليعلم أن " معنى كون الآية خارقة للعادة أنها لا توجد إلا للنبوة لا مرة ولا أقل ولا أكثر فالعادة هنا تثبت بمرة "

"وأما كرامات الاولياء فهي أيضاً من آيات الانبياء

فإنها إنما تكون لمن تشهد لهم بالرسالة فهي دليل على صدق الشاهد لهم بالنبوة

وأيضاً فإن كرامات الاولياء معتادة من الصالحين

ومعجزت الانبياء فوق ذلك فانشقاق القمر والإتيان بالقرآن وانقلاب العصا حية وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للاولياء وكذلك خلق الطير من الطين ولكن آياتهم صغار وكبار

كما قال تعالى { فأراه الآية الكبرى }

فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة

وقال عن نبيه محمد {لقد رأى من آيات ربه الكبرى}

فالآيات الكبرى مختصة بهم

وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين

لكن لم يوجد كما وجد للنبي صلى الله عليه و سلم أنه أطعم الجيش من شيء يسير فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم

لكن لا يماثلون في قدره فهم مختصون :

إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم كالإتيان بالقرآن وانشقاق القمر وقلب العصا حية وانفلاق البحر .. وإما بقدرها وكيفيتها كنار الخليل

فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما لكن لم تكن مثل نار ابراهيم في عظمتها كما وصفوها

فهو مشارك للخليل في جنس الآية كما هو مشارك في جنس الايمان محبة الله وتوحيده

ومعلوم أن الذي امتاز به الخليل من هذا لا يماثله فيه أبو مسلم وأمثاله "

وَقد أخرج عبد بن حميد بإسناده عَن سُلَيْمَان بن صرد :

[ أَن إِبْرَاهِيم لما أَرَادوا أَن يلقوه فِي النَّار جعلُوا يجمعُونَ لَهُ الْحَطب فَجعلت الْمَرْأَة الْعَجُوز تحمل على ظهرهَا فَيُقَال لَهَا: أَيْن تريدين فَتَقول: أذهب إِلَى هَذَا الَّذِي يذكر آلِهَتنَا ، فَلَمَّا ذهب بِهِ لِيطْرَح فِي النَّار {قَالَ إِنِّي ذَاهِب إِلَى رَبِّي سيهدين}

فَلَمَّا طرح فِي النَّار قَالَ: حسبي الله وَنعم الْوَكِيل

فَقَالَ الله: {يَا نَار كوني بردا وَسلَامًا على إِبْرَاهِيم}

فإن قيل قد ذكرت معنى الآية فهلا ذكرت شيئاً من آياته صلى الله عليه وسلم ؟

فيقال : نعم أفعل

"كان –صلى الله عليه وسلم– يأتيهم بالآيات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته تزيد على ألف معجزة

مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات
ومثل القرآن المعجز
ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الأنبياء به
ومثل أخبار الكهان والهواتف به
ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية عام مولده
وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته
ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه
ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد إلا بتعليم الله عز وجل من غير أن يعلمه إياها بشر.
فأخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وإبراهيم وموسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم
وبالمستقبلات وكان قومه يعلمون أنه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم
ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه
بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي
ولا كان هو يحسن لسانا غير العربي ولا كان يكتب كتابا ولا يقرأ كتابا مكتوبا.
ولا سافر قبل نبوته إلا سفرتين سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب.
وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل إخبار بحيرى الراهب بنبوته وما ظهر منه مما دلهم على نبوته ولهذا تزوجت به خديجة قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله.
وهذه الأمور مبسوطة في موضع آخر " [3]
فأحوال النبي وأقواله وأوامر وآثاره ظاهرة
وأما مدعوا النبوة الكذبة فقد "دل القرآن على أنه سبحانه لا يؤيد الكذاب عليه بل لا بد أن يظهر كذبه وأن ينتقم منه

فقال تعالى {ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين}

ذكر هذا بعد قوله {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين}

ثم قال {ولو تقول .. } هذا بتقدير أن يتقول بعض الاقاول

فكيف بمن يتقول الرساله كلها ؟!!

وقوله { لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين }

الوتين عرق في الباطن يقال هو نياط القلب اذا قطع مات الانسان عاجلا وذلك يتضمن هلاكه لو تقول على الله "

وأخرج الطبري بسنده من طريق عطاء، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ( الْوَتِينَ) قال [ نياط القلب ].

وبسنده أيضاً عن عبيد قال: سمعت الضحاك يقول في قوله (لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) [ وتين القلب، وهو عرق يكون في القلب، فإذا قطع مات الإنسان ]

وَأخرج عبد بن حميد بإسناده عَن عِكْرِمَة قَالَ [ الوتين نِيَاط الْقلب ]

" وقال تعالى { إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون } وكلماته صدق وعدل والعدل وضع الاشياء مواضعها

فمن عدله أن يجعل الصادق عليه المبلغ لرسالته حيث يصلح من كرامته ونصره

وأن يجعل الكاذب عليه حيث يليق به من اهانته وذله

قال تعالى {ان الذين اتخذوا العجل سيناالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين }

قال أبو قلابة [ هي لكل مفتر الى يوم القيامة ]

ومن أعظم الافتراء عليه دعوى النبوة والرسالة كذبا

كما قال تعالى { ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله } "

لـيعلم هنـا أن الأصل الـذي ضل بـسببه هؤلاء الأشاعرة في هذا هو :

أن هؤلاء " الجهمية المجبرة قالوا ان الله قد يفعل كل ممكن مقدور

لا ينزهونه عن فعل شيء

ويقولون انه يفعل بلا سبب ولا حكمة

وهو الخالق بجميع الحوادث

لم يفرقوا بين ما تأتي به الملائكة ولا ما تأتي به الشياطين

بل الجميع يضيفونه الى الله على حد واحد

ليس في ذلك حسن ولا قبيح عندهم حتى يأتي الرسول

فقبل ثبوت الرسالة لا يميزون بين شيء من الخير والشر والحسن والقبيح فلهذا لم يفرقوا بين آيات الانبياء وخوارق السحرة والكهان

بل قالوا ما يأتي به السحرة والكهان يجوز أن يكون من آيات الانبياء

وما ياتي به الانبياء يجوز أن يظهر على أيدي السحرة والكهان

لكن ان دل على انتفاء ذلك نص أو إجماع نفوه

مع أنه جائز عندهم أن يفعله الله

لكن بالخبر علموا أنه لم يفعله

فهؤلاء لما رأوا ما جاءت به الانبياء وعلموا أن آياتهم تدل على صدقهم وعلموا ذلك اما بضرورة وإما بنظر

واحتاجوا الى بيان دلائل النبوة على أصلهم كان غاية ما قالوا أنه كل شيء يمكن أن يكون آية للنبي بشرط أن يقترن بدعواه

وبشرط أن يتحدى بالاتيان بالمثل فلا يعارض

ومعنى التحدي بالمثل أن يقول لمن دعاهم ائتوا بمثله

وزعموا أنه اذا كان هناك سحرة وكهان وكانت معجزته من جنس ما يظهر على أيديهم من السحر والكهانة فإن الله لا بد أن يمنعهم عن مثل ما كانوا يفعلونه وأن من ادعى منهم النبوة فإنه يمنعه من تلك الخوارق

أو يقيض له من يعارضه بمثلها فهذا غاية تحقيقهم وفيه من الفساد ما يطول وصفه "

" والكلام في النبوة فرع على إثبات الحكمة التي توجب فعل ما تقتضيه الحكمة ويمتنع فعل ما تنفيه فنقول هو سبحانه وتعالى حكيم يضع كل شيء موضعه المناسب له

فلا يجوز عليه ان يسوي بين جنس الصادق والكاذب والعادل والظالم والعالم والجاهل والمصلح والمفسد

بل يفرق بين هذه الانواع بما يناسب الصادق العادل العالم المصلح من الكرامة وما يناسب الكاذب الظالم الجاهل المفسد من الهوان

كما قال تعالى { أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار } وقال { أفنجعل المسلمين كالمجرمين }

وهذا استفهام انكار على من ظن ذلك وهو يتضمن تقرير المخاطبين واعترافهم بان هذا لا يجوز عليه وأن ذلك بين معروف يجب اعترافهم به وإقرارهم به "

والمقصود أن الشارح وأئمته من المتكلمين و(الأشاعرة=الجهمية الإناث)

" لم يعرفوا آيات الانبياء والفرق بينها وبين غيرها

لكن ادعوا ان ما يأتي به الكهان والسحرة وغيرهم قد يكون من آيات الانبياء لكن بشرط أن لا يقدر أحد من المرسل اليهم على معارضته وهذه خاصة المعجز عندهم "

فحقيقة " القوم [أنهم] لم يعرفوا دلائل النبوة

ولا اقاموا دليلاً على نبوة الانبياء

كما لم يقيموا دليلاً على وجود الرب

فليس في كتبهم ما يدل على الرب تعالى ولا على رسوله مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين "

"ولهذا يقيم أكابر علمائهم مدة يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر فلا يجدون فرقا اذ لا فرق عندهم في نفس الامر "

فإن قولهم في هذا الباب " يقتضي أنه لا دليل عندهم على نبوة النبي "كما أن حقيقته أيضاً " إنه لا دليل على النبوة ولهذا كان كلامهم في هذا الباب منتهاه التعطيل "

وهنا مسألة أخرى هي أيضاً من ضلالات القوم في باب النبوة ، ألا وهي قولهم أن " أن الإيمان والنبوة عرضان يحلان الأجسام في حال الحياة ويزولان عنها بزوال الحياة، فالمؤمن إذا مات يدخل قبره ولا إيمان معه، والنبي صلى الله عليه وسلم إذا مات يدفن وليس بنبي "

قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد : على هذا الأصل يقتضي أن يزول الإيمان عن الرجل إذا نام وهذا من أشنع الأقاويل. ا.هـ

وقال ابن حزم في الفصل : حَدثت فرقة مبتدعة تزْعم أَن مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد الْمطلب صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لَيْسَ هُوَ الْآن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَ هَذَا قَول ذهب إِلَيْهِ الأشعرية

وَأَخْبرنِي سُلَيْمَان بن خلف الْبَاجِيّ –وَهُوَ من مقدميهم الْيَوْم– أَن مُحَمَّد بن الْحسن بن فورك الْأَصْبَهَانِيّ على هَذِه المسئلة قَتله بالسم مَحْمُود بن سبكتكين صَاحب مادون وَرَاء النَّهر من خرسان رَحمَه الله

وَهَذِه مقَالَة خبيثة مُخَالفَة لله تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَلما أجمع عَلَيْهِ جَمِيع أهل الْإِسْلَام إِلَى يَوْم الْقِيَامَة وانما حملهمْ على هَذَا قَوْلهم الْفَاسِد أَن الرّوح عرض وَالْعرض يفنى أبدا وَيحدث وَلَا يبْقى وَقْتَيْنِ فَروح النَّبِي صالى الله عَلَيْهِ وَسلم عِنْدهم قد فنيت وَبَطلَت وَلَا روح الْآن عِنْد الله تَعَالَى وَأما جسده فَفِي قَبره موَات فبطلت نبوته بذلك ورسالته

ونعوذ بِاللَّه من هَذَا القَوْل فَإِنَّهُ كفر صراح لَا تردد فِيهِ

وَيَكْفِي من بطلَان هَذَا القَوْل الْفَاحِش الفظيع أنه مُخَالف لما أمر الله عز وَجل بِهِ وَرَسُوله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَاتفقَ عَلَيْهِ جَمِيع أهل الْإِسْلَام من كل فرقة وَمن كل نحلة من الْأَذَان فِي الصوامع كل يَوْم حمس مَرَّات فِي كل قَرْيَة من شَرق الأَرْض إِلَى

غربها بِأَعْلَى أَصْوَاتهم قد قرنه الله تَعَالَى بِذكرِهِ أشهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأشْهد أَن مُحَمَّد رَسُول الله فعلى قَول هَؤُلَاءِ الموكلين إِلَى أنفسهم يكون الآذان كذبا وَيكون من أَمر بِهِ كَاذِبًا

وَإِنَّمَا كَانَ يجب أَن يكون الْأَذَان على قَوْلهم أشهد أَن مُحَمَّدًا كَانَ رَسُول الله وَإِلَّا فَمن أخبر عَن شَيْء كَانَ

وَبَطل أَنه كَائِن الْآن !!

فَهُوَ كَاذِب فالأذان كذب على قَوْلهم !!

**وَهَذَا كفر مُجَرّد**

وَكَذَلِكَ مَا اتّفق عَلَيْهِ جَمِيع أهل الْإِسْلَام بِلَا خلاف من أحد مِنْهُم من تلقين موتاهم لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله

فَإِنَّهُ بَاطِل على قَول هَؤُلَاءِ !!

وَكَذَلِكَ مَا عمل بِهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مُدَّة قِتَاله الْأمة وَأمره عَن الله عز وَجل بِأَن يعْمل بِهِ بعده أبدا وَأجْمع على القَوْل بِهِ وَالْعَمَل جَمِيع أهل الْإِسْلَام من أول الْإِسْلَام إِلَى آخِره وَمن شَرق الأَرْض إِلَى غربها إنسهم وجنهم بِيَقِين مَقْطُوع بِهِ دون مُخَالف فَمَا تخرج بِهِ الدِّمَاء من التَّحْلِيل إِلَى التَّحْرِيم أَو إِلَى الحقن بالجزية من أَن يعرض على أهل الْكفْر أَن يَقُولُوا لَا إِلَه إِلَّا الله مُحَمَّد رَسُول الله

فَيجب على قَول هَؤُلَاءِ المحرومين أَن هَذَا بَاطِل وَكذب

وَإِنَّمَا كَانَ يجب أَن يكفلوا أَن يَقُولُوا أَن مُحَمَّد كَانَ رَسُول الله !!

وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى {ورسلا قد قصصناهم عَلَيْك من قبل ورسلا لم نقصصهم عَلَيْك}

وَكَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى {يَوْم يجمع الله الرُّسُل فَيَقُول مَاذَا أجبتم}

وَقَوله تَعَالَى {وَجِيء بالنبيين وَالشُّهَدَاء}

**فسماهم الله رسلًا وَقد مَاتُوا**

وَسَمَّاهُمْ نبيين ورسلاً وهم فِي الْقِيَامَة

وَكَذَلِكَ مَا أجمع النَّاس عَلَيْهِ وَجَاء بِهِ النَّص من قَول كل مصل فرضا أَو نَافِلَة السَّلَام عَلَيْك أَيهَا النَّبِي وَرَحْمَة الله وَبَرَكَاته فَلَو لم يكن روحه عَلَيْهِ السَّلَام مَوْجُودا قَائِما لَكَانَ السَّلَام على الْعَدَم هدرا..

وَأَيْضًا فَإِن خبر الْإِسْرَاء الَّذِي ذكره الله عز وَجل فِي الْقُرْآن وَهُوَ مَنْقُول نقل التَّوَاتُر وَأحد أَعْلَام النُّبُوَّة ذكر فِيهِ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه رأى الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام فِي سَمَاء سَمَاء فَهَل رأى إِلَّا أَرْوَاحهم الَّتِي هِيَ أنفسهم

**وَمن كذب بِهَذَا أَو بعضه فقد انْسَلَخَ عَن الْإِسْلَام بِلَا شكّ** ونعوذ بِاللَّه من الخذلان

وَهَذِه براهين لَا محيد عَنْهَا وَقد صَحَّ عَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم أَنه أخبر أَن لله مَلَائِكَة يبلغونه منا السَّلَام

وَأَنه من رَآهُ فِي الْمَنَام فقد رَآهُ حَقًّا

وَلَقَد بَلغنِي عَن بَعضهم أَنهم يَقُولُونَ أَن أُمَّهَات الْمُؤمنِينَ رضوَان الله عَلَيْهِم لسن الْآن أُمَّهَات الْمُؤمنِينَ لكنهن كن أُمَّهَات الْمُؤمنِينَ

**وَهَذَا ضلال بحت وحماقة مَحْضَة** وَلَو كَانَ هَذَا الْوَاجِب أَن لَا تكون أم الْمَرْء الَّتِي وَلدته وَأَبوهُ الَّذِي وَلَده أَبَاهُ وَلَا أمه إِلَّا فِي حِين الْولادَة وَالْحمل من الْأُم فَقَط !!

وَفِي حِين الْإِنْزَال من الْأَب فَقَط لَا بعد ذَلِك !!

وَهَذَا من السخف الَّذِي لَا يرضى بِهِ لنَفسِهِ ذُو مسكة . ا.هـ

قلت : وقد وقع لأبي إسماعيل الهروي قصة لها تتعلق بثبوت هذا القول المنكر إلى الأشعري ، ذكرها الذهبي في السير حيث قال :

قَالَ ابْنُ طَاهِر: حَكَى لِي أَصْحَابُنَا أن السلطان ألب أرسلان قدم هراة وَمَعَهُ وَزِيْرُهُ نِظَامُ المُلك، فَاجتمع إِلَيْهِ أَئِمَّةُ الحَنَفِيَّة وَأَئِمَّةُ الشَّافِعِيَّة لِلشكوَى مِنَ الأَنْصَارِيّ، وَمُطَالَبته، بِالمُنَاظرَة، فَاسْتدَعَاهُ الوَزِيْرُ، فَلَمَّا حضَر، قَالَ : إِنَّ هَؤُلاَءِ قَدِ اجْتَمَعُوا لمنَاظرتك، فَإِنْ يَكُنِ الحَقُّ مَعَكَ؛ رَجَعُوا إِلَى مَذْهَبِكَ، وَإِنْ يَكُن الحَقُّ مَعَهم؛ رَجَعتَ أَوْ تسكتَ عَنْهُم.

فَوَثَبَ الأَنْصَارِيّ

وَقَالَ: أُنَاظِرُ عَلَى مَا فِي كُمِّي .

قَالَ: وَمَا فِي كُمِّكَ؟

قَالَ: كِتَابُ اللهِ. –وَأَشَارَ إِلَى كُمِّهِ اليَمِين– وَسُنَّةُ رَسُوْلِ اللهِ –وَأَشَارَ إِلَى كَمّه اليَسَار– وَكَانَ فِيْهِ "الصَّحيحَان".

فَنَظَرَ الوزير إليهم مستفهما لهم، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِم مِنْ نَاظَرَهُ مِنْ هَذَا الطَّرِيْق.

وَسَمِعْتُ خَادِمَه أَحْمَد بن أَمِيْرجه يَقُوْلُ: حضَرتُ مَعَ الشَّيْخ لِلسّلاَم عَلَى الوَزِيْر نِظَام المُلك، وَكَانَ أَصْحَابُنَا كلَّفُوهُ الخُرُوجَ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ بَعْد المِحنَة وَرُجُوْعِهِ إِلَى وَطَنه مِنْ بَلْخ –يَعْنِي أَنَّهُ كَانَ قَدْ غُرِّبَ–

قَالَ: فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ؛ أكرمه وَبَجَّلَهُ، وَكَانَ هُنَاكَ أَئِمَّةٌ مِنَ الفَرِيْقَيْنِ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَسْأَلُوْهُ بَيْنَ يَدي الوَزِيْر

فَقَالَ العَلَوِيُّ الدبوسِيّ: يَأْذنُ الشَّيْخ الإِمَامُ أَنْ أَسَأَل؟

قَالَ: سَلْ. قَالَ: لِمَ تَلْعَن أَبَا الحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ؟

فَسَكَتَ الشَّيْخُ، وَأَطرق الوَزِيْرُ، فَلَمَّا كَانَ بَعْد سَاعَة

قَالَ الوَزِيْر: أَجِبْهُ.

فَقَالَ: لاَ أَعْرِفُ أَبَا الحَسَنِ، وَإِنَّمَا أَلعنُ مَنْ لَمْ يَعتقد أَنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَّ القُرْآن فِي المُصْحَف

وَيَقُوْلُ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اليَوْمَ لَيْسَ بِنَبِيّ.

ثُمَّ قَامَ وَانْصَرَفَ، فَلَمْ يُمَكِّن أَحَداً أَنْ يَتَكَلَّم مِنْ هَيبته

فَقَالَ الوَزِيْر لِلسَائِل: هذا أردتم!

أن نسمع ما يذكره بهراة بآذاننا، وما عَسَى أَنْ أَفْعَلَ بِهِ؟

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيْهِ بِصِلَةٍ وَخِلَع، فَلَمْ يَقْبَلهَا، وَسَافَرَ مِنْ فوره إِلَى هَرَاة .

وقال ابن قدامة في المناظرة عن الأشاعرة : ويقولون في آذانهم وصلواتهم أشهد أن محمدا رسول الله ويعتقدون أنه انقطعت رسالته ونبوته لموته وأنه لم يبق رسول الله !
وإنما كان رسول الله في حياته . ا.هـ

وبهذا يعلم أن الأشعري لم يكن على منهج السلف كما يزعمه بعض المتسننة حيث ظن أن الأشعري مر بثلاث مراحل في حياته : ألا وهي الاعتزال
ثم الميل إلى مذهب ابن كلاب ثم الرجوع إلى مذهب السلف !
وهذا ظن خاطئ تنفيه مصنفاته الأخيرة
وينفيه المحققون بمعرفة حاله

أما أقوال الأشعري في إثبات في العقيدة المخالفة لما عليه أهل الحديث فعديدة منها :
ما كتبه في رسالته إلى أهل الثغر حيث يقول فيها : أجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل لم يزل بها حيا وعلما لم يزل به عالما وقدرة لم يزل بها قادرا وكلاما لم يزل به متكلما .. وعلى أن شيئا من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثا .. وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال إذ كان لا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال . ا.هـ

وهذا التقرير حقيقته نفي لصفات الله المتعلقة بالمشيئة والإرادة كالضحك والفرح ونحو ذلك

وقال فيها أيضاً : ولا يجب أن تكون أعراضاً؛ لأنه عز وجل ليس بجسم ، وإنما توجد الأعراض في الأجسام ...كما لا يجب أن تكون نفس الباري عز وجل جسماً أو جوهراً، أو محدوداً أو في مكان دون مكان أو في غير ذلك ...
نفي الجسم عن الله بدعة –وكذلك إثباته– مخالف لما كان عليه السلف من عدم إطلاق القول بنفي أو إثبات الألفاظ المجلمة التي تحتمل حقاً وباطلاً . ا.هـ

وقال أيضاً : وأجمعوا أنه عز وجل يجيء يوم القيامة ... وليس مجيئه حركة ولا زوالاً، وإنما يكون المجيء جسماً أو جوهراً، فإذن ثبت أنه عز وحل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: جاءت زيداً الحمى أنها تنقلت إليه، أو تحركت من مكان كانت فيه، إذ لم تكن جسماً ولا جوهراً، وإنما مجيئها إليه وجودها به . ا.هـ

وهذا تعطيل واضح لحقيقة الصفة وهو مؤكد لكونه ينفي صفات الله الفعلية ، وهذا الإجماع هو إجماع الجهمية ذكورهم وإناثهم لا إجماع أهل السنة فليعلم ذلك .

وقال أيضاً : وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كما روى عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، **وليس نزوله نقله**، لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي – صلى الله عليه وسلم – من عند خالقنا . ا.هـ

ونفي الجسم والجوهر ونحوه من بدع المتجهمة المعلومة

وقال أيضاً : وأجمعوا على أنه عز وجل يرضى عن الطائعين له، وأن رضاه عنهم **إرادته لنعيمهم** ، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأن غضبه **إرادته لعذابهم**، وأنه لا يقوم لغضبه شيء ا.هـ

وقال : وأجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دعا جميع الخلق إلى **معرفة الله** وإلى نبوته، ونهاهم **عن الجهل بالله** عز وجل وعن تكذيبه . ا.هـ

أقول النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس إلى الإيمان ، إلى عبادة الله وحده وحذرهم من الكفران ، وأما جعل دعوة النبي–صلى الله عليه وسلم– للناس متعلقة بمعرفة الله وعدم الجهل !

فهذا لائق بمن يعرف الإيمان بالمعرفة ! والكفر بالجهل !

وقال : لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل . ا.هـ
بل الخروج لا يجوز بالإجماع والتعبير بعدم اللزوم لا يفيد التحريم

وقال : وأن له يدين مبسوطتين ، وأن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكونا جوارحا وأن يديه غير نعمتيه ا.هـ

وقال : لأنه عز وجل ملِك لجميع ذلك فيهم ، غير محتاج في فعله إلى تمليك غيره له ذلك حتى يكون جائراً فيه قبل تملكه ، بل هو تعالى في فعل جميع ذلك عادل له وله مالك يفعل ما يشاء ا.هـ

هذا الكلام مبني على قول الجهمية الجبرية أن الظلم هو التصرف في ملك الغير وأما المالك لكل شيء فالظلم مستحيل منه فلو عذب الطائعين أو نعم المجرمين كان ذلك عدلاً منه وحسناً !!

ويؤكد هذا قوله : وأجمعوا على أن القبيح من أفعال خلقه ما نهاهم عنه وزجرهم عن فعله
وأن الحسن ما أمرهم به وندبهم إلى فعله وأباحه لهم ا.هـ

وقال أيضاً في الإبانة وهي من أواخر ما كتب :
فلما كان الله عز وجل لم يزل عالماً ، إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفاً، استحال أن يكون لم يزل بخلاف

الـكلام موصوفاً، لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم، جهل، أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم، ولـذلـك يـستحيل أن يـوصف بـخلاف الـكلام من الـسكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلماً، كما وجب أن يكون لم يزل عالماً .ا.هـ

وهذا دليل واضح أن الأشعري حتى في الإبانة لم يزل على طريقة ابن كلاب فإن قوله (ولذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت) وجعله لكلام الله أزلياً كما أن علم الله أزلي

يدل على تقرير ما يسميه هؤلاء بالكلام النفسي

والذي دعاه إلى هذا أصله–وأصحابه الكلابية– في نفي الصفات الفعلية بزعم أنها حوادث وما جاز أن يقوم به الحوادث فهو حادث !

وقال في الابانة أيضاً : لـيست لـه صورة تـقـال ولا حد يضرب به المثال ..ا.هـ

وقال : استواءا منزها عن الـممـاسة والاستـقـرار والتمكن والحلول والانتقال ..اهـ

وهذا النفي لا يسير على سنن السلف

وقد مضى البحث في مسألة الاستقرار وبيان أنها من معاني الاستواء عند أهل السنة في [الرد بالعدة والعتاد] فليراجعه من شاء

وأما مسألة المماسة فنفيها بدعة لم يقل بها أحد من السلف وقد ذكرت هذه المسألة في [آيات تأولها الخلف بخلاف قول السلف] يسر الله إتمامه .

وقال : نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به <u>من غير طول استقرار</u> ا.هـ

وقال : وأن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله .. ا.هـ

وهذا القول -بإطلاق- ليس من قول السلف الكرام وإن قاله بعض المنتسبين إلى السنة

يقول ابن تيمية في المجموع : قَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ فِي " اسْتِطَاعَةِ الْعَبْدِ " هَلْ هِيَ مَعَ فِعْلِهِ أَمْ قَبْلَهُ؟ وَجَعَلُوهَا قَوْلَيْنِ مُتَنَاقِضَيْنِ :

فَقَوْمٌ جَعَلُوا الِاسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ فَقَطْ

وَهَذَا هُوَ الْغَالِبُ عَلَى مُثْبِتَةِ الْقَدَرِ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَشْعَرِيِّ وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَصْحَابِنَا وَغَيْرِهِمْ. وَقَوْمٌ جَعَلُوا الِاسْتِطَاعَةَ قَبْلَ الْفِعْلِ وَهُوَ الْغَالِبُ عَلَى النُّفَاةِ مِنْ الْمُعْتَزِلَةِ وَالشِّيعَةِ .. ا.هـ المراد

وقال في درء تعارض العقل والنقل :

والصحيح الذي عليه السلف وأئمة الفقهاء أنها تكون موجودة قبل الفعل وتبقى إلى حين الفعل ولهذا يجوز عندهم وجود الاستطاعة بدون الفعل كما في حق العصاة ولولا هذا لم يكن أحد ممن كفر وعصى الله إلا غير مستطيع لطاعة الله وهو خلاف الكتاب والسنة

قال تعالى { ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا }

وقال { فاتقوا الله ما استطعتم }

وقال { فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين }

ومعلوم أنه ليس المنفي هنا استطاعة لا تكون إلا مع الفعل فإنه قد يكون حينئذ معنى الكلام فمن لم يفعل فعليه صيام شهرين متتابعين وكذلك يكون الأمر بالتقوى لمن اتقى لا لمن لم يتق وإيجاب الحج على من حج دون من لم يحج وهذا باطل ، فعلم أن المراد استطاعة توجد بدون الفعل وما كانت موجودة بدون الفعل أمكن وجودها قبله بطريق الأولى .. ا.هـ المراد

وقال في المجموع : وَالصَّوَابُ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ: أَنَّ الِاسْتِطَاعَةَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَى الْفِعْلِ وَمُقَارِنَةٌ لَهُ أَيْضًا ، وَتُقَارِنُهُ أَيْضًا اسْتِطَاعَةٌ أُخْرَى لَا تَصْلُحُ لِغَيْرِهِ.

فَالِاسْتِطَاعَةُ " نَوْعَانِ ": مُتَقَدِّمَةٌ صَالِحَةٌ لِلضِّدَّيْنِ .

وَمُقَارِنَةٌ لَا تَكُونُ إلَّا مَعَ الْفِعْلِ

فَتِلْكَ هِيَ الْمُصَحِّحَةُ لِلْفِعْلِ الْمُجَوِّزَةُ لَهُ

وَهَذِهِ هِيَ الْمُوجِبَةُ لِلْفِعْلِ الْمُحَقِّقَةُ لَهُ.

وكذلك لم يزل الأشعري على الكلام ولم يتب من ذلك

كما قال ابن عبدالهادي : قَدْ أَجْمَعَ غَالِبُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَبَا الْحَسَنِ الأَشْعَرِيَّ كَانَ أَوَّلا عَلَى الاعْتِزَالِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ، وَقَدْ أَقَرَّ بِذَلِكَ أَتْبَاعُهُ وَأَحْبَابُهُ، وَ أَمَّا الْكَلامُ وَعِلْمُهُ فَلا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتُبْ مِنْهُ .. أ.هـ المراد

وإليك كلام من علم حاله وأهل الخبرة المطلعين على مذهب الاشعري :

قال الهروي في ذم الكلام : سمعت الحاكم عدنان بن عبدة النميري يقول: سمعت أبا عمر البسطامي يقول [كان أبو الحسن الأشعري أولاً ينتحل الاعتزال، ثم رجع فتكلم عليهم، وإنما مذهبه التعطيل؛ إلا أنه رجع من التصريح إلى التمويه ] .

وقال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد : حكى محمّد بن عبد الله المغربي المالكي، وكان فقيهاً صالحاً، عن الشيخ أبي سعيد البرقي، وهو من شيوخ فقهاء المالكيين ببرقة، عن أستاذه خلف المعلم، وكان من فقهاء المالكيين، قال [ أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة فرجع عن الفروع، وثبت على الأصول ] .

وقال السجزي : اعلموا– أرشدنا الله وإياكم– أنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نِحَلهم من أول الزمان إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب والقلانسي

والصالحي والأشعري وأقرانهم الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة و هم معهم بل أخس حالاً منهم في الباطن في أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق وإن اختلفت به اللغات. ا.هـ

وقال ابن عبد الهادي في جمع الجيوش : وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ فِي كَشْفِ الْعَظَائِمِ، أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ جِهَةِ الْبِدْعَةِ وَمِنْ جِهَةِ الدِّينِ .. ا.هـ

وقال ابن تيمية : ابْنُ كُلَّابٍ " إمَامُ الْأَشْعَرِيَّةِ أَكْثَرُ مُخَالَفَةً لِجَهْمِ وَأَقْرَبُ إلَى السَّلَفِ مِنْ الْأَشْعَرِيِّ نَفْسِهِ .... لَكِنْ كَانَتْ خِبْرَتُهُ بِالْكَلَامِ خِبْرَةٌ مُفَصَّلَةٌ وَخِبْرَتُهُ بِالسُّنَّةِ خِبْرَةٌ مُجْمَلَةٌ ؛ فَلِذَلِكَ وَافَقَ الْمُعْتَزِلَةَ فِي بَعْضِ أُصُولِهِمْ الَّتِي الْتَزَمُوا لِأَجْلِهَا خِلَافَ السُّنَّةِ

وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ الْجَمْعُ بَيْنَ تِلْكَ الْأُصُولِ وَبَيْنَ الِانْتِصَارِ لِلسُّنَّةِ كَمَا فَعَلَ فِي مَسْأَلَةِ الرُّؤْيَةِ وَالْكَلَامِ وَالصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .. فَلَمَّا كَانَ فِي كَلَامِهِ شَوْبٌ مِنْ هَذَا وَشَوْبٌ مِنْ هَذَا : صَارَ يَقُولُ مَنْ يَقُولُ إنَّ فِيهِ نَوْعًا مِنْ التَّجَهُّمِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ : إنَّ قَوْلَهُ قَوْلُ جَهْمٍ فَقَدْ قَالَ الْبَاطِلَ .

وَمَنْ قَالَ : إنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِ جَهْمٍ فَقَدْ قَالَ الْبَاطِلَ وَاَللَّهُ يُحِبُّ الْكَلَامَ بِعِلْمِ وَعَدْلٍ وَإِعْطَاءَ كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَتَنْزِيلَ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ ...ا.هـ

وقال ابن تيمية في الإيمان : وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثني في الإيمان ... وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم في

الإيمان الذي نصره أبو الحسن وهو عندهم شر من قول المرجئة ا.هـ

وقال في المجموع : بَلْ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ عِنْدَهُ مَحْبُوبٌ لِلْحَقِّ كَمَا أَنَّهُ مُرَادٌ؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَصْلُ قَوْلِهِمْ: هُوَ قَوْلُ جَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ مِنْ الْقَدَرِيَّةِ فَهُمْ مِنْ غُلَاةِ الْجَهْمِيَّةِ الْجَبْرِيَّةِ فِي الْقَدَرِ ... وَمَنْ اتَّبَعَهُ مِنْ غُلَاةِ الْجَبْرِيَّةِ وَهُوَ قَوْلُ الْأَشْعَرِيِّ وَأَتْبَاعِهِ وَكَثِيرٍ مِنْ الْفُقَهَاءِ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالصُّوفِيَّةِ. ا.هـ

وقال : والأشعري وأمثاله، برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاً أصولاً عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة، فمن الناس من مال إليه من الجهة السلفية، ومن الناس من مال إليه من الجهة البدعية الجهمية كأبي المعالي وأتباعه .. ا.هـ المراد

وقال في النبوات : والمقصود هنا أن الاشعري بنى أصول الدين في اللمع ورسالة الثغر على كون الانسان مخلوقا محدثا فلا بد له من محدث لكون هذا الدليل مذكورا في القرآن فيكون شرعيا عقليا لكنه في نفس الامر سلك في ذلك طريقة الجهمية بعينها وهو الاستدلال على حدوث الانسان بأنه مركب من الجواهر الفردة فلم يخل من الحوادث وما لم يخل من الحوادث فهو حادث !

فجعل العلم بكون الانسان محدثا وبكون غيره من الأجسام المشهودة محدثا انما يعلم بهذه الطريقة وهو أنه مؤلف من الجواهر الفردة وهي لا تخلو من اجتماع وافتراق وتلك أعراض حادثة وما لم ينفك من الحوادث فهو محدث وهذه الطريقة أصل ضلال هؤلاء . ا.هـ

وقال في النبوات : وأما الاشعري فالمعروف عنه وعن أصحابه أنهم يوافقون جهما في قوله في الايمان وأنه مجرد تصديق القلب أو معرفة القلب لكن قد يظهرون مع ذلك قول أهل الحديث ويتأولونه ويقولون بالاستثناء على الموافاة فليسوا موافقين لجهم من كل وجه وإن كانوا أقرب الطوائف اليه في الايمان وفي القدر أيضا فانه رأس الجبرية يقول ليس للعبد فعل البتة والاشعري يوافقه على أن العبد ليس بفاعل ولا له قدرة مؤثرة في الفعل ولكن يقول هو كاسب وجهم لا يثبت له شيئا لكن هذا الكسب يقول أكثر الناس انه لا يعقل فرق بين الفعل الذي نفاه والكسب الذي أثبته وقالوا عجائب الكلام ثلاثة طفرة النظام وأحوال أبي هاشم وكسب الاشعري ا.هـ

وقال أيضاً : وَالْمَقْصُودُ هُنَا : أَنَّ جَهْمًا اشْتَهَرَ عَنْهُ بِدْعَتَانِ :

( إحْدَاهُمَا ) : نَفْيُ الصِّفَاتِ

( وَالثَّانِيَةُ ) : الْغُلُوُّ فِي الْقَدَرِ وَالْإِرْجَاءِ .

فَجَعَلَ الْإِيمَانَ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةِ الْقَلْبِ . وَجَعَلَ الْعِبَادَ لَا فِعْلَ لَهُمْ وَلَا قُدْرَةَ ؛ وَهَذَانِ مِمَّا غَلَتْ الْمُعْتَزِلَةُ فِي خِلَافِهِ فِيهِمَا وَأَمَّا الْأَشْعَرِيُّ فَوَافَقَهُ عَلَى أَصْلِ قَوْلِهِ ، وَلَكِنْ قَدْ يُنَازِعُهُ مُنَازَعَاتٌ لَفْظِيَّةٌ . وَجَهْمٌ لَا يُثْبِتُ شَيْئًا مِنْ الصِّفَاتِ ؛ لَا الْإِرَادَةَ وَلَا غَيْرَهَا ، فَإِذَا قَالَ إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الطَّاعَاتِ وَيُبْغِضُ الْمَعَاصِيَ ؛ فَمَعْنَاهُ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ؛ وَالْأَشْعَرِيُّ يُثْبِتُ الصِّفَاتِ كَالْإِرَادَةِ فَاحْتَاجَ إلَى الْكَلَامِ فِيهَا هَلْ هِيَ الْمَحَبَّةُ أَمْ لَا ؟

فَقَالَ : الْمَعَاصِي يُحِبُّهَا اللَّهُ وَيَرْضَاهَا كَمَا يُرِيدُهَا : وَذَكَرَ أَبُو الْمَعَالِي أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ . ا.هـ

وقال في المنهاج : الجهم بن صفوان ومن وافقه كالأشعري وطائفة من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يقول إن أفعال العباد هي فعل الله

وقال ابن تيمية : فبحث الأشعري مع المعتزلة في هذه الطريقة من جنس بحوثه معهم في غير ذلك من أصولهم فإنه يبين تناقضهم .. **ولكن سلم لهم أصولا وافقهم عليها** مثل تسليمه لهم صحة طريق الأعراض مع طولها

ومثل إثباته للصانع بهذه الطريق التي هي من جنسها

وبنى ذلك على إثبات الجوهر الفرد

فلزم من تسليمه ذلك لهم لوازم أراد أن يجمع بينها وبين ما أثبته من الرؤية وإثبات الكلام والصفات والعلو لله تعالى

فقال جمهور طوائف العقلاء من أهل السنة والحديث وغيرهم ومن المعتزلة والفلاسفة وغيرهم : أن هذا مناقضة مخالفة لصريح المعقول

ولهذا قال من قال : **بقيت عليه بقية من الاعتزال ا.هـ**

فحقيقة الأشعري هو ما قاله ابن عبدالهادي في جمع الجيوش: إن الأشعري رجع عن الاعتزال وأقام على أمر أشد منه وهو التمويه على التعطيل .ا.هـ

وأين الأشعري لو ثبتت توبته المزعومة من العلم والإمامة ؟ !!

قال ابن قدامة في المناظرة عن أبي الحسن الأشعري :

من العجب أن امامهم الذي أنشأ هذه البدعة رجل لم يعرف بدين ولاورع ولا شيء من علم الشريعة ألبته ولا ينسب إليه من العلم الا علم الكلام المذموم

وهم يعترفون أنه أقام على الاعتزال أربعين عاما ثم أظهر الرجوع عنه فلم يظهر منه بعد التوبة سوى هذه البدعة

**فكيف تصور في عقولهم أن الله لا يوفق لمعرفة الحق الا عدوه ؟!!**

ولا يجعل الهدى الا مع من ليس (عنده من) علم الإسلام نصيب ولا في الدين حظ ؟ !!
ا.هـ

وقال ابن عبدالهادي : أَيْنَ أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ؟
أَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالشَّافِعِيُّ
أَيْنَ أَقْوَالُ الأَشْعَرِيِّ فِي الدِّينِ؟ أَيْنَ كَلامُهُ فِي الطَّهَارَةِ، وَالصَّلاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالْبَيْعِ، وَالنِّكَاحِ وَالطَّلاقِ؟
هَذَا أَمْرٌ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّمَا كَلامُهُ فِي عِلْمِ الْكَلامِ فَقَطْ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، كَيْفَ يَحِلُّ لِمَنْ يُنْسَبُ إِلَى الْعِلْمِ أَنْ يُحَقِّقَ مَنْ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ كَلامٌ فِي مَسْأَلَةٍ قَطُّ مِنْ أَئِمَّةِ الدِّينِ قَوْله ... ا.هـ المراد

ولأجل هذا من حقق من أهل العلم علم أن قول الأشاعرة في الرؤية والكلام النفسي وغير ذلك عند التحقيق هو قول من يظهرون الرد عليهم من المعتزلة والجهمية كما قال ابن قدامة في المناظرة :
اتفق أهل السنة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولم يكن القرآن الذي دعوا إلى القول بخلقه سوى هذه السورة التي سماها الله قرآناً عربياً وأنزلها على رسوله عليه السلام ، ولم يقع الخلاف في غيرها ألبته وعند الأشعري أنها مخلوقة !
فقوله قول المعتزلة لا محالة الا أنه يريد التلبيس يقول في الظاهر قولاً يوافق أهل الحق ثم يفسره بقول المعتزلة . ا.هـ

وقد تكلم كذلك جماعة من العلماء فيه –أي الأشعري– من جهة نفاقه
فقد جاءت عنه روايات تدل على زندقته ونفاقه
فمن ذلك ما جاء في ذم الكلام للهروي حيث قال :
سمعت يحيى بن عمار يقول: سمعت زاهر بن أحمد –وكان للمسلمين إماماً– يقول :

[ نظرت في صير باب؛ فرأيت أبا الحسن الأشعري يبول في البالوعة، فدخلت عليه فحانت الصلاة فقام يصلي وما كان استنجى ولا تمسح ولا توضأ، فذكرت الوضوء؛ فقال لست بمحدث (!) ] .

وقال : سمعت منصور بن إسماعيل الفقيه يقول: سمعت زاهراً يقول [ دورت في أخمص الأشعري بالنقش دائرةً وهو قائل؛ فرأيت السواد بعد ست لم يغسله ]

وقال : سمعت محمد بن الفضل الطاقي يقول: سمعت زاهر ابن أحمد يقول :
[ سألت الأشعري عن الله؛ فقال: هو الذي يتأله إليه، **فكل من تألهت إليه؛ فهو الله** ] .

وقال : سمعت أحمد بن حمزة وأبا علي الحداد يقولون [ وجدنا أبا العباس أحمد بن محمد النهاوندي على الإنكار على أهل الكلام **وتكفير الأشعرية** ] .

وقال : سمعت أحمد بن حمزة يقول [ لما اشتد الهجران بين النهاوندي وأبي الفوارس سألوا أبا عبد الله الدينوري؛ فقال: **لقيت ألف شيخ على ما عليه النهاوندي** ] .

وقال : سمعت أبي يقول: سمعت أبا المظفر الترمذي –هو حبال بن أحمد– إمام أهل ترمذ [ يشهد عليهم بالزندقة ] .

وقال [ ورأيت يحيى بن عمار ما لا أحصي من مرة على منبره **يكفرهم** ويلعنهم، **ويشهد على أبي الحسن الأشعري بالزندقة**، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا ]

وقال : سمعت بلال بن أبي منصور المؤذن يقول: سمعت عمر بن إبراهيم يقول [ لا تحل ذبائح الأشعرية؛ **لأنهم ليسوا بمسلمين**، ولا بأهل كتاب، ولا يثبتون في الأرض كتاب الله ]

وقال : سمعت إسماعيل بن أحمد البشوزقاني المتفقه يقول [ سمعت الجنيد بن محمد الخطيب يشهد **على الأشعري بالزندقة** ] .

وأختم بما قاله محمد بن هادي : من زعم أنه -أي الأشعري- قد رجع رجوعًا كاملًا خالصًا صافيًا إلى مذهب السلف الصالح **فقد أخطأ خطئًا بينًا**، وأن هذا القول قول من لم يقف على كلام أبي الحسن الأشعري في كتبه. ا.هـ

وقال : هذا الرجل لم يعرف مذهب السلف إلا مجملًا، ورجوعه لم يكن إلى مذهب السلف، وإنما كان إلى مذهب أبي عبد الله ابن كُلَّاب، **مع بقاء ما عنده من ميله في أصوله في الجملة إلى الاعتزال والتجهم والإرجاء والقدر**.

وقال : **القول بالتفصيل أنه في مراحل ثلاث قول ضعيف**، وليسوا بأعلم بهذا الرجل ولا بأتباعه من شيخ الإسلام ابن تيمية، فالرجل يحكي كلامه بالحرف .. ا.هـ المراد

والحاصل أن الشارح ليس هو ممن يعول عليه في باب النبوات أيضاً لما مضى ذكره من انحرافات ، والله الموفق .

## موقف النووي من خبر الآحاد .

قال الشارح في شرحه [1-20]:

وهذا الذي ذكره الشيخ في هذه المواضع خلاف ما قاله المحققون والاكثرون فانهم قالوا أحاديث الصحيحين التي ليست بمتواترة انما تفيد الظن فإنها آحاد

والآحاد انما تفيد الظن على ما تقرر ولا فرق بين البخاري ومسلم وغيرهما في ذلك

وتلقى الأمة بالقبول انما أفادنا وجوب العمل بما فيهما وهذا متفق عليه

فان أخبار الآحاد التي في غيرهما يجب العمل بها اذا صحت أسانيدها ولا تفيد الا الظن فكذا الصحيحان ، وانما يفترق الصحيحان وغيرهما من الكتب في كون ما فيهما صحيحا لا يحتاج إلى النظر فيه بل يجب العمل به مطلقا وما كان في غيرهم لا يعمل به حتى ينظر وتوجد فيه شروط الصحيح ، ولا يلزم من اجماع الأمة على العمل بما فيهما اجماعهم على أنه مقطوع بأنه كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَقَدْ اشتد انكار بن برهان الامام على من قال بما قاله الشيخ وبالغ في تغليطه ا.هـ

وقال في موضع آخر : وأما خبر الواحد فهو ما لم يوجد فيه شروط المتواتر سواء كان الراوى له واحدا أو أكثر واختلف في حكمه

فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الاصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع يلزم العمل بها ويفيد الظن ولا يفيد العلم

وأن وجوب العمل به عرفناه بالشرع لا بالعقل ...

وذهبت طائفة من أهل الحديث الى أنه يوجب العلم

وقال بعضهم يوجب العلم الظاهر دون الباطن

وذهب بعض المحدثين الى أن الآحاد التي في صحيح البخاري أو صحيح مسلم تفيد العلم دون غيرها من الآحاد وقد قدمنا هذا القول وابطاله في الفصول وهذه الأقاويل كلها سوى قول الجمهور باطلة ...

وأما من قال يوجب العلم فهو مكابر للحس وكيف يحصل العلم واحتمال الغلط والوهم والكذب وغير ذلك متطرق إليه والله أعلم ا.هـ

قلت : قول الشارح هذا هو قول المعطلة النفاة لم يقل به أحد من الصحابة أو التابعين أو أئمة المسلمين ، والذي أجمع عليه السلف هو خلاف هذا الهراء الذي نصره الشارح

قال ابن القيم –كما في مختصر الصواعق–:

بَلْ نَقُولُ خَبَرُ الْوَاحِدِ يُفِيدُ الْعِلْمَ فِي مَوَاضِعَ: أَحَدُهَا: خَبَرُ مَنْ قَامَ الدَّلِيلُ الْقَطْعِيُّ عَلَى صِدْقِهِ، وَهُوَ خَبَرُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ جَلَّ وَعَلَا وَخَبَرُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كُلِّ مَا يُخْبِرُ بِهِ .

الثَّانِي: خَبَرُ الْوَاحِدِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَدِّقُهُ كَخَبَرِ الْمُخْبِرِ الَّذِي أَخْبَرَ بِحَضْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

[ أَنَّ اللَّهَ يَضَعُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ " فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ ] ، وَكَخَبَرِ مَنْ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَأَى السَّدَّ مِثْلَ الْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ فَقَالَ [ قَدْ رَأَيْتُهُ ]

وَمِنْ هَذَا تَرْتِيبُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَبَرِ الْمُخْبِرِ لَهُ مُقْتَضَاهُ كَغَزْوِ مَنْ أَخْبَرَهُ بِنَقْضِ قَوْمٍ الْعَهْدَ وَخَبَرِ مَنْ أَخْبَرَهُ عَنْ رَجُلٍ أَنَّهُ شَتَمَهُ وَنَالَ مِنْ عِرْضِهِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِ.

فَهَذَا تَصْدِيقٌ لِلْمُخْبِرِ بِالْفِعْلِ، وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْطَعُ بِصِدْقِ أَصْحَابِهِ كَمَا قَطَعَ بِصِدْقِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ لَمَّا أَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ الدَّجَّالِ، وَرَوَى ذَلِكَ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَلَمْ يَقُلْ أَخْبَرَنِي جِبْرِيلُ عَنِ اللَّهِ، بَلْ قَالَ [ حَدَّثَنِي تَمِيمٌ الدَّارِيُّ ]

وَمَنْ لَهُ أَدْنَى مَعْرِفَةٍ بِالسُّنَّةِ يَرَى هَذَا كَثِيرًا فِيمَا يَجْزِمُ بِصِدْقِ أَصْحَابِهِ، وَيُرَتِّبُ عَلَى أَخْبَارِهِمْ مُقْتَضَاهَا مِنَ الْمُحَارَبَةِ وَالْمُسَالَمَةِ وَالْقَتْلِ وَالْقِتَالِ.

وَنَحْنُ نَشْهَدُ بِاللَّهِ وَلِلَّهِ شَهَادَةً عَلَى الْبَتِّ وَالْقَطْعِ، لَا نَمْتَرِي فِيهَا وَلَا نَشُكُّ عَلَى صِدْقِهِمْ وَنَجْزِمُ بِهِ جَزْمًا ضَرُورِيًّا لَا يُمْكِنُنَا دَفْعُهُ عَنْ نُفُوسِنَا، وَمِنْ هَذَا أَنَّهُ كَانَ يَجْزِمُ بِصِدْقِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَهُ بِهِ مِنْ رُؤْيَا الْمَنَامِ، وَيَجْزِمُ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهَا وَيَقُولُ إِنَّهَا رُؤْيَا حَقٍّ.

وَأَثْنَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِتَصْدِيقِهِ لِمَنْ أَخْبَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

وَمِنْ هَذَا إِخْبَارُ الصَّحَابَةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَجْزِمُونَ بِمَا يُحَدِّثُ بِهِ أَحَدُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِمَنْ حَدَّثَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرُكَ خَبَرُ وَاحِدٍ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ حَتَّى يَتَوَافَرَ (!) ، وَتَوَقُّفُ مَنْ تَوَقَّفَ مِنْهُمْ حَتَّى عَضَّدَهُ آخَرُ مِنْهُمْ لَا يَدُلُّ عَلَى رَدِّ خَبَرِ الْوَاحِدِ عَنْ كَوْنِهِ خَبَرَ وَاحِدٍ، وَإِنَّمَا كَانَ يَسْتَثْبِتُ أَحْيَانًا نَادِرَةً جِدًّا إِذَا اسْتَخْبَرَ.

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا أَهْلِ الْإِسْلَامِ بَعْدَهُمْ يَشُكُّونَ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا عُمَرُ وَلَا عُثْمَانُ وَلَا عَلِيٌّ وَلَا عَبْدُ اللَّهِ

بْنُ مَسْعُودٍ وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَبُو ذَرٍّ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ.

بَلْ كَانُوا لَا يَشُكُّونَ فِي خَبَرِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَعَ تَفَرُّدِهِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَوْمًا وَاحِدًا مِنَ الدَّهْرِ: خَبَرُكَ خَبَرٌ وَاحِدٌ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ، وَكَانَ حَدِيثُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجَلَّ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ أَنْ يُقَابَلَ بِذَلِكَ، وَكَانَ الْمُخْبِرُ لَهُمْ أَجَلَّ فِي أَعْيُنِهِمْ وَأَصْدَقَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ... فَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ نُفَاةُ الْعِلْمِ عَنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ خَرَقُوا بِهِ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ الْمَعْلُومَ بِالضَّرُورَةِ بِإِجْمَاعِ التَّابِعِينَ وَإِجْمَاعِ أَئِمَّةِ الْإِسْلَامِ، وَوَافَقُوا بِهِ الْمُعْتَزِلَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ وَالْخَوَارِجَ الَّذِينَ انْتَهَكُوا هَذِهِ الْحُرْمَةَ، وَتَبِعَهُمْ بَعْضُ الْأُصُولِيِّينَ ، وَإِلَّا فَلَا يُعْرَفُ لَهُمْ سَلَفٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِذَلِكَ بَلْ صَرَّحَ الْأَئِمَّةُ (وغيرهم) بِخِلَافِ قَوْلِهِمْ.

فَمِمَّنْ نَصَّ عَلَى أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ يُفِيدُ الْعِلْمَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ وَدَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَأَصْحَابُهُ (كَابْنِ حَزْمٍ) وَنَصَّ عَلَيْهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْكَرَابِيسِيُّ وَالْحَارِثُ بْنُ أَسَدٍ الْمُحَاسِبِيُّ.

قَالَ ابْنُ خُوَازِ مِنْدَادَ فِي كِتَابِ أُصُولِ الْفِقْهِ، وَقَدْ ذَكَرَ خَبَرَ الْوَاحِدِ الَّذِي لَمْ يَرْوِهِ إِلَّا الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانُ، وَيَقَعُ بِهَذَا الضَّرْبِ أَيْضًا الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ

نَصَّ عَلَى ذَلِكَ مَالِكٌ، وَقَالَ أَحْمَدُ فِي حَدِيثِ الرُّؤْيَةِ: نَعْلَمُ أَنَّهَا حَقٌّ، وَنَقْطَعُ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا.

وَكَذَلِكَ رَوَى الْمَرُّوذِيُّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: هَاهُنَا اثْنَانِ يَقُولَانِ إِنَّ الْخَبَرَ يُوجِبُ عَمَلًا وَلَا يُوجِبُ عِلْمًا فَعَابَهُ، وَقَالَ: لَا أَدْرِي مَا هَذَا

وَقَالَ الْقَاضِي: وَظَاهِرُ هَذَا إِنَّهُ يُسَوِّي بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ. وَقَالَ الْقَاضِي فِي أَوَّلِ الْمُخْبِرِ: خَبَرُ الْوَاحِدِ يُوجِبُ الْعِلْمَ إِذَا صَحَّ سَنَدُهُ وَلَمْ تَخْتَلِفِ الرِّوَايَةُ فِيهِ وَتَلَقَّتْهُ الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ، وَأَصْحَابُنَا يُطْلِقُونَ الْقَوْلَ فِيهِ وَأَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَتَلَقَّهُ بِالْقَبُولِ، قَالَ: وَالْمَذْهَبُ عَلَى مَا حَكَيْتُ لَا غَيْرُ.

فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ، وَنَصَّ فِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ يُحَتِّمُ عَلَى الْخَبَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...

وَسِرُّ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ خَبَرَ الْعُدُولِ الثِّقَاتِ الَّذِي أَوْجَبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْعَمَلَ بِهِ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَذِبًا وَخَطَأً وَلَا يَنْصِبُ اللَّهُ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ؟!

فَمَنْ قَالَ إِنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ يَقُولُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ بَلْ مَتَى وُجِدَتِ الشُّرُوطُ الْمُوجِبَةُ لِلْعَمَلِ بِهِ وَجَبَ ثُبُوتُ مُخْبِرِهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَعَلَى هَذَا تَنَازَعُوا فِي كُفْرِ تَارِكِهِ لِكَوْنِهِ مِنَ الْحُجَجِ الْعِلْمِيَّةِ.

كَمَا تَكَلَّمُوا فِي كُفْرِ جَاحِدِ الْإِجْمَاعِ أَنَّ مَنْ رَدَّ الْخَبَرَ الصَّحِيحَ اعْتِقَادًا لِغَلَطِ النَّاقِلِ أَوْ كَذِبِهِ أَوْ لِاعْتِقَادِ الرَّادِّ أَنَّ الْمَعْصُومَ لَا يَقُولُ هَذَا، أَوْ لِاعْتِقَادِ نَسْخِهِ وَنَحْوِهِ، فَرَدَّهُ اجْتِهَادًا وَحِرْصًا عَلَى نَصْرِ الْحَقِّ، فَإِنَّهُ لَا يَكْفُرُ بِذَلِكَ وَلَا يَفْسُقُ فَقَدْ رَدَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْضَ أَخْبَارِ الْآحَادِ الصَّحِيحَةِ، كَمَا رَدَّ عُمَرُ حَدِيثَ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ فِي إِسْقَاطِ نَفَقَةِ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا، وَكَمَا رَدَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدِيثَ ابْنِ عُمَرَ فِي تَعْذِيبِ الْمَيِّتِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. ا. هـ المراد بتصرف

وقال ابن القيم : وَمِمَّا يُبَيِّنُ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ يُفِيدُ الْعِلْمَ أَدِلَّةٌ كَثِيرَةٌ:

أَحَدُهَا: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا أَخْبَرَهُمُ الْوَاحِدُ وَهُمْ بِقِبَاءٍ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ أَنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ إِلَى الْكَعْبَةِ قَبِلُوا خَبَرَهُ وَتَرَكُوا الْحُجَّةَ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا وَاسْتَدَارُوا إِلَى الْقِبْلَةِ، وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ شُكِرُوا عَلَى ذَلِكَ وَكَانُوا عَلَى أَمْرٍ مَقْطُوعٍ بِهِ مِنَ الْقِبْلَةِ الْأُولَى، فَلَوْلَا حُصُولُ الْعِلْمِ لَهُمْ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ لَمْ يَتْرُكُوا الْمَقْطُوعَ بِهِ الْمَعْلُومَ لِخَبَرٍ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ، وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِيهِ أَنَّهُ خَبَرٌ اقْتَرَنَتْهُ قَرِينَةٌ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقُولُ: لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ بِقَرِينَةٍ وَلَا غَيْرِهَا، وَهَذَا فِي غَايَةِ الْمُكَابَرَةِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَرِينَةَ تَلَقِّي الْأُمَّةِ لَهُ بِالْقَبُولِ وَرِوَايَتِهِ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ مِنْ أَقْوَى الْقَرَائِنِ وَأَظْهَرِهَا فَأَيُّ قَرِينَةٍ فَرَضْتَهَا كَانَتْ تِلْكَ أَقْوَى مِنْهَا.

الدَّلِيلُ الثَّانِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} وَفِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى (فَتَثَبَّتُوا)

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى الْجَزْمِ بِقَبُولِ خَبَرِ الْوَاحِدِ أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّثْبِيتِ، وَلَوْ كَانَ خَبَرُهُ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ لَأَمَرَ بِالتَّثَبُّتِ حَتَّى يَحْصُلَ الْعِلْمُ وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ وَأَئِمَّةَ الْإِسْلَامِ لَمْ يَزَالُوا يَقُولُونَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَفَعَلَ كَذَا، وَأَمَرَ بِكَذَا وَنَهَى عَنْ كَذَا، وَهَذَا مَعْلُومٌ فِي كَلَامِهِمْ بِالضَّرُورَةِ.

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ وَكَثِيرٌ مِنْ أَحَادِيثِ الصَّحَابَةِ يَقُولُ فِيهَا أَحَدُهُمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا سَمِعَهُ مِنْ صَحَابِيٍّ غَيْرِهِ، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ مِنَ الْعَاقِلِ وَجَزْمٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا نَسَبَهُ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَلَوْ كَانَ خَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ لَكَانَ شَاهِدًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

الدَّلِيلُ الثَّالِثُ: إِنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ لَمْ يَزَالُوا يَقُولُونَ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ جَزْمٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ قَالَهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُمْ مَا قَالَهُ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ إِنَّ الْمُرَادَ بِالصِّحَّةِ صِحَّةُ السَّنَدِ لَا صِحَّةُ الْمَتْنِ، بَلْ هَذَا مُرَادُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَحَادِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ وَإِنَّ مَا كَانَ مُرَادُهُمْ صِحَّةَ الْإِضَافَةِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ قَالَ كَمَا كَانُوا يَجْزِمُونَ بِقَوْلِهِمْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ وَنَهَى وَفَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَيْثُ كَانَ يَقَعُ لَهُمُ الْوَهْمُ فِي ذَلِكَ يَقُولُونَ يُذْكَرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيُرْوَى عَنْهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ، وَمَنْ لَهُ خِبْرَةٌ بِالْحَدِيثِ يُفَرِّقُ بَيْنَ قَوْلِ أَحَدِهِمْ هَذَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، فَالْأَوَّلُ جَزْمٌ بِصِحَّةِ نِسْبَتِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالثَّانِي شَهَادَةٌ بِصِحَّةِ سَنَدِهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِيهِ عِلَّةٌ أَوْ شُذُوذٌ فَيَكُونُ سَنَدُهُ صَحِيحًا وَلَا يَحْكُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ فِي نَفْسِهِ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} وَالطَّائِفَةُ تَقَعُ عَلَى الْوَاحِدِ فَمَا فَوْقَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الطَّائِفَةَ تُنْذِرُ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ وَالْإِنْذَارُ: الْإِعْلَامُ بِمَا يُفِيدُ الْعِلْمَ، وَقَوْلُهُ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ نَظِيرُ قَوْلِهِمْ فِي آيَاتِهِ الْمَتْلُوَّةِ وَالْمَشْهُودَةِ {لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ، {لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ} ، {لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} وَهُوَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَذْكُرُ ذَلِكَ فِيمَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ لَا فِيمَا لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ.

الدَّلِيلُ الْخَامِسُ: قَوْلُهُ: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} أَيْ لَا تَتَّبِعْهُ وَلَا تَعْمَلْ بِهِ، وَلَمْ يَزَلِ الْمُسْلِمُونَ مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ يَقْفُونَ أَخْبَارَ الْآحَادِ وَيَعْمَلُونَ بِهَا وَيُثْبِتُونَ لِلَّهِ تَعَالَى بِهَا الصِّفَاتِ، فَلَوْ كَانَتْ لَا تُفِيدُ عِلْمًا لَكَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ وَأَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُمْ قَدْ قَفَوْا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ.

الدَّلِيلُ السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} فَأَمَرَ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الذِّكْرِ وَهُمْ أُولُو الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَخْبَارَهُمْ تُفِيدُ الْعِلْمَ لَمْ يَأْمُرْ بِسُؤَالِ مَنْ لَا يُفِيدُ خَبَرُهُ عِلْمًا، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقُلْ سَلُوا عَدَدَ التَّوَاتُرِ بَلْ أَمَرَ بِسُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ مُطْلَقًا، فَلَوْ كَانَ وَاحِدٌ لَكَانَ سُؤَالُهُ وَجَوَابُهُ كَافِيًا.

الدَّلِيلُ السَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} وَقَالَ: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ بَلِّغُوا عَنِّي ]

وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ فِي الْجَمْعِ الْأَعْظَمِ يَوْمَ عَرَفَةَ [ أَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي فَمَاذَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ ]

قَالُوا: " نَشْهَدُ أَنَّكَ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ» "

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْبَلَاغَ هُوَ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْمُبَلَّغِ وَيَحْصُلُ بِهِ الْعِلْمُ، فَلَوْ كَانَ خَبَرُ الْوَاحِدِ لَا يَحْصُلُ بِهِ الْعِلْمُ لَمْ يَقَعْ بِهِ التَّبْلِيغُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ، فَإِنَّ الْحُجَّةَ إِنَّمَا تَقُومُ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الْعِلْمُ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُ الْوَاحِدَ مِنْ أَصْحَابِهِ يُبَلِّغُ عَنْهُ فَتَقُومُ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ بَلَّغَهُ، وَكَذَلِكَ قَامَتْ حُجَّتُهُ عَلَيْنَا بِمَا بَلَّغَنَا الْعُدُولُ الثِّقَاتُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَسُنَّتِهِ، وَلَوْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ لَمْ تَقُمْ عَلَيْنَا بِذَلِكَ حُجَّةٌ، وَلَا عَلَى مَنْ بَلَّغَهُ وَاحِدٌ أَوِ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ أَوْ دُونَ عَدَدِ التَّوَاتُرِ، وَهَذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ.

فَيَلْزَمُ مَنْ قَالَ: إِنَّ أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ أَحَدُ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُبَلِّغْ غَيْرَ الْقُرْآنِ وَمَا رَوَاهُ عَنْهُ عَدَدُ التَّوَاتُرِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ لَمْ تَقُمْ بِهِ حَجَّةٌ وَلَا تَبْلِيغٌ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْحُجَّةَ وَالْبَلَاغَ حَاصِلَانِ بِمَا لَا يُوجِبُ عِلْمًا وَلَا يَقْتَضِي عَمَلًا، وَإِذَا بَطَلَ هَذَانِ الْأَمْرَانِ بَطَلَ الْقَوْلُ بِأَنَّ أَخْبَارَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ الْعُدُولُ الْحُفَّاظُ وَتَلَقَّتْهَا الْأُمَّةُ بِالْقَبُولِ لَا تُفِيدُ عِلْمًا، وَهَذَا ظَاهِرٌ لَا خَفَاءَ بِهِ.

الدَّلِيلُ الثَّامِنُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}

وَقَوْلُهُ: {وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} وَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ عُدُولًا خِيَارًا يَشْهَدُوا عَلَى النَّاسِ بِأَنَّ رُسُلَهُمْ قَدْ بَلَّغُوهُمْ عَنِ اللَّهِ رِسَالَتَهُ وَأَدَّوْا عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، وَهَذَا يَتَنَاوَلُ شَهَادَتَهُمْ عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَشَهَادَتَهُمْ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَهُمْ بِكَذَا وَنَهَاهُمْ عَنْ كَذَا، فَهُمْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ رَسُولَ اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِهِمْ مِنَ اللَّهِ مَا تَقُومُ بِهِ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ، وَتَشْهَدُ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْوَسَطُ عَلَيْهِ بِأَنَّ حُجَّةَ اللَّهِ بِالرُّسُلِ قَامَتْ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ كُلُّ وَاحِدٍ بِانْفِرَادِهِ بِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي كَانَ بِهِ مِنْ أَهْلِ الشَّهَادَةِ، فَلَوْ كَانَتْ أَحَادِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُفِيدُ الْعِلْمَ لَمْ يَشْهَدْ بِهِ الشَّاهِدُ وَلَمْ تَقُمْ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى الْمَشْهُودِ عَلَيْهِ.

الدَّلِيلُ التَّاسِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ الَّتِي رَوَاهَا الثِّقَاتُ الْحُفَّاظُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَّا أَنْ تَكُونَ حَقًّا أَوْ بَاطِلًا أَوْ مَشْكُوكًا فِيهَا، لَا يُدْرَى هَلْ هِيَ حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، فَإِنْ كَانَتْ بَاطِلًا أَوْ مَشْكُوكًا فِيهَا وَجَبَ اطِّرَاحُهَا وَأَنْ لَا يُلْتَفَتَ إِلَيْهَا وَهَذَا انْسِلَاخٌ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَإِنْ كَانَتْ حَقًّا فَيَجِبُ الشَّهَادَةُ بِهَا عَلَى الْبَتِّ أَنَّهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ الشَّاهِدُ بِذَلِكَ شَاهِدًا بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُ صِحَّةَ الْمَشْهُودِ بِهِ .

الدَّلِيلُ الْعَاشِرُ: قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مِثْلِهَا [ فَاشْهَدُوا ]

أَشَارَ إِلَى الشَّمْسِ وَلَمْ يَزَلِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ الْحَدِيثِ يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ قَالَ كَذَا وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ وَفَعَلَهُ لَمَّا بَلَّغَهُمْ إِيَّاهُ الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالثَّلَاثَةُ

فَيَقُولُونَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا، وَحَرَّمَ كَذَا وَأَبَاحَ كَذَا، وَهَذِهِ شَهَادَةٌ جَازِمَةٌ يَعْلَمُونَ أَنَّ الْمَشْهُودَ بِهِ كَالشَّمْسِ فِي الْوُضُوحِ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ الْتِفَاتٌ إِلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعْتِنَاءٌ بِهَا يَشْهَدُ شَهَادَةً جَازِمَةً أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ عِيَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ يَدْخُلُونَ النَّارَ ثُمَّ يَخْرُجُونَ مِنْهَا بِالشَّفَاعَةِ وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَتَكْلِيمَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، وَأَنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْتَقَ، إِلَى أَضْعَافِ أَضْعَافِ ذَلِكَ، بَلْ يَشْهَدُ بِكُلِّ خَبَرٍ صَحِيحٍ مُتَلَقًّى بِالْقَبُولِ لَمْ يُنْكِرْهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ شَهَادَةً لَا يَشُكُّ فِيهَا.

الدَّلِيلُ الْحَادِيَ عَشَرَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ لِإِفَادَةِ أَخْبَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعِلْمَ يَشْهَدُونَ شَهَادَةً جَازِمَةً قَاطِعَةً عَلَى أَئِمَّتِهِمْ بِمَذَاهِبِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا، وَلَوْ قِيلَ إِنَّهَا لَمْ تَصِحَّ عَنْهُمْ لَأَنْكَرُوا ذَلِكَ غَايَةَ الْإِنْكَارِ، وَتَعَجَّبُوا مِنْ جَهْلِ قَائِلِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ تِلْكَ الْمَذَاهِبَ لَمْ يَرْوِهَا عَنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ وَالِاثْنَانِ وَالثَّلَاثَةُ وَنَحْوُهُمْ، وَلَمْ يَرْوِهَا عَنْهُمْ عَدَدُ التَّوَاتُرِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ يَقِينًا.

فَكَيْفَ يَحْصُلُ لَهُمُ الْعِلْمُ الضَّرُورِيُّ وَالْمُقَارِبُ لِلضَّرُورِيِّ بِأَنَّ أَئِمَّتَهُمْ وَمَنْ قَلَّدُوهُمْ دِينَهُمْ أَفْتَوْا بِكَذَا وَذَهَبُوا إِلَى كَذَا، وَلَمْ يَحْصُلْ لَهُمْ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا بِمَا رَوَاهُ عَنْهُمُ التَّابِعُونَ وَشَاعَ فِي الْأُمَّةِ وَذَاعَ، وَتَعَدَّدَتْ طُرُقُهُ وَتَنَوَّعَتْ، وَكَانَ حِرْصُهُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ بِكَثِيرٍ مِنْ حِرْصِ أُولَئِكَ عَلَى أَقْوَالِ مَتْبُوعِيهِمْ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَجَبُ الْعُجَابُ.

وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَفْسُهُ دَلِيلًا يَلْزَمُهُمْ أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَقُولُوا أَخْبَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفَتَاوَاهُ وَأَقْضِيَتُهُ تُفِيدُ الْعِلْمَ، وَإِمَّا أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِصِحَّةِ شَيْءٍ مِمَّا نُقِلَ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ وَأَنَّ النُّقُولَ عَنْهُمْ لَا تُفِيدُ عِلْمًا، وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مُفِيدًا لِلْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ عَنْ أَئِمَّتِهِمْ دُونَ الْمَنْقُولِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِنْ أَبْيَنِ الْبَاطِلِ.

الدَّلِيلُ الثَّانِيَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ هَذَا أَمْرٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ بَلَغَتْهُ دَعْوَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَدَعْوَتُهُ نَوْعَانِ:

مُوَاجَهَةٌ وَنَوْعٌ بِوَاسِطَةِ الْمُبَلِّغِ

وَهُوَ مَأْمُورٌ بِإِجَابَةِ الدَّعْوَتَيْنِ فِي الْحَالَتَيْنِ، وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ حَيَاتَهُ فِي تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالِاسْتِجَابَةِ لَهَا وَمِنَ الْمُمْتَنِعِ أَنْ يَأْمُرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِجَابَةِ لِمَا لَا يُفِيدُ عِلْمًا مَا أَوْ يُحْيِيَهُ بِمَا لَا يُفِيدُ عِلْمًا أَوْ يَتَوَعَّدَهُ عَلَى تَرْكِ الِاسْتِجَابَةِ لِمَا لَا يُفِيدُ عِلْمًا بِأَنَّهُ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ عَاقَبَهُ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ.

الدَّلِيلُ الثَّالِثَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} وَهَذَا يَعُمُّ كُلَّ مُخَالِفٍ بَلَغَهُ أَمْرُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَوْ كَانَ مَا بَلَغَهُ لَمْ يُفِدْهُ عِلْمًا لَمَا كَانَ مُتَعَرِّضًا بِمُخَالَفَةِ مَا لَا يُفِيدُ عِلْمًا لِلْفِتْنَةِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ، فَإِنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ الَّتِي لَا يَبْقَى مَعَهَا لِمُخَالِفِ أَمْرِهِ عُذْرٌ.

الدَّلِيلُ الرَّابِعَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} إِلَى قَوْلِهِ: {وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يَرُدَّ مَا تَنَازَعَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ هُوَ الرَّدُّ إِلَى كِتَابِهِ وَالرَّدُّ إِلَى رَسُولِهِ هُوَ الرَّدُّ إِلَيْهِ فِي حَيَاتِهِ وَإِلَى سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَلَوْلَا أَنَّ الْمَرْدُودَ إِلَيْهِ يُفِيدُ الْعِلْمَ وَفَصْلَ النِّزَاعِ لَمْ يَكُنْ فِي الرَّدِّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ، إِذْ كَيْفَ يَرُدُّ حُكْمَ الْمُتَنَازَعِ فِيهِ إِلَى مَا لَا يُفِيدُ عِلْمًا الْبَتَّةَ وَلَا يَدْرِى حَقٌّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ؟

وَهَذَا بُرْهَانٌ قَاطِعٌ بِحَمْدِ اللَّهِ، فَلِهَذَا قَالَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ أَخْبَارَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تُفِيدُ عِلْمًا، إِنَّا نَرُدُّ مَا تَنَازَعْنَا فِيهِ إِلَى الْعُقُولِ وَالْآرَاءِ وَالْأَقْيِسَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعِلْمَ.

الدَّلِيلُ الْخَامِسَ عَشَرَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ} إِلَى قَوْلِهِ: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ كُلَّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَهُوَ ذِكْرٌ مِنَ اللَّهِ أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَقَدْ تَكَفَّلَ سُبْحَانَهُ بِحِفْظِهِ، فَلَوْ جَازَ عَلَى حُكْمِهِ الْكَذِبُ وَالْغَلَطُ وَالسَّهْوُ مِنَ الرُّوَاةِ، وَلَمْ يَقُمْ دَلِيلٌ عَلَى غَلَطِهِ وَسَهْوِ نَاقِلِهِ لَسَقَطَ حُكْمُ ضَمَانِ اللَّهِ وَكَفَالَتِهِ لِحِفْظِهِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَاطِلِ، وَنَحْنُ لَا نَدَّعِي عِصْمَةَ الرُّوَاةِ، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ الرَّاوِيَ إِذَا كَذَبَ أَوْ غَلِطَ أَوْ سَهَا فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَعْرِفُ كَذِبَهُ وَغَلَطَهُ لِيَتِمَّ حِفْظُهُ لِحُجَجِهِ وَأَدِلَّتِهِ، وَلَا تَلْتَبِسَ بِمَا لَيْسَ مِنْهَا، فَإِنَّهُ مِنْ حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ، بِخِلَافِ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ كُلُّ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْأَحْكَامِ الْمَنْقُولَةِ إِلَيْنَا آحَادًا كَذِبًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَايَتُهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَهُ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا، وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ.

الدَّلِيلُ السَّادِسَ عَشَرَ: مَا احْتَجَّ بِهِ الشَّافِعِيُّ نَفْسُهُ فَقَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ نَضَرَّ اللَّهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وَأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ، إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِلْمُسْلِمِينَ وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ ] .

قَالَ الشَّافِعِيُّ: فَلَمَّا نَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى اسْتِمَاعِ مَقَالَتِهِ وَحِفْظِهَا وَأَدَائِهَا أَمَرَ أَنْ يُؤَدِّيَهَا وَلَوْ وَاحِدٌ، دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَأْمُرُ مَنْ يُؤَدِّي عَنْهُ إِلَّا مَا تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ أَدَّى إِلَيْهِ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُؤَدَّى عَنْهُ حَلَالٌ يُؤْتَى، وَحَرَامٌ يُجْتَنَبُ وَحَدٌّ يُقَامُ، وَمَالٌ يُؤْخَذُ وَيُعْطَى، وَنَصِيحَةٌ فِي دِينٍ وَدُنْيَا، وَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ يَحْمِلُ الْفِقْهَ غَيْرُ الْفَقِيهِ يَكُونُ لَهُ حَافِظًا وَلَا يَكُونُ فِيهِ فَقِيهًا، وَأَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِمَّا يُحْتَجُّ بِهِ فِي إِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ لَازِمٌ. انْتَهَى.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ الْعَدْلِ لَوْ لَمْ يُفِدْ عِلْمًا لَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِمَّنْ أَدَّى إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ عَدَدِ التَّوَاتُرِ الَّذِي لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ إِلَّا بِخَبَرِهِمْ، وَلَمْ يَدْعُ لِلْحَامِلِ الْمُؤَدِّي وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا؛ لِأَنَّ مَا حَمَلَهُ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ، فَلَمْ يَفْعَلْ مَا يَسْتَحِقُّ الدُّعَاءَ وَحْدَهُ إِلَّا بِانْضِمَامِهِ إِلَى أَهْلِ التَّوَاتُرِ، وَهَذَا خِلَافُ مَا اقْتَضَاهُ الْحَدِيثُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا نَدَبَ إِلَى ذَلِكَ وَحَثَّ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لِتَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ أَدَّى إِلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حُجَّةٌ.

الدَّلِيلُ السَّابِعَ عَشَرَ: حَدِيثُ أَبِي رَافِعٍ الصَّحِيحُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ لَا أَلْفِيَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي يَقُولُ: لَا نَدْرِي مَا هَذَا، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْقُرْآنُ، أَلَا وَإِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ ] وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ هَذَا نَهْيٌ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ بَلَغَهُ حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُخَالِفَهُ أَوْ يَقُولَ لَا أَقْبَلُ إِلَّا الْقُرْآنَ، بَلْ هُوَ أَمْرٌ لَازِمٌ، وَفَرْضٌ حَتْمٌ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِ وَسُنَنِهِ، وَإِعْلَامٌ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ أَوْحَاهَا إِلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ تُفِدْ عِلْمًا لَقَالَ مَنْ بَلَغَتْهُ: إِنَّهَا أَخْبَارُ آحَادٍ لَا تُفِيدُ عِلْمًا فَلَا يَلْزَمُنِي قَبُولُ مَا لَا عِلْمَ لِي بِصِحَّتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُكَلِّفْنِي الْعِلْمَ بِمَا لَمْ أَعْلَمْ صِحَّتَهُ وَلَا اعْتِقَادَهُ، بَلْ هَذَا بِعَيْنِهِ هُوَ الَّذِي حَذَّرَ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ وَنَهَاهَا عَنْهُ، وَلَمَّا عَلِمَ أَنَّ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَقُولُهُ حَذَّرَهُمْ مِنْهُ، فَإِنَّ الْقَائِلَ إِنَّ أَخْبَارَهُ لَا تُفِيدُ الْعِلْمَ هَكَذَا يَقُولُ سِوَاهُ لَا نَدْرِي مَا هَذِهِ الْأَحَادِيثُ، وَكَانَ سَلَفُ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْقُرْآنُ وَخَلَفُهُمْ يَقُولُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَدِلَّةُ الْعُقُولِ، وَقَدْ صَرَّحُوا بِذَلِكَ وَقَالُوا: تُقَدَّمُ الْعُقُولُ عَلَى هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، آحَادِهَا وَمُتَوَاتِرِهَا، وَنُقَدِّمُ الْأَقْيِسَةَ عَلَيْهَا.

الدَّلِيلُ الثَّامِنَ عَشَرَ: مَا رَوَاهُ مَالِكٌ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ [كُنْتُ أَسْقِي أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَأَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ شَرَابًا مِنْ فَضِيخٍ فَجَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: قُمْ يَا أَنَسُ إِلَى هَذِهِ الْجِرَارِ فَاكْسِرْهَا فَقُمْتُ إِلَى مِهْرَاسٍ لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهَا حَتَّى كَسَرْتُهَا ]

وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ أَقْدَمَ عَلَى قَبُولِ خَبَرِ التَّحْرِيمِ حَيْثُ ثَبَتَ بِهِ التَّحْرِيمُ لَمَّا كَانَ حَلَالًا، وَهُوَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – شِفَاهًا، وَأَكَّدَ ذَلِكَ الْقَبُولَ بِإِتْلَافِ الْإِنَاءِ وَمَا فِيهِ، وَهُوَ مَالٌ، وَمَا كَانَ لِيُقْدِمَ عَلَى إِتْلَافِ الْمَالِ بِخَبَرِ مَنْ لَا يُفِيدُهُ خَبَرُهُ الْعِلْمَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَامَ خَبَرُ ذَلِكَ الْآتِي عِنْدَهُ وَعِنْدَ مَنْ مَعَهُ مَقَامَ السَّمَاعِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَيْثُ لَمْ يَشُكُّوا وَلَمْ يَرْتَابُوا فِي صِدْقِهِ، وَالْمُتَكَلِّفُونَ يَقُولُونَ إِنَّ مِثْلَ ذَلِكَ الْخَبَرِ لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ لَا بِقَرِينَةٍ وَلَا بِغَيْرِ قَرِينَةٍ.

الدَّلِيلُ التَّاسِعَ عَشَرَ: أَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ لَوْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ لَمْ يُثْبِتْ بِهِ الصَّحَابَةُ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ وَالْإِبَاحَةَ وَالْفُرُوضَ، وَيُجْعَلْ ذَلِكَ دِينًا يُدَانُ بِهِ فِي الْأَرْضِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، فَهَذَا الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زَادَ فِي الْفُرُوضِ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ فَرْضَ الْجَدَّةِ وَجَعَلَهُ شَرِيعَةً مُسْتَمِرَّةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِخَبَرِ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَالْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ فَقَطْ، وَجَعَلَ حُكْمَ ذَلِكَ الْخَبَرِ فِي إِثْبَاتِ هَذَا الْفَرْضِ حُكْمَ نَصِّ الْقُرْآنِ فِي إِثْبَاتِ فَرْضِ الْأُمِّ، ثُمَّ اتَّفَقَ الصَّحَابَةُ وَالْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُمْ عَلَى إِثْبَاتِهِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ

وَأَثْبَتَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِخَبَرِ حَمَلِ بْنِ مَالِكٍ دِيَةَ الْجَنِينِ وَجَعَلَهَا فَرْضًا لَازِمًا لِلْأُمَّةِ

وَأَثْبَتَ مِيرَاثَ الْمَرْأَةِ مِنْ دِيَةِ زَوْجِهَا بِخَبَرِ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ وَحْدَهُ، وَصَارَ ذَلِكَ شَرْعًا مُسْتَمِرًّا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

وَأَثْبَتَ شَرِيعَةً عَامَّةً فِي حَقِّ الْمَجُوسِ بِخَبَرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَحْدَهُ

وَأَثْبَتَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ شَرِيعَةً عَامَّةً فِي سُكْنَى الْمُتَوَفَّى عَنْهَا بِخَبَرِ فُرَيْعَةَ بِنْتِ مَالِكٍ وَحْدَهَا، وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ، بَلْ هُوَ إِجْمَاعٌ مَعْلُومٌ مِنْهُمْ، وَلَا يُقَالُ عَلَى هَذَا إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ بِخَبَرِ الْوَاحِدِ فِي الظَّنِّيَّاتِ وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ ذَلِكَ لِأَنَّا قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَى قَبُولِهِ وَالْعَمَلِ بِمُوجَبِهِ، وَلَوْ جَازَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا أَوْ غَلَطًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ لَكَانَتِ الْأُمَّةُ مُجْمِعَةً عَلَى قَبُولِ الْخَطَأِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَهَذَا قَدْحٌ فِي الدِّينِ وَالْأُمَّةِ.

الدَّلِيلُ الْعِشْرُونَ: أَنَّ الرُّسُلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ كَانُوا يَقْبَلُونَ خَبَرَ الْوَاحِدِ وَيَقْطَعُونَ بِمَضْمُونِهِ، فَقَبِلَهُ مُوسَى مِنَ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ قَائِلًا لَهُ: {إِنَّ الْمَلَأَ

يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} ، فَجَزَمَ بِخَبَرِهِ وَخَرَجَ هَارِبًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَقَبِلَ خَبَرَ بِنْتِ صَاحِبِ (مَدْيَنَ) لَمَّا قَالَتْ: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} وَقَبِلَ خَبَرَ أَبِيهَا فِي قَوْلِهِ: هَذِهِ ابْنَتِي وَتَزَوَّجَهَا بِخَبَرِهِ.

وَقَبِلَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ خَبَرَ الرَّسُولِ الَّذِي جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ وَقَالَ: {ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ} .

وَقَبِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ الْآحَادِ الَّذِينَ كَانُوا يُخْبِرُونَهُ بِنَقْضِ عَهْدِ الْمُعَاهِدِينَ لَهُ وَغَزَاهُمْ بِخَبَرِهِمْ، وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيَهُمْ، وَرُسُلُ اللَّهِ صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ لَمْ يُرَتِّبُوا عَلَى تِلْكَ الْأَخْبَارِ أَحْكَامَهَا، وَهُمْ يُجَوِّزُونَ أَنْ تَكُونَ كَذِبًا وَغَلَطًا، وَكَذَلِكَ الْأُمَّةُ لَمْ تُثْبِتِ الشَّرَائِعَ الْعَامَّةَ الْكُلِّيَّةَ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ، وَهُمْ يُجَوِّزُونَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، وَلَمْ يُخْبِرُوا عَنِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا وَخَطَأً فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، هَذَا مِمَّا يَقْطَعُ بِبُطْلَانِهِ كُلُّ عَالِمٍ مُسْتَبْصِرٍ.

الدَّلِيلُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ: أَنَّ خَبَرَ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ الْمُتَلَقَّى بِالْقَبُولِ لَوْ لَمْ يُفِدِ الْعِلْمَ لَمْ تَجُزِ الشَّهَادَةُ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِمَضْمُونِهِ، وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْمُتَيَقَّنِ أَنَّ الْأُمَّةَ مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ إِلَى الْآنَ لَمْ تَزَلْ تَشْهَدُ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ بِمَضْمُونِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ جَازِمِينَ بِالشَّهَادَةِ فِي تَصَانِيفِهِمْ وَخِطَابِهِمْ، فَيَقُولُونَ شَرَعَ اللَّهُ كَذَا وَكَذَا عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ لَمْ يَكُونُوا عَالِمِينَ بِصِدْقِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ جَازِمِينَ بِهَا لَكَانُوا قَدْ شَهِدُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَكَانَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ سَادَاتِ الْأُمَّةِ وَعُلَمَائِهَا.. ا.هـ المراد

من "الصواعق المرسلة" (2– 368) فما بعد

فتأمل يا أيها اللبيب كيف يخالف الشارح سنن السلف ويوافق الجهمية وفراخهم في أقوالهم –في عدة مسائل– دون حياء ، ومع ذلك هو إمام أشم محنة لأهل السنة ولا يطعن فيه إلا المبتدعة الغلاة (!!)

نسأل الله العافية من الخذلان ومن المحاماة عن الباطل وأهله.

والحاصل فإذا تبين هذا ظهر للمرء حال التفريعات الفاسدة التي يذكر الشارح عن أقرانه وأصحابه في هذه المسائل كقوله في الشرح [16-146] : وَلِلْأُصُولِيِّينَ الْمُتَأَخِّرِينَ خِلَافٌ فِي تَسْمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِ الْآحَادِ فَقَالَ بَعْضُ حُذَّاقِ الْأَشْعَرِيَّةِ يَجُوزُ لِأَنَّ خَبَرَ الْوَاحِدِ عِنْدَهُ يَقْتَضِي الْعَمَلَ ..

وَقَالَ بَعْضُ مُتَأَخِّرِيهِمْ يَمْنَعُ ذَلِكَ فَمَنْ أَجَازَ ذَلِكَ فَهِمَ مِنْ مَسَالِكِ الصَّحَابَةِ قَبُولَهُمْ ذَلِكَ فِي مِثْلِ هَذَا وَمَنْ مَنَعَ لَمْ يُسَلِّمْ ذَلِكَ

وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدَهُ إِجْمَاعٌ فِيهِ فَبَقِيَ عَلَى الْمَنْعِ .ا.هـ

## النووي وتأويل الصفات بزعم المجاز

قد دفع الشارح دلالة الكثير من النصوص الواردة في الصفات متأولاً لها بزعم أن إطلاقها هو من باب المجاز لا الحقيقة (!)

كما صنع عند حديث [مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ] فقال ( لَا يَجُوزُ أَنْ تُحْمَلَ هُنَا عَلَى الِاسْتِمَاعِ بِمَعْنَى الْإِصْغَاءِ فَإِنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بَلْ هُوَ مَجَازٌ )

وكذلك عند حديث [قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ] (سَبَقَ أَنَّ هَذَا مَجَازٌ وَاسْتِعَارَةٌ فَوَقَعَ التَّمْثِيلُ بحسب ما اعتادوه)

وكذلك عند حديث القرب من الداعين (حَاصِلُهُ أَنَّهُ مجاز) وتتبع هذا يطول

والمقصود أنه من هذا القول انطلق المعطلة والنفاة في تحريفهم لمعاني النصوص فصار هذا القول من أعظم طواغيتهم التي ضللوا بها الناس وأوقعوهم في المحدثات .

" فهذا الطَّاغُوتُ لَهِجَ بِهِ الْمُتَأَخِّرُونَ، وَالْتَجَأَ إِلَيْهِ الْمُعَطِّلُونَ، وَجَعَلُوهُ جُنَّةً يُتَرِّسُونَ بِهَا مِنْ سِهَامِ الرَّاشِقِينَ وَيَصُدُّونَ عَنْ حَقَائِقِ الْوَحْيِ الْمُبِينِ "

"وَالشَّرْعُ لَمْ يَرِدْ بِهَذَا التَّقْسِيمِ وَلَا دَلَّ عَلَيْهِ، وَلَا أَشَارَ إِلَيْهِ، وَأَهْلُ اللُّغَةِ لَمْ يُصَرِّحْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْعَرَبَ قَسَّمَتْ لُغَاتَهَا إِلَى

حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ وَلَا قَالَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ قَطُّ: هَذَا اللَّفْظُ حَقِيقَةٌ وَهَذَا مَجَازٌ، وَلَا وُجِدَ فِى كَلَامِ مَنْ نَقَلَ لُغَتَهُمْ عَنْهُمْ مُشَافَهَةً وَلَا بِوَاسِطَةٍ ذَلِكَ، وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ فِي كَلَامِ الْخَلِيلِ وَسِيبَوَيْهِ وَالْفَرَّاءِ وَأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ وَالْأَصْمَعِيّ وَأَمْثَالِهِمْ، كَمَا لَمْ يُوجَدْ ذَلِكَ فِي كَلَامِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ وَلَا تَابِعِ التَّابِعِينَ، وَلَا فِى كَلَامِ أَحَدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ. "

"فإذَا عُلِمَ أَنَّ تَقْسِيمَ الْأَلْفَاظِ إِلَى حَقِيقَةٍ وَمَجَازٍ لَيْسَ تَقْسِيمًا شَرْعِيًّا وَلَا عَقْلِيًّا وَلَا لُغَوِيًّا فَهُوَ اصْطِلَاحٌ مَحْضٌ، وَهُوَ اصْطِلَاحٌ حَدَثَ بَعْدَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمُفَضَّلَةِ بِالنَّصِّ، وَكَانَ مَنْشَؤُهُ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقَهُمْ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ."

ومن وجوه بيان فساد القول به " أَنَّ هَذَا إِنَّمَا يُمْكِنُ دَعْوَاهُ إِذَا ثَبَتَ أَنَّ قَوْمًا مِنَ الْعُقَلَاءِ اجْتَمَعُوا وَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يُسَمُّوا هَذَا بِكَذَا وَهَذَا بِكَذَا، ثُمَّ اسْتَعْمَلُوا تِلْكَ الْأَلْفَاظَ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا وَتَوَاطَئُوا عَلَى أَنْ يَسْتَعْمِلُوا تِلْكَ الْأَلْفَاظَ بِعَيْنِهَا فِي مَعَانٍ أُخَرَ غَيْرِ الْمَعَانِي الْأُوَلِ، لِعَلَاقَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا، وَقَالُوا: هَذِهِ الْأَلْفَاظُ حَقِيقَةٌ تِلْكَ الْمَعَانِي مَجَازٌ فِي هَذِهِ وَهَذِهِ، وَلَا نَعْرِفُ أَحَدًا مِنَ الْعُقَلَاءِ قَالَهُ قَبْلَ أَبِي هَاشِمٍ الْجُبَائِيِّ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللُّغَاتِ اصْطِلَاحِيَّةٌ، وَأَنَّ أَهْلَ اللُّغَةِ اصْطَلَحُوا عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا مُجَاهَرَةٌ بِالْكَذِبِ، وَقَوْلٌ بِلَا عِلْمٍ، وَالَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ اسْتِعْمَالُ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ فِي مَعَانِيهَا الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا."

ووجه آخر " أَنَّ هَذَا تَقْسِيمٌ فَاسِدٌ لَا يَنْضَبِطُ بِضَابِطٍ صَحِيحٍ ، وَلِهَذَا عَامَّةُ مَا يُسَمِّيهِ بَعْضُكُمْ مَجَازًا يُسَمِّيهِ غَيْرُهُ حَقِيقَةً، وَهَذَا يَدَّعِي أَنَّهُ اسْتُعْمِلَ فِيمَا لَمْ يُوضَعْ لَهُ، وَذَلِكَ يَدَّعِي أَنَّ هَذَا مَوْضُوعُهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ فَرْقٌ يَتَمَيَّزُ بِهِ أَحَدُ النَّوْعَيْنِ عَنِ الْآخَرِ"

ويقال أيضاً " أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي علم بني آدم الْبَيَانَ بِأَلْفَاظِهِمْ عَمَّا فِي أَنْفُسِهِمْ، فَعَلَّمَهُمُ الْمَعَانِيَ وَصَوَّرَهَا فِي نُفُوسِهِمْ، وَعَلَّمَهُمُ التَّعْبِيرَ عَنْهَا بِتِلْكَ الْأَلْفَاظِ .

كَمَا قَالَ تَعَالَى: {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ أَنْ يُبِينَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَأَقْدَرَهُ عَلَى ذَلِكَ، وَجَعَلَ بَيَانَهُ تَابِعًا لِتَصَوُّرِهِ وَاحْتِيَاجِهِ إلَى التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي نَفْسِهِ، وَذَلِكَ مِنْ لَوَازِمِ نَشْأَتِهِ وَتَمَامِ مَصْلَحَتِهِ، وَالْمَعَانِي الَّتِي يُدَّعَى أَنَّ اللَّفْظَ حَقِيقَةٌ فِيهَا أَوْ يَكُونُ مَعَهَا، وَحَاجَتُهُمْ إلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْجَمِيعِ سَوَاءٌ، فَكَيْفَ يُدَّعَى أَنَّ اللَّفْظَ وُضِعَ لِبَعْضِهَا دُونَ بَعْضٍ مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْجَمِيعِ ؛ هَذَا مَا يَأْبَاهُ الْعَقْلُ وَالْعَادَةُ "

## موقف الشارح من المبتدعة والابتداع في الدين

الحمد لله وحده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

أما بعد

فإن من أضر –إن لم يكن أضر– البلايا التي وقعت في هذه الأمة وفرقتهم شيعاً وأحزاباً ظهور البدع وانتشارها ، ولو علم الناس ما في الإحداث من مفاسد ومضار لما حك أحدنا رأسه إلا بأثر كما قال سفيان الثوري –رحمه الله تعالى– :

[ يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَحُكَّ رَأْسَهُ إِلَّا بِأَثَرٍ ] أخرجه الهروي في ذم الكلام

و يكفي في الإحداث مفسدة كونه يخرج العبد عن هدي خير الأنام عليه الصلاة والسلام وطريقه المستقيم إلى السبل

التي قال الله فيها {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ}

وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره من طريق العوفيين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قال في قَوْلُهُ {وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} قال [ لَا تَتَّبِعُوا الضَّلالاتِ ] .

وبسنده الثابت عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ، قال [ الْبِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ ]

وبالتالي بعد الإحداث يصير العبد مبعداً عن ربه بابتداعه ، كما قال أيوب السختياني– رحمه الله– [ ما ازداد صاحب بدعة اجتهادا إلا ازداد من الله بعدا ] .

أخرجه أبونعيم في حلية الأولياء

ولو لم يكن في البدع إلا إماتة السنن لكفى به مفسدة

فَقد جاء من طريق مَهْدِيّ، عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنه– قَالَ [ مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْ عَامٍ، إِلَّا أَحْدَثُوا فِيهِ بِدْعَةً، وَأَمَاتُوا فِيهِ سُنَّةً، حَتَّى تَحْيَا الْبِدَعَ ، وَتَمُوتَ السُّنَنُ ] أخرجه المروزي في السنة وابن وضاح في البدع .

وَفِي مراسيل خلاس [ لَا يُحْدِثُ رَجُلٌ بِدْعَةً إِلَّا تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا ] .

وَعَنْ عبدالله بن عمر –رضي الله عنهما– أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ [مَا أَحْدَثَتْ أُمَّةٌ فِي دِينِهَا بِدْعَةً إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ سُنَّةَ هُدًى، ثُمَّ لَا تَعُودُ فِيهِمْ أَبَدًا] . أخرجه المروزي في السنة

وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ [ مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللَّهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَمْ يُعِدْهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ] . أخرجه ابن وضاح

ولو لم يكن في الإحداث مفسدة الا الطعن في الشريعة والمبلغ –لزاماً– لكفى بها مفسدة ، فإن الْمُبْتَدِعُ إِنَّمَا مَحْصُولُ قَوْلِهِ بِلِسَانِ حَالِهِ أَوْ مَقَالِهِ: إِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمْ تَتِمَّ، وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهَا أَشْيَاءُ يَجِبُ أَوْ يُسْتَحَبُّ اسْتِدْرَاكُهَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مُعْتَقِدًا لِكَمَالِهَا وَتَمَامِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ لَمْ يَبْتَدِعْ، وَلَا اسْتَدْرَكَ عَلَيْهَا، وَقَائِلُ هَذَا ضَالٌّ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

قَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ [ مَنِ ابْتَدَعَ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةً يَرَاهَا حَسَنَةً، زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَانَ الرِّسَالَةَ، لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ، فَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا، فَلَا يَكُونُ الْيَوْمَ دِينًا ] .

ولم يكن في الابتداع مفسدة إلا اسوداد وجه صاحبها يوم القيامة لكفى بها مفسدة

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَشَدُّ عَلَى أَهْلِ الِاخْتِلَافِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}

قَالَ مَالِكٌ: فَأَيُّ كَلَامٍ أَبْيَنُ مِنْ هَذَا؟!

فَرَأَيْتُهُ يَتَأَوَّلُهَا لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ.

وَرَوَاهُ ابْنُ الْقَاسِمِ، وَزَادَ: قَالَ لِي مَالِكٌ: إِنَّمَا هَذِهِ الْآيَةُ لِأَهْلِ الْقِبْلَةِ.
وَمَا ذَكَرَهُ فِي الْآيَةِ قَدْ نُقِلَ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ
فقد جاء عَنْ قَتَادَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا} قال :
[ يَعْنِي أَهْلَ الْبِدَعِ ] .

وَأخرج اللالكائي بإسناده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} قَالَ [ تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ ] .

ولو لم يكن في الابتداع مفسدة إلا غشيان الذلة على صاحبها لكفى بها مفسدة
وقد ورد عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَأَبِي قِلَابَةَ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ قَالُوا [ كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ ذَلِيلٌ ]
وَاسْتَدَلُّوا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} .
وَخَرَّجَ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} ; يَقُولُ [ مَا قَدَّمُوا مِنْ خَيْرٍ وَآثَارَهُمُ الَّتِي أَوْرَثُوا النَّاسَ بَعْدَهُمْ مِنَ الضَّلَالَةِ ]

ولو لم يكن في الابتداع مفسدة إلا أن أصحابها أسرع الناس ردة لكفى بها مفسدة
فقد جاء عَنِ ابْنِ عَوْنٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ أَنَّهُ قَالَ [ إِنِّي أَرَى أَسْرَعَ النَّاسِ رِدَّةً، أَصْحَابَ الْأَهْوَاءِ]
قَالَ ابْنُ عَوْنٍ : وَكَانَ ابْنُ سِيرِينَ يَرَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}

ولو لم يكن في الابتداع مفسدة الا أن صاحبه ليس من أهل الرحمة بل هو من أهل الاختلاف لكفى بها مفسدة
قال الله تعالى {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}

قال مجاهد فِي الْمُخْتَلِفِينَ [ إِنَّهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ ] {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} قَالَ [ فَإِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ لَيْسَ فِيهِمُ اخْتِلَافٌ ].

وَعَنْ عِكْرِمَةَ {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} [ يَعْنِي فِي الْأَهْوَاءِ ] {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} [ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ ] .

ولأجل هذا وغيره أغلق النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب بأتم البيان فقال :

[كل بدعة ضلالة ]

قال ابن عثيمين :

إن قوله صلى الله عليه وسلم"كل بدعة": كلية عامة شاملة مسوَّرة بأقوى أدوات الشمول والعموم (كل).وقال:"فكل ما ادُّعي أنه بدعة حسنة،فالجواب عنه بهذا،وعلى هذا،فلا مدخل لأهل البدع في أن يجعلوا من بدعهم بدعة حسنة،وفي يدنا هذا السيف الصارم من رسول الله صلى الله عليه وسلم"كل بدعة ضلالة."

إن هذا السيف الصارم،إنما صنع في مصانع النبوة،وصاغه النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصياغة البليغة فلا يمكن لمن بيده مثل هذا السيف الصارم أن يقابله أحد ببدعة يقول إنها حسنة ،ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"كل بدعة ضلالة" . ا.هـ

[ الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع لابن عثيمين ص13 ]

ولهذا يقول عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– :[كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة ] .

فإذا علم هذا تبين عظيم جرم الشارح في قوله في شرحه [7–104] :

قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ] وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُحْدَثَاتُ الْبَاطِلَةُ وَالْبِدَعُ الْمَذْمُومَةُ

وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ هَذَا فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ وَذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ الْبِدَعَ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٌ وَمَنْدُوبَةٌ وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ وَمُبَاحَةٌ ا.هـ

وقد كذب الشارح في هذا ، وصدق النبي –صلى الله عليه وسلم– لما قال :
[ كل بدعة ضلالة ]

والأحاديث في هذا المعنى قائمة مشهورة فقد " روت عائشة –رضي الله عنها– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال [ من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد ]
رواه البخاري ومسلم
وفي رواية لمسلم [ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ]

وفي "صحيح مسلم" عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته [ أما بعد فأحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ]
وفي لفظ رواه النسائي بإسناد صحيح وزاد [ فكل بدعة في النار ]
وكان عمر رضي الله عنه يخطب بهذا الخطبة
وعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً ومرفوعاً أنه كان يقول [ إنما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد ألا وإياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها وإنَّ كل محدثة بدعة ]
وفي لفظ[ غير أنكم ستُحْدِثُون ويحْدِثُ لكم فكل محدثة ضلالة وكل ضلالة في النار ]
وهذا مشهور عن ابن مسعود وكان يخطب به كل خميس كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب به في الجمع

وقد رواه ابن ماجه وابن أبي عاصم بأسانيد جيدة إلى محمد بن جعفر بن أبي كثير عن موسى بن عقبة عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال [ إياكم ومحدثات الأمور فإن شر الأمور محدثاتها وأن كل محدثة بدعة وأن كل بدعة ضلالة ] وهذا إسناد جيد لكن المشهور أنه موقوف على ابن مسعود

وعن العرباض بن سارية قال: صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل: يا رسول الله ! كأن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا فقال [ أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ]
رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذي
وقال: حديث حسن صحيح

وفي لفظ [ تركتكم على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ] – وفيه –: [ عليكم بما عرفتم من سنتي ]

فهذه الأحاديث وغيرها تبيّن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حذر الأمة الأمور المحدثة وبين أنها ضلالة وأن مَنْ أحدث في أمر الدين ما ليس منه فهو مردود وهذه الجملة لا تنحصر دلائلها وكثرة وصايا السلف بمضمونها وكذلك الأدلة على لزوم طريقة الصحابة والتابعين لهم ومجانبة ما أحدث بعدهم مما يخالف طريقهم من الكتاب والسنة والآثار كثيرة جداً "
وعليه فليعلم أن " القول أن شر الأمور محدثاتها وأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار والتحذير من الأمور المحدثات [هو] نص رسول الله صلى الله عليه و سلم فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع ومن نازع في دلالته فهو مراغم "

" وأيضاً لا يجوز حمل قوله صلى الله عليه و سلم [كل بدعة ضلالة ] على البدعة التي نهى عنها بخصوصها **لأن هذا تعطيل لفائدة هذا الحديث** فإن ما نهى عنه من الكفر والفسوق وأنواع المعاصي قد علم بذلك النهي أنه قد أبيح محرم سواء كان بدعة أو لم يكن بدعة

فإذا كان لا منكر في الدين إلا ما نهى عنه بخصوصه سواء كان مفعولا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لم يكن وما نهى عنه فهو منكر سواء كان بدعة أو لم يكن صار وصف البدعة عديم التأثير لا يدل وجوده على القبح ولا عدمه على الحسن بل يكون قوله [كل بدعة ضلالة] بمنزلة قوله [كل عادة ضلالة] أو [كل ما عليه العرب والعجم فهو ضلالة]

ويراد بذلك أن ما نهى عنه من ذلك فهو الضلالة !!

**وهذا تعطيل للنصوص من نوع التحريف والإلحاد** ليس من نوع التأويل السائغ وفيه من المفاسد أشياء :

أحدها : سقوط الاعتماد على هذا الحديث فإن ما علم أنه منهي عنه بخصوصه فقد علم حكمه بذلك النهي وما لم يعلم فلا يندرج في هذا الحديث **فلا يبقى في هذا الحديث فائدة** مع كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب به في الجمع ويعده من جوامع الكلم

الثاني : أن لفظ البدعة ومعناها يكون اسما عديم التأثير فتعليق الحكم بهذا اللفظ أو المعنى تعليق له بما لا تأثير له كسائر الصفات العديمة التأثير

الثالث : أن الخطاب بمثل هذا إذا لم يقصد إلا الوصف الآخر وهو كونه منهيا عنه كتمان لما يجب بيانه وبيان لما يقصد ظاهره فإن البدعة والنهي الخاص بينهما عموم وخصوص إذ ليس كل بدعة جاء عنها نهي خاص وليس كل ما جاء فيه نهي خاص بدعة **فالتكلم بأحد الاسمين وإرادة الآخر تلبيس**

محض لا يسوغ للمتكلم إلا أن يكون مدلسا كما لو قال الأسود وعنى به الفرس أو الفرس وعنى به الأسود .

الرابع : أن قوله [كل بدعة ضلالة وإياكم ومحدثات الأمور] إذا أراد بهذا ما فيه نهي خاص كان قد أحالهم في معرفة المراد بهذا الحديث على مالا يكاد يحيط به أحد ولا يحيط بأكثره إلا خواص الأمة ومثل هذا لا يجوز بحال.

الخامس : أنه إذا أريد به ما فيه النهي الخاص كان ذلك أقل مما ليس فيه نهي خاص من البدع فإنك لو تأملت البدع التي نهى عنها بأعيانها وما لم ينه عنها بأعيانها وجدت هذا الضرب هو الأكثر واللفظ العام لا يجوز أن يراد به الصور القليلة أو النادرة .

فهذه الوجوه وغيرها توجب القطع بأن هذا التأويل فاسد لا يجوز حمل الحديث عليه سواء أراد المتأول أن يعضد التأويل بدليل صارف أو لم يعضده فإن على المتأول بيان جواز إرادة المعنى الذي حمل الحديث عليه من ذلك الحديث ثم بيان الدليل الصارف له إلى ذلك
وهذه الوجوه تمنع جواز إرادة هذا المعنى بالحديث "

السادس : ما ذكره صاحب الاعتصام فقال : فِي الْأُصُولِ الْعِلْمِيَّةِ أَنَّ كُلَّ قَاعِدَةٍ كُلِّيَّةٍ أَوْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ كُلِّيٍّ، إِذَا تَكَرَّرَتْ فِي مَوَاضِيعَ كَثِيرَةٍ، وَأُتِيَ بِهَا شَوَاهِدُ عَلَى مَعَانٍ أُصُولِيَّةٍ أَوْ فُرُوعِيَّةٍ، وَلَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا تَقْيِيدٌ وَلَا تَخْصِيصٌ، مَعَ تَكَرُّرِهَا وَإِعَادَةِ تَقَرُّرِهَا، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى بَقَائِهَا عَلَى مُقْتَضَى لَفْظِهَا مِنَ الْعُمُومِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى..}

السابع : " إِجْمَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ يَلِيهِمْ عَلَى ذَمِّهَا كَذَلِكَ، وَتَقْبِيحِهَا وَالْهُرُوبِ عَنْهَا وَعَمَّنِ اتَّسَمَ بِشَيْءٍ مِنْهَا، وَلَمْ يَقَعْ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ تَوَقُّفٌ وَلَا مَثْنَوِيَّةٌ، فَهُوَ بِحَسَبِ الِاسْتِقْرَاءِ إِجْمَاعٌ ثَابِتٌ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ لَيْسَتْ بِحَقٍّ، بَلْ هِيَ مِنَ الْبَاطِلِ" .

وقد أعاد الشارح تقريره هذا في موضع آخر وزاد عليه فساداً فوق فساده فقال في شرحه [6–154] :

قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ هَذَا عَامٌّ مَخْصُوصٌ وَالْمُرَادُ غَالِبُ الْبِدَعِ ..

قَالَ الْعُلَمَاءُ الْبِدْعَةُ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ وَاجِبَةٌ وَمَنْدُوبَةٌ وَمُحَرَّمَةٌ وَمَكْرُوهَةٌ وَمُبَاحَةٌ

فَمِنَ الْوَاجِبَةِ نَظْمُ أدلة المتكلمين لِلرَّدِّ عَلَى الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ وَشِبْهُ ذَلِكَ

وَمِنَ الْمَنْدُوبَةِ تَصْنِيفُ كُتُبِ الْعِلْمِ ..

وَمِنَ الْمُبَاحِ التَّبَسُّطُ فِي أَلْوَانِ الْأَطْعِمَةِ وَغَيْرُ ذَلِكَ

وَالْحَرَامُ وَالْمَكْرُوهُ ظَاهِرَانِ

وَقَدْ أَوْضَحْتُ الْمَسْأَلَةَ بِأَدِلَّتِهَا الْمَبْسُوطَةِ فِي تَهْذِيبِ الْأَسْمَاءِ وَاللُّغَاتِ فَإِذَا عُرِفَ مَا ذَكَرْتُهُ عُلِمَ أَنَّ الْحَدِيثَ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ

وَكَذَا مَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ

وَيُؤَيِّدُ مَا قُلْنَاهُ قَوْلُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فِي التَّرَاوِيحِ نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ

وَلَا يَمْنَعُ مِنْ كَوْنِ الْحَدِيثِ عَامًّا مَخْصُوصًا قَوْلُهُ كُلُّ بِدْعَةٍ مُؤَكَّدًا بِكُلٍّ بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيصُ مَعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ . ا.هـ

وجَعْلُ الشارح تعلم أدلة المتكلمين وهرائهم من البدع الواجبة (!)

كذب على الله وافتراء عليه

فإن تعلم الكلام للرد على أهل الكلام أو غيرهم بدعة منكرة بإجماع السلف ، يقول الله تعالى { وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ }

قال ابن القيم في الإعلام (1 – 38) :

قد حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات بل جعله في المرتبة العليا منها

فقال تعالى {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}

فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش

ثم ثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم

ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه

ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم

وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه

وقال تعالى {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم}

فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام ولما لم يحله هذا حلال

وهذا بيان منه سبحانه أنه لا يجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه

وقال بعض السلف: " ليتق أحدكم أن يقول أحل الله كذا وحرم كذا فيقول الله له كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا ". ا. هـ

وإليك بعض كلام الأئمة في بيان فساد هذا القول :

قال عبدالرحمن بن مهدي [ لعن الله عمراً فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام ولو كان الكلام علماً لتكلم فيه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم

**ولكنه باطل يدل على باطل ]**

**وسئل سفيان عن الكلام فقال :**
**[ دع الباطل أين أنت من الحق ؟ اتبع السنة ودع البدعة ]**

**وقال بعض السلف حين أدخل على المأمون : كلم بشرا المريسي ، فقال [ أصلح الله الخليفة لا أحسن كلامه ، والعالم بكلامه عندنا جاهل ]**

**وقال الشافعي رحمه الله تعالى :**
**[ لو علم الناس ما في الكلام والأهواء لفروا منه كما يفرون من الأسد ]**

**و قيل لعبدالرحمن بن مهدي إن فلانا قد صنف كتابا في السنة ردا على فلان فقال عبدالرحمن [ ردا بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه و سلم ]**
**قيل بكلام قال [ رد باطلا بباطل ]**

**وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى :**
**[ لا يفلح صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل ]**

**وقال بعض السلف [ ليس الدين بالكلام إنما الدين بالآثار ]**

**وقال المروذي سمعت أبا عبد اللَّه يقول :**
**[ من تعاطى الكلام لا يفلح ومن تعاطى الكلام لا يخلو من بدعة ]**

**وقال إبراهيم بن أدهم [ كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب ]**

**وقال مالك بن أنس [ إياكم والبدع ] قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟**

فقال [ أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، لا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون ]

وقال أبو الحارث: سألت أبا عبد الله فقلت : إن ههنا رجلا يناظر الجهمية ، ويبين خطأهم ، ويدقق عليهم المسائل فما ترى ؟

فقال [ لست أرى الكلام في شيء من هذه الأهواء ، ولا أرى لأحد أن يناظرهم ، أليس قال معاوية بن قرة : [ الخصومة تحبط الأعمال ]

والكلام الرديء لا يدعو إلى خير لا يفلح صاحب كلام ، تجنبوا أصحاب الجدال والكلام ، عليكم بالسنن ، وما كان عليه أهل العلم قبلكم ، فإنهم كانوا يكرهون الكلام ، والخوض في أهل البدع ، والجلوس معهم ، وإنما السلامة في ترك هذا ، لم نؤمر بالجدال ، والخصومات مع أهل الضلالة ، فإنه سلامة له منه ]

وقيل لبعض السلف الرجل يتعلم شيئا من الكلام ليرد به على أهل الجهل ؟

فقال [ الكلام كله جهل لا تتعلم الجهل فإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل ]

وأختم بما قاله البغوي في شرح السنة :

اتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات ، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه ا.هـ

وبهذا يتبين كذب ما أقره الشارح في آداب الفتوى حيث قال في ص **69** :

قَالَ الشَّيْخ أَبُو عَمْرو ابْن الصّلاح فَإِن كَانَت الْمَسْأَلَة مِمَّا يُؤمن فِي تَفْصِيل جوابها من ضَرَر الْخَوْض الْمَذْكُور جَازَ الْجَواب تَفْصِيلًا وَذَلِكَ بِأَن يكون جوابها مُخْتَصرا مفهوماً لَيْسَ لَهَا أَطْرَاف يتجاذبها المتنازعون وَالسُّؤَال عَنهُ صادر عَن مسترشد خَاص منقاد أَو من عَامَّة قَليلَة التَّنَازُع والمماراة ، والمفتي مِمَّن ينقادون لفتواه وَنَحْو هَذَا

وعَلى هَذَا وَنَحْوه يحمل مَا جَاءَ عَن بعض السّلف من بغض الْفَتْوَى فِي بعض الْمسَائِل الكلامية وَذَلِكَ مِنْهُم قَلِيل نَادِر وَالله أعلم ا.هـ

وهذا كذب على السلف ، بل السلف كرهوا الكلام لأنه [ باطل يدل على باطل ]

ولأنه جهل وليس علماً

ولأنه يقود إلى الخصومات و[ الخصومة تحبط الأعمال ]

ولأن [ الصحابة والتابعين لم يتكلموا فيه ] لفظاً ولا معنى فهو محدث

وأما احتجاج الشارح بأثر عمر وقوله [ نعمت البدعة ] على تقسيمه المحدث فيقال بادئ ذي بدء " صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ فِي رَمَضَانَ جَمَاعَةً فِي الْمَسْجِدِ، قَدْ قَامَ بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ خَلْفَهُ .

فَخَرَّجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ; قَالَ: «صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يَقُمْ بِنَا شَيْئًا مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى بَقِيَ سَبْعٌ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، فَلَمَّا كَانَتِ السَّادِسَةُ; لَمْ يَقُمْ بِنَا; فَلَمَّا كَانَتِ الْخَامِسَةُ; قَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ نَفَّلْتَنَا قِيَامَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ؟ قَالَ: فَقَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ "، قَالَ: فَلَمَّا كَانَتِ الرَّابِعَةُ; لَمْ يَقُمْ، فَلَمَّا كَانَتِ الثَّالِثَةُ جَمَعَ أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ وَالنَّاسَ فَقَامَ بِنَا حَتَّى خَشِينَا أَنْ يَفُوتَنَا الْفَلَاحُ، قَالَ: قُلْتُ: وَمَا الْفَلَاحُ؟ قَالَ: السَّحُورُ». ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا بَقِيَّةَ الشَّهْرِ.

وَنَحْوُهُ فِي التِّرْمِذِيِّ، وَقَالَ فِيهِ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

لَكِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَافَ افْتِرَاضَهُ عَلَى الْأُمَّةِ; أَمْسَكَ عَنْ ذَلِكَ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّى بِصَلَاتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى الْقَابِلَةَ، فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا اللَّيْلَةَ الثَّالِثَةَ أَوِ الرَّابِعَةَ; فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ; قَالَ: " قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، فَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَّا أَنِّي خَشِيتُ أَنْ يُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»، وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ.

وَخَرَّجَهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأِ.

فَتَأَمَّلُوا ; فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهَا سُنَّةً ; فَإِنَّ قِيَامَهُ أَوَّلًا بِهِمْ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ الْقِيَامِ فِي الْمَسْجِدِ جَمَاعَةً فِي رَمَضَانَ، وَامْتِنَاعَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْخُرُوجِ خَشْيَةَ الِافْتِرَاضِ لَا يَدُلُّ عَلَى امْتِنَاعِهِ مُطْلَقًا; لِأَنَّ زَمَانَهُ كَانَ زَمَانَ وَحْيٍ وَتَشْرِيعٍ، فَيُمْكِنُ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ إِذَا عَمِلَ بِهِ النَّاسُ بِالْإِلْزَامِ، فَلَمَّا زَالَتْ عِلَّةُ التَّشْرِيعِ بِمَوْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ; رَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى أَصْلِهِ، وَقَدْ ثَبَتَ الْجَوَازُ فَلَا نَاسِخَ لَهُ.

وَإِنَّمَا لَمْ يُقِمْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ قِيَامَ النَّاسِ آخِرَ اللَّيْلِ وَمَا هُمْ بِهِ عَلَيْهِ كَانَ أَفْضَلَ عِنْدَهُ مِنْ جَمْعِهِمْ عَلَى إِمَامٍ أَوَّلَ اللَّيْلِ، ذَكَرَهُ الطَّرْطُوشِيُّ، وَإِمَّا لِضِيقِ زَمَانِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّظَرِ فِي هَذِهِ الْفُرُوعِ، مَعَ شُغْلِهِ بِأَهْلِ الرِّدَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ آكَدُ مِنْ صَلَاةِ التَّرَاوِيحِ.

فَلَمَّا تَمَهَّدَ الْإِسْلَامُ فِي زَمَنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَرَأَى النَّاسَ فِي الْمَسْجِدِ أَوْزَاعًا كَمَا جَاءَ فِي الْخَبَرِ قَالَ [ لَوْ جُمِعَتِ النَّاسُ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ لَكَانَ أَمْثَلَ ] فَلَمَّا تَمَّ لَهُ ذَلِكَ; نَبَّهَ عَلَى أَنَّ قِيَامَهُمْ آخِرَ اللَّيْلِ أَفْضَلُ.

ثُمَّ اتَّفَقَ السَّلَفُ عَلَى صِحَّةِ ذَلِكَ وَإِقْرَارِهِ، وَالْأُمَّةُ لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ.

وَقَدْ نَصَّ الْأُصُولِيُّونَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ.

فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ سَمَّاهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِدْعَةً وَحَسَّنَهَا بِقَوْلِهِ: نِعْمَتِ الْبِدْعَةُ هَذِهِ، وَإِذَا ثَبَتَتْ بِدْعَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ فِي الشَّرْعِ; ثَبَتَ مُطْلَقُ الِاسْتِحْسَانِ فِي الْبِدَعِ.

فَالْجَوَابُ: إِنَّمَا سَمَّاهَا بِدْعَةً بِاعْتِبَارِ ظَاهِرِ الْحَالِ; مِنْ حَيْثُ تَرَكَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّفَقَ أَنْ لَمْ تَقَعْ فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَا أَنَّهَا بِدْعَةٌ فِي الْمَعْنَى .. وَعِنْدَ ذَلِكَ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى جَوَازِ الِابْتِدَاعِ بِالْمَعْنَى الْمُتَكَلَّمِ فِيهِ; لِأَنَّهُ نَوْعٌ مِنْ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ "

وأما ما ذكره الشارح من تصنيف الكتب

وذكر غيره أموراً منها بناء المدارس يقال أولاً جل ما يذكره هؤلاء المتكلمون " مِنْ قَبِيلِ الْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ، لَا مِنْ قَبِيلِ الْبِدْعَةِ الْمُحْدَثَةِ، وَالْمَصَالِحُ الْمُرْسَلَةُ قَدْ عَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، فَهِيَ مِنَ الْأُصُولِ الْفِقْهِيَّةِ الثَّابِتَةِ عِنْدَ أَهْلِ الْأُصُولِ"

والخلط بين البدعة والمصلحة المرسلة خلط قبيح.

وأما تصنيف الكتب التي مثل بها المصنف " فَالْأَمْرُ فِيهِ أَسْهَلُ، فَقَدْ ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ كِتَابَةُ الْعِلْمِ: فَفِي الصَّحِيحِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [ اكْتُبُوا لِأَبِي شَاهٍ ] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ[ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ حَدِيثًا مِنِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ وَكُنْتُ لَا أَكْتُبُ ] .

وَذَكَرَ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُتَّابٌ يَكْتُبُونَ لَهُ الْوَحْيَ وَغَيْرَهُ; مِنْهُمْ: عُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ، وَمُعَاوِيَةُ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَغَيْرُهُمْ.

وَأَيْضًا; فَإِنَّ الْكِتَابَةَ مِنْ قَبِيلِ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ إِذَا تَعَيَّنَ لِضَعْفِ الْحِفْظِ وَخَوْفِ انْدِرَاسِ الْعِلْمِ، كَمَا خِيفَ دُرُوسُهُ حِينَئِذٍ، وَهُوَ الَّذِي نَبَّهَ عَلَيْهِ اللَّخْمِيُّ فِيمَا تَقَدَّمَ. "

والخلاصة أن قول الشارح وتقسيمه " تَّقْسِيمَ مُخْتَرَعٌ، لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ، بَلْ هُوَ نَفْسُهُ مُتَدَافِعٌ; لِأَنَّ مِنْ حَقِيقَةِ الْبِدْعَةِ أَنْ لَا يَدُلَّ عَلَيْهَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ; لَا مِنْ نُصُوصِ الشَّرْعِ، وَلَا مِنْ قَوَاعِدِهِ. "

## موقف الشارح من تكفير أهل البدع

إن مما لانزاع فيه بين أهل السنة والجماعة أن البدع كلها شر وضلالة وأن أهلها ضلال مفسدون ، وهم في الوقت نفسه مجمعون على أن البدع تتفاوت في ضلالها وانحرافها فليست بدعة التجهم كبدعة الذكر الجماعي ونحو ذلك .

فالبدع تنقسم إلى قسمين : بدعة مكفرة وبدعة مفسقة

والمقصود أن من تأمل كلام السلف لم يشك لحظة في كونهم يفرقون بين البدع وان كان كل أصحابها يصدق عليهم اسم المبتدع

فمثلاً بدعة القول بخلق القرآن :

هذه بدعة مكفرة باتفاق السلف :

قال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ يَقُولُ [ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ والا ضربت عُنُقه ]

وقال عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ قَالَ سَأَلْتُ أَبِي عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوسَى لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ

قَالَ أَبِي [ تَكَلَّمَ تَبارَكَ وَتَعَالَى بِصَوْتٍ وَهَذِهِ أَحَادِيثُ نَرْوِيهَا كَمَا جَاءَتْ وَقَالَ أَبِي حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ يسمع لَهُ صَوت كمر سلسلة عَلَى الصَّفْوَانِ]

قَالَ أَبِي [ فَهَذَا الْجَهْمِيَّةُ تُنْكِرُهُ ]

وَقَالَ أَبِي [ وَهَؤُلاءِ كُفَّارٌ يُرِيدُونَ أَنْ يُمَوِّهُوا عَلَى النَّاسِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَهُوَ كَافِرٌ إِلا أَنَّا نَرْوِي هَذِهِ الأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَت ]

وقال : سَمِعْتُ أَبَا مَعْمَرٍ الْهُذَلِيَّ يَقُولُ [ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الله لايتكلم وَلا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يَغْضَبُ وَلا يَرْضَى وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُمُوهُ عَلَى بِئْرٍ وَاقِفًا فَأَلْقُوهُ فِيهَا فَهَذَا دِينُ الله لأنهم كفار ]

وقال : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ قَالَ سَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ مَعْرُوفٍ يَقُولُ [ مَنْ زعم ان الله لايتكلم فَهُوَ يعبد الاصنام ]

وقال : حَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ الْعَطَّارِ قَالَ سَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ مُوسَى الْفَرْوِيَّ يَقُولُ سَمِعْتُ عبد الله بْنَ الْمَاجِشُونِ يَقُولُ [ مَنْ قَالَ الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ ]

وقال ابن بطة : أخبرني أبو صالح ، وحدثنا أبو حفص ، قالا : حدثنا محمد بن داود بن جعفر البصروي ، قال : حدثنا أبو بكر المروذي ، قال : سمعت أبا عبد الله ، يقول [ القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله واليوم الآخر ]

وقال : أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد الجابري ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن هارون قال : حدثني الساري محمد بن أحمد بصري ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن كبيشة أبو يحيى الوراق الكوفي ، قال : حدثنا سفيان أبو معاوية الأيلي ، قال : حدثني أحمد بن غسان ، قال : قلت لحمدويه : بأي شيء تعرف الزنادقة ؟

قال [ الزنادقة ضروب ، ولكن من رأيته يقول : إن الله لا يرى وأن القرآن مخلوق ، فهو زنديق ]

وقال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد ، قال : حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جابر بن عيسى ، قال : أخبرنا يحيى بن أبي كريمة الزمي ، قال :كنت عند عبد الله بن إدريس الأودي ، فأتاه رجل فقال : إن قوما يزعمون أن القرآن مخلوق ، قال : يهود هم ؟

قال : موحدون ، قال [ من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله مخلوق ، ومن زعم أن الله مخلوق فهو كافر ]

وقال : حدثنا أبو بكر أحمد بن السري ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي ، قال : حدثنا محمد بن عثمان الغنوي ، حدثنا عمر أبو حفص ، عن قيس بن الربيع ، قال : قال جعفر بن محمد [ من قال : القرآن مخلوق ، قتل ولم يستتب ]

وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا حمزة بن سعيد المروذي ، قال : سألت أبا بكر بن عياش ، قلت : يا أبا بكر قد بلغك ما كان

من أمر ابن علية في القرآن ، فما تقول فيه ؟ فقال : اسمع إلي ويلك [ من زعم لك أن القرآن مخلوق ، فهو عندنا كافر زنديق ، عدو الله ، لا تجالسه ولا تكلمه ]

وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن ميسرة ، قال : قال عبد الرحمن بن مهدي : [ لو كان الأمر إلي لقمت على الجسر ، فلا يمر بي أحد يقول : القرآن مخلوق إلا ضربت عنقه وألقيته ]

وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا العباس بن عبد العظيم ، أن محمد بن يحيى بن سعيد ، حدثه قال : سمعت معاذ بن معاذ ، يقول [ من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم ]

وقال : حدثنا أبو بكر محمد بن بكر ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا العباس بن عبد العظيم ، وأحمد بن سنان ، قالا : حدثنا شاذ بن يحيى ، قال : سمعت يزيد بن هارون ، يقول [ من قال : القرآن مخلوق ، فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق ]

وقال : حدثني أبو يوسف يعقوب بن يوسف ، قال : حدثنا أبو بكر بن فردة ، قال : حدثنا إسحاق بن يعقوب العطار ، قال : حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحراني ، قال : حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري ، قال : حدثنا يحيى بن خلف المقرئ ، بطرطوس ، وذكر أنه أتى عليه اثنتان وثمانون سنة ، وذكر أنه أتى المدينة سنة ست وستين ومائة ، فلقي مالك بن أنس وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله ما تقول فيمن يقول : القرآن مخلوق ؟ فقال [ كافر زنديق ، اقتلوه ]

وقال : حدثني أبو حفص عمر بن الحسن بن خلف ، قال : حدثنا أحمد بن حمدان العسكري ، قال : حدثنا محمد بن مجاهد ، قال : سمعت يزيد بن هارون ، يقول : [ من قال : القرآن مخلوق فهو كافر ، ومن لم يكفره فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ]

وقال: حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم الهاشمي ، قال : حدثنا حنبل بن إسحاق ، قال : حدثنا يحيى بن يوسف الزمي ، قال : سمعت عبد الله بن إدريس ، وجاءه رجل فقال : يا أبا محمد ما تقول في قوم يقولون : القرآن مخلوق ؟ فقال : [ أيهود ؟ ] قال : لا . قال : [ أنصارى ؟ ] قال : لا . قال : [ أمجوس ؟ ] ، قال : لا .

قال : [ فمن ؟ ] قال : من أهل الإسلام

قال [ معاذ الله أن يكون هؤلاء مسلمين منكرا له ، هذا كلام الزنادقة ، هذا كلام أهل الشرك ، والله ما أرادوا إلا أن يقولوا : إن الله مخلوق ]

وقال أخبرني أبو بكر محمد بن الحسين قال : حدثنا أبو بكر محمد بن هارون العسكري الفقيه ، قال : حدثنا محمد بن يوسف الطباع ، قال : سمعت رجلا سأل أحمد بن حنبل : أصلي خلف من يشرب المسكر ؟ قال : [ لا ] . قال : فأصلي خلف من يقول : القرآن مخلوق ؟

فقال [ سبحان الله أنهاك عن مسلم ، وتسألني عن كافر ؟ ]

وقال حدثنا أبو عبد الله بن مخلد ، قال : حدثنا أبو القاسم جعفر بن محمد الماوردي ، قال : سمعت سلام بن سالم الخزاعي ، يقول : سمعت عبد الله بن المبارك ، يقول [ من قال : القرآن مخلوق ، فقد طلقت منه امرأته ] . قال : فقلنا : وكيف تطلق امرأته ؟ قال [ لأنه إذا قال : القرآن مخلوق ، فقد كفر ، والمسلمة لا تكون تحت كافر ]

وقد نقل الإجماع على كفر القائلين بخلق القرآن غير واحد من الأئمة :

قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا [ أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم ... من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة . ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر .. ] ا.هـ المراد

وقال أبوالقاسم الطبراني : من قال القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم بلا اختلاف بين أهل العلم والسنة .. ا.هـ المراد

وقال ابن بطة –رحمه الله– في الإبانة الصغرى :
ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها ... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه –صلى الله عليه وسلم– إلى وقتنا هذا .. (وذكر أموراً حتى قال عن القرآن) .. من قال مخلوق
أو قال كلام الله ووقف أو شك
أو قال بلسانه وأضمره في نفسه فهو كافر بالله حلال الدم برئ من الله والله منه بريء
ومن شك في كفره ووقف عن تكفيره فهو كافر بقول الله {بل هو قرأن مجيد في لوح محفوظ } .. ا.هـ المراد

وقال عبدالغني المقدسي –رحه الله– في الاقتصاد : أجمع أئمة السلف، والمُقتدى بهم من الخلف على أنه غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر ا.هـ

وبهذا يتبين بطلان قول الشارح في المجموع (4–254) : قَالَ الْقَفَّالُ وَكَثِيرُونَ مِنْ الْأَصْحَابِ يَجُوزُ الِاقْتِدَاءُ بِمَنْ يَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ قَالَ صَاحِبُ الْعُدَّةِ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ
(قُلْتُ) وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْبَلُ شَهَادَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إلَّا الْخَطَّابِيَّةَ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ الشَّهَادَةَ بِالزُّورِ لِمُوَافِقِيهِمْ وَلَمْ يَزَلْ السَّلَفُ وَالْخَلَفُ يَرَوْنَ الصَّلَاةَ وَرَاءَ الْمُعْتَزِلَةِ وَنَحْوِهِمْ وَمُنَاكَحَتَهُمْ وَمُوَارَثَتُهُمْ وَإِجْرَاءَ سَائِرِ الْأَحْكَامِ عَلَيْهِمْ وَقَدْ تَأَوَّلَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ الْفَقِيهُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُحَقِّقِينَ مَا نُقِلَ عَنْ الشَّافِعِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ الْعُلَمَاءِ مِنْ تَكْفِيرِ الْقَائِلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ كُفْرَانُ النِّعْمَةِ لا كفران الْخُرُوجِ عَنْ الْمِلَّةِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ إجْرَاءِ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ عَلَيْهِمْ . ا.هـ

وهذا أيضاً كذب على السلف وتأويل سمج لكلام السلف
فأين كفران النعمة من قولهم عن القائل بخلق القرآن [ هُوَ يعبد الاصنام ]
وقولهم [ كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة ]
وقولهم [ طلقت منه امرأته .. المسلمة لا تكون تحت كافر ]
وقولهم [ كافر زنديق اقتلوه ]
وقولهم [ معاذ الله أن يكون هؤلاء مسلمين ]
وقولهم [ قتل ولم يستتب ]
بل قد أخرج اللالكائي بسنده عن أبي محمد سهل بن عبد الله قال [ من قال : القرآن مخلوق ؛ فهو كافر بالربوبية لا كافر بالنعمة ]
وتأويل هؤلاء النفاة لكلام الأئمة بهذه الطريقة ليس بمستغرب ممن يقدح في النصوص المستفيضة " قدحًا يشبه قدح الزنادقة المنافقين " كما قال ابن تيمية عن إمام هؤلاء الرازي ، فهم لا هيبة عندهم لنصوص الوحي فكيف بكلام هؤلاء العلماء
والحق أن السلف مجمعون على تكفير من قال بقول الشارح هذا :
1- قال أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، قال : سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا [ أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم ... من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرا ينقل عن الملة .
ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر ..] ا.هـ المراد

2- وقال حرب الكرماني –رحمه الله– في السنة التي حكى فيها ما أجمع عليها السلف كما قال في المقدمة : هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين بها، المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق، والحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها – فهو مبتدع خارج من الجماعة، زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق ... وكان من قولهم .. (ثم ذكر

أموراً حتى قال) : من زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ... ومن لم يكفر هؤلاء القوم والجهمية كلهم فهو مثلهم . ا.هـ المراد

3- وقال قوام السنة في الحجة : وَمن زعم أَن الْقُرْآن أَو بعضه، أَو شَيْئا من مَخْلُوق، فَلَا يشك فِيهِ عندنَا وَعند أهل الْعلم من أهل السّنة وَالْفضل وَالدّين أَنه كَافِر كفرا انْتقل بِهِ عَن الْملَّة ... وَمن شكّ فِي كفر من قَالَ: الْقُرْآن مَخْلُوق بعد علمه وَبعد أَن سمع من الْعلمَاء المرضيين ذَلِك فَهُوَ مثله . ا.هـ المراد

4- وقال ابن الحنبلي في الرسالة الواضحة : والجهمية –لعنهم الله– أصناف مختلفة
فمنهم من يقول القران ليس هو كلام الله ولا هو مخلوق
ومنهم من يقول .. وطائفة منهم تقول إنه حكاية عن ذلك القرآن
ومنهم من يقول ألفاظنا بالقرآن مخلوقة
ومنهم من يقول القرآن بألفاظنا مخلوق
ومنهم ... ومنهم من يقول لا يكفر هؤلاء بل يسكت عنهم
فهؤلاء الأصناف كلها هم الجهمية وهم كفار زنادقة حلال القتل ومن لم يكفر هؤلاء الأصناف كلها فهو كافر زنديق حلال القتل . ا.هـ

وعوداً إلى المراد وبعد ذكر بدعة من البدع المكفرة ، أقول :
وأما البدع المفسقة فكثيرة ، منها بدعة الإرجاء (= إخراج العمل عن مسمى الإيمان على وجه الخصوص) فهذه بدعة مفسقة وغير مكفرة عند جمهور أهل العلم .

والمقصود : أن الخلط بين البدع المكفرة وغير المكفرة أمر قبيح جداً فإذا علم هذا تبين مدى انحراف الشارح في قوله : الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَارَ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ ا.هـ

وقال : الْمَذْهَبَ الصَّحِيحَ الْمُخْتَارَ الَّذِي قَالَهُ الْأَكْثَرُونَ وَالْمُحَقِّقُونَ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يُكَفَّرُونَ كَسَائِرِ أَهْلِ الْبِدَعِ ا.هـ

وقوله في شرحه [7–160] :

وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيّ وَجَمَاهِيرِ أَصْحَابهِ الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْخَوَارِجَ لَا يَكْفُرُونَ وَكَذَلِكَ الْقَدَرِيَّةُ وَجَمَاهِيرُ المعتزلة وسائل أَهْلِ الْأَهْوَاءِ

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَقْبَلُ شَهَادَةَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ إِلَّا الْخَطَّابِيَّةَ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الرَّافِضَةِ يَشْهَدُونَ لِمُوَافِقِيهِمْ فِي الْمَذْهَبِ بِمُجَرَّدِ قَوْلِهِمْ فَرَدَّ شَهَادَتَهُمْ لِهَذَا لَا لِبِدْعَتِهِمْ والله أعلم ا.هـ

وهذا القول قول باطل لم يقله أحد من السلف أو علماء المسلمين

فإن المعتزلة يقولون بخلق القرآن ، وقد أجمع السلف على تكفير من قال بذلك بل أجمعوا على تكفير من لا يكفرهم وسبق نقل بعض إجماعاتهم ، وكذلك قد نص بعض الأئمة على تكفير الممثلة الذين يمثلون الله تعالى بالمخلوق

كما قال نعيم بن حماد [ من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر ]

وقال إسحاق بن راهويه [ من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم ]

وقال يزيد بن هارون [ الجهمية غلت ففرغت في غلوها إلى أن نفت ، وإن المشبهة غلت ففرغت في غلوها حتى مثلت ، فالجهمية يستتابون ، والمشبهة كذى ، رماهم بأمر عظيم ]

وكذلك كفر الأئمة من قال بقول جهم في الإيمان وهو القول المشهور عن الأشعري ونصره الباقلاني .

قال ابن تيمية في الإيمان : وَأَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ نَصَرَ قَوْلَ جَهْمٍ فِي " الْإِيمَانِ " .. وَهُوَ قَوْلُ لَمْ يَقُلْهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ بَلْ قَدْ كَفَّرَ أَحْمَد بْنُ حَنْبَلٍ وَوَكِيعٌ وَغَيْرُهُمَا مَنْ قَالَ بِقَوْلِ جَهْمٍ فِي الْإِيمَانِ الَّذِي نَصَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ . ا.هـ المراد

وقال : وَالْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي نَصَرَ قَوْلَ جَهْمٍ فِي " مَسْأَلَةِ الْإِيمَانِ " مُتَابَعَةً لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَكَذَلِكَ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ .. ا.هـ المراد

وكذلك نص الأئمة على تكفير القدرية النفاة منكروا العلم كما قال اللالكائي :

سياق ما روي من المأثور في كفر القدرية وقتلهم ، ومن رأى استتابتهم ، ومن لم ير

روي عن ابن عباس أن كلام القدرية كفر ..

وعن علي أنه قال لمن أنكر القدر فأقر به

فقال : والله لو قلت غير هذا لضربت الذي فيه عيناك

وعن ابن عباس ، وابن عمر معناه .

ومن التابعين عمر بن عبد العزيز ، ونافع بن مالك عم مالك الفقيه يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا

وعن سعيد بن جبير : القدرية يهود ، وعن الشعبي : القدرية نصارى . وحكى المازني عن الشافعي أنه كفرهم .

وعن إبراهيم بن طهمان : القدرية كفار .

وعن أحمد بن حنبل مثل قول مالك .

وأما من أقر بالعلم وزعم خلق العباد لأفعالهم فهؤلاء مبتدعة ضلال .

قال ابن تيمية في نقد مراتب الإجماع :

أما اتفاق السلف وأهل السنة والجماعة على أن الله وحده خالق كل شيءٍ فهذا حق، ولكنهم لم يتفقوا على كفر من خالف ذلك:

فإن القدرية الذين يقولون: إن أفعال الحيوان لم يخلقها الله أكثر من أن يمكنَ ذكرهم، من حين ظهرت القدرية في أواخر عصر الصحابة إلى هذا التاريخ، والمعتزلة كلهم قدرية، وكثير من الشيعة، بل عامة الشيعة المتأخرين، وكثير من المرجئة والخوارج .. نُسبوا إلى ذلك، منهم طائفة من رجال الصحيحين، **ولم يجمعوا على تكفير هؤلاء**، بل هو نفسه قد ذكر في أول كتابه: أنه لا يكفر هؤلاء. ا.هـ

وقول ابن تيمية (هو نفسه) يريد ابن حزم صاحب المحلى

وهو جهمي مشؤوم كما قال عنه ابن عبدالهادي : جهمي جلد

وقد عده ابن تيمية في طبقة المريسي من النفاة حيث قال في الدرء :

فإن قيل قلت إن أكثر أئمة **النفاة من الجهمية والمعتزلة** كانوا قليلي المعرفة بما جاء عن الرسول واقوال السلف في تفسير القرآن وأصول الدين وما بلغوه عن الرسول ففي النفاة كثير ممن له معرفة بذلك ؟

قيل هؤلاء أنواع نوع ليس لهم خبرة بالعقليات بل هم يأخذون ما قاله النفاة عن الحكم والدليل ويعتقدونها براهين قطعية وليس لهم قوة على الاستقلال بها بل هم في الحقيقة مقلدون فيها .. وهذه حال مثل أبي حاتم البستي .. وأمثالهم

والثاني من يسلك في العقليات مسلك الاجتهاد ويغلط فيها كما غلط غيره فيشارك الجهمية في بعض أصولهم الفاسدة مع أنه لا يكون له من الخبرة بكلام السلف والأئمة في هذا الباب ما كان لأئمة السنة وإن كان يعرف متون الصحيحين وغيرهما

**وهذه حال أبي محمد ابن حزم** وأبي الوليد الباجي والقاضي أبي بكر بن العربي وأمثالهم **ومن هذا النوع بشر المريسي** ومحمد بن شجاع الثلجي وأمثالهما . ا.هـ المراد

## توقير الشارح لأهل البدع

بادئ ذي بدء ليعلم أن أهل السنة أجمعوا " على القول بقهر أهل البدع، وإذلالهم وإخزائهم وابعادهم واقصائهم، والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله عز وجل بمجانبتهم ومهاجرتهم "كما قال الصابوني

وهم مع ذلك يعدون الموقر لأهل البدع هادماً للدين فالذي يثني على المبتدعة ويطلق عليهم ألقاب التوقير ك (الإمام) و (حجة الإسلام) و (شيخ الإسلام) إلى غير ذلك من الأوصاف المعدلة ، هذا يعد هادماً للدين وداعياً لبدع هؤلاء الممدوحين والموقرين

أخرج الهروي وغيره من طريق خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ مَنْ مَشى إِلَى بِدْعَةٍ لِيُوَقِّرَهُ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ ]

وفي شعب الإيمان للبيهقي من مراسيل إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْسَرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: [ مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ ]

وأخرج الآجري من طريق هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [ من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ]

وقد حسنه الدويش

وهذا الوجه, الصواب فيه الإرسال، وجاء من حديث ابن عباس وفيه رجل متروك كما ورد من حديث أبي سعيد ومعاذ وهي "كلها غريبة "كما قال الهرويّ الأنصاريّ، والصواب في هذا الوقف على بعض السلف والأثر مشهور عن الفضيل –رحمه الله تعالى–، وعليه إجماع أهل الحديث .

وأخرج أبو نصر السجزي في كتاب الإبانة (كما في اللآلئ للسيوطي) بإسناده عن نافع عن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال :

[ من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ]

وبإسناده عن عبيد الله بن أبي زيادة قال رآني ابن عباس وأنا أكلم رجلا من القدرية فقال
[ من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ]
قلت يا أبا العباس كيف يوقره؟ قال [ تكنيه وتبدؤه بالسلام ]

وفي ذم الكلام عن ابن عيينة قَالَ :
[ بَلَغَنِي أَنَّ مَنْ وَقَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ ]

وفي القدر للفريابي عن أبي إسحاق الهمداني مثله وهو ثابت عنه
ومثله عن الاوزاعي في ذم الكلام
وفي بحر الدم قال أحمد بن الفرات: سمعت أحمد بن حنبل يقول:
[ من دل على صاحب رأي، فقد أعان على هدم الاسلام ]

قال الشاطبي في الاعتصام (1 – 151):
وَأَمَّا أَنَّ الْمَاشِي إِلَى الْمُبْتَدِعِ وَالْمُوَقِّرُ لَهُ مُعِينٌ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ: فَقَدْ تَقَدَّمَ نَقْلُهُ.
وَرُوِيَ أَيْضًا مَرْفُوعًا: «مَنْ أَتَى صَاحِبَ بِدْعَةٍ لِيُوَقِّرَهُ، فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ».
وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ».
وَيُجَامِعُهَا فِي الْمَعْنَى مَا صَحَّ مِنْ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.» الْحَدِيثَ.
فَإِنَّ الْإِيوَاءَ يُجَامِعُ التَّوْقِيرَ، وَوَجْهُ ذَلِكَ ظَاهِرٌ لِأَنَّ الْمَشْيَ إِلَيْهِ وَالتَّوْقِيرَ لَهُ تَعْظِيمٌ لَهُ لِأَجْلِ بِدْعَتِهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الشَّرْعَ يَأْمُرُ بِزَجْرِهِ وَإِهَانَتِهِ وَإِذْلَالِهِ بِمَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا، كَالضَّرْبِ وَالْقَتْلِ، فَصَارَ تَوْقِيرُهُ صُدُودًا عَنِ الْعَمَلِ بِشَرْعِ الْإِسْلَامِ، وَإِقْبَالًا عَلَى مَا يُضَادُّهُ وَيُنَافِيهِ، وَالْإِسْلَامُ لَا يَنْهَدِمُ إِلَّا بِتَرْكِ الْعَمَلِ بِهِ، وَالْعَمَلِ بِمَا يُنَافِيهِ.

وَأَيْضًا فَإِنَّ تَوْقِيرَ صَاحِبِ الْبِدْعَةِ مَظِنَّةٌ لِمَفْسَدَتَيْنِ تَعُودَانِ عَلَى الْإِسْلَامِ بِالْهَدْمِ:
إِحْدَاهُمَا: الْتِفَاتُ الْجُهَّالِ وَالْعَامَّةِ إِلَى ذَلِكَ التَّوْقِيرِ، فَيَعْتَقِدُونَ فِي الْمُبْتَدِعِ أَنَّهُ أَفْضَلُ النَّاسِ، وَأَنَّ مَا هُوَ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِمَّا عَلَيْهِ غَيْرُهُ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى اتِّبَاعِهِ عَلَى بِدْعَتِهِ; دُونَ اتِّبَاعِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى سُنَّتِهِمْ.
وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ إِذَا وُقِّرَ مِنْ أَجْلِ بِدْعَتِهِ; صَارَ ذَلِكَ كَالْحَادِي الْمُحَرِّضِ لَهُ عَلَى إِنْشَاءِ الِابْتِدَاعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، فَتَحْيَا الْبِدَعُ، وَتَمُوتُ السُّنَنُ، وَهُوَ هَدْمُ الْإِسْلَامِ بِعَيْنِهِ.
وَعَلَى ذَلِكَ دَلَّ حَدِيثُ مُعَاذٍ: " «فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لَهُمْ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟ مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ» ".فَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ السُّنَنَ تَمُوتُ إِذَا أُحْيِيَتِ الْبِدَعُ، وَإِذَا مَاتَتْ [السُّنَنُ] ; انْهَدَمَ الْإِسْلَامُ.
وَعَلَى ذَلِكَ دَلَّ النَّقْلُ عَنِ السَّلَفِ; زِيَادَةً إِلَى صِحَّةِ الِاعْتِبَارِ، لِأَنَّ الْبَاطِلَ إِذَا عُمِلَ بِهِ لَزِمَ تَرْكُ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ كَمَا فِي الْعَكْسِ، لِأَنَّ الْمَحَلَّ الْوَاحِدَ لَا يَشْتَغِلُ إِلَّا بِأَحَدِ الضِّدَّيْنِ.
وَأَيْضًا; فَمِنَ السُّنَّةِ الثَّابِتَةِ تَرْكُ الْبِدَعِ، فَمَنْ عَمِلَ بِبِدْعَةٍ وَاحِدَةٍ; فَقَدْ تَرَكَ تِلْكَ السُّنَّةَ.
ا. هـ المراد

وتأمل كيف عد ابن كثير عمران بن حطان من دعاة الخروج
لمدحه لخارجي واحد (!) حيث قال في الباعث (ص100):
وهذا البخاري قد خرج لعمران بن حطان الخارجي مادح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي، وهذا من أكبر الدعاة إلى البدعة! ا.هـ

فإذا تبين هذا ظهر الغش المبين والهدم لدين المسلمين من قبل الشارح حيث قال عن الباقلاني : ا لْإِمَـا مُ أَبُو بَكْرِ بْنُ الْبَاقِلَّانِيّ ا.هـ
والباقلاني جهمي مرجئ ضال
ينفي الحرف والصوت
ويأول صفة المحبة والرضا والغضب والسخط على طريقة الجهمية

ويقول أن أفعال الله تعالى غير معللة

وأنه لا فرق بين آية النبي وخارقة الساحر إلا بالتحدي

وأن الإيمان هو التصديق

وله قول في غاية النكارة نقله عنه ابن حزم في الفصل حيث قال :

اختلف الناس في هل تعصى الأنبياء عليهم السلام أم لا ؟

فذهبت طائفة إلى أن رسل الله صلى الله عليهم وسلم يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمداً حاشى الكذب في التبليغ فقط وهذا قول الكرامية من المرجئة وقول ابن الطيب الباقلاني من الأشعرية ومن اتبعه وهو قول اليهود والنصارى وسمعت من يحكي عن بعض الكرامية أنهم يجوزون على الرسل عليهم السلام الكذب في البتليغ أيضاً

وأما هذا الباقلاني فانا رأينا في كتاب صاحبه أبي جعفر السمناني قاضي الموصل أنه كان يقول أن كل ذنب دق أو جل فإنه جائز على الرسل حاشى الكذب في التبليغ فقط قال وجائز عليهم أن يكفروا

قال وإذا نهى النبي عليه السلام عن شيء ثم فعله فليس ذلك دليلاً على أن ذلك النهي قد نسخ لأنه قد يفعله عاصياً لله عز وجل قال وليس لأصحابه أن ينكروا ذلك عليه وجوز أن يكون في أمة محمد عليه السلام من هو أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام مذ بعث إلى أن مات.

قال ابن حزم : وهذا كله كفر مجرد وشرك محض وردة عن الإسلام قاطعة للولاية مبيحة دم من دان بها وما له موجبة للبراءة منه في الدنيا ويوم يقوم الإشهاد . ا.هـ المراد

وقد كان أهل علماء السنة –رحمهم الله– يشددون النكير على هذا الضليل ، بل يشددون النكير على من يقرب منه

قال سعد بن علي العجلي : سمعت عدة من المشايخ والأئمة ببغداد؛ أظن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أحدهم؛ قالوا [كان أبو بكر الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقعاً خوفا من الشيخ أبي حامد الإسفراييني ]

وقال أبو بكر الزاذقاني [كنت في درس الشيخ أبي حامد الإسفرايني، وكان ينهي أصحابه عن الكلام، وعن الدخول على الباقلاني .. ]

وقال أبو إسماعيل الأنصاري : سمعت أحمد بن أبي رافع وخلقاً؛ يذكرون شدة أبي حامد – يعني الإسفرايني – على ابن الباقلاني، وأنا بلغت رسالة أبي سعد إلى ابنه سالم ببغداد [ إن كنت تريد أن ترجع إلى هراة؛ فلا تقرب الباقلاني ]

وقال السجزي: ثم بلي أهل السنة بعد هؤلاء؛ بقوم يدعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة، وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري.

وبعدهم: محمد بن أبي تريد بسجستان (يعني: الماتريدي)، وأبو عبدالله بن مجاهد بالبصرة. وفي وقتنا: أبو بكر بن الباقلاني ببغداد، وأبو إسحاق الإسفرائيني، وأبو بكر بن فورك بخراسان؛ فهؤلاء يردون على المعتزلة بعض أقاويلهم، ويردون على أهل الأثر أكثر مما ردوه على المعتزلة .. ا.هـ المراد

وقال الشارح أيضاً عن المازري : الْإِمَـامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازِرِيُّ ا.هـ

وهو مرجئ جبري صاحب تجهمات

ويكفيك في بيان حال المازري قول صنوه –السبكي– عنه كما في طبقات الشافعية الكبرى : كان مصمماً على مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه جليلها

وحقيرها وكبيرها وصغيرها لا يتعداها ويبدع من خالفه ولو في النزر اليسير والشيء الحقير . (!!) ا.هـ

وقال الشارح عن ابن عبدالسلام الملقب بالعز :
الشَّيْخُ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ ا.هـ

وهذا الرجل جهمي خبيث وصوفي رقاص أخزاه الله
ومن تجهماته قوله عن كلام الله : متكلم بكلام أزلي ليس بحرف ولا صوتا.هـ
قال الذهبي عنه : قال قطب الدين : كان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر والأشعار. يحضر السماع ويرقص
وقال ابن شاكر الكتبي : يحضر السماع ويرقص ويتواجد ا.هـ
ويكفينا قول ابن تيمية عن هذا الخبيث في المجموع : وَأَيْضًا فَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْجَهْمِيَّةِ الْكُلَّابِيَّةِ -كَصَاحِبِ هَذَا الْكَلَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ .. ا.هـ المراد
وقال : وَأَبُو مُحَمَّدٍ وَأَمْثَالُهُ قَدْ سَلَكُوا مَسْلَكَ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُبَيِّنْ الْحَقَّ فِي بَابِ التَّوْحِيدِ وَلَا بَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ بَلْ أَظْهَرَ لِلنَّاسِ خِلَافَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ: إمَّا كَتَمَهُ وَإِمَّا أَنَّهُ كَانَ غَيْرَ عَالِمٍ بِهِ ا.هـ

وقال الشارح عن الغزالي : الْإِمَامُ أَبُو حَامِدٍ الْغَزَالِيُّ ا.هـ
وقال عن الجويني : الْإِمَامُ أَبُو الْمَعَالِي إمَامُ الْحَرَمَيْنِ ا.هـ
وقال عن ابن عساكر : الامام الحافظ أبو القاسم الدمشقى المعروف بابن عساكرا.هـ

فالرجل يأمم الأشاعرة (=الجهمية الإناث) ويثني عليهم ويكثر من النقل عنهم والأخذ بأقاويلهم فلاشك أنه منهم

**وقد روي في الأثر [ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا رَضِيَ هَدْيَ الرَّجُلِ وَعَمَلَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ ]**
**وقال الأوزاعي –رحمه الله– [ من ستر عنا بدعته لم تخف علينا ألفته ]**
**فكيف إذا اجتمعا = ظهور البدعة والألفة ؟ !!**
**وذُكر عن سليمان بن داود عليه السلام أنه قال :**
**[ لا تحكموا على أحد بشيء ، حتى تنظروا من يخادن ]**

**وأخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناده عن ابن مسعود –رضي الله عنهما– قال :**
**[ إنما يماشي الرجل ويصاحب من يحبه ، ومن هو مثله ]**
**وفي رواية [ اعتبروا الرجل بمن يصاحب ، فإنما يصاحب من هو مثله ]**
**وفي رواية [ اعتبروا الناس بأخدانهم ، فإن الرجل لا يخادن إلا من يعجبه ]**

**وأخرج ابن بطة بإسناده عن محمد بن عبيد الله الغلابي قال [كان يقال ( يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة ) ]**

**وبسنده عن قتادة بن دعامة السدوسي أنه قال :**
**[ إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله ، وشكله ]**

**وبسنده عن الأعمش ، قال :**
**[كانوا لا يسألون عن الرجل ، بعد ثلاث : ممشاه ، ومدخله ، وألفه من الناس ]**

**وقال بعض السلف :**
**[ لا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالي صاحب بدعة إلا من النفاق ]**

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله ، يقول [ أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ، ولا يخالطهم ، ولا يأنس بهم ]

وخلاصة هذا الفصل : أن الرجل قد فتح باب الإحداث في الدين على مصراعيه بزعمه أن في الدين بدعة واجبة ومستحبة ... (!)

وقد خالف إجماع السلف في دعوته إلى تعلم الكلام المحدث

وقد نطق بالكفر لما زعم أن القول بخلق القرآن غير مكفر

وقد أعان على هدم الدين لما أخذ يثني على أئمة الضلال ويوقرهم

كما أبان لكل أعمى حقيقة مذهبه في ألفته لهؤلاء المتجهمة وفي نصرته في كثير من الأحيان لأقوالهم { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }

## هل النووي عالم (!) من علماء الحديث ؟ (!)

قال الشارح في شرحه [1-74] : واذا ثبت أنه روى متصلا ومرسلا فالعمل على أنه متصل هذا هو الصحيح الذى قاله الفقهاء وأصحاب الاصول

وجماعة من أهل الحديث ولا يضر كون الأكثرين رووه مرسلا فان الوصل زيادة من ثقة وهى مقبولة . ا.هـ

وقال في هذا المتعلق أيضاً : وأما اذا رواه بعض الثقات الضابطين متصلا وبعضهم مرسلا

أو بعضهم موقوفا وبعضهم مرفوعا

أو وصله هو أو رفعه فى وقت وأرسله أو وقفه فى وقت

فالصحيح الذى قاله المحققون من [أهل] الحديث وقاله الفقهاء وأصحاب الأصول

وصححه الخطيب البغدادى أن الحكم لمن وصله

أو رفعه سواء كان المخالف له مثله

أو أكثر وأحفظ لأنه زيادة ثقة وهى مقبولة ا.هـ

وزعم أن قوله هذا هو قول المحققين (!) حيث فقال :

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ هَذَا الشَّرْحِ أَنَّ الْحَدِيثَ إِذَا رُوِيَ مُتَّصِلًا وَمُرْسَلًا

فَالصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ (!) أَنَّهُ مَحْكُومٌ بِاتِّصَالِهِ لِأَنَّهَا زِيَادَةُ ثِقَةٍ

وَقَدْ عَرَّضَ الدَّارَقُطْنِيُّ بِتَضْعِيفِ هَذِهِ الرِّوَايَةِ

وَقَدْ سَبَقَ الْجَوَابُ عَنِ اعْتِرَاضِهِ الْآنَ وَفِي مَوَاضِعَ نَحْوَ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ ا.هـ

وخلاصة ما قرره الشارح هنا –وحقيقته– هو إلغاء باب كبير للعلل في علم الحديث ، و هذه الطريقة تسمى بطريقة الفقهاء !

وهي طريقة ظاهرية في النظر إلى الأسانيد المجردة ثم الحكم عليها بما يشابه العمليات الحسابية المحضة .

ويكفي في بطلانها كونها مخالفة لإجماع السلف من المحدثين الكبار والأئمة الفحول .

وقبل أن أنقل عن أهل العلم ما يؤكد هذا ، ليعلم أن الناس قد اختلفوا في التعامل مع الأحايث من ناحية تصحيحها وتعليللها على طريقتين ومنهجين :

الطريقة الأولى : طريقة المتقدمين من أئمة العلل وعلماء السلف

الطريقة الثانية : طريقة المتأخرين ممن ينسب إلى الفقه ومن وافقهم .

ولكل من المدرستين منهجية وطريقة مخالفة للأخرى ، فمن تقريرات المتأخرين –مثلاً– أن الحديث إذا اختلف في حكمه وصلاً وإرسالاً فالأخذ بالوصل مطلقاً لأنها زيادة ثقة

وإذا اختلف الحديث وقفاً ورفعاً فالحكم للرفع مطلقاً لأنها زيادة ثقة

وإذا زاد الثقة لفظةً فهي مقبولة مطلقاً

ومن طريقة هؤلاء التساهل الظاهر في التقوية بمجموع الطرق حتى قوى بعضهم المناكير والبواطيل لعدم إلتزامهم لطريقة السلف في هذا الباب

ومن طريقة هؤلاء أيضاً الجرأة على الأئمة المتقدمين والتحذلق عليهم برد أقوالهم – وبوقاحة– بزعم خلوها من الحجج ! وبحجة اتباع القواعد !

والمشكلة إنما هي –محصورة– في فهم هؤلاء لمناط الحكم عند الأئمة لما أعلوا هذا السند وظاهره الصحة وصححوا ذاك ، ولما مشوا هذا الرواي هنا

وردوه نفسه هناك ... ونحو ذلك

**بـيـنـمـا** أهل الحديث –حقاً– فكانوا يُعْمَلون القرائن وليست المسألة بمسألة حسابية عندهم كحال المتأخرين فإن عندهم أن رواية الثقة عن الثقة = صحيح مطلقاً وهذا ليس بمقبول عند أولئك بل تراهم يرجحون بين روايات الثقات نظراً إلى الكثرة أو اعتباراً للحفظ أو غير ذلك من المرجحات

**ومثال الأول** : قول البرديجي : (أحاديث) شعبة، عن قتادة، عن أنس عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كلها صحاح، وكذلك سعيد بن أبي عروبة، وهشام الدستوائي، إذا اتفق هؤلاء الثلاثة على الحديث فهو صحيح وإذا اختلفوا في حديث واحد، فإن القول فيه قول رجلين من الثلاثة . ا.هـ المراد

**ومثال الثاني** : قول يحيى بن سعيد القطان لما قيل له عن رواية لسفيان
يا أبا سعيد خالفه أربعة
قال من ؟ قال زائدة وأبو الأحوص وإسرائيل وشريك
فقال : لو كان أربعة آلاف أمثال هؤلاء كان سفيان أثبت منهم ا.هـ

والمقصود بيان مذهب هؤلاء وهؤلاء ، وقد ذكر هذه الحقيقة –أي اختلاف منهج المتقدمين عن المتأخرين– غير واحد من المعتنين بالحديث ولا أعرف أحداً من المنصفين المطلعين ينكر حقيقة وجود هذا التباين بين المنهجيتين .

يقول ابن دقيق العيد:

إن لكل من أئمة الفقه والحديث **طريقاً غير طريق الآخر** ، فإن الذي تقتضيه قواعد الأصول والفقه أن العمدة في تصحيح الحديث عدالة الراوي وجزمه بالراوية ، ونظرهم يميل إلى اعتبار التجويز الذي يمكن معه صدق الراوي وعدم غلطه ، فمتى حصل ذلك وجاز ألا يكون غلطاً وأمكن الجمع بين روايته ورواية من خالفه بوجه من الوجوه الجائزة لم يترك حديثه . فأما أهل الحديث فإنهم قد يروون الحديث من رواية الثقات العدول ثم تقوم لهم علل تمنعهم عن الحكم بصحته ا.هـ

ويقول العلائي : فهذا ( أي قبول زيادة الثقة ) كلام أئمة الأصول ( يريد من يسمى بالفقهاء) ممن وقفت عليه ، وأما أئمة الحديث فالمتقدمون منهم كيحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي ، ومن بعدهما كعلي بن المديني وأحمد بن حنبل ويحيى بن معين وهذا الطبقة ،وكذلك من بعدهم كالبخاري وأبي حاتم وأبي زرعة الرازيين ومسلم والنسائي والترمذي وأمثالهم ، ثم الدارقطني والخليلي ، كل هؤلاء يقتضي تصرفهم في الزيادة قبولاً ورداً الترجيح بالنسبة إلى ما يقوي عند الواحد منهم في كل حديث ،ولا يحكمون في المسألة بحكم كلي يعم جميع الأحاديث ،وهذا هو الحق والصواب كما سنبينه إن شاء الله تعالى ا.هـ

فهذا الأمر لا ينكره إلا جاحد للحقائق
أو جاهل لم ينظر في كتب الأئمة
ومن قارن ولو أدنى مقارنة بين أحكام المتقدمين المنبثقة من تلك المنهجية مع أحكام المتأخرين التي طفح فيها التساهل في التصحيح بناءاً على مسلكهم الذي انتهجوه وجد الأمر ظاهراً ما به من خفاء .

والمقصود : أن هذا القول –الذي نصره الشارح– قول محدث في علم العلم الحديث لم يقله أحد من السلف إنما هو من أقوال المتكلمين وتابعهم عليه بعض المنتسبين إلى الفقه .

قال ابن رجب في شرحه للعلل :

إن الخطيب تناقض، فذكر في كتاب الكفاية للناس مذاهب في اختلاف الرواة في إرسال الحديث ووصله، كلها لا تعرف عن أحد من متقدمي الحفاظ، إنما هي مأخوذة من كتب

الـمـتـكـلـمـيـن ثم إنه اختار الزيادة من الثقة تقبل مطلقاً كما نصره المتكلمون وكثير من الفقهاء . ا.هـ المراد

وقال ابن الصلاح : " الصحيح ما اتصل سنده بالعدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة " .

ثم بين أن هذا التعريف إنما هو على منهج أهل الحديث فقط دون من عداهم : " فهذا هو الحديث الذي يحكم له بالصحة بـلا خلاف بـيـن أهل الـحـديـث " ا.هـ

وقال ابن حجر في النزهة : المنقولُ عن أئمة الحديث المتقدمين: كعبد الرحمن بن مهدي، ويحيى القطانِ، وأحمدَ بنِ حنبل، ويحيى بن معين، وعليّ بن المدِيني، والبُخَارِيّ، وأبي زُرْعَة، وأبي حاتم، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم، اعتبارُ الترجيح فيما يتعلقُ بالزيادة وغيرها، ولا يُعْرَفُ عن أحدٍ منهم إطلاقُ قبولِ الزيادةِ. وأَعْجَبُ من ذلك إطلاقُ كثيرٍ مِن الشافعية القولَ بقبولِ زيادةِ الثقة، مع أن نَصَّ الشافعي يدل على غير ذلك، فإنه قال –في أثناء كلامه على ما يَعْتَبَرُ به حالُ الراوي في الضبط ما نصه–: ويكونَ إذا شَرِكَ أحداً مِن الحُفَّاظِ لم يخالِفْه، فإنْ خالفه فَوُجِد حديثُه أَنقصَ كان في ذلك دليلٌ على صحة مَخْرَجِ حديثه. ومتى خالف ما وَصفتُ أضَرّ ذلك بحديثه، انتهى كلامه، ومقتضاه أنه إذا خالف فوُجِد حديثُهُ أَزْيَدَ أَضرَّ ذلك بحديثه، فدل على أن زيادة العدل عنده لا يلزم قبولها مطلقاً، وإنما تُقْبَلُ من الحفاظ، فإنه اعْتَبَرَ أن يكون حديثُ هذا المخالف أنقصَ مِن حديث مَنْ خَالفه مِنَ الحُفّاظ، وجَعَلَ نقصانَ هذا الراوي مِن الحديث دليلاً على صحته؛ لأنه يدل على تحرّيه، وجَعَلَ ما عدا ذلك مضراً بحديثه؛ فدخلتْ فيه الزيادة؛ فلو كانت عنده مقبولةً مطلقاً لم تكن مضِرّةً بحديثِ صاحبها . ا.هـ

وقد ذكر مقبل الوادعي في تحقيقه للإلزامات والتتبع في المقدمة أقوال الأئمة في عدم إطلاق القول بقبول زيادة الثقة دائماً ثم ختم الفصل قائلاً : ومقصوده من هذا النقل عن أئمة الحديث أن يعلم أنه **لم يقل أحد من المحدثين بقبول زيادة الثقة مطلقاً** ... هذه بعض النصوص في هذا الموضع من كتب المصطلح وأما كتب العلل لو تتبع الإعلال بمتابعة الثقة لمن هو أوثق منه لكان مجلداً ... ا.هـ المراد

وليعلم أن المرء إنما ينبل في هذا العلم –علم الحديث–حال إدراكه وإتقانه لهذا الباب –الذي يريد هدمه المتأخرون– ومع احترامه واتباعه للمتقدمين يحصل المراد
وذلك لأن " هذا الفن أغمض أنواع الحديث وأدقها مسلكاً ، ولايقوم به إلا من منحه الله تعالى فهماً غائصاً واطلاعاً حاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ، ومعرفة ثاقبة ، ولهذا لم يتكلم فيه إلا أفراد أئمة هذا الشأن وحذاقهم ،وإليهم المرجع في ذلك ، لما جعل الله تعالى فيهم من معرفة ذلك والاطلاع على غوامضه ، دون غيرهم ممن يمارس ذلك . وقد تقصر عبارة المعلل منهم ، فلا يفصح بما استقر في نفسه من ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى ، كما في نقد الصيرفي سواء ، فمتى وجدنا حديثاً قد حكم إمام من الأئمة المرجوع إليهم بتعليله ، فالأولى اتباعه في ذلك "

فإن قيل أنت قد نقلت ما يبين الخلاف بين الطريقتين ولم تذكر حجةً في تقديم طريقة المتقدمين توجب الانقياد ؟
فيقال : لو لم يكن في تقديم طريقة المتقدمين على المتأخرين إلا كون منهجية المتأخرين منهجية محدثة لكفى بها حجة ، وأزيد هنا بذكر بعض الأوجه التي تزيد القلب طمأنينة زيادة على ما ذكر فأقول في وجوه ترجيح طريقة المتقدمين على المتأخرين :

**الوجه الأول : " التقدم ، فهذه اللفظة بمجردها تعني الكثير، فالمتأخرون خلف المتقدمين، والسلف أعلم وأحكم.**

**والمتقدمون أتقى لله ممن خَلَفهم، والتقوى سبب العلم، وما زال العلم في نقص.**

**قال الشاطبي : فأعمال المتقدمين في إصلاح دنياهم ودينهم على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن ا.هـ**

**الوجه الثاني : " الاطلاع على أصول الرواة : فإن أصول الراوي من أعظم الكواشف عن درجة ضبط الراوي فيما يُحدِّث من حفظه، وهي المرجع في التحقق من خطأ الراوي أو صدقه.**

**فإذا شك محدث في خطأ الراوي نظر في أصول مروياته، قال سليمان بن حرب:**

**"كان يحيى بن معين يقول: في الحديث هذا خطأ**

**فأقول: (كيف صوابه؟) فلا يدري، فأنظر في الأصل فأجده كما قال"**

**وسأل البرذعي أبا زرعة الرازي عن سويد بن سعيد وقال في سؤاله: ايش حاله؟ قال : أما كتبه فصحاح، وكنت أتتبع أصوله، وأكتب منها، فأما إذا حدث من حفظه فلا**

**وكان الراوي يأتي إلى الواحد من أئمة الجرح والتعديل، ويُطلعه على أصوله لينتقي ما صح من مروياته**

**قال ابن حجر : وروينا في مناقب البخاري بسند صحيح أن إسماعيل –يعني ابن أبي أويس– أخرج له –يعني البخاري– أصوله، وأذن له أن ينتقي منها، وأن يُعلِّم له على ما يحدث به ليحدث به ويعرض عما سواه**

**وكان الراوي إذا انتقد عليه أئمة الجرح والتعديل شيئًا من حديثه أخرج أصول مروياته ليدفع ما أُنكر عليه.**

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي نا حجاج بن محمد الترمذي عن ابن جريج قال أخبرني أبو جعفر محمد بن علي أن إبراهيم ابن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما مات حمل إلى قبره على منسج الفرس .

قال عبد الله: قال أبي: كان يحيى وعبد الرحمن أنكراه عليه، فأخرج إلينا كتابه الأصل قرطاس، فقال: ها أخبرني محمد بن علي

وأصول الرواة فُقدت، وضاع على المتأخرين باب كبير من أبواب التحقق من مرويات الراوي، ولذا تجد كثيرًا من الأحاديث أعلها المتقدمون وبرهانهم في ذلك أصل الراوي، وهو أعظم البراهين قوةً .

وهذا البخاري لما علل أحد الأحاديث معتمدًا على أصل الراوي قال:

"فهذا أصح لأن الكتاب أحفظ عند أهل العلم، لأن الرجل يحدث بشيء ثم يرجع إلى الكتاب فيكون كما في الكتاب"

وبعد ضياع الأصول فلا تكاد تقف على حديث أعله المتأخرون واستندوا فيه إلى أصول الرواة. ولذا أقر المتأخرون بصعوبة نقد الحديث عليهم مقارنة بالمتقدمين

فقال الذهبي "وهذا في زماننا يعسر نقده على المحدث، فإن أولئك الأئمة كالبخاري وأبي حاتم وأبي داود عاينوا الأصول، وعرفوا عللها، وأما نحن فطالت علينا الأسانيد، وفُقدت العبارات المتيقنة، وبمثل هذا ونحوه دخل الدَّخَلُ على الحاكم في تصرفه في (المستدرك)" ا.هـ

وقال المعلمي : واعلم أن المتقدمين كانوا يعتمدون على الحفظ، فكان النقاد يعتمدون في النقد عدالة الراوي، واستقامة حديثه، فمن ظهرت عدالته وكان حديثه مستقيمًا وثقوه، ثم صاروا يعتمدون الكتابة عند السماع، فكان النقاد إذا استنكروا شيئًا من حديث الراوي طالبوه بالأصل، ثم بالغوا في الاعتماد على الكتابة وتقييد السماع، فشدد النقاد، فكان أكثرهم لا يسمعون من الشيخ حتى يشاهدوا أصله القديم الموثوق به، المقيد سماعه فيه، فإذا لم يكن للشيخ أصل لم يعتمدوا عليه، وربما صرح بعضهم بتضعيفه] " ا.هـ

الوجه الثالث : " **اتساع أسباب الحكم على الراوي عند المتقدمين، وضيقها عند المتأخرين** فالمتأخرون عيال على المتقدمين في الحكم على الراوي، فغاية ما يفعله المتأخر هو الاعتزاء إلى ما قاله المتقدمون في الراوي، فعنهم يأخذ وبحكمهم يحكم.

قال أبو بكر الحازمي في شأن عبدالرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد القطان –رحمهما الله– [ وهما إمامان عليهما مدار النقد في النقل، **ومن عندهما يُتلقى معظم شأن الحديث** ]

والمتقدمون أيضًا يُذاكرون الراوي في حديثه، ويشافهونه فيتبين لهم حاله، وهذا ما يُعرف بالمذاكرة ، وربما امتحنوا الراوي في أحاديثه مرة أخرى أو مرات، امتحانًا لجودة حفظ الراوي، ومذاكرة لتلك الأحاديث نفسها .

وكانوا أيضًا يعرضون حديث الراوي على أحاديث الثقات، لينظروا هل أحاديثه موافقة لأحاديثهم أو مخالفة لهم، ويحصل لهم بسبب ذلك العلم بمقدار ما أصاب فيه أو أخطأ من الأحاديث، ويُحصون ذلك إحصاءً، فترى أحدهم يذكر مذاكرته للراوي، وعدد الأحاديث التي ذاكره فيها، وعدد ما أخطأ فيه وأصاب.

فهذا المعيار والميزان لا يعرفه إلا أولئك، فلا أحد من المتأخرين يمكنه أن يزن راويًا بذلك الميزان، وذلك لأن المتقدم أدرك الرواة، والمتأخر إنما يأخذ بما آل إليه الميزان، فالخبر ليس كالمعاينة، فحساسية من قام بالوزن ليست كمن أُخبر بالوزن، فتأمل ذلك .

قال ابن حجر ( أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم، فإن ثناءهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نُقل إليهم، **وبين المقامين فرق ظاهر**، وليس العيان كالخبر )

وبسبب هذا المعيار الدقيق فإن المتقدم يعرف ما أخطأ فيه الثقة، ولولا ما حصل من مذاكرة المتقدم، وما يترتب عليها من كشف ما أخطأ فيه الثقة، لجاء المتأخر وحكم بقبول كل مروياته لأنه ثقة.

قال مسلم –رحمه الله– ( وقد يكون من ثقات المحدثين من يضعف روايته عن بعض رجاله الذين حمل عنهم )

وكذلك الضعيف عرف المتقدمون ما حفظه ووافق فيه الثقات، ولولا ذلك لجاء المتأخر، وحكم بضعف كل مروياته لأنه ضعيف

ولذلك روى البخاري في صحيحه لبعض من تُكلم فيه ممن تميز صحيح حديثه من سقيمه، ومن لم تتميز أحاديثه تركه

قال البخاري –رحمه الله– [ ابن أبي ليلى هو صدوق، ولا أروي عنه شيئًا، لأنه لا يُدرى صحيح حديثه من سقيمه، وكل من كان مثل هذا فلا أروي عنه شيئًا ]

وبهذا تعرف جناية البعض على أحاديث الصحيحين أو أحدهما، في رد الحديث المروي من طريق المتكلم فيه."

الوجه الرابع : "الشيوخ غير الشيوخ، والمذاكرة غير المذاكرة، والرحلة غير الرحلة فقد استفاد كثير من طلبة العلم معرفة علل الأحاديث من خلال إدمان القراءة في كتب العلل، وما كُتب من كتب المصطلح والتخريج لتقريب هذا العلم وتسهيل فهمه

وكان الناس فيما مضى يرحلون لطلب هذا العلم، ويذاكرون أئمة الشأن، ومهما اجتهد المتأخر في طلب هذه الأسباب كلها لتحصيل هذا العلم، فلن يبلغ شأو المتقدمين فشتان بين من يأخذ عن صاحب الصنعة، وبين من يأخذ عمن أخذ عنهم، وشتان بين من يأخذ عن صاحب الصنعة، وبين من اجتهد في تعلم الصنعة من خلال قراءة كتاب يرشد إلى الصنعة .

فإذا قارنت بين المتقدمين والمتأخرين فلا تغفل عن هذا، فالشيوخ غير الشيوخ، والمذاكرة غير المذاكرة، والرحلة غير الرحلة .

وهذا العلامة عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي أخذ علم الحديث مذ عقل، وفطمه والده بلبن الجرح والتعديل، وجرى علم العلل منه مجرى الدم، ثم مع هذا ذاكر أبا زرعة

الرازي، ولم يكتف بذلك حتى رحل وأدرك المشايخ الكبار، فمن يتهيأ له مثل ما تهيأ لعبدالرحمن ؟!

قال قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني: أخبرنا علي بن إبراهيم، قال: سمعت أبا بكر محمد بن عبدالله البغدادي بمكة يقول: كان من منّة الله على عبدالرحمن أنه ولد بين قماطر العلم والروايات، وتربى بالمذاكرات بين أبيه وأبي زرعة، فكانا يزقانه كما يزق الفرخ الصغير، ويعنيان به، فاجتمع له مع جوهر نفسه كثرة عنايتهما، ثم تمت النعمة برحلته مع أبيه، فأدرك الإسناد وثقات الشيوخ بالحجاز والعراق والشام والثغور، وسمع بأنبجانة حتى عرف الصحيح من السقيم، وترعرع في ذلك، ثم كانت رحلته الثانية بنفسه بعد تمكن معرفته، يُعرف له ذلك، ويُقدّم لحسن فهمه وديانته وقديم سلفه .

وكان الرجل منهم مع إمامته في العلم، لا ينفرد في الحكم على الحديث دون مشاورة واستئناس برأي الأكابر من فرسان علم العلل

قال أبو زرعة الدمشقي: حدثني أحمد بن أبي الحواري قال: حدثنا الوليد بن مسلم يقول: [سمعت الأوزاعي يقول:] «كنا نسمع الحديث، فنعرضه على أصحابنا، كما يُعرض الدرهم الزائف، فما عرفوا منه أخذنا، وما أنكروا تركنا ]

وإنما قصدت في ذكر هذه الوجوه التي قصر بها المتأخرون عن إدراك درجة المتقدمين في الإمامة في علم الحديث، حتى يؤم القوم أعلمهم بسنة المصطفى –صلى الله عليه وسلم - ، قال مسلم –رحمه الله– : واعلم رحمك الله أن صناعة الحديث، ومعرفة أسبابه من الصحيح والسقيم، إنما هي لأهل الحديث خاصة، لأنهم الحفاظ لروايات الناس، العارفين بها دون غيرهم .ا.هـ المراد [2]

---

[2] جميع هذه الأوجه مستفادة من أحد البحوث

" وبهذا التقرير يتبين عظم موقع كلام الأئمة المتقدمين وشدة فحصهم وقوة بحثهم وصحة نظرهم وتقدمهم بما يوجب المصير إلى تقليدهم في ذلك والتسليم لهم فيه "

فالأمر حينئذ كما قال ابن كثير في الباعث :

كلام هؤلاء الأئمة المنتصبين لهذا الشأن، **ينبغي أن يؤخذ مسلماً من غير ذكر أسباب**، وذلك للعلم بمعرفته، واطلاعهم واضطلاعهم في هذا الشأن، واتصافهم بالأنصاف والديانة والخبرة والنصح، لا سيما إذا أطبقوا على تضعيف الرجل، أو كونه متروكاً، أو كذاباً أو نحو ذلك.

فالمحدث الماهر لا يتخالجه في مثل هذا وقفة في موافقتهم، لصدقهم وأمانتهم ونصحهم.

ولهذا يقول الشافعي، في كثير من كلامه على الأحاديث: " لا يثبته أهل العلم بالحديث "، ويرده، ولا يحتج به، بمجرد ذلك. والله أعلم. ا.هـ

ومن نظر في كثير من أحكام المتأخرين وجد التباين ظاهراً مع أحكام أئمة السلف في الحديث ولأجل هذا يقول المعلمي في الأنوار الكاشفة :

وتحسين المتأخرين فيه نظر ا.هـ

ويقول أيضاً :

ومنهم من يحكي عن بعض المتأخرين كالسبكي وابن حجر وابن الهمام والسيوطي ونحوهم ، أنهم صححوا ذلك الحديث أو الأثر أو حسنوه ، ويكون جهابذة العلم من السلف قد ضعفوا ذلك الحديث أو حكموا بوضعه ، وهم أجل وأكمل من المتأخرين ، وإن كان بعض المتأخرين أولي علم وفضل وتبحر **ولكننا رأيناهم يتساهلون في التصحيح والتحسين** ، ويراعون فيهما بعض أصول الفن ، ويغفلون عما يعارضها من الأصول الأخرى ، وفوق ذلك أن السلف كانوا أبعد عن الهوى . ا.هـ

ومما ينبغي التنبيه عليه أيضاً أنه قد ظهر عند بعض المتأخرين العديد من الأقوال الفقهية الشاذة والتي كان السبب في ظهورها المخالفة المتكررة للمتقدمين في أحكامهم الحديثية ،

علماً بأن هؤلاء المومئ إليهم ليسوا على طريقة المتأخرين في نفي العلل الخفية ، والقول بقبول زيادة الثقة مطلقاً

ولكنهم في الوقت نفسه لا ينزلون الأئمة منزلتهم اللائقة بهم ، بل ولايعرفون طريقة الأئمة وكيفية نظرهم في الحديث لمعرفة العلة

وفي الوقت نفسه بلوا بالعجلة والتهور في رد أحكام المتقدمين دون تأني

بجانب سيرهم على بعض القواعد الخاطئة ، مع نقض –في بعض الأحيان– لإجماعات الأئمة في الحكم على بعض الأحاديث –تصحيحاً أو تضعيفاً– بزعم اتباع القواعد (!)

ويكأنهم لم يعلموا أن هذه القواعد إنما عرفت من طريقهم وهم بها أعلم فما بالهم يعرضون عنها على زعم هؤلاء (!)

فحقيقة أمرهم كما قال المعلمي –في العبادة– عن بعض المتأخرين : أكثرهم ليس عندهم من التبحر في العلم وممارسة الفن ما يؤهلهم للترجيح ومعرفة العلل و أعظم ما عند أحدهم أن يتمسك بظاهر قاعدة من قواعد الفن . ا.هـ المراد

والحاصل أنه كان جراء هذا –ومع ما وقعوا فيه من تجاوز في بعض الأحيان في إطلاق الألفاظ الغير منضبطة في حق أولائك النبلاء :

كقول بعضهم عن تعليل بعض الأئمة الفحول :

(هذا الإعلال ليس بشيء (!) عندنا (!!) )

وقول بعضهم عن حديث أعله الإمام أحمد وحية الوادي (=علي المديني) وأبوداود والترمذي وأبوحاتم والذهلي والشافعي والأثرم والدارقطني وغيرهم

قال أحد هؤلاء المتحذلقين : هذه العلة غير قادحة عندنا (!!)

وكان نتيجة هذا أن تربى على هذه الإطلاقات –والمنهجية– نشئ هم في غاية الغلو في بعض المعاصرين ، وفي الوقت نفسه هم في غاية الجرأة على المتقدمين

وحالهم ليس ببعيد عن حال متعصبة المذاهب من أهل الرأي أو غيرهم ، هذا إن لم يكونوا أشد منهم تعصباً وأبعد منهم غوراً فيه (!)

فإن أولئك –نعم– وان كانوا يرون تقليد إمامهم المتبوع ونبذ الحجج وراءهم ظهرياً نصرةً له !

إلا أن كثيراً منهم لا يبدع من اتبع اماما آخر ، بخلاف هؤلاء فإن رمي المخالف لمقدسهم (!) بالبدعة أمر في غاية السهولة عندهم !

وإن كان المخالف قد تابع –أو قل قلد– على الأقل من هو أعلم من متعصبهم وأتقى لله منه باتفاق العقلاء ، وهذا مما يبين شدة تعصبهم .

وحتى تتحقق الفائدة من ذكر هذا الأمر أذكر بعض المسائل التي خالف فيها هؤلاء المتحذلقون أئمة هذا الشأن ليكون السني على بينة من دينه وليس الأمر بالدعاوي المجردة من الحقائق

فإن الأمر كما قال ابن تيمية : "العلم شيئان إما نقل مصدق وإما بحث محقق وما سوى ذلك فهذيان مزوق " . ا.هـ

**المسألة الأولى** : الاعتراض على الأئمة بتضعيف ما تلقوه بالقبول بزعم ضعف الإسناد وما درى المعترض أن التلقي بالقبول فوق مجرد صحة سندٍ فردٍ

قال إسماعيل الأنصاري في رده على الألباني : الحديث إذا تلقي معناه بالقبول ... لا يحتاج إلى تتبع أسانيده فإن التلقي من أرقى صفات القبول .

قال الخطيب في الفقيه والمتفقه في الكلام على حديث معاذ في القضاء : أن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به ، فوقفنا بذلك على صحته عندهم كما وقفنا على صحة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا وصية لوارث ، وقوله في البحر : هو الطهور ماؤه الحل ميتته ، وقوله : إذا اختلف المتبايعان في الثمن والسلعة قائمة تحالفا وترادا البيع ، وقوله : الدية على العاقلة ، وإن كانت هذه الأحاديث لا تثبت من جهة الإسناد ، لكن لما تلقتها الكافة عن الكافة غنوا بصحتها عندهم عن طلب الإسناد لها. ا.هـ

وقد نقله ابن القيم في إعلام الموقعين وارتضاه

وقال السيوطي في تدريب الراوي : يحكم للحديث بالصحة إذا تلقاه الناس بالقبول وإن لم يكن له إسناد صحيح قال ابن عبد البر في الاستذكار لما حكى عن الترمذي أن البخاري صحح حديث البحر "هو الطهور ماؤه" وأهل الحديث لا يصححون مثل إسناده لكن الحديث عندي صحيح لأن العلماء تلقوه بالقبول وقال في التمهيد روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم الدينار أربعة وعشرون قيراطا قال وفي قول جماعة العلماء وإجماع الناس على معناه غنى عن الإسناد فيه. ا.هـ المراد من رسالة إسماعيل

وقد قال ابن تيمية في الجواب الصحيح **(3-24) :** ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الأخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم هذا مذهب السلف وعامة الطوائف كجمهور الطوائف الأربعة وجمهور أهل الكلام من الكلابية والكرامية والأشعرية وغيرهم . ا.هـ

وقال أيضاً في المجموع **22-361 :** وحفظ الله أيضا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم عما ليس فيها من الكذب عمدا أو خطأ بما أقامه من علماء أهل الحديث وحفاظه

الذين فحصوا عنها وعن نقلتها ورواتها وعلموا من ذلك مالا يعلم غيرهم حتى صاروا مجتمعين على ما تلقوه بالقبول منها إجماعا معصوما من الخطأ لأسباب يطول وصفها فى هذا الموضع .. ا.هـ

وقد قال الذهبي في "العرش" عن قول الأئمة في حديث الأطيط : قد تلقوا هذا الحديث بالقبول، وحدثوا به ولم ينكروه، ولم يطعنوا في إسناده، فمن نحن حتى ننكره، ونتحذلق عليهم، بل نؤمن به ... ا.هـ المراد

وهذا قد ذكر هذا المعنى غير واحد من أهل الكلام ومن تأثر بهم في كتب الأصول
قال ابن الوزير: و قد احتج العلماء على صحة أحاديث بتلقي الأمة لها بالقبول
و قال الزركشي : إن الحديث الضعيف اذا تلقته الأمة بالقبول عمل به على الصحيح حتى أنه ينزل منزلة المتواتر في أنه ينسخ المقطوع

**المسألة الثانية** : زعم بعضهم أن الزيادة التي لا تخالف أصل معنى الحديث لايحكم بشذوذها !

وهذا قول لا يعرف لقائله سلف من الأئمة ومن نظر في تصرفات الأئمة وأحكامهم عَلم يقيناً أنهم لا ينطلقون من هذا القول ، فلماذا أنكر الأئمة زيادة [ أو سلت أو زبيب ] وهي ليست منافية لأصل معنى حديث [كان الناس يخرجون صدقة الفطر في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – صاع شعير أو تمر أو زبيب، فلما كان عمر وكثرت الحنطة جعل عمر نصف صاع حنطة مكان صاع من تلك الأشياء ]

قال ابن عبد البر في الاستذكار : ورواه ابن أبي رواد عبد العزيز عن نافع عن ابن عمر... وذكر في حديثه هذا: ( صاعًا من تمر أو شعير أو سلت أو زبيب )، ولم يقل

ذلك عن نافع أحد غيره، وليس ممن يحتج به في حديث نافع إذا خالفه حفاظ أصحاب نافع، وهم عبيد الله بن عمر ومالك وأيوب ...ا.هـ

وتأمل أن السلت لا ينافي أبداً ذكر بقية المطعومات

ولماذا أنكروا زيادة [ وابصق خلفك ] وهي ليست منافية أيضاً لأصل معنى الحديث [ إذا صليت فلا تبزق بين يديك ولا عن يمينك، ولكن ابزق عن يسارك أو تحت قدمك ]

قال ابن رجب في شرحه : وقد أنكر الإمام أحمد هذه اللفظة في هذا الحديث، وهي قوله: ( خلفك )، وقال: لم يقل ذلك وكيع ولا عبد الرزاق ا.هـ

وقال الدارقطني: هي وهم من يحيى بن سعيد، ولم يذكرها جماعة من الحفاظ من أصحاب سفيان، وكذلك رواه أصحاب منصور عنه، لم يقل أحد منهم:
( ابزق خلفك ) ا.هـ [1]

---

[1]مستفاد من أحد البحوث

والأمثلة عديدة والمراد هنا الإشارة لأن الأمر ظاهر –إن شاء الله– لكل مشتغل في هذا الباب ، بل وحتى الشارح نفسه أدرك هذه الحقيقة فقال في المجموع :

وقد أشار البيهقي إلى الجواب عن هذا الإشكال، فقال: لا أدري هل حُفظت هذه الزيادة التي في مسلم؛ لكثرة من روى هذا الحديث عن سفيان دون هذه الزيادة، وإنما انفرد بها محمد بن عباد عن سفيان اهـ

وهذا الجواب فيه نظر، لأنه قد تقرر وعُلم أن المذهب الصحيح الذي عليه الجمهور من أصحاب الحديث والفقه والأصول: قبول زيادة الثقة،

لكن يعتضد قولُ البيهقي بما قررناه في علوم الحديث أن أكثر المحدثين

يـجعلـون مـثـل هـذه الـزيـادة شـاذًّا ضعيفًـا مـردودًا، فـالـشـاذ عـنـدهم أن يـرووا مـا لا يـرويـه سـائـر الـثـقـات، سـواء خـالـفـهـم أم لا.
ومذهب الشافعي وطائفة من علماء الحجاز: أن الشاذ ما يخالف الثقات، أما ما لا يخالفهم فليس بشاذ، بل يحتج به، وهذا هو الصحيح وقول المحققين . ا.هـ المراد

وأختم بما قاله مقبل الوادعي في المقترح (ص155) حول تقسيم ابن الصلاح لزيادة الثقة،: «هم يشترطون في رد الزيادة أن تكون منافية، لكن الذي يظهر أن الزيادة نفسها – كون أنها زيادة – تنافي، من الأمثلة على هذا: الحديث الذي رواه مسلم من حديث أبي موسى، وفيه زيادة في بيان كيفية الصلاة: " إذا قرأ فأنصتوا "، فالإمام الدارقطني ينتقد هذه الزيادة، ويقول: إنه تفرد بها سليمان التيمي، ويوافقه النووي – رحمه الله تعالى – (!) على هذا، ويقول: إن الحفاظ – إشارة إلى جمع، إضافة إلى الدارقطني – ضعفوا هذه الزيادة. فالذي يظهر أن الزيادة بمجردها تعتبر منافاة

وقال يحيى الحجوري في رده على أحمد بن نصـــر الله (ص 20) في ذكره لبعض الزيادات التي حكم عليها أهل الاختصـاص بالشـذوذ مع عدم منافاتها لمعنى أصـل الحديث وف النقل اختصـار وتصـرف : ومثل ذلك زيادة ((وإذا قرأ فأنصـتوا)) في حديث أبي موسـى الأشعري –رضي الله عنه– عند الإمام مسلم –رحمه الله– رقم (404).

قال النووي واعلم أن هذه الزيادة وهي قوله: ((وإذا قرأ فأنصتوا)) مما اختلف الحفاظ في صحتها.

فروى البيهقي في «الكبير» عن أبي داود السجستاني أن هذه اللفظة ليست بمحفوظة.

وكـذلـك رواه عن يحيى بن معين، وأبي حـاتم الرازي، والـدارقطني، والحـافظ أبي علي النيسابوري شيخ الحاكم أبي عبدالله.

قال أبو علي الحافظ: هذه اللفظة غير محفوظة قد خالف سليمان التيمي فيها جميع أصحاب قتادة، واجتماع هؤلاء الحفاظ على تضعيفها مقدم.

زيادة: ((فسلم)) في حديث ((أفتان أنت يا معاذ))

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ثنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ثنا الحسين بن محمد القباني ثنا محمد بن عباد ثنا سفيان عن عمرو عن جابر –رضي الله عنه– قال: كان معاذ يصلي مع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ثم يأتي فيؤم قومه، فصلى مع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– ليلة العشاء، ثم أتى قومه فافتتح بسورة البقرة، فانحرف رجل وسلم، ثم صلى وحده وانصرف.. وذكر باقي الحديث بمعناه، ولم يقل أحد في هذا الحديث ((وسلم)) إلا محمد بن عباد، رواه مسلم في «الصحيح» عن محمد بن عباد المكي.

وقال البيهقي (5251): أخبرنا أبو سعيد يحي بن محمد بن يحيى الاسفراييني أنبأ أبو بحر محمد بن الحسن البربهاري ثنا بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار وأبو الزبير –كم شاء الله– أنهما سمعا جابر بن عبدالله يقول: كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– العشاء، ثم يرجع إلى قومه بني سلمة فيصليها بهم، وإن رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– أخر العشاء ذات ليلة فصلاها معاذ معه، ثم رجع فأم قومه، فافتتح سورة البقرة فتنحى رجل من خلفه فصلى وحده، فلما انصرف قالوا: أنافقت يا فلان؟ فقال: ما نافقت؛ ولكني آتي رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فأخبره، فأتى النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– فقال: يا رسول الله إنك أخرت العشاء البارحة، وإن معاذا صلاها معك، ثم رجع فأمنا فافتتح سورة البقرة، فتنحيت فصليت وحدي، وإنما نحن أهل نواضح نعمل بأيدينا، فالتفت رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم– إلى معاذ فقال: ((أفتان أنت يا معاذ؟ أفتان أنت؟ اقرأ بسوره كذا، وسورة كذا)).

(5252): قال عمرو: وعد سورا، قال سفيان: وقال أبو الزبير: وقال له النبي –صلى الله عليه وعلى آله وسلم–: ((اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والسماء والطارق، والسماء

ذات البروج، والشـمس وضـحاها، والليل إذا يغشـى، ونحوها)) فقلت لعمرو: فإن أبا الزبير كان يقول: إن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كان قال له: ((اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى، والسماء والطارق، والسماء ذات البروج، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى)) فقال عمرو: هي هذه أو نحو هذه.

أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أنبأ أبو بكر بن إسحاق الفقيه أنبأ بشر بن موسى ثنا الحميدي ثنا سـفيان ثنا عمرو بن دينار عن جابر فذكره ثم ذكر زيادة أبي الزبير، وبهذا المعنى رواه جماعة عن ابن عيينة.

(5253): ورواه محمد بن عباد المكي عن سـفيان بن عيينة فقال في الحديث: فانحرف رجل فسلم، ثم صلى وحده وانصرف.

أخبرنا محمد بن عبدالله الحافظ ثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ أنبأ أبو يعلى ثنا محمد بن عباد ثنا سفيان فذكره.

رواه مسلم في الصحيح عن محمد بن عباد. اهـ من «السنن الكبرى» وحاصله أنه تفرد بها محمد بن عباد.

3- زيادة: ((إلا المغرب)) أخرج البخاري رقم (624و627)، ومسلم رقم (838) من طريق سعيد الجريري، وكهمس بن الحسن، عن عبدالله بن بريدة عن عبدالله بن مغفل - رضـي الله عنه- أن النبي -صـلى الله عليه وعلى آله وسـلم- قال: ((بين كل أذانين صلاة، وقال في الثالثة لمن شاء)).

وأخرج الدارقطني (264/1)، والبيهقي في «الكبرى» رقم (4493) من طريق حيان بن عبيد الله العدوي، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه، وزاد فيه: ((إلا المغرب)) فأخطأ في إسناده ومتنه.

قال البيهقي: رواه حيان بن عبيد الله، وأخطأ في إسـناده، وأتى بزيادة في متنه لم يتابع عليها.

ونقل الزيلعي في «نصـب الراية» أن الفلاس قال: كان حيان كذابا، وجعل ابن الجوزي حديثه هذا عن بريدة بهذه الزيادة في الموضـوعات (92/2)، وكذا ذكره الشـوكاني في

**4- زيادة: ((يحركها)) في حديث وائل بن حجر.**

**قال الإمام ابن خزيمة في «صحيحه» (354/1) رقم (714).**

**أخبرنا محمد بن يحيى، قال: أخبرنا معاوية بن عمرو. قال حدثنا زائدة، وهو ابن قدامة. قال: أخبرنا عاصم بن كليب الجرمي، قال: أخبرني أبي أن وائل بن حجر أخبره، قال: قلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- كيف يصلي؟. قال: فنظرت إليه يصلي، فكبر -فذكر بعض الحديث-، وقال: ثم قعد فافترش رجله اليسرى، ووضع كفه اليسرى على فخذه وركبته اليسرى، وجعل حد مرفقه الأيمن على فخذه اليمنى، ثم قبض ثنتين من أصابعه، وحلق حلقة، ثم رفع إصبعه فرأيته يحركها يدعو بها)).**

**قال أبو بكر ابن خزيمة: ليس في شيء من الأخبار ((يحركها)) إلا في هذا الخبر، زائدة ذكره. اهـ وذكر البيهقي في «الكبرى» بعد الحديث برقم (2787): فيحتمل أن يكون المراد بالتحريك الإشارة بها لا تكرير تحريكها، فيكون موافقا لرواية ابن الزبير والله تعالى أعلم. اهـ**

**.. قال المحقق: حديث صحيح دون قوله: فرأيته يحركها يدعو بها. فهو شاذ انفرد به زائدة بن قدامة بين أصحاب عاصم بن كليب، ثم ذكر ممن خالفهم زائدة أحد عشر واحدا من الأئمة منهم: عبدالواحد بن زياد، قال: فحديث عبدالواحد بن زياد سلف (18885) ولفظه: ((وأشار بأصبعه السبابة)).**

**وشعبة، وحديثه سلف رقم (18855) ولفظه: ((وأشار بأصبعه)).**

**وسفيان الثوري، وحديثه سلف (18858).**

**وزهير بن معاوية؛ وحديثه سيرد (18876).**

**وسفيان بن عيينة عند الحميدي (885)، والنسائي (34/3) ولفظه: ((أشار بالسبابة)).**

**وأبو الأحوص سلام بن سليم عند الطيالسي (1020) إلى آخرهم -كما- ذكرهم**

شيخنا في «الصحيح المسند» (239/2) طبعة دار الآثار.

5- وزيادة: ((إنك لا تخلف الميعاد)) في حديث جابر -رضي الله عنه- عند البخاري رقم (614) من حديث جابر بن عبدالله أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- قال: ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)).

قلت: **وفي هذا رد على من قال: أن الزيادة لا تكون شاذة إلا إذا كانت منافية**، كما ذكر الصنعاني في منظومته في المصطلح التي أسماها «قصب السكر» فقال:

**وإن تجد زيادة للراويه فإنها تقبل لا المنافيه**

**فهذه زيادة موافقة لقوله** ((الذي وعدته))**، وأيضا أصلها في القرآن وهو قوله:** ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد﴾ .

وقد حكم عليها بالشذوذ، والحكم عليها بالشذوذ في هذا الحديث هو الصواب لما تقدم. ا.هـ بتصرف واختصار

والأمر يحتمل أكثر من هذا ولكني لا أريد الخروج عن أصل البحث وإلا فتحقيق مسألة [ تفرد الصدوق ]

و مسألة [ نقد أحاديث الصحيحين

التي لم يعرف عن أحد في الأمة أنه تعرض لها ]

ومسألة [ التقوية بمجموع الطرق عند الأئمة ومقارنتها بعمل المتأخرين ]

من الضروري جداً ضبطها حتى يحقق المرء اتباعه للسلف بكل ما تحويه هذه الكلمة من المعاني في هذا الباب وغيره .

والمقصود أن من تبينت له هذه الحقيقة وظهر له مبلغ علم الشارح في الحديث عُلم أن عد أمثاله في زمرة المحدثين والحفاظ (!)

لا شك أنه غلط بَيِّنٌ

فهو لا يسير على دربهم أصلاً فكيف يجعل من رؤوسهم أو علمائهم !

هذا فضلاً عن جعله من أئمة أهل الحديث (!!)

أو قرنه بأئمة العلل المتقدمين (!!!)

فهذا من الظلم لهم وقلة الإنصاف

بل والله لا يجوز قرنه بأمثال ابن رجب من المتأخرين

أو الذهبي ، وقد صدق الذهبي وأنصف لما قال : أفضل من في وقتنا اليوم من المحدثين على قلتهم نظير صغار من كان في ذلك الزمان على كثرتهم . ا.هـ

لذا يجب على السني المتبع للأثر أن يكون منصفاً في أحكامه غير مجازف في أقواله ، كما قالت أمنا عائشة –رضي الله عنها– [ أنزلوا الناس منازلهم ] .

وعليه فلا تعجب إن قرأت في الشرح قول الشارح عند حديث ابن مسعود [ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ] قوله : وَقَدْحُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي هَذَا بِهَذَا عَجَبٌ !! ا.هـ

فيقال نعم هو عجب وأقرب الى الكهانة عند أذيال الظاهرية من المتكلمين أصحاب منهج المتأخرين ، أما أحمد –رحمه الله– فلا يضيره تطاول المموهين عليه فهو كما قال الشافعي : أحمد إمام في ثمان خصال

إمام في الحديث , إمام في الفقه , إمام في القرآن

إمام في اللغة , إمام في السُّنة , إمام في الزُهد

إمام في الورع , إمام في الفقر

وكلامه –رحمه الله– على هذا الحديث ما صدر من فراغ حتى يثير عجب الجهال (!) ولكن القوم يتكلمون من خبرة ودراية ، ووجه استنكاره لهذا اللفظ أنه مخالفُ للأحاديث التي أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فيها بالصَّبر على جَوْرِ الأئمة ، مع كلام وجد في أحد الرواة .

فقال أحمد –رحمه الله– كما في مسائل أبي داود : الْحَارِثُ بْنُ فُضَيْلٍ لَيْسَ بِمَحْمُودِ الْحَدِيثِ، وَهَذَا الْكَلَامُ لَا يُشْبِهُ كَلَامَ ابْنِ مَسْعُودٍ، ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي» اهـ

وأئمة الشأن –خلافاً للمتطفلين عليهم– يُعلون الحديث بتفرد الثقة –في بعض الأحوال– وان لم يوجد مخالفة له ، فما بالكم حال تحققها

قال البرديجي : المنكر هو التي يحدث به الرجل .. لا يُعرف ذلك الحديث، وهو متن الحديث إلا من طريق الذي رواه، فيكون منكرا ... فأما أحاديث قتادة الذي يرويها الشيوخ مثل حماد ابن سلمة، وهمام، وأبان، والأوزاعي، يُنظر في الحديث، فإن كان الحديث يحفظ من غير طريقهم عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أنس بن مالك من وجه آخر لم يُدفع.

وإن كان لا يُعرف عن أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا من طريق عن أنس إلا من رواية هذا الذي ذكرتُ لك، كان منكراً . ا.هـ المراد

وقال ابن رجب : وانفراد الراوي بالحديث، وإن كان ثقة، هو علة في الحديث يوجب التوقف فيه، وأن يكون شاذاً ومنكراً، إذا لم يرو معناه من وجه يصح.

وهذه طريقة أئمة الحديث المتقدمين كالإمام أحمد، ويحيى القطان، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني وغيرهم اهـ

وقال في موضع آخر : وأما أكثر الحفاظ المتقدمين فإنهم يقولون في الحديث إذا تفرد به واحد، وإن لم يرو الثقات خلافه:"إنه لا يُتابع عليه"، ويجعلون ذلك علة فيه ، اللهم إلا أن يكون ممن كثر حفظه، واشتهرت عدالته وحديثه كالزهري ونحوه، وربما يستنكرون بعض تفردات الثقات الكبار أيضاً، ولهم في كل حديث نقد خاص، وليس عندهم لذلك ضابط يضبطه ا.هـ

وبهذا يعلم أن عامة –إن لم أقل كل– تعقبات النووي على الحافظ الدارقطني ليست بشيء ولا قيمة علمية لها ، وقد صدق وأنصف ابن تيمية لما قال في التوسل ص 128 : جمهور ما أنكر على البخاري مما صححه يكون قوله فيه راجحاً على قول من نازعه . بخلاف مسلم بن الحجاج فإنه نوزع في عدة أحاديث مما خرجها وكان الصواب فيها مع من نازعه اهـ

## شبهات والرد عليها

يقول ربنا تبارك وتعالى {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} " فالله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه لتجتنب وتبغض, كما يحب أن تعرف سبيل أوليائه لتحب وتسلك وفي هذه المعرفة من الفوائد والأسرار ما لا يعلمه إلا الله "
" فمن استبان له سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين على التفصيل علماً وعملاً " أفضل ممن "صرف عنايته إلى معرفة سبيل المؤمنين دون ضدها ، فهو يعرف ضدها من حيث الجملة والمخالفة, وأن كل ما خالف سبيل المؤمنين فهو باطل وإن لم يتصوره على التفصيل ، بل إذا سمع شيئاً مما خالف سبيل المؤمنين صرف عنه سمعه, ولم يشغل نفسه بفهمه, ومعرفة

وجه بطلانه, وهو بمنزلة من سلمت نفسه من إرادة الشهوات فلم تخطر بقلبه ولم تدعه إليها نفسه, بخلاف الفرقة الأولى, فإنهم يعرفونها وتميل إليها نفوسهم ويجاهدونها على تركها لله.

وقد كتبوا إلى عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– يسألونه عن هذه المسألة أيهما أفضل: رجل لم تخطر له الشهوات ولم تمر بباله, أو رجل نازعته إليها نفسه فتركها لله ؟

فكتب عمر [ أن الذي تشتهي نفسه المعاصي ويتركها لله عز وجل من {الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} ]

وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله, وحذرها وحذّر منها, ودفعها عن نفسه, ولم يدعها تخدش وجه إيمانه, ولا تورثه شبهة ولا شكا, بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له, وكراهة لها ونفرة عنها, أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه . فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسرورا به, فيقوى إيمانه به "

فانطلاقاً من هذا أحببت ذكر أعظم الشبه –إتماماً للحجة بدحض الشبهة– والتي يصد بها المموهون المدافعون عن النووي وأضرابه في دفع وصف الضلال عنه وهو بها أهل وبالتالي إقحامه في دائرة أهل السنة بل وفي طبقة علمائهم (!) ، وفي الرد على هذه الشبه دحض لعامة القواعد الضلالية التي أحدثت والتي أوقعت كثيراً من الناس في الإرجاء (=حال الحكم على المخالف)

وفي ردها ذب عن طريقة أهل السنة في هذا الباب

وهذا من أعظم مقاصد الكتابة , وأنا بإذن الله لن أذكر رداً على شبهة من هذه الشبه إلا بأثر وعليه فأنا أذكر كل من يقرأ هذا الفصل مما سأنقله

ثم بعد ذلك يصر على تصحيح قول المعترض الخاطئ

تاركاً لقول السلف

فأذكره بما صح عن مالك فيما نقله ابن القيم في أعلام الموقعين :

أنه قال فيمن يترك قول عمر . رضي الله عنه . ويأخذ بقول إبراهيم النخعي فقال –رحمه الله– [ يستتاب ] !

فاحذر ثم احذر –يا عبد الله– أن يوقعك بغضك لكاتب هذه السطور

أو طريقة كتابته

أو جهلك لمنهج السلف في الموبقات العظيمة

وليتأمل الناصح لنفسه بما قاله ابن مسعود –رضي الله عنه–

[ لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً: إن آمن آمن، وإن كفر كفر؛ فإنه لا أسوة في الشر ]

وليستحضر المرء أن العالم –فضلاً عمن دونه– معرض للنطق بكلمة الضلالة والقول بالباطل كما قال معاذ رضي الله عنه [ أُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ ]

واعلم –رحمك الله– أن خطر الإرجاء المتمثل في مدح أهل البدع وتوقيرهم ، وترك تبديعهم ، واللين معهم جد عظيم وخطير

فلا تستهوينك رفقة الناس وصعوبة المفارقة للمبطلين فإن [ الأمر قريب ]

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه

ووالله إني أرى حالنا مطابقاً لقول يونس بن عبيد –رحمه الله– الذي قاله قبل ألف سنة (!) [ ليس شيء أغرب من السنة ، وأغرب منها من يعرفها ]

فأنصح إخواني بما نصح به البربهاري –رحمه الله– أهل السنة قائلاً : فاحذر ثم احذر أهل زمانك خاصة وانظر من تجالس وممن تسمع ومن تصحب فإن الخلق كأنهم في ردة إلا من عصم الله منهم اهـ

وأنا أعلم أن في ردي لهذه الشبهات –والتي تدل على قلة علم صاحبها بمنهج السلف في هذا الباب– سوف يكثر المبغضين والخصوم

ولكن الأمر كما قال يحي بن سعيد القطّان –رحمه الله تعالى– لما قيل له : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماؤك عند الله ؟ !

فقال لأن يكون هؤلاء خصمائي أحبّ إليّ من أن يكون خصمي رسول الله صلى الله عليه وسلّم اهـ

أي بترك الذب عن سنته كما هو حاصل عند كثيرين

وقد قال الله تعالى {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ}

وقال الرسول –صلى الله عليه وسلم– [ طوبى للغرباء ]

وذلك لأن [ الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب ]

كما قال أحمد رحمه الله

ولأن [ السنة لا تؤخر لشيء ] كما قال سفيان الثوري

" **فـإن قـيـل** : وهل خلت الدنيا من ناصح غيرك ؟

وأين الأكابر مما تقول وتذكر ؟

فأقول : ليس من شرط الناصح أن يكون أعلم ولا أورع من المنصوح .

ومن اشترط ذلك فهو مبتدع يبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويخالف هدي السلف الصالح –رحمهم الله تعالى .

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ هَلاَّ مَعَ صَاحِبِ الْحَقِّ كُنْتُمْ ]

وقد رجع عمر –رضي الله عنه– وهو من هو لقول امرأة ناصحة

ورجع ابن عباس –رضي الله عنه– لقول عكرمة كما في تفسير قوله تعالى { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ } "

وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه [ من جاءك بالحق فاقبل منه وإن كان بعيدا بغيضا ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبا قريبا ]
رواه أبو نعيم في الحلية
فالعبرة بالمقال لا بمن قال

و [ العلم ليس بالسن ] كما قال علي بن المديني
[ إنما هو رزق الله يضعه حيث يشاء ] كما قال عمر رضي الله عنه

ثم إن الاعتبار في الكبر والصغر عند السلف الماضين هو الإتباع أو عدمه كما قال إبراهيم الحربي [ الصغير إذا أخذ بقول رسول الله صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعين فهو كبير ، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير.]

وأنا في هذا المقام أنْصَحُ لهؤلاء الذين قرروا هذه القواعد الباطلة من المحامين والمتعصبين لهم وربي !
لأن الأمر كما قال يوسف بن أسباط [ أَنا خَير لهَؤُلاء مِن أُمَّهاتِهِم وآبائِهِم، أَنا أَنْهى الناس أَن يَعمَلُوا بِما أَحدَثُوا فَتَتبَعَهُم أَوزارُهُم
ومَن أَطراهُم كان أَضَر عَليهم ]
وقد قال الرسول –صلى الله عليه وسلم– [ الدين النصيحة ]

و [ الْمُؤْمِنُ مَرْآةُ أَخِيهِ إِذَا رَأَى فِيهَا عيبا أصلحه ] كما قال أبوهريرة رضي الله عنه

وقد قال بعض السلف [ إِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا أُخْفِيَتْ لَمْ تَضُرَّ إِلاَّ صَاحِبَهَا، وَإِذَا أُعْلِنَتْ فَلَمْ

تُغَيَّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةَ ]

وقال عبدالله بن عمرو –رضي الله عنهما– [ ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيا ، ولا نزعت سنة إلا ازدادت هربا ]

وفي مراسيل غضيف بن الحارث [ما ابتدعت بدعة إلا رفعت مثلها من السنة]

وأقول –قبل البدء– لمبغضي وشانئي [ أَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا ] كما قال علي رضي الله عنه

وتريث ولا تعجل على نفسك فتوردها المهالك

وإياك إياك أن تسلم نفسك لمن يريد صرفك عن الآثار وأهل الأثر

بزعم أنه أعلم بها منك وأدرى

ولا تقولن كيف يعرف هذا –أي أنا ومن يُسْتَحْقَرُ من إخواني– الحق في هذه المسائل دون الشيخ فلان وعلان

فإن هذه الشبهة من أعظم وساوس الشيطان في صرف الناس عن الحق وقد قال قبلك أقوام لما آلفوا الباطل {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ }

فكان مآلهم { رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ } { رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ }

وذلك لأن الله يقلب { أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ }

و { قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ } {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}

قال مجاهد [ أي فليس بمعجزي ] ويقول [ وعيد من الله عز وجل ]

وأما الكاره لأسلوبي فأقول له كما قال أبو التياح –رحمه الله– [ والله أنه لينبغي للرجل المسلم أن يزيده ما يرى في الناس من التهاون بأمر الله أن يزيده ذلك جدا واجتهادا ]

وقد أمرنا النبي –صلى الله عليه وسلم– أن نقول لمن خالف السنة في أمر واحد [ أَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ ]

و لا تنسى أن الأمر كما قال ابن تيمية : المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة ..فأحمد معه ذلك التخشين ا.هـ

والأمر بيننا قريب مادام راجعاً لهذا الأمر فقط

وتأمل يا أخي قول الإمام أحمد –رحمه الله– لما بلغه قول المتوكل لابن الزيات: يا ابن الفاعلة، وقذف أمه

فقال أحمد رحمه الله : أرجو الله أن يغفر له

وذلك " نظراً إلى حسن قصده في نصر السنة وقمع البدعة.

ولما قال عمر لحاطب ما قال، ونسبه إلى النفاق، لم يعنفه النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما أخبره أن هناك مانعاً.

والتساهل في رد الحق وقمع الداعي إليه، يترتب عليه قلع أصول الدين " (1)

وأقول لمن يرفض الحق المسطور هنا

ويرميني مع ذلك بالبدعة جهلاً منه للسنة

وهو ممن آتاه الله العمر والوسائل لمعرفة الحق لكنه مفرط

أو مداهن أقول له :[ لا جزاك الله خيراً ] كما قال سفيان لشيخ كبير لم يتعلم السنة

و [ الموعد الله ] كما قال الحسن البصري

{فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}

---

(1) الدرر السنية [8-371]

وشروعاً في المراد أقول :

**الشبهة الأولى** : قولهم ليس من العدل أن نجعل النووي أشعرياً
ونخرجه من دائرة أهل السنة
وهو قد خالف الأشعرية في كذا وفي كذا
" فإذا قال قائل بمسألة من مسائل الصفات بما يوافق مذهبهم فلا نقول: إنه أشعري
أرأيتم لو أن إنساناً من الحنابلة اختار قولاً للشافعية فهل نقول إنه شافعي ؟ الجواب:لا
نقول إنه شافعي " فلا يجوز إطلاق القول بأنه ليس من أهل السنة مطلقاً بل هو منهم
فيما وافقهم فيه
وليس منهم فيما خالفهم فيه (!)
والرد على هذا الهراء من وجوه :

الوجه الأول : لا يشترط ليصح نسبة المرء إلى فرقة من الفرق أن يوافقهم في جميع أقوالهم بل يكفي في ذلك أن يوافقهم في خصلة واحدة من خصالهم الباطلة

فقد قال يزيد بن هارون [ من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما في قلوب العامة فهو جهمي ]

رواه عبدالله في السنة

وهذا في مسألة واحدة

وفي السنة للخلال بسنده عن أحمد –رحمه الله– قال [ مَنْ قَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعُثْمَانُ فَهُوَ رَافِضِيٌّ ، أَوْ قَالَ : مُبْتَدِعٌ ]

وهذا على قول واحد

وقال حرب ناقلاً قول السلف : من لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجئ ا.هـ

وقال الشافعي [ من جعل المشيئة إلى نفسه؛ فهو قدري ] رواه الهروي في ذم الكلام

وقال أبوزرعة الرازي [ من أنكر حديث قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قَالَ: قَالَ رسول الله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رأيت ربي، عَزَّ وَجَلَّ، " فهو معتزلي ]

وهذا في رد حديث واحد فقط

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ هَارُونُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْهَاشِمِيُّ :

[ مَنْ رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ فَهُوَ عِنْدِي جَهْمِيٌّ ] وتتبع هذا يطول

الوجه الثاني : قياس المتذهب بالمذاهب الفقهية على المسائل العقدية التي يعتقدها النووي موافقةً للأشاعرة قياس فاسد

إذ كيف يصح مقارنة مسائل العقيدة بالفقه

ثم لو سلم هذا القياس فنقول : هو إذاً ليس من أهل السنة (!)

وذلك لأن موافقة الشافعي للحنابلة في بعض المسائل لا يجعله حنبلياً (!) وذلك لأن موافقاته للحنابلة أقل من موافقاته للشافعية
كما هو حاصل بالمضروب له المثل (!)
فالمخالفة للأشاعرة في مسائل لا تعني أن المخالف ليس بأشعري

وليس من شرط الأشعري أن يقول بكل قول إمامهم

وهذان محمد ويعقوب صاحبا النعمان وأئمة مذهبه بعده

قال الدبوسي أنهما : خالفا أبا حنيفة في ثلثي المذهب!

ومع ذلك فقولهما معتبر في المذهب ، ولم يخرجا عنه

فهذه بضاعتكم ردت إليكم

الوجه الثالث : لو سلم أن المرء لا يسمى أشعرياً وإن وافقهم في أصل من أصولهم فإنه قطعاً لا يكون سنياً
بل هو مبتدع مفارق للجماعة وليسمه المعترض بما شاء
وذلك لأن المرء لو خالف أهل السنة في أصل واحد من أصولهم فليس منهم
كما قال قال ابن البنا في المختار : أهل السنة لا يختلفون في شيء من هذه الأصول ، ومن فارقهم في شيء منها نابذوه وباغضوه وبَدٌعوه وهجره اهـ

وقال ابن الحنبلي : ولايستحق أحد اسم السنة إلا من يستكمل فيها خصال السنة كلها لأن من أنكر خصلة من خصال السنة لا يقال له صاحب سنة ... وسئل جعفر الصادق متى تجتمع خصال السنة كلها في العبد ؟ قال [ إذا صدق وآمن وأقر بجميع خصال السنة كلها ] . أ.هـ

وقال حرب بن إسماعيل الكِرْماني في آخر مسائله : هذا مذهب أئمة أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها ، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها ، **فمن خالف شيئاً** من هذه المذاهب ، أو طعن فيها أو عاب على قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق .. ا.هـ المراد

فالرجل قد يبدع بل يجهم ببدعة واحدة

" قال الله تعالى {لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} من مرة واحدة.

وقال {وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ} من مرة واحدة.

وقال تعالى {لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ}

نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

قال ابن أبي مليكة [ كاد الخيّران أن يهلكا ] من مرة واحدة

وفي الحديث [ إن الرجل ليقول الكلمة ما يتبين فيها يهوي بها في النار سبعين خريفاً ] من مرة واحدة

وأول حديث في صحيح مسلم لما أُخبر ابن عمر رضي الله عنهما ببدعة في العراق تبرأ منهم من مرة واحدة " . [1]

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ لقد قلت كلمةً لو مزجت بماء البحر لمزجته ] وهي كلمة واحدة !

والمسلم قد يدخل النار بذنب ففي الحديث [ دخلت امرأةٌ النار في هرة ]

ويقول الصديق –رضي الله عنه– [ لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، وإني لأخشى **إن تركت شيئا** من أمره أن أزيغ ]

و عبدالله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه –يسمي الذين يسبحون على الحصى [ لأنتم على ملةٍ هي أهدى من ملة رسول الله –صلى الله عليه وسلم ، أو لأنتم مفتتحوا باب ضلالة ] وهذا فقط لبدعة واحدة !!

و عبدالله بن عمر –رضي الله تعالى عنهما –يسب ابنه سباً شديداً

ولا يكلمه حتى مات في حديث واحد فقط !

وعبدالله بن مغفل –رضي الله تعالى عنه –لا يكلم ابن أخيه أبداً لحديث واحد فقط !

---

[1] مستفاد من أحد البحوث

وحذيفة بن اليمان –رضي الله تعالى عنهما –يقول [ إنْ كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم –فيصير بها منافقاً ، وإني لأسمعها من أحدكم في المجلس الواحد عشر مرات ] !!

وأنس وأبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قالا :

[ إنكم لتأتون أموراً هي أدقٌ في أعينكم من الشعر ، كنا نَعُدُّها على عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم –من الموبقات ]

وقال ابن مسعود [ يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا – يعني مفصل الأصبع – فإن تركتموهم جاءوا بالطامة الكبرى ]

وقال سفيان الثوري [ بلغني أنه يُسْخط الله المقام الواحد والكلمة الواحدة ]

وقال سفيان بن عيينة –رحمه الله تعالى [ السنة عشرة ، فمن كُنَّ فيه فقد استكمل

السنة ، ومن ترك شيئاً منها فقد ترك السنة ]

وقد قال بعض السلف [ لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام .. فأخرجه منها بذنب واحد و .. داود عليه السلام خليفة الله في الأرض نزل ما نزل به بخطيئة واحدة ] رواه أبونعيم

وقد قال سليمان بن حرب –رحمه الله تعالى –:

[ من زل عن السنة شعرة فلا تَعْتَدَّ به ] رواه الهروي في ذم الكلام

وقال أحمد في رسالة عبدوس: أصول السنة عندنا :التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك الجلوس مع أهل الأهواء ...ومن ترك خصلة منها لم يكن من أهلها . أي لم يكن من أهل السنة.ا.هـ

وقال الصابوني في عقيدة أصحاب الحديث : أنا ناصح لإخواني .. لا يشتغلوا بهذه المحدثات من البدع التي اشتهرت فيما بين المسلمين .. ولو جرت واحدة منها على لسان واحد في عصر أولائك الأئمة لهجروه وبدعوه . ا.هـ

فهكذا كان حال السلف الصالح –رحمهم الله تعالى – ، فلا يوصف المرء بالسنة عندهم حتى يتم خصالها ، و يصفون المرء بالبدعة ولو كان فيه خصلة واحدة فقط من خصالها ، وأما الخَلْف فقد عكسوا :فصار وصف المرء بالسنة متى وجد فيه خصلة واحدة من خصالها !

وصار وصفه بالبدعة ممنوعاً !

وهذا غلو في الإرجاء يفضي إلى وصف الناس كلهم بالسنة ، وترك وصف أحد منهم بالبدعة ، ولو وُصفِ أحدُ بالبدعة لغرض ما ، فإنه يُتْرَك أمثاله لغرض آخر !!

الوجه الرابع : القول بنسبة المرء الى السنة قدر موافقته لها

ونفي كونه منها فيما خالفها قول محدث وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ]

وهذا القول يقتضي إغلاق باب التبديع

والطعن في السلف وعدلهم !

إذ أنهم لم يعملوا هذه القاعدة في حكمهم على المخالف لهم

وهذا الفهم الساقط ناتج عن بعد قائله عن حال السلف أولاً

وثانياً عن عدم معرفة حال من بدعه السلف

وقد سبق بيان شيء من الأول

وأما الثاني فأقول : هاك هذه الأمثلة في ذكر من بدعهم السلف تبين المقصود

" 1– أبو ثور من أهل الحديث بدّعه أحمد من مسألة واحدة؛ وهي تأويل صفة الصورة لله.

2– الكرابيسي من أهل الحديث بدّعه أحمد من مسألة واحدة وهي (اللفظية).

3– داود الظاهري من أهل الحديث بدّعه أحمد من مسألة واحدة وهي (كلمة:القرآن محدث).

4– الحسن بن صالح بن حي من أهل الحديث والعبادة بدّعه السلف قاطبة من مسألة واحدة وهي (ترك الجمعة خلف المبتدع والفاسق ثم آل به الأمر إلى السيف).

وبعض هذه الأشياء لا تثبت على أهلها،وبعضها ثبت رجوعهم،فالمراد بيان الجادة التي كانوا عليها " . [1]

والحاصل على ذاك الأصل يكون إبليس من أهل السنة في الجملة (!)

فإنه يقول { خلقته من نار وخلقتني من طين} وقال {رب} وقال {فبعزتك}

فهل يقال : إبليس من أهل السنة في باب القسم بأسماء الله وصفاته !

وقد قال تعالى عن أهل الشرك {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون}

فهل يقال أنهم من المسلمين فيما وافقوا فيه أهل الإسلام ، وهم كفار فيما خالفوا فيه أهل الإسلام ! ثم إن الآشاعرة وافقوا أهل السنة في صفات ، ووافقوا المعتزلة في صفات !! فماذا يصيرون !؟

وقد يقول بعضهم :من أهل السنة فيما وافقوا ، ومن المعتزلة فيما وافقوا !!

فنقول :اليهود والنصارى وافقوا المسلمين في أمور ، وخالفوهم في أمور

فهل نقول :هم من المسلمين فيما وافقوا المسلمين فيه !!

**الشبهة الثانية** : قولهم: النووي كان قاصداً للخير مريداً له !
و من " ابتغى وجه الحق والصواب؛ فأخطأه؛ فلا يجوز أن يقال : إنه ليس من أهل السنة "

فيقال أولاً : نحن نظن فيه خلاف هذا ، فالظن الحسن بمن ليس أهله غفلة

و [ مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلتُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ ]
كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه

والظن السيء بمن ظهر منه الشر مطلوب كما قال مطرف :
[ احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ ]

وقد قال الله تعالى عن المنافقين {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ}
وقال عثمان بن عفان –رضي الله عنه– [ ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه ]
وقال بعض السلف [ من أصلح سريرته أصلح الله علانيته]

أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح

وذكر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ من كَانَت لَهُ سريرة صَالِحَة أَو سَيِّئَة أظهر الله عَلَيْهِ مِنْهَا رِدَاء يعرف بِهِ ]

ثانياً : ليعلم أن " من لَّه قدم راسخٌ في الشريعة ومعرفة بمصادرها ومواردها ، وكان الإنصاف أحبَّ إليه من التعصُّبِ والهوى ، والعلم والحجة آثرَ عنده من التَّقليد لم يكد يخفى عليه وجه الصواب "كما قال ابن القيم

وقد قال ابن تيمية في جامع المسائل :

لا تجد أحدًا وقع في بدعةٍ إلا لنَقْصِ اتباعِه للسنة علمًا وعملاً. وإلا فمن كان بها عالمًا، ولها متبعًا لم يكن عنده داع إلى البدعة، فإن البدعة يقع فيها الجُهَّال بالسنة ا.هـ

ثالثاً : نحن ليس لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر

فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ]

و قال عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– [ إِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمِنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ وَلَيْسَ إِلَيْنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ اللَّهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَ إِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ ] وفي رواية [ من أظهر لنا شرا بغضناه عليه وظننا به شرا ، سرائركم فيما بينكم وبين ربكم ]

وقال الربيع بن أنس [ مكتوب في الحكمة من يدخل مداخل السوء يتهم ]

رابعاً : هذا القول –أنه مريد للحق– ليس إلا دعوى وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ لو يعطى الناس بدعواهم لادعى أناس دماء أناس وأموالهم ، ولكن البينه على من ادعى ]

خامساً : قال ابن تيمية في المجموع :
الْإِرَادَةَ الْجَازِمَةَ إذَا اقْتَرَنَتْ بِهَا الْقُدْرَةُ التَّامَّةُ لَزِمَ وُجُودُ الْمُرَادِ قَطْعًا وَإِنَّمَا يَنْتَفِي وُجُودُ الْفِعْلِ لِعَدَمِ كَمَالِ الْقُدْرَةِ أَوْ لِعَدَمِ كَمَالِ الْإِرَادَةِ ا.هـ

وهنا يقال أن المبتدع المقيم في الحضر

المطلع على كثير من كتب السنة التي لم يطلع عليها بعض علماء السنة

والذي هو في الوقت نفسه واسع المدارك

وليس بمعتوه ولا مجنون والقدرة تامة عنده

فهل مع هذا كله يصح أن يقال أنه خفى عليه الأمر في باب أصول الاعتقاد ؟

وهل السنة ملتبسة إلى هذا الحد ؟

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ ]

وقد ذكر النووي في الاربعين النووية عند الحديث الواحد والاربعين أن من مروياته كتاب "الحجة على تارك المحجة" لأبي الفتح المقدسي
وهو كتاب يتضمن "أصول الدين على قواعد اهل الحديث والسنة"
كما قال ابن رجب
والنووي ينقل عن شرح السنة للبغوي كما في الأذكار

وقد وقف على عدد كبير من كتب السنن والصحاح والتفسير

**وكذلك صنوه العسقلاني**

**بل هذا الثاني أوسع إطلاعاً منه بكتب السلف فيقول –مثلاً– في تلخيص الحبير [1–280] : وَرَوَيْنَا فِي السُّنَّةِ لِأَبِي الْقَاسِمِ اللَّالَكَائِيِّ ..**

**ويقول في شرحه [8–589] : ورويناه في كتاب ذم الكلام من هذا الوجه**

**وهو ينقل كثيراً عن كتاب خلق أفعال العباد الذي للبخاري رحمه الله**

**وينقل عن نقض الدارمي على المريسي [13–389]**

**وينقل عن الإبانة لابن بطة لسان الميزان [4–365]**

**وينقل عن السنة لابن أبي عاصم [13–413]**

**وينقل عن كتاب التوحيد لابن خزيمة [13–399]**

**وينقل عن السنة لحنبل بن إسحاق [13–538]**

**وينقل عن السنة للخلال [13–397]**

**وينقل عن السنة لحرب الكرماني [5–183]**

**وينقل عن السنة للطبراني [5–183]**

**وينقل عن السنة لعبدالله بن الإمام أحمد كما في الإصابة [7–108]**

**وينقل عن السنة للعسال كما في التلخيص [4–413]**

**وينقل عن السنة للمروزي [13–252]**

**وكثيراً ما ينقل عن كتب ابن تيمية**

فهو مطلع على أقوال السلف

وإن لم تكن هذه الكتب تقيم الحجة على مثله فلا أحد يقيمها

وقد قال أبو عبيد –رحمه الله تعالى– عمن وقع في ناقض : يُعَلم ويقال له :إن هذا كفر ، فإن رجع ، وإلا ضربت عنقه . رواه اللآلكائي

فهذه صفة بلوغ الحجة لا الجدال فيها !

وأبو عبيد من قضاة أهل السنة

سادساً : أن إرادة الخير ليست من موانع التبديع هنا فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ تَمَسَّكُوا بِعَهْدِ ابْنِ مَسْعُودٍ ]

وقال حذيفة عن ابن مسعود [كَانَ أَقْرَبُ النَّاسِ هَدْيًا وَدَلًّا وَسَمْتًا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ]

وقد قال ابن مسعود –رضي الله عنه– لمن إعتذر له رجل من بدعته بإرادته للخير قال [ وكم من مريد للخير لن يصيبه ] أخرجه الدارمي في مسنده

وقال ابن عمر –رضي الله عنهما– [ كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنًا ]
أخرجه اللالكائي
فرؤية الناس لهذا الباطل بصورة حسنة لا يغير من واقع أمره شيئاً ولا من الحكم على

أصحابه بما تقتضيه الأدلة

وقد ذكر البربهاري –رحمه الله– في شرح السنة التي قال عنها :

عليك بالأمر الأول العتيق وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب .. ومن استحل شيئا خلافا لما في هذا الكتاب فإنه ليس يدين الله بدين

وقد قال فيها : اعلم أن الخروج عن الطريق على وجهين أما أحدهما فرجل قد زل عن الطريق وهو لا يريد إلا الخير فلا يقتدى بزلله فإنه هالك اهـ

وقال ابن النحاس في كتاب القطع والائتناف [16-1] : ولا ينبغي أن يحتج بأن نيته -وإن وقف غير ذلك ، فإنه مكروه عند العلماء بالتمام والسنة وأقوال الصحابة -رضي الله عنهم -تدلك على ذلك :.

فقد أنكر النبي -صلى الله عليه وسلم -على الرجل الذي خطب فقال :من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما

ولم يسأله عن نيته ولا ما أراد !

وأنكر النبي -صلى الله عليه وسلم -على من قال :ما شاء الله وشئت ولم يسأله عن نيته .. وقد كره إبراهيم النخعي أن يقال لا والحمد لله

ولم يكره أن يقول نعم والحمد لله .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرجل معه ناقة تبيعنيها بكذا ؟ فقال لا عافاك الله ، فقال : له لا تقل هكذا ولكن قل لا وعافاك الله

فأنكر عليه لفظه ولم يسأله عن نيته ا.هـ المراد

فالنية ليست لوحدها بمقومة لحال الرجل

وقد أخرج الآجري بسنده عن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالا [ لا ينفع قول إلا بعمل ، ولا عمل إلا بقول ، ولا قول وعمل إلا بنية ، ولا نية إلا بموافقة السنة ]

وفي الإبانة الكبرى بسنده عن سفيان قال :

[كان الفقهاء يقولون : لا يستقيم قول إلا بعمل ، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة ]

**الشبهة الثالثة** : قولهم الرجل قد خدم السنة بخدمات جليلة وشرح الأحاديث وألف الكتب العلمية ! فهو صاحب جهاد (!) مشكور

وأما " تأوله بالنسبة لما قدمه للاسلام قليل "

فلا يصح حينئذ إخراجه من دائرة أهل السنة

وأين أنت أيه المنتقد من خدماته وعبادته ( ! ) وعلمه ( ! ) حتى تطعن فيه وتتكلم ؟!

والجواب عن هذا الكلام من وجوه :

الوجه الأول : أي خدمة قدمها للإسلام من حرف النصوص عن معانيها وملء كتبه بالتجهمات وشيء من الجبر والإرجاء وحشاها تعظيماً وتوقيراً لأهل البدع وتسهيلاً للإحداث في الدين ؟!

بل هذا في الحقيقة هدم للدين كما قال غير واحد من السلف :

[ من وقر أهل البدع فقد أعان على هدم الإسلام ]

وحقيقة شرح النووي على مسلم : إنما هو تجميع لكلام ابن الصلاح والمازري وعياض ونحوهم من الأشاعرة والمتكلمين ، حتى أنه قد يمر على الحديث بلا تعليق إذا لم يجد لأحد من هؤلاء شرحاً عليه (!)

فلا حاجة للتهويل والمجازفات فالحق أبلج والباطل لجلج

الوجه الثاني : قد قال النبي –صى الله عليه وسلم– :

[ إنَّ اللهَ ليؤيِّدُ هذا الدِّينَ بالرَّجُلِ الفاجرِ ]

ويروى في الحديث [ قوام أمتي بشرارها ]

وفي حديث آخر [ إن الله ليؤيد الدين بقوم لا خلاق لهم ]

فلم يمنع كونه مؤيداً للدين من وصفه بالفجور

هكذا هي السنة

بخلاف أهل الإرجاء المتفشي فإن العلم والتوسع بالمعرفة حصانة من الوصف بالبدعة عندهم (!) وإن كانت البدعة كفريةً (!)

الوجه الثالث : النظر إلى مجرد عدد بدع المرء مع ما يزعم أنه من خدماته للسنة لدرء التبديع عنه نظر خلفي محدث

وقد ثبت عن عمر بن الخطاب أنه قال [ قَدْ يَكُونُ فِي الرَّجُلِ عَشَرَةُ أَخْلَاقٍ ، تِسْعَةُ صَالِحَةٌ ، وَوَاحِدَةٌ سِيِّئَةٌ , فَيُفْسِدُ التِّسْعَةَ الصَّالِحَةَ الْخُلُقُ السَّيِّئُ ]

وهذا القول يدل على بعد صاحبه عن معرفة حال من بدعهم السلف من الجهة العلمية : وإليك أمثلة تبين المقصود :

"1- يعقوب بن شيبة كان إماما في العلل ثقة ثبتاً قال بالوقف في القرآن فبدعوه وضللوه وهجروا الرواية عنه

2- مكحول الشامي كان من أفقه أهل الشام قال أن الله لا يرزق الحرام فبدعه رجاء بن حيوه بل كان يلعنه ذكر هذا يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ

3- علي ابن المديني أعلم الناس بالعلل أجاب في المحنة وبدرت منه أمور يعفو الله عنه فيها ، نهى الإمام أحمد عن الكتابة عنه

4- اتهم الإمام البخاري بالقول باللفظ ( ولا يصح عنه )

فهجر أبو حاتم وأبو زرعة الرواية عنه لثقتهم بمن نسب إليه الأمر مع إمامته وعلمه ، وقد برأ نفسه في كتاب خلق أفعال العباد

5- نعيم بن حماد كان إماماً كبيراً وقد مات في سجون الجهمية ، بلغ الإمام أحمد أنه قال ( لفظي بالقرآن مخلوق ) فقال ( لا رحمه الله إن كان قالها ) كما ذكر الخلال في السنة ، وهذه كلمة شديدة جداً مع العلم أن نعيماً لا يصح عنه ذلك

6- أبو ثور أول حديثاً من أحاديث الصفات فحذر منه الإمام أحمد وبدعه وخبره مذكور في طبقات الحنابلة " [1]

الوجه الرابع : وأما وصف النووي بالجهاد فيقال عنه :
أين جهاده المزعوم في جهاد هواه وحمله نفسه على اتباع السنة
وقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– :
[ لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ]
وقد صححه النووي نفسه في أربعينه !
وذكر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– :
[ أفضل الجهاد أن يجاهد الرجل نفسه وهواه في ذات الله ]
فهلا جاهد نفسه في اتباع السنة بدل التجهم والجبر والإرجاء والتصوف والتمييع ؟!

الوجه الخامس : هل حسنة الجهاد حسنة لا يحبطها ذنب أبداً عندكم ؟
وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– فيمن غل [ هو النار ]
لعباءة فقط غلها ، فكيف بمن غل الدين والسنة ؟

وقالت أمنا عائشة رضي الله عنها –في رجل فاضل لما وقع في معصية لا بدعة [ أبطل جهاده ] فكيف بمن ملئ كتبه بالتجهمات والضلالات ؟!
وقد قال السلف في حال عبادة أهل البدع قولاً شديداً لو كانوا يعقلون

فقال الحسن البصري –رحمه الله– [ صاحب بدعة لا يقبل الله له صلاة ، ولا صياما ، ولا حجا ، ولا عمرة ، ولا جهادا ، ولا صرفا ، ولا عدلا ]
أخرجه اللالكائي وبنحوه عند ابن وضاح
وقال الأوزاعي [كان بعض أهل العلم يقول لا يقبل الله من ذي بدعة صلاةً ولا صياماً ولا صدقةً ولا جهاداً ولا حجاً ولا عمرةً ولا صرفاً ولا عدلاً؛ وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم . وتشمئز منهم قلوبهم ويحذرون الناس بدعتهم ]

أخرجه ابن وضاح

وقال الفضيل –رحمه الله– [ لا يرفع لصاحب بدعة إلى الله عمل ]

أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد

ثم ليعلم أنه ليس من شروط تبديع المبتدع خلوه من العبادة

فقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في الخوارج الذين سماهم بـ [كلاب النار ] قال –صلى الله عليه وسلم– عنهم [ تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وجهادتكم مع جهادكم ]

وهم مع ذلك هم [ شرار الخلق ] !

وقال عمر –رضي الله تعالى عنه– :

[ يهدم الدين زلة عالم وجدال منافق بالقرآن والإئمة المضلون ]

وقال معاذ –رضي الله تعالى عنه– :

[ يفتح القرآن فيتعلمه الرجل والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير ]

ثم ذكر ضلال بعضهم وتضليلهم للناس

وقال حذيفة –رضي الله تعالى عنه– عن المنافق :

[ لا يترك ألفاً ولا واواً ، وقد ترك العمل به ] أي القرآن

وأخرج أبونعيم في الحلية بسنده عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– :

[ لا تنظروا إلا صيام أحد ولا صلاته، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وأمانته إذا ائتمن، وورعه إذا أشفى ]

وأخرج ابن وضاح بسنده عن رجل من الصحابة –رضي الله عنهم– :

[ أَشَدُّ النَّاسِ عِبَادَةً مفتون ] يعني صاحب بدعة

ورُوِيَ عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ قَالَ [ بَلَغَنِي أَنَّ مَنِ ابْتَدَعَ بِدْعَةَ ضَلَالَةٍ آلَفَهُ الشَّيْطَانُ الْعِبَادَةَ، أَوْ أَلْقَى عَلَيْهِ الْخُشُوعَ وَالْبُكَاءَ; كَيْ يَصْطَادَ بِهِ ]

الوجه الخامس : ليس من شرط الراد على المردود أن يكون مساوياً للمردود في العبادة أو العلم ومن اشترط هذا فقد أحدث وسبق التنبيه على ذلك

الوجه السادس : ليس من شرط المبتدع ألا يكون عنده شيء من العلم أو التوسع في معرفة المسائل ، ومن اشترط ذلك فقد خالف ما عليه أهل العلم جميعاً ، بل خالف القرآن !

قال الله تعالى { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ }

قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد عن علماء السلف : كانوا أئمة في العلم، مشاهير بالاتباع ، والأخذ عن أمثالهم ، وكان في وقتهم علماء لهم تقدم في علوم ، واتباع على مذهبهم لكنهم وقعوا في شيء من البدع إما القدر ، وإما التشيّع أو الإرجاء عرفوا بذلك فانحطت منزلتهم عند أهل الحق .. ا. هـ المراد

الوجه السابع : أن علمه حجة عليه لا له

كما قال الإمام أحمد –رحمه الله– : ليس العالم مثل الجاهل

وروي عن عمر –رضي الله تعالى عنه– [ لا ينفع تكلم بحق لانفاذ له ]

أي لا عمل به

وروي عن الفضيل [ يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة ]

وقد ذَكر النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة عالم لم ينتفع بعلمه !

ولأجل هذا يقول الشافعي : ليس العلم ما حُفِظ ، العلم ما نفع

وقد أشار أئمة السنة إلى هذا المعنى في مقامات بيان عقيدة أهل الحديث فقال البربهاري –مثلاً– في شرح السنة : اعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة وإن كان قليل العلم والكتب ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب ا.هـ

وقد أخرج ابن بطة في إبطال الحيل بإسناده عن أبي علقمة الليثي ، قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري [ إن الفقه ليس بكثرة السرد وسعة الهذر وكثرة الرواية ، وإنما الفقه خشية الله عز وجل ]
وقد قال مالك –رحمه الله– [ العلم حسن لمن رُزِق خيره ]

" وقد صنع في عصرنا هذا بعض الكفرة ( المعجم المفهرس لألفاظ الحديث )

ونشر من كتب السنة كثيراً مما هو نصرة للسنة لاشك!؟

فهل ننفي عنهم الكفر لهذه الحسنة ، وندخلهم في الإسلام !؟

**والمعتزلة لهم جهود في الرد عى الملاحدة وأهل الكتاب ، وهم معتزلة**

**فهل ندخلهم في مسمى أهل السنة لذلك ؟! " [2]**

**و كم من رجل مطعون في دينه كان يرد على أهل الباطل**
**ومع ذلك فقد كان السلف عليه يردون ومنه يحذرون**

**فخذ على سبيل المثال أبا الحسن الأشعري الذي ذكر الذهبي عنه في السير أنه كان: يرد على المعتزلة، ويهتك عوارهم.**
**قال أبو بكر الصيرفي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى نشأ الاشعري فحجرهم في أقماع السمسم. ا. هـ**

**ومع ذلك لم يكن ذلك مانعاً عند السلف من الرد عليه**
**و الأشعري نفسه لما قدم بغداد جاء إلى الإمام أبي محمد البربهاري، فجعل يقول: رددت على الجبائي، رددت على المجوس، وعلى النصارى.**
**فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الامام أحمد.**
**فخرج وصنف " الابانة " فلم يقبل منه. ا. هـ**

**وقال ابن عبدالهادي عنه في جمع الجيوش ص122: جَمَاعَةً مِنْ أَعْيَانِ الْعُلَمَاءِ قَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ جِهَةِ الْبِدْعَةِ وَمِنْ جِهَةِ الدِّينِ .. ا.هـ**

**وهذا أيضاً أبوبكر الباقلاني الذي قال عنه الذهبي: صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية .. أ. هـ**

**لم يزل الناس يردون عليه ويبينون باطله مذ طلع في عصره إلى زمان ابن تيمية وبعد زمانه ، فهذا الهروي الأنصاري يقول: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي رَافِعٍ، وَخَلْقًا , يَذْكُرُونَ شِدَّةَ أَبِي**

حَامِدٍ عَلِيِّ الْبَاقِلَّانِيِّ، قَالَ: وَأَنَا بَلَّغْتُ رِسَالَةَ أَبِي سَعِيدٍ إِلَى ابْنِهِ سَالِمٍ بِبَغْدَادَ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى هَرَاةَ فَلا تَقْرَبِ الْبَاقِلَّانِيَّ. ا. هـ

وقال ابن تيمية في إبطال التحليل (2 – 129): قَالَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ: وَكَانَ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ شَدِيدَ الْإِنْكَارِ عَلَى الْبَاقِلَّانِيِّ وَأَصْحَابِ الْكَلَامِ . ا.هـ

وهذا الجبائي لما قام ورد على ابن الراوندي الزنديق لم يكن ذلك مانعاً عند العلماء من الرد عليه.
وقد كان الأئمة إذا رأوا من يميل إلى الأشعرية وهو مظهر للرد عليهم لم يأبهوا به وبرده.
قال السجزي في رسالته إلى أهل زبيد: من الناس من يظهر الرد على الأشعرية ويقول: ما أتكلم في الحرف والصوت. ومن كان هكذا، لم يخل أمره من أحد وجهين: إما أن يكون غير خبير بمذهب أهل الأثر، وهو يريد التظاهر به تكسباً أو تحبباً . وإما أن يكون من القوم فيتظاهر بمخالفتهم، ليدلس قولهم فيما يقولونه، فيقبل منه، أو يحسن قبيحهم فيتابع عليه ظناً أنه مخالف لهم، وكثيراً ما يتم على أهل السنة مثل هذا. ا. هـ

وقال ابن تيمية في الاستقامة (1 – 254) : كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شئ من الدين من أهل الأهواء ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء ويذمونهم بذلك ويأمرون بألا يغتر بهم ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام والحجاج أو العبادة والأحوال. ا. هـ

الشبهة الرابعة : قولهم النووي إنما وقع فيما وقع فيه ظناً منه أن هذا هو مذهب السلف ، وهو لم يعرف مذهب السلف حقاً ثم خالفه !
إنما وقع فيما وقع فيه جهلاً
والمرء " إذا فعل الشيء المخالف جاهلاً : فإنه يعذر بجهله ، ولا يحكم عليه بأنه مبتدع ، لكن ما عمله يعتبر بدعة "

فلا يجوز حينئذ تضليله وإخراجه من السنة

والرد على هذه المجازفات من وجوه :

الوجه الأول : ليس كل ظن مخالف للحق منج لصاحبه من العقاب فقد قال الله تعالى {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

قال الطبري في تفسيره : القول في تأويل قوله: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}؛ يقول تعالى ذكره: إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة، إنما ضلوا عن سبيل الله وجارُوا عن قصد المحجة، باتخاذهم الشياطين نُصراء من دون الله، وظُهراء، جهلا منهم بخطأ ما هم عليه من ذلك، بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق، وأن الصواب ما أتوه وركبوا.

**وهذا من أبين الدلالة على خطأ** قول من زعمَ أن الله لا يعذِّب أحدًا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها، إلا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها، **فيركبها عنادًا منه لربه فيها**. لأن ذلك لو كان كذلك، لم يكن بين فريق الضلالة الذي ضلّ وهو يحسَبُ أنه هادٍ. وفريق الهدى، فَرْقٌ . وقد فرَّق الله بين أسمائهما وأحكامهما في هذه الآية. ا.هـ

وقال الله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**}.

أخرج عبد الرَّزَّاق بسنده عَن عَليّ أَنه سُئِلَ عَن هَذِه الْآيَة {قل هَل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً} قَالَ [ لَا أَظن إِلَّا أَن الْخَوَارِج مِنْهُم ]

وقال الطبري : إن الله عز وجل عنى بقوله {هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا}؛ كل عامل عملاً يحسبه فيه مصيباً، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مرض، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر؛ كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في

ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله؛ كفرة .. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً؛ يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون ا.هـ

الوجه الثاني : الجهل ليس مانعا من موانع التبديع

فالأمور البينة الظاهرة في مخالفة النصوص يحكم على صاحبها بما تقتضيه الأدلة ولا يعد الجهل عذراً ، فقد قال الله تعالى آمراً نبيه –صلى الله عليه وسلم– {قل أفغير الله تأمروني أعبد أَيهَا الجاهلون}

ومع إثبات الجهل فيهم فقد قال تعالى {قل يَا أَيهَا الْكَافِرُونَ}

وأخرج البيهقي فِي الدَّلَائِل بسنده عَن الْحسن رَضِي الله عَنهُ قَالَ [ قَالَ الْمُشْركُونَ للنَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: إياك وأجدادك يَا مُحَمَّد فَأنْزل الله {قل أفغير الله تأمروني أعبد أَيهَا الجاهلون} ]

وقال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ}

وقال الله تعالى: {لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

قال الطبري: قوله {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ}؛ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون، ولا فيما يأتون ويذرون؛ فهم معرضون عن الحق جهلاً منهم به، وقلة فهم ا.هـ

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا ، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلاَّ هَالِكٌ ]

أخرجه ابن ماجه من حديث العرباض رضي الله عنه

وقد رُوي من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس –رضي الله عنهما– عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[ مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحد في تركه ]

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه [ لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة؛ فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر ]

وأخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس [ تفسير القرآن على أربعة وجوه، تفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعذر الناس بجهالته ..]

وأخرج ابن أبي شيبة بسنده عن ابن مسعود قال [ إن للقرآن مناراً كمنار الطريق .. ]

قال البربهاري –رحمه الله– في شرح السنة :

فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع ا.هـ

وقال ابن تيمية في المنهاج [1–68] عن الخوارج : لم تكن بدعتهم عن زندقة وإلحاد كالرافضة ، بل عن جهل وضلال في معرفة معاني الكتاب . ا.هـ

وقال اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد عن طريقة أهل الحديث : ولم يزل من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا قوم يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها ، وإنما هلك من حاد عن هذه الطريقة لجهله طرق الاتباع . ا.هـ

وقبله قال الشافعي –رحمه الله– [ لو عُذر الجاهل لأجل جهله؛ لكان الجهل خيراً من العلم؛ إذ كان يحط عن العبد أعباء التكليف، ويريح قلبه من ضروب التعنيف؛ فلا حجة للعبد في جهله بالحكم بعد التبليغ والتمكين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ]

وهذا الكلام من الإمام الشافعي جد متين

وفيه رد على من يريد القول بإعذار النووي وأضرابه بشبهة أن بيئته كانت بيئة قد انتشر فيها التمشعر

وأن الحكم يختلف بإختلاف الزمان والمكان في مثل بدع وضلالات النووي !

وهذا على إطلاقه باطل

بل الأمر كما ذُكر عن النبي –صلى الله عليه وسلم– [ أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ وَرَجُلٌ أَحْمَقُ وَرَجُلٌ هَرِمٌ وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ ]

والمبحوث حاله ليس بمعتوه ولا مجنون ولا غلام (!)

بل هو مطلع على كتب السنة وحافظ لحروف كتاب الله الكريم و" من بلغته دعوة الرسل؛ فقد قامت عليه الحجة إذا كان على وجه يمكن معه العلم, ولا يشترط في قيام الحجة أن يفهم عن الله ورسوله؛ ما يفهمه أهل الإيمان والقبول "

و" الجاهل والمتأول لا يعذر إلا مع العجز, ولذلك قيده ابن القيم بقوله: تأويلاً يعذر صاحبه؛ فليس كل تأويل، وكل جهل يعذر صاحبه.

وليس كل ذنب يجرى التأويل فيه ويعذر الجاهل به, وقد تقدم أن عامة الكفار والمشركين من عهد نوح إلى وقتنا هذا جهلوا، وتأولوا" [1]

" ومما يبين أن الجهل ليس بعذر في الجملة؛ قوله صلى الله عليه وسلم في الخوارج ما قال، مع عبادتهم العظيمة، ومن المعلوم : أنه لم يوقعهم فيما

وقعوا فيه إلا الجهل .. وقد وصف الله سبحانه أهل النار بالجهل؛ كقوله تعالى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}

---

[1] [منهاج التأسيس ص 251] فما بعد

وقال: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}

وقال: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} وقال تعالى: {فَرِيقاً هَدَى وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}

قال ابن جرير – عند تفسير هذه الآية : وهذا يدل على أن الجاهل غير معذور، ومن المعلوم: أن أهل البدع الذين كفرهم السلف والعلماء بعدهم؛ أهل علم وعبادة وفهم وزهد، ولم يوقعهم فيما ارتكبوه إلا الجهل.

والذين حرقهم علي بن أبي طالب بالنار؛ هل آفتهم إلا الجهل؟

ولو قال إنسان: أنا أشك في البعث بعد الموت؛ لم يتوقف من له أدنى معرفة في كفره، والشاك جاهل؛ قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}

وقد قال الله تعالى عن النصارى: {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ} الآية.

قال عدي بن حاتم للنبي صلى الله عليه وسلم: ما عبدناهم؛ قال[ أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه؟ ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟

قال: بلى; قال: فتلك عبادتهم ]

فذمهم الله سبحانه، وسماهم مشركين؛ **مع كونهم لم يعلموا أن فعلهم معهم هذا عبادة لهم؛ فلم يعذروا بالجهل.**

ولو قال إنسان عن الرافضة في هذا الزمان: إنهم معذورون في سبهم الشيخين وعائشة، لأنهم جهال مقلدون؛ لأنكر عليهم الخاص والعام " [1]

---

[1] [الدرر السنية 10/390-393]

و قال محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– : الذي لم تقم عليه الحجة هو الذي حديث عهد بالإسلام، والذي نشأ ببادية، أو يكون ذلك في مسألة خفية، مثل الصرف والعطف؛ فلا يكفر حتى يعرّف. وأما أصول الدين التي أوضحها الله في كتابه، فإن حجة الله هي القرآن؛ فمن بلغه فقد بلغته الحجة ا.هـ

" والأعرابي الذي لم يعلم حرمة الزنا كما في صحيح البخاري عذره عمر بالجهل؛ أما (عالم؛ بل إمام، والحافظ)

و(في بلاد الحضر والكتب!) فأي عذر له؟!!

ثم إن كانت بيئة العالم إن كانت ضالة؛ فالمطلوب منه أن يصلحها؛ بعلمه والرجوع إلى هدي السلف الصالح؛ لا أن يتأثر بها .

وبيئة المبتدعة هي الغالبة على بلاد المسلمين؛ فإنها ثنتان وسبعون فرقة؛ أما أهل السنة فقليلون؛ فهل تعذرون المسلمين جميعاً؛ فلا مشرك، ولا كافر، ولا مبتدع ؟! أو تقولون –مثلاً –: دمشق كلها زمن النووي؛ معذورة! " مستفاد

وقد قال عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه– [ لا يكونن أحدكم إمَّعة يقول :أنا مع الناس :إن اهتدوا اهتديت ، وإن ضلوا ضللتُ ]

" وبقاء المرء في هذه البيئة الحجة عليه :

فقد ذُكِر [ من كَثَّر سواد قوم فهو منهم ] وهذا صحيح المعنى

وقد صح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم [ يؤم حبش الكعبة فيخسف بهم وبأسواقهم وبمن ليس منهم ثم يبعثون على نياتهم ]

فخسف بمن جمعهم به الطريق

فكذلك عقوبة التبديع والتحقير والهجر لمن خالط المبتدعة
والواجب على هذا العالم المزعوم أن يخرج من هذه البيئة الفاسدة
قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً }" مستفاد

ثم لماذا هذه الحجة – اختلاف الزمان– في عدم التبديع فقط!
بينما لا تجدها في وصف كل من له علم بالإمامة ، وإدخال كل المبتدعة في السنة بالأعذار !؟
فلئن كان المعترض لا يقوى على وصف المبتدع بالبدعة ، فما باله يقوى على وصفه بالسنة !؟ بل وبالإمامة فيها أيضاً ؟
فهلا سكت عن الوصفين !؟ " مستفاد

الوجه الثالث : إذا كان النووي وأضرابه جهالاً !
فلا يصح وصفهم بالعلم والإمامة في الدين وقد قال الله تعالى {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }
وقال الله تعالى {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ }
فالجهل –إن سلم–كونه عذراً عن التبديع ، فلا يصلح أن يكون عذراً للتوقير
لأن الجاهل بأصل دينه مع توسعه في علوم الدين أو الدنيا هو أولى بالتحقير لا التوقير ، والتأديب لا التكريم .
والجهل في الاعتقاد شر أنواع الجهل وأعظمه وأضره ، فكيف يقال للجاهل به :عالم وإمام في الدين !؟ ومن سلف هذا المعترض في هذا القول ؟

الوجه الرابع : لو كان الجهل عذراً بإطلاق لما صار هنالك مؤمن وكافر

وسني ومبتدع
إذ كل من عصى الله فهو جاهل فيما أتى
قال الله تعالى {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ }
أخرج الطبري بسند جيد عَن أبي الْعَالِيَة أَن أَصْحَاب رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانُوا يَقُولُونَ [كل ذَنْب أَصَابَهُ عبد فَهُوَ جَهَالَة ]

وَأخرج عبد الرَّزَّاق بسند صحيح عَن قَتَادَة قَالَ [ اجْتمع أَصْحَاب مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَرَأَوْا أَن كل شَيْء عصي بِهِ فَهُوَ جَهَالَة عمدا كَانَ أَو غَيره ]

وَأخرج الطبري بسنده عَن مُجَاهِد فِي قَوْله جَهَالَة قَالَ [كل من عصى ربه فَهُوَ جَاهِل حَتَّى ينْزع عَن مَعْصِيَته ]

" وقال الحسن وقتادة وعطاء والسُّدِّي وغيرهم
[ إنما سموا جهالاً لمعاصيهم، لا أنهم غير مميزين ] .
وقال الزجاج: ليس معنى الآية: أنهم يجهلون أنه سوء؛ لأن المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سوءاً، وإنما يحتمل أمرين:
أحدهما: أنهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه.
والثاني: أنهم أقدموا على بصيرة وعلم بأن عاقبته مكروهة، وآثروا العاجل على الآجل، فسموا جهالاً لإيثارهم القليل على الراحة الكثيرة، والعافية الدائمة .

فقد جعل الزجاج الجهل إما عدم العلم بعاقبة الفعل، وإما فساد الإرادة، وقد يقال: هما متلازمان " مستفاد
قال ابن تيمية في الإقتضاء : من عمل بخلاف الحق: فهو جاهل ا.هـ

"فأصل ما يوقع الناس في السيئات الجهل وعدم العلم بكونها تضرهم ضررا راجحا أو ظن أنها تنفعهم نفعا راجحا

ولهذا قال الصحابة رضي الله عنهم [كل من عصى الله فهو جاهل ] " مستفاد

"وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل، فمتى صدر خلافه فلا بد من غفلة القلب عنه، أو ضعفه بما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم، فيصير جهلا بهذا الاعتبار."

الوجه الخامس : القول بأن النووي لم يخالف طريقة السلف على علم (!)

مجازفة باردة فالنووي يقول بلسان عربي " الْإِمْسَاكُ عَنْ تَأْوِيلِهَا –أي النصوص– مَعَ اعْتِقَادِ تَنْزِيهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَنْ صِفَاتِ الْمُحْدَثِ .. وَهَذَا مَذْهَبُ السَّلَفِ وَجَمَاعَةٍ مِنْ الْمُتَكَلِّمِينَ "

ثم هو يخالف ظنه لمذهب السلف فيذهب ويتأول النصوص –ودع عنك نقوله لتحريفات أئمته– وخذ أمثلة على أقواله هو في ترجيح التأويل

قال في شرح مسلم [5–171] :

الْحُبُّ وَالْبُغْضُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى إِرَادَتُهُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ أَوْ فِعْلُهُ ذَلِكَ بِمَنْ أَسْعَدَهُ أَوْ أَشْقَاهُ وَالْمَسَاجِدُ مَحَلُّ نُزُولِ الرَّحْمَةِ وَالْأَسْوَاقُ ضِدُّهَا ا.هـ

وقال الشارح : يُحِبُّ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ أَيْ فَيُجْزِلُ لَهُمُ الْعَطَاءَ وَالْكَرَامَةَ وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ يَكْرَهُونَ لِقَاءَهُ لِمَا عَلِمُوا مِنْ سُوءِ مَا يَنْتَقِلُونَ إِلَيْهِ

وَيَكْرَهُ اللَّهُ لِقَاءَهُمْ أَيْ يُبْعِدُهُمْ عَنْ رَحْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ وَلَا يُرِيدُ ذَلِكَ بِهِمْ وَهَذَا مَعْنَى كَرَاهَتِهِ سُبْحَانَهُ لِقَاءَهُمْ .. ا.هـ

وقال أيضاً : قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللَّهُ عَلَيْكِ وَيُوعِيَ عَلَيْكِ) هُوَ مِنْ بَابِ مُقَابَلَةِ اللَّفْظِ بِاللَّفْظِ لِلتَّجْنِيسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى {وَمَكَرُوا ومكر الله}

وقال: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى) مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ وَعَنْ جَمِيعِ النَّقَائِصِ وَأَنَّ الدَّجَّالَ مَخْلُوقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى نَاقِصُ الصُّورَةِ ا.هـ

وقال : وَالْمُرَادُ بِالْوَجْهِ الذَّاتُ ا.هـ

وقال : الْمُرَادُ بِغَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظْهَرُ مِنَ انْتِقَامِهِ مِمَّنْ عَصَاهُ ..ا.هـ

وقال : كَمَا أَنَّ رِضَاهُ ظُهُورُ رَحْمَتِهِ وَلُطْفُهُ بِمَنْ أَرَادَ بِهِ الْخَيْرَ وَالْكَرَامَةَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ التَّغَيُّرُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَاءِ ! ا.هـ

وقال : فَاسْتَحَى اللَّهُ مِنْهُ أَيْ رَحِمَهُ وَلَمْ يُعَذِّبْهُ بَلْ غَفَرَ ذُنُوبَهُ ا.هـ

وتتبع هذا يطول

وإنما وقع الشارح في هذه الضلالات بناءاً على اعتقاده أن مذهب السلف "أسلم"[شرح مسلم 3-19]

ثم هو بترجيحه لمذهب الخلف دل على أنه أعلم عنده عند الاحتياج له !

وهذا باطل وغباء وقد سبق بيان بطلانه

**الشبهة الخامسة** : قولهم: النووي لا يعرف له انتساب وانتماء لأي فرقة من الفرق البدعية فكيف يخرج من السنة. !

والجواب عن هذا الهراء من وجوه :

الوجه الأول : لم يشترط أحد من السلف والأئمة في تبديع من استوجب ذلك الانتساب إلى غير السنة بل كانوا ينصون على أن من خالفهم بأصل واحد فهو مبتدع وقد سبق نقل أقوالهم ، فهذا القيد محدث

نعم من انتسب إلى أي أمر محدث فحقه التضليل ولا مرية –على ما تقتضيه الأدلة–
وإن لم تعلم له مخالفة للسنة غير هذه

كما قال ابن عباس –رضي الله عنهما– [من أقر باسم من هذه الأسماء المحدثة ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ] أخرجه ابن بطة في الإبانة

وبسنده عن ميمون بن مهران يقول [ إياكم وكل هوى يسمى بغير الإسلام ]

وبسنده عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس

قال : قال رجل : أنت على ملة علي ؟

قلت [ ولا على ملة عثمان ، أنا على ملة محمد صلى الله عليه وسلم ]

الوجه الثاني : أن من يورد مثل هذه الإعتراضات الركيكة هو نفسه يبدع من ينتسب إلى السنة (!) لمخالفته المستوجبة لذلك

مع عدم النظر إلى هذا القيد المحدث

مما يدلك أن الأمر عنده عبارة عن هوى جامح لاغير ، وقد قال ابن عباس :

[ الهوى كله ضلالة ] أخرجه ابن بطة الإبانة

وأخرج الهروي في ذم الكلام بسنده عن الشعبي قال :

[ إنما سمي هوى لأنه يهوي بأصحابه ]

الوجه الثالث : أن هذا الزعم غير صحيح

بل الشارح أشعري جلد مفتخر ومتبجح بأشعريته !

فها هو يقول في كتابه تهذيب اللغات [2–170] عن أبي إسحاق الإسفراييني : وكان الأستاذ أحد الثلاثة الذين اجتمعوا فى عصر واحد على نصر مذهب الحديث والسنة فى المسائل الكلامية، القائمين بنصرة مذهب الشيخ أبى الحسن الأشعرى، وهم الأستاذ أبو

إسحاق الإسفرايني، والقاضى أبو بكر الباقلانى، والإمام أبو بكر بن فورك . ا.هـ

فالرجل يسمي مذهب الأشعري مذهب الحديث والسنة !!

ثم لا يجعل المرء نصرت مذهب الأشعري منقبة = إلا من كان متبجحاً بالتمشعر

وقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا رَضِيَ هَدْيَ الرجل وعمله فإنه مثله ]

والنووي يصرح ويقول أن المتكلمين هم أصحابه !

و أنهم أئمته = يعني أنه هو مؤتم بهم !

فيقول في شرحه [1–148] : قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَصْحَابِنَا الْمُتَكَلِّمِينَ .. ا.هـ

ويقول [1–143] : قَالَ أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ ..اهـ

ويقول [1–155] : وَقَدْ قَرَّرَ أَئِمَّتُنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ذَلِكَ (!) اهـ

وقد أخرج ابن بطة في الإبانة بسنده عن ابن مسعود [ اعتبروا الصاحب بالصاحب ]

وبسنده عن مجاهد ، قال : نظر ابن عباس إلى رجل فقال[ إن ذاك ليحبني ]

قال : قيل له : يا أبا عباس وما يدريك ؟

قال [ لأني أحبه ، إن الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ]

وبسنده عن هشام بن عروة ، أن عمر بن عبد العزيز [ أخذ قوما على شراب ، ومعهم رجل صائم ، فضربه معهم ، فقيل له : إن هذا صائم ، فقال {فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم} ]

وبسنده عن قتادة [ إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله ، وشكله ]

وقال مالك بن دينار [كل إنسان مع شكله ]

وقال الأوزاعيّ –رحمه الله تعالى– :

[ يعرف الرجل في ثلاثة مواطن : بألفته ، ويعرف في مجلسه ، ويعرف في منطقه ]

وقال أبو حاتم : قدم موسى بن عقبة الصوري بغداد ، فذكر لأحمد بن حنبل ، فقال :

[ انظروا على من نزل ، وإلى من يأوي ] .

وقد صدق عبدالرحمن بن حسن –رحمه الله– لما قال كما في الدرر السنية :

**كل صاحب بدعة ، لا يألف إلا كتب من هو مثله ، كالأشاعرة ، فإنهم لا يألفون من التفاسير وغيرها ، إلا تفاسير من هو مثلهم في المعتقد ، ممن يؤول النصوص،** ويصرفها عن مدلولها اللائق بجلال الله، وعظمته، ويخالف أهل السنة في الإيمان، وحكمة الرب تعالى، ويقول بالجبر; وهذه البدع أخذوها عن أتباع جهم بن صفوان. وكذلك المعتزلة، لا يقبلون إلا تفاسير أمثالهم في المعتقد. ا.هـ

ويقول النووي في شرحه [1–220] : فَنُقَرِّرَ أَوَّلًا أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ أَنَّ أَهْلَ الذُّنُوبِ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى ا.هـ

فالمتكلمون والأشاعرة عنده من أهل السنة !

وهذا كذب على السنة وأهلها

بل هؤلاء من أهل البدع والضلال بالإجماع

قال ابن عبد البر في جامعه : أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار من طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه .

وقال ابن خويز منداد: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا؛ هم أهل الكلام؛ فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع؛ أشعرياً كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً، ويهجر، ويؤدب على بدعته؛ فإن تمادى عليها استتيب منها اهـ

وهذا الشارح الذي يزعم أنه شافعي المذهب ما درى أما أنه تغافل عن قول الشافعي – رحمه الله– : حكمي على علماء الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام اهـ

ورحم الله أبو الحسن الكرجي القائل : مَنْ قَالَ: أَنَا شَافِعِيُّ الشَّرْعِ أَشْعَرِيُّ الِاعْتِقَادِ قُلْنَا لَهُ: هَذَا مِنْ الْأَضْدَادِ لَا بَلْ مِنْ الِارْتِدَادِ إذْ لَمْ يَكُنْ الشَّافِعِيُّ أَشْعَرِيَّ الِاعْتِقَادِ .اهـ

وقد صدق البربهاري ونصح حين قال : واعلم أنها لم تكن زندقة و لا كفر ولا شكوك ولا بدعة ولا ضلالة ولا حيرة في الدين إلا من الكلام وأهل الكلام والجدل والمراء والخصومة ا.هـ

الشبهة السادسة : قولهم: النووي في الحقيقة متأول، والمتأول إذا أخطأ مع اجتهاده فله أجر !

والجواب عن هذا أن يقال: الاجتهاد له شرطه الشرعي و إلا كان المجتهد مذموما بل ملعوناً !

فقد أخرج أبوداود في سننه بسنده عَنْ جَابِرٍ قَالَ : خَرَجْنَا فِى سَفَرٍ فَأَصَابَ رَجُلاً مِنَّا حَجَرٌ فَشَجَّهُ فِى رَأْسِهِ ثُمَّ احْتَلَمَ فَسَأَلَ أَصْحَابَهُ

فَقَالَ هَلْ تَجِدُونَ لِى رُخْصَةً فِى التَّيَمُّمِ

فَقَالُوا مَا نَجِدُ لَكَ رُخْصَةً وَأَنْتَ تَقْدِرُ عَلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ فَمَاتَ

فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى النَّبِىِّ –صلى الله عليه وسلم– أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ [ قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَلاَّ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِىِّ السُّؤَالُ .. ]

فلم يعتذر لهم بالاجتهاد ؟ ! بل دعا عليهم !

و أمرهم بسؤال من يعلم

وفي الحديث الآخر قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم [ من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصى أميري فقد عصاني ]

و قد أرسل أميرًا على طائفة ، فجرى شيء ، فأمرهم أن يوقدوا نارًا و أن يدخلوا فيها فهَمَّت طائفة أن يطيعوه ، فيدخلوها !

و قالت طائفة : لا و الله لا ندخلها

فلما قدموا على رسول الله – صلى الله عليه و سلم أثنى ثناءً حسنًا على الذين أَبَوْا ، و قال فيمن همَّ بالدخول فيها قولاً شديدًا

وبَيَّن سبب ذلك [ إنما الطاعة في المعروف ] و [ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ]

فلما كان الاجتهاد في هذا غير مأذون فيه لام من اجتهد فأخطأ

وقد ذُكِر عن رسول الله – صلى الله عليه و سلم [ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ ] وذلك لأنه دخل البيت مِن غير بابه ، فإن القرآن لا يُقال فيه بالرأي ، قال تعالى { وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا}

وقد ورد عن الحسن البصري أنه قال : مر بي أنس بن مالك، وقد بعثه زياد إلى أبي بكرة يعاتبه؛ فانطلقت معه فدخلنا على الشيخ وهو مريض؛ فأبلغه عنه؛ فقال: إنه يقول: ألم أستعمل عبيدالله على فارس؟
ألم أستعمل رواداً على دار الرزق؟
ألم أستعمل عبدالرحمن على الديوان وبيت المال؟
فقال أبو بكرة [ هل زاد على أن أدخلهم النار؟ ]
فقال أنس [ إني لا أعلمه إلا مجتهداً ] .
فقال الشيخ [ اقعدوني؛ إني لا أعلمه إلا مجتهداً!
وأهل حروراء قد اجتهدوا؛ فأصابوا أم أخطأوا؟ ]
قال أنس [ فرجعنا مخصومين ] أخرجه صالح بن أحمد في مسائله بسند صحيح

وأخرج ابن الجعد في مسنده بسند صحيح إلى أبي الْعَالِيَةِ قَالَ : قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [ الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ، فَأَمَّا اللَّذَانِ فِي النَّارِ فَرَجُلٌ جَارَ مُتَعَمِّدًا فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ اجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ فَهُوَ فِي النَّارِ ]

" ولو كان الأمر كما يقول المرجئة –في أن كل مجتهد مأجور– لما هرب من هرب السلف من القضاء ، فإن له على أي حالٍ أجراً ، ولما تدافع السلف الصالح –رحمهم الله تعالى– الفتيا –كلهم يود لو أن صاحبه كفاه " مستفاد

وعلى هذا المعنى إجماع أهل السنة في أن من وقع في بدعة ظاهرة في مخالفة النصوص أنه لا يعذر باجتهاده

قال ابن أبي زيد القيرواني في الجامع : ومن قول أهل السنة: إنه لا يعذر من أداه اجتهاده إلى بدعة؛ لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا ؛ إذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة؛ فسماهم عليه الصلاة والسلام (مارقين من الدين) اهـ

وقال عبداللطيف بن عبدالرحمن –رحمه الله– في منهاج التأسيس :
المسائل التي يسقط الذم عن المخطئ فيها إذا اجتهد واتقى الله ما استطاع؛ هي المسائل الاجتهادية؛ أي التي يسوغ الاجتهاد فيها، أو ما يخفى دليله في نفسه ولا يعرفه إلا الآحاد؛ بخلاف ما علم بالضرورة من دين الإسلام؛ كمعرفة الله بصفاته وأسمائه وأفعاله وربوبيته ومعرفة ألوهيته وكتوحيده بأفعال العبد وعباداته .اهـ
وقال سليمان بن سحمان –رحمه الله– في إجماع أهل السنة: هل أوقع الاتحادية والحلولية فيما هم عليه من الكفر البواح والشرك العظيم والتعطيل لحقيقة وجود رب العالمين؛ إلا خطأهم في هذا الباب الذي اجتهدوا فيه فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل؟ وهل كفر القرامطة وانتحلوا ما انتحلوه من الفضائح الشنيعة وخلع ربقة الشريعة؛ إلا باجتهادهم فيما زعموا؟
وهل قالت الرافضة ما قالت واستباحت ما استباحت من الكفر والشرك وعبادة الأئمة الاثني عشر وغيرهم ومسبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين؛ إلا باجتهادهم فيما زعموا؟ . اهـ
فالمتأول لا يعذر بتأويله في هذا الجنس الذي أشرت إليه من المخالفات بل يحكم عليه بما يستحق من تكفير أو تبديع كما قال ابن تيمية في المجموع : مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا .. ا.هـ المراد
وقال في المجموع أيضاً : قد يكون كل من المتنازعين مبتدعاً ، وكلاهما جاهل متأول اهـ

وقال: ومن تعبد بعبادة ليست واجبة ولا مستحبة، وهو يعتقدها واجبة أو مستحبة؛ فهو ضال مبتدع اهـ

وقال قوام السنة في الحجة : الدين إنما جاء من قبل الله تعالى؛ لم يوضع على عقول الرجال، وآرائهم قد بين الرسول صلى الله عليه وسلم السنة لأمته، وأوضحها لأصحابه؛ فمن خالف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الدين؛ فقد ضل . اهـ

الشبهة السابعة : قولهم: النووي لم ينشأ التأويل من كيسه وإنما يكون ناقلا بمن يحسن الظن به لا مقررا من عنده.

والجواب عن هذا من وجهين :

الوجه الأول : كونه لم ينشأ هذه الأقوال من عنده لا يغير من الحكم شيئاً إذ قد أجمع السلف أن من خالفهم في أصل من أصولهم بل في إثبات صفة مما أجمعوا عليها أنه مبتدع وقد سبق بيان هذا

وكون المعين لم ينشئ هذه البدع من عنده لا تعفيه من كونه معتقداً بها وداعياً لها، ولو كان هذا القيد شرطاً لما بُدع إلا رؤس المبتدعة الذين أنشؤا هذه الضلالات وهذا لا قائل به على حد علمي

الوجه الثاني : لا عذر بتقليد يُعذر به عالم أو داعية إلى بدعة ، إذ من يقلد ليس بعالم فيما قلد بالإجماع ، وقد قال عبدالله بن مسعود –رضي الله تعالى عنه[ لا تقلدوا دينكم الرجال ] و في رواية [ لا يكن أحدكم إمعة ]
وقال أحمد –رحمه الله– : لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا

وقال الشاطبي: دخل في مسمى أهل الابتداع؛ إذ كان من حق من كان هذا سبيله؛ أن ينظر في الحق ويسأل حتى يتبين اهـ

الوجه الثالث :" التقليد ليس عذراً في مثل هذا ، وإلا لعذر الله المشركين؛ لما احتجوا بالتقليد قائلين {إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ} فالتقليد مذموم شرعاً؛ فضلاً عن أن يكون عذراً شرعياً؛ والأعذار ما لم تكن أعذاراً شرعية؛ فهي أعذار بدعية "

الوجه الرابع : الواجب على المرء الاتباع فمن خالف حكم عليه بحسب ما تقتضيه الأدلة وقد قال عمر –رضي الله عنه– [ لا عذر لأحد في ضلالة ركبها .. فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر ]

قال البربهاري –رحمه الله– في شرح السنة : وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع اهـ

الشبهة الثامنة : قولهم أن الرجل ناصح، وقد كتب الله لمؤلفاته القبول فكيف يخرج من السنة !

والجواب : أين نصح الرجل لنفسه باتباع السنة وترك الهوى ؟!

بل الرجل غاش لنفسه

وغشاش لغيره بثنائه ومدحه لأئمة الضلال والكلام المحدث

وبنشره للبدع والضلالات باسم مذهب أهل السنة وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ] هذا أولاً

ثانياً : قد ثبت في الحديث الذي في الصحيحين وغيرهما عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ [ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ

جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ]

فهذا الحديث يبين أن من علامات التوفيق للمرء أن يكتب له القبول بحيث يحصل له "الحب في قلوب أهل الدين والخير له والرضا به واستطابة ذكره في حال غيبته "

كما قال كعب –رحمه الله– :

[ والله ما استقر لعبد ثناء في أهل الدنيا حتى يستقر له في السماء ]

ومعرفة هذا راجعة إلى من قال النبي –صلى الله عليه وسلم– فيهم :

[ أنتم شهداء الله في الارض ]

وفي رواية [ والمؤمنون شهداء الله في الارض ]

وفي لفظ [ إن لله ملائكة تنطق على ألسنة بني آدم بما في المرء من الخير والشر ]

وهل هذا الأمر متحقق في النووي ؟

فهل الحب له والرضا به وبتصانيفه والثناء عليها –مطلقاً– متحقق ؟

لا والله ، حتى أن بعض أهل التمييع كتب كتاباً في بيان بعض انحرافاته ولم يزل شيوخ المعترض يحذرون –إجمالاً– مما في كتب الشارح من تجهمات وبدع

ويأتيك في الجواب عن الشبهة العاشرة مزيد إيضاح لهذه الحقيقة

ثالثاً : هذه الكلمة فيها نوع تألٍ على الله وقد قال ابن مسعود –رضي الله عنه– :

[ من يتأل على الله يكذبه ] رواه ابن بطة في الإبانة

فإن قائل هذا القول لما رأى في محيطه انتشار وتداول بعض الناس (=الجهال) لكتب الشارح والإطراء والمبالغة لما فيها !

فظن أن هذا دليل القبول لهذه التصانيف !

ولو تأمل منصفاً في قوله تعالى {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}

وقوله تعالى {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم– :

[ يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان ..] لتبين له حقيقة مجازفته
وقد صدق الإمام أحمد –رحمه الله– إذ يقول :
[ من ادعى الإجماع فقد كذب وما يدريه أن الناس لم يختلفوا ]

رابعاً : لو قال قائل للمعترض بهذه الشبهة عقيدة النووي (= تجهمه وإرجاءه وجبره) حق لا مرية فيه !
لأن الله قد كتب لكتبه القبول ! والتي فيها هذه العقائد !
فما صلح جواباً لهذا القائل فهو جواب على المعترض أيضاً والحمد لله

**الشبهة التاسعة** : قولهم: لم يبلغنا أن النووي أصر بعد نصيحة ولا كابروا ولا أنه عاند فلا نستطيع أن نبدعه حتى تقام عليهم الحجة
فالموضوع راجع إلى اتباع الهوى ، إلى الاصرار على الباطل, إلى عدم الرجوع مع بيان الحق له !

والجواب على هذا من وجوه :
الوجه الأول : لا يشترط النصح قبل الحكم على المخالف بما تقتضيه الأدلة وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ بئس خطيب القوم أنت ] قبل أن ينصحه !

وقال معاوية بن قرة –رحمه الله تعالى– :
[ كنا إذا رأينا الرجل يقص قلنا صاحب بدعة هذا ]. رواه ابن وضاح بإسناد حسن ، ومعاويه تابعي يذكر عن التابعين من السلف الصالح –رحمهم الله تعالى–

الوجه الثاني : لا يشترط إقامة الحجة قبل التبديع فيما وقع في بدعة ظاهرة في مخالفة النصوص وقد قال ربيع المدخلي الذي يعظمه بل يغلو فيه المعترض بهذه الشبهة حتى قال فيه ( الإمام .. شيخ الإسلام .. ولي من أولياء الله ) !

قال في جوابه عن اشتراط إقامة الحجة قبل التبديع فقال : من وقع في بدعة فعلى أقسام:

القسم الأول: أهل البدع كالروافض والخوارج والقدرية .. والمرجئة ومن يلحق بهم كالأخوان والتبليغ وأمثالهم فهؤلاء لم يشترط السلف إقامة الحجة من أجل الحكم عليهم بالبدعة فالرافضي يقال عنه: مبتدع والخارجي يقال عنه: مبتدع وهكذا، سواء أقيمت عليهم الحجة أم لا.

القسم الثاني: من هو من أهل السنة ووقع في بدعة واضحة كالقول بخلق القرآن أو القدر أو رأي الخوارج وغيرها فهذا يبدع وعليه عمل السلف.

ومثال ذلك ما جاء عن ابن عمر – رضي الله عنه – حين سئل عن القدرية قال [ فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني ] رواه مسلم

قال شيخ الإسلام رحمه الله في درء تعارض العقل والنقل (254/1):

" فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل.

ويرُاعون أيضاً الألفاظ الشرعية ، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلا. ومن تكلم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه.

ومن تكلم بلفظ مبتدع يحتمل حقا وباطلا نسبوه إلى البدعة أيضا ، وقالوا : إنما قابل بدعة ببدعة وردَّ باطلا بباطل" . ا.هـ المراد

الوجه الثالث : سبق بيان أن إرادة الرجل للخير ليست من موانع التبديع ، وقد قال ابن حجر إمام هذا المعترض في نزهة النظر : أو فسقِهِ: أي: بالفعل أو القول، مما لم يَبْلُغ الكفر. وبينه وبين الأوَّلِ عموم، وإنما أُفْرِدَ الأوَّلُ لكون القدْحِ به أشدَّ في هذا الفن، وأما الفسق بالمعتقد فسيأتي بيانه

–أو وَهْمِهِ: بأن يَرْوِي على سبيل التوهمِ

-أو مخالفتِهِ، أي للثقات

-أو جهالتِهِ: بأن لا يُعْرَفَ فيه تعديلٌ ولا تَجْرِيحٌ مُعَيَّنٌ

-أو بـدعتِـهِ: وهي اعتقاد ما أُحْدِثَ على خِلاف المعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم، لا بمعانـدةٍ، بـل بنـوعِ شُبْهَـةٍ اهـ

فاشترط العسقلاني في المبتدع بدعة مفسقة ألا يكون ( معانداً ) لأن المعاند للشرع (كافر) فهلا أخذ المعترض بقول إمامه ؟!

**الشبهة العاشرة** : قولهم إن أحداً من أهل العلم لم يتكلم في النووي وابن حجر وينسبهما إلى البدعة ويخرجهما من السنة

لا ابن تيمية ولا ابن القيم ولا طلابهما

ولا محمد بن عبدالوهاب ولا طلابه !

إنما جاء هذا القول من أناس غلاة !!

والجواب عن هذا الكلام من وجوه :

الوجه الأول : أن الكلام في المعين جرحاً أو تعديله مناطه العلم فمن تكلم بعلم وحجة وجب قبول قوله ، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– [ البينة على المدعي ]

وقال ابن مسعود –رضي الله عنه– [من جاءك بالحق فاقبل منه] رواه أبونعيم

والمتكلم في متأخر أو معاصر لا يلزم مثل هذه الإلزامات وبالإمكان إلزامهم بعدة أمثلة على هذا : فنقول مثلاً من سبقكم في تبديع القاسمي

وقد عاصر وجاء بعده فلان وعلان من العلماء فلم يتكلموا فيه !!!

ثم قد قال الإمام أحمد – رحمه الله– :

[ من ادعى الإجماع فقد كذب وما يدريه أن الناس لم يختلفوا ]

الوجه الثاني : أن هذا النفي ليس علماً بالعدم وإنما هو عدم علم
وهل يا ترى قرأ المعترض كتب ابن تيمية كتاباً كتاباً وورقة ورقة
مع العلم أن بعض كتبه في عداد المفقود أصلاً !

{ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا }

الوجه الثالث : قد تكلم ابن تيمية في أئمة الشارح وأضرابه وبدعهم وبين ضلالهم – كالرازي– وهذا الحكم منسحب على متبوعيهم –بحسب ما تقتضيه الأدلة– فلماذا هذه الظاهرية ؟!

الوجه الرابع : أن هذا النفي مجازفة منشأها العصبية للباطل وأهله

فقد تكلم غير واحد في النووي وصنوه ابن حجر وبينوا اعتقادهم وأنهم من الأشاعرة (= لا من أهل السنة )

فقال الذهبي في تاريخ الإسلام [15–324] في ترجمة النووي :

إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت ، وإمرارها كما جاءت ،وربما تأول قليلاً في شرح مسلم . [والنووي رجل **أشعري العقيدة** معروف بذلك، **يبدع من خالفه** ويبالغ في التغليظ عليه] . اهـ

قال المحقق لتاريخ الإسلام عن الفقرة الثانية : هذه الفقرة كتبها المصنف بآخرة اهـ

وهذا موافق لما هو ظاهر من حال الشارح
فهو يصف الشيرازي بـ " الإمام الجليل "
وقد تولى النووي شرح مهذبه في كتابه الضخم " المجموع"
وقد قال الشيرازي في شرحه على اللمع : **فمن اعتقد غير ما أشرنا** إليه من اعتقاد أهل الحق المنتسبين إلى الإمام أبي الحسن الاشعري رضي الله عنه **فهو كافر .**

وقديماً قيل [ لا نسأل عن الرجل بعد ثلاث ممشاه ومدخله وألفه من الناس ]

وقد ذكر غير واحد من أصحاب الشارح اعتقاده فقال السَّخاوي في ترجمته : وصرح اليافعي والتاج السُّبكي أنه أشعري

وقال حمد بن عتيق –رحمه الله– : اعلم أرشدك الله أن الذي جرينا عليه، أنه إذا وصل إلينا شيء من المصنفات في التفسير، وشرح الحديث، اختبرنا واعتبرنا معتقده في العلو والصفات والأفعال، فوجدنا الغالب على كثير من المتأخرين أو أكثرهم مذهب الأشاعرة الذي حاصله نفي العلو، وتأويل الآيات في هذا الباب، بالتأويلات الموروثة عن بشر المريسي وأضرابه من أهل البدع والضلال ; ومن نظر في شرح البخاري ومسلم ونحوهما ، وجد ذلك فيها. اهـ

وقال محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله– في رسالته إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف: ومما يهوّن عليك مخالفة من خالف الحق وإن كان من أعلم الناس وأذكاهم وأعظمهم جاهاً ولو اتبعه أكثر الناس: ما وقع في هذه الأمة من افتراقهم في أصول الدين وصفات الله تعالى وغالب من يدعي المعرفة وما عليه المتكلمون وتسميتهم طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حشواً وتشبيهاً وتجسيماً مع أنك إذا طالعت في كتاب من كتب الكلام – مع كونه يزعم أن هذا واجب على كل أحد وهو أصل الدين – تجد الكتاب من أوله إلى آخره لا يستدل على مسألة منه بآية من كتاب الله ولا حديث عن رسول الله اللهم إلا أن يذكره ليحرفه عن مواضعه.

وهم معترفون: أنهم لم يأخذوا أصولهم من الوحي بل من عقولهم ومعترفون: أنهم مخالفون للسلف في ذلك, مثل ما ذكر في فتح الباري في مسألة الإيمان على قول البخاري: وهو قول وعمل ويزيد وينقص فذكر إجماع السلف على ذلك

وذكر عن الشافعي: انه نقل الإجماع على ذلك وكذلك ذكر أن البخاري نقله، ثم بعد ذلك حكى كلام المتأخرين ولم يردّه. اهـ

وقال الشيخ سليمان بن سحمان – رحمه الله في تبرئة الشيخين :

وأما قول ابن حجر أن تسمية هؤلاء (مانعي الزكاة) أهل الردة تغليباً مع الصنفين الأولين، وإلا فليسوا بكفار انتهى. فهذا تأويل منه وليس بأبشع ولا أشنع من ما تأولوه في الصفات.

وقد ثبت ذلك في الكتاب والسنة لأنهم رأوا ذلك مستحيلاً في عقولهم وإذا كان صدر منهم ذلك في صفات رب العالمين وتأولوها بما لا يليق بجلال الله وعظمته فكيف لا يتأولون ما صدر من الصحابة مما يخالف آراءهم وتحيله عقولهم. وقد بينا ما في ذلك من الوهم والغلط على الصحابة بمجرد بما فهموه ورأوا أنه الحق وإذا ثبت الإجماع عن الصحابة بنقل الثقات فلا عبرة بمن خالفهم

وادّعى الإجماع على ما فهمه وليس ما نقله عنهم بلفظ صريح يدل على عدم تفكيرهم وإنما هو بدعاوى مجرد عن الدليل

ولم يخالف الشيخ محمد رحمه الله ما في البخاري.... ا.هـ المراد

ولما جيئ ببعض هذا لمن يبالغ ويجازف بالنفي قال: كان في محمد بن عبدالوهّاب حماس واندفاع الشباب مثلكم !

وأيضاً من المعاصرين –وأقوالهم أشبه بالحجج عند المعترض– مقبل الوادعي فقد قال: النّووي أشعري اهـ

وسئل الواعي كما في غارة الأشرطة [2-87] ما الذي منع من إطلاق لفظة مبتدعة على الحاكم وابن حجر والنووي مع أن البدعة قد وقعت عليهم ؟

فقال : لا بد للعالم أن يخطىء، ويقال: إنهم أخطئوا لا ينبغي أن يتبعوا على خطئهم

والبدعة تتفاوت، ومن أطلق عليهم لفظ البدعة فلا ننكر عليه لكنني أتحاشى أن أطلق عليهم أنهم مبتدعة اهـ

فالقضية –عنده– أقرب ما تكون إلى الأدب المزعوم الذي ادعاه ربيع المدخلي لما قال عن ابن حجر والنووي : إذا قلت : عندهم أشعرية قالوا :لابدّ أن تقول : مبتدع ،إذا لم تقل مبتدع فأنت مبتدع !

قلنا لهم : إذا قلنا أشعري معناه أنه عنده بدعة ؛الإنسان يريد أن يتأدب في لفظه (!!) ليس لازما أن تقول عنه مبتدع .

أنا أقرأ لكم تراجم من البخاري ؛يمرّ على جابر الجعفي ويمر على غيره لا يقول مبتدع وهو يعرف أنه رافضي ولا يقول أنه مبتدع ،لأن هذا ليس لازما ،بيّن ضلاله نصحا للناس لكن ليس لازما أن تقول مبتدع أو غير مبتدع فأبوا

يتصل علي أناس من الخارج من أبها يقول لي :ما رأيك في ابن حجر ،أقول له : عنده أشعرية ،يقول لي :أبدا ،أنت ضالّ لابدّ أنتقول مبتدع اهـ

سبحان الله

وهل التبديع لمن استحقه قلة أدب ؟!

وعلى هذا ماذا يسمى تبديع السلف لمستحقيه ؟!!

وأما مسألة الإلزام بوصف المعين بالبدعة وعدم الإكتفاء بوصفه بالأشعرية !

فيقال المصيبة إنما نبعت ممن يقول أشعري وليس بمبتدع

كما سيأتيك بإذن الله في الشبهة التالية

وقد قال الإمام أحمد [ فلما زادوا زدنا ]

و قال أحمد بن يونس : رأيت زهير بن معاوية جاء إلى زائدة فكلمه فى رجل يحدثه ،

فقال : من أهل السنة هو ؟

قال : ما أعرفه ببدعة . فقال : من أهل السنة هو ؟

فقال زهير : متى كان الناس هكذا ؟

فقال زائدة : متى كان الناس يشتمون أبا بكر و عمر ! .

ومتى كان الناس يعدون الأشعرية من أهل السنة ؟؟!

وَقَدْ روي عن عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

[ تَحْدُثُ لِلنَّاسِ أَقْضِيَةٌ بِقَدْرِ مَا أَحْدَثُوا مِنَ الْفُجُورِ ]

وقد قال قريباً محمد بن هادي : أما النووي فأشعري غضب من غضب ورضي من رضي، فالله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين اهـ

فهؤلاء بعض من تكلم في المذكورين من المتأخرين والمعاصرين {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}

**الشبهة الحادية عشر** : قولهم " مثل النووي ، وابن حجر العسقلاني ، وأمثالهم ، من الظلم أن يقال عنهم : إنهم من أهل البدع ، أنا أعرف أنهما من " الأشاعرة " ، لكنهما ما قصدوا مخالفة الكتاب والسنَّة "

وهذه الشبهة قالها الألباني وتلقاها كثير من الناس بالقبول وطاروا بها دفاعاً عن الشارح وأضرابه

ومن سفههم وقلة توفيقهم أنهم يخالفون الألباني لعده الأشاعرة من أهل السنة !!!

ولكن تراهم يقبلون هذا الكلام في خصوص النووي وابن حجر !

وهكذا حال بعض الجهلة تراهم يبتدعون قواعد لا تطبق ولا يطبقونها هم إلا على النووي وابن حجر فهي (مفصلة=كالمخيط) لهم لا غير !

ويلزم من يقلد الألباني في قوله أنهما من الأشاعرة وهو في الوقت نفسه يخالفه في عدهم من أهل السنة يلزمه تبديع النووي وابن حجر لو كان يعقل ! وما أظنه كذلك

فإن قال قائل أين قال الألباني أن الأشاعرة من أهل السنة وهو إنما قال أنهما –أي النووي وابن حجر– من الأشاعرة وليسوا مبتدعة !

فيقال: أولاً : قد قال عبيد الجابري –وهو من هو عند المعترض– : الشخص المنتسب إلى الاسلام إما على السنة وإما على البدعة

فإذا لم يكن سلفياً فهو حتماً مبتدع . ا.هـ

ثانياً : قد قال الألباني كما في حياة الألباني للشيباني [1–386] : أما اعتقاد أهل السنة من الأشاعرة وأهل الحديث ... ا.هـ المراد

وسئل عنهم في موضع آخر من سلسلته الصوتية [327] فقال:

الجواب العدل هم من أهل السنة والجماعة في كثير

وليسوا من أهل السنة والجماعة في قليل !! اهـ

وهذا الكلام في غاية البطلان

قال عبدالله أبوبطين –رحمه الله– :

الأشعرية : لا يثبتون علو الرب فوق سماواته واستواءه على عرشه

ويسمون: من أثبت صفة العلو والاستواء على العرش مجسما مشبها، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فإنهم يثبتون صفة العلو والاستواء كما أخبر سبحانه بذلك عن نفسه، ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تكييف ولا تعطيل.

وصرح كثير من السلف بكفر من لم يثبت صفة العلو والاستواء . والأشاعرة وافقوا الجهمية في هذه الصفة، لكن الجهمية، يقولون: إنه سبحانه في كل مكان والحلولية والأشعرية يقولون: كان ولا مكان، فهو على ما كان، قبل أن يخلق المكان.

والأشعرية: يوافقون أهل السنة في روية المؤمنين ربهم في الجنة، ثم يقولون: معنى الرؤية: إنما هو زيادة علم يخلقه الله في قلب الناظر ببصره، لا رؤية بالبصر حقيقة عيانا؛ فهم

بذلك نافون للرؤية، التي دل عليها القرآن، وتواترت بها الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومذهب الأشاعرة أن الإيمان مجرد التصديق، ولا يدخلون فيه أعمال الجوارح، قالوا: وإن سميت الأعمال في الأحاديث إيمانا، فعلى المجاز لا الحقيقة.

ومذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح . وقد كفر جماعة من العلماء من أخرج العمل عن الإيمان .

فإذا تحققت ما ذكرنا من مذهب الأشاعرة، من نفي صفات الرب سبحانه غير السبع التي ذكرنا، ويقولون: إن الله لم يتكلم بحرف ولا صوت، وأن حروف القرآن مخلوقة ويزعمون أن كلام الرب سبحانه معنى واحد، وأن نفس القرآن هو نفس التوراة والإنجيل، لكن إن عبر عنه بالعربية فهو قرآن، وإن عبر عنه بالعبرانية فهو توراة، وإن عبر عنه بالسريانية فهو إنجيل.

ولا يثبتون رؤية أهل الجنة ربهم بأبصارهم. إذا عرفت ذلك، عرفت خطأ من جعل الأشعرية من أهل السنة، كما ذكره السفاريني في بعض كلامه، ويمكن أنه أدخلهم في أهل السنة مداراة لهم .. ا.هـ المراد

وقد قال الفوزان في شرح الواسطية عمن يجعل الأشاعرة من أهل السنة :

هذا قولٌ باطل ، وغلط كبير لأن الأشاعرة والماتريدية من الفئات التي عليها الوعيد لمخالفتهم أهل السنة في :

1- أبواب التلقي

2- منهج التلقي

3- وتقديم النصوص على العقل لأنهم يقدمون العقل على النصوص

4- كذلك في الصفات

5-كذلك في الإيمان

6-كذلك في القدر

7- في مسائل أخر خالفوا أهل السنة

فليسوا من أهل السنة والجماعة أتباع السلف الصالح ، **بل هم من المبتدعة الضُلال** . اهـ

فحقيقة مذهب الأشاعرة هو التجهم كما قال عبدالرحمن بن حسن : وأما قول الأشاعرة في نفي علو الله تعالى على عرشه فهو قول الجهمية، سواء بسواء ... وجوهرة السنوسي، ذكر فيها مذهب الأشاعرة، **وأكثره مذهب الجهمية المعطلة ، لكنهم تصرفوا فيه تصرفا لم يخرجهم عن كونهم جهمية** . اهـ

وما أظن إدخال الألباني للأشاعرة ضمن أهل السنة إلا مصانعة كما قال ابن سحمان– رحمه الله– وهو يتعقب السفاريني الذي أدخل الأشاعرة في مسمى أهل السنة كما في حاشية لوامع الأنوار :

هذا مصانعة من المصنف رحمه الله تعالى (!) في إدخاله الأشعرية والماتريدية في أهل السنة والجماعة ، فكيف يكون من أهل السنة والجماعة من لا يثبت علو الرب سبحانه فوق سماواته، واستواءه على عرشه ؟!!

ويقول: حروف القرآن مخلوقة، وإن الله لا يتكلم بحرف وصوت ؟!!

ولا يثبت رؤية المؤمنين ربهم في الجنة بأبصارهم ؟!!

فهم يقرون بالرؤية ويفسرونها بزيادة علم يخلقه الله في قلب الرائي.

ويقول: الإيمان مجرد التصديق ؟!!

وغير ذلك من أقوالهم المعروفة المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة اهـ

ولأجل هذه الأقوال وغيرها قال فيهم أهل العلم والمدركون لحقيقة مذهبهم ما قالوا من التضليل والتبديع بل والتكفير

فقد أخرج الهروي في ذم الكلام بسنده عن عمر بن إبراهيم قال [ لا تحل ذبائح الأشعرية؛ لأنهم ليسوا بمسلمين .. ]

وقال الهروي : رأيت يحيى بن عمار ما لا أحصي من مرة على منبره يكفرهم ويلعنهم ، ويشهد على أبي الحسن الأشعري بالزندقة، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا

وقال سمعت أبي يقول: سمعت أبا المظفر الترمذي –هو حبال بن أحمد– إمام أهل ترمذ [ يشهد عليهم بالزندقة ]

وقال سمعت أحمد بن حمزة وأبا علي الحداد يقولون [ وجدنا أبا العباس أحمد بن محمد النهاوندي على الإنكار على أهل الكلام وتكفير الأشعرية ]

وقال : سمعت أحمد بن حمزة يقول [ لما اشتد الهجران بين النهاوندي وأبي الفوارس سألوا أبا عبد الله الدينوري

فقال: لقيت ألف شيخ على ما عليه النهاوندي ]

وقال سمعت أبا بكر عبد الرحمن بن منصور المقرئ يقول [ سمعت أبا سعيد بن أبي سهل الفقيه الحنبلي ببست يلعنهم كل يوم بعد صلاة الغداة في المحراب في الجمع ويؤمنون ] .

وقال الدشتي : أنشدنا الحافظ أبو الحجاج من لفظه غير مرة انبا الحافظ أبو الفرج ثابت بن محمد بن ابي الفرج الشافعي المديني في كتابه أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك بن الحسين الأديب فيما أظن وكان من عيون أدباء البلد وكان من المرضيين للإمام أبي طاهر مطيار بن محمد الدستمي الذي قال الحافظ محمد بن عبد الواحد الدقاق ، من حفظه ما رأيت رجلا قط خيرا منه في محو أهل البدع قال :

الأشعرية ضلال زنادقة إخوان ... من عَبَدَ العُزَّى مع اللَّاتِ

بِرَبِّهِمْ كفروا جَهْراً وقولهُمُ ... إذا تدبرته أسوإ المقالات

فهذا هو قول أهل العلم والمعرفة بحال الأشاعرة
بينما يقول الألباني عمن يكفر من يعتقد اعتقاد الأشاعرة ويحبهم كما في سلسلته الصوتية [673] : فمن الخطر ومن التشدد بل ومن التشبه بالخوارج السابقين أن نبادر إلى تكفير إخواننا المسلمين الذين يشاركوننا في شهادة أن لا إله الا الله ويصلون صلاتنا ويصومون صيامنا ويستقبلون قبلتنا ! اهـ

والحق أن المبادرة لتكفير من استوجب ذلك أمر حسن وسعي صاحبه سعي مشكور غير مأزور كما قال موسى –عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام–
{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى}
وقد قال عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [ التؤدة فِي كل شَيْء خير إِلَّا مَا كَانَ مِن أَمر الْآخِرَة ].
أخرجه مسدد بسند رجاله ثقات

وبناء على هذا التعليل العليل يقال :
هل يكفر الذين يصلون ويصومون ويستقبلون القبلة وهم في الوقت نفسه يفسقون عامة الصحابة ؟؟!!
فإن قال لا يكفرون –وهو لازم قول الألباني– فإن [كفره متعين]
كما قال ابن تيمية في الصارم المسلول

علما بأن للألباني كلاماً آخر في الأشاعرة يقول فيه أنه لا يطلق أنهم من السنة ، ولا يطلق عليهم بأنهم ليسوا من أهل السنة !

وقد سبق رد هذه السفسطة

وقد قال البعض أن الأشاعرة خالفوا أهل السنة في جميع أبواب المعتقد إلا مسألة الصحابة

وهذا وإن كان أقرب للصواب من قول الألباني (من أهل السنة والجماعة في كثير ) إلا أنه غير صحيح

لأن حقيقة محبة الصحابة ومعرفة قدرهم تكون باتباعهم لا تجهليهم !! كما يقول هؤلاء السفهاء (مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم) !!

فالحق أن الأشاعرة يخالفون أهل السنة في كل شيء حتى الشهادة !

لأن أهل السنة يقولون لا إله إلا الله الذي في السماء

والأشاعرة يقولون لا إله إلا الله الذي لا يسأل بأين !

والذي هو ليس فوق العالم ولا تحته !

ولا داخله ولا خارجه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه !

فالأمر كما قال الشافعي –رحمه الله– : **أنا مخالف ابن علية في كل شيء حتى في قول لا إله إلا الله .**

أنا أقول لا إله إلا الله الذي كلم موسى من وراء الحجاب، وهو يقول لا إله إلا الله الذي خلق كلاما أسمعه موسى . اهـ

**الشبهة الثانية عشر** : قول أحد المرجئة (=مشهور بن حسن) أن النووي تراجع عن تجهماته ورجع إلى قول السلف وأثبت العلو والصفات

والدليل على ذلك أمور :

الأمر الأول : ما ذكره في جزء اعتقاد السلف في الحروف والأصوات الذي نسخه من رسالة أبي العباس الأرموي

الأمر الثاني : أن النووي نسخ الإبانة للأشعري ولم يتعقبها وفيها إثبات العلو

الأمر الثالث : أن النووي وصف الخطابي بالإمامة وذكر إثباته للعلو ولم يتعقبه

الأمر الرابع : ما قاله في روضة الطالبين وهذا نصه :

(( لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، أَوْ إِلَّا مَلِكُ السَّمَاءِ، كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ.

وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، وَكَذَا لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ ; لِأَنَّ السُّكُونَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ))

هذا ملخص هرائات هذا المرجئ

والجواب على هذه الشبهة من وجوه :

الوجه الأول : كتاب "اعتقاد السلف.." لا تصح نسبته إلى النووي وقد أضحك مشهور –وقبله محقق الكتاب– الأشاعرة والصوفية من دعواهم هذه !

والذي يبين عدم ثبوت نسبة الكتاب إلى النووي أمور :

أولها : أن مؤلف الرسالة المكنى بأبي العباس الشافعي الذي –زعم– أن النووي اختصر رسالته في هذا الجزء رجل مجهول لا يعرف له وجود !

ولأجل هذا لم يترجم له المحقق في أول الرسالة !

وفي الوقت –الذي يزعم– أن النووي وصفه في هذه الرسالة بـ "الشيخ الجليل الإمام المتقن الحافظ الأوحد" !

فما بال هذا الأوحد (!) لم يترجم أحد من الشافعية المتأخرين ولا غيرهم ! ولم يعرف له عين !

فيستبعد جداً أن يوجد إمام معروف يوصف بكل هذه الأوصاف ثم لا يوجد له أثر أبداً في شيء من كتب التراجم المعروفة !!

ثانيها : أن هذا الكتاب لم ينسبه أحد للنووي ممن ترجم له كالذهبي والسخاوي والسيوطي والسبكي وتلميذه اللصيق به ابن العطار ولا غيرهم !

ولم تنقل هذه الرسالة بسند إلى النووي

غاية ما في الأمر أن محقق الكتاب رأى على المخطوط اسم النووي فنسبها إليه !!

ثالثها : أن أسلوب كاتب هذه المخطوطة مختلف عن أسلوب النووي وطريقة هذا المصنف بعيدة عن طريقته في التصنيف

رابعها : أن الكلام الذي ذكره –لو صح القول بنسبته للنووي– فهو مناقض لما في سائر كتب النووي وهذه لوحدها قرينة مريبة

وهي باجتماعها مع ما سبق وما سيأتي بإذن الله مؤكدة لتلك الحقيقة التي قدمتها في أن هذا الكتاب لا تصح نسبته إلى النووي

خامسها : أن هذا الرجوع المدعى وهذه التوبة المزعومة لم يذكرها أحد من طلاب النووي ولا أحد ممن ترجم كالذهبي والسبكي والسخاوي والسيوطي وغيرهم

ولم يذكرها أحد من المعاصرين حتى جاء بحاثة الزمان (!) فأظهر للناس هذه الحقيقة الضائعة !!

ووالله لو لم يكن إلا هذا الوجه والذي قبله لكفى في بطلان هذه التوبة المزعومة

الوجه الثاني من الوجوه الأصلية : أن الكتاب لو صحت نسبته إلى النووي –وسلم أنه تراجع صحيح– لما نفى عن النووي سائر البدع والمحدثات التي قال بها كالإرجاء والجبر والكلام وسائر محدثاته التي سبق ذكرها وهذا الوجه وحده لو أعطي حقه من التأمل والإنصاف لعلم إنهدام كل ذلك السراب الذي اصطنعه مشهور بن حسن محاماة عن الشارح .

الوجه الثالث : من شروط تمام توبة المبتدع الداعي إلى بدعته أن يرجع عنها ويبين للناس بطلان الشبه التي كان يوردها في نشرها

فقد قال الله تعالى :

{ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيم}

قال ابن القيم في كتابة "عدة الصابرين" ( ص/ 93- 94):

من توبة الداعي إلى البدعة أن يبين أنّ ما كان يدعو إليه بدعة وضلالة ، وأن الهدى في ضده، كما شرط تعالى في توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبهم كتمان ما أنزل الله من البيّنات والهدى ليضلوا الناس بذلك : أن يصلحوا العمل في نفوسهم، ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه،

فقال: إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ * إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وهذا كما شرط في توبة المنافقين، الذين كان ذنبهم إفساد قلوب ضعفاء المؤمنين، وتحيزهم واعتصامهم باليهود والمشركين أعداء الرسول، وإظهارهم الإسلام رياءً وسمعة: أن يُصلحوا بدل إفسادهم، وأن يعتصموا بالله بدل اعتصامهم بالكفار من أهل الكتاب والمشركين، وأن يُخلِصوا دينهم لله بدل إظهارهم رياء وسمعة.

فهكذا تُفهم شرائط التوبة وحقيقتها، والله المستعان .ا هـ

وهذا الأمر لم يحصل من النووي الذي ملئ كتبه بالتجهمات وشبه الخلف بينما نراه هنا –ان سلمنا بصحة نسبة الرسالة– يقر إيراد الأدلة بسذاجة في أن الأحرف قديمة (!)

الوجه الرابع : لو صحة نسبة هذا الجزء إلى النووي لما غيرت هذه النسبة من الحكم عليه لأنه لايزال منتسباً وسائراً على طريقة المتكلمين !

فقد قال في أول هذا الجزء عن طريقته : **سالكاً** في ذلك **طرق** متأخري **المتكلمين** في المباحثات .. (!) اهـ

وقد سبق نقل إجماع أهل العلم على ابتداع وضلال أهل الكلام

ثم قد قرر صاحب الرسالة أيضاً أن الحروف قديمة مطلقاً (!!)

فقال : اعلم أن العلماء اختلفوا في الحروف هل هي قديمة في القرآن أو مطلقاً ؟ فذهب قوم إلى القدم مطلقاً إذ قدمها في صورة دون صورة تناقض محض.

وذهب قوم إلى قدمها في القرآن فقط، وذهب قوم إلى قدم حروف قائمة بهذه الحروف المرتبة **والذي يدل على قدم الحروف على الإطلاق** من كتاب الله تعالى وجوه ... اهـ

وهذا هو قول السالمية الضلال ! وهؤلاء لا يثبتون أن الله يتكلم متى شاء إذا شاء

**فهو على هذا سالمي لا سني**

ويقول المصنف أيضاً : و"كن" حرفان وليس المراد بمعنى"كن" إذ هو خروج عن صريح اللفظ ولكون المعنى لو كان مقتضياً، الإيجاد لزم من ذلك قدم العالم وهو محال فلا يكون الأمر مقتضياً، وحدوثها **يستلزم إثبات حوادث لا أول لها وهو محال** فلا بد من الاعتراف بكون"كن" قديمة رفعاً لهذا التسلسل، وإذا ثبت ذلك في"كن" ثبت في الجميع لعدم القائل، فالفصل لايقال هي متأخرة في الآية فتكون محدثة ضرورة كون المتأخر محدثاً لأنا نقول ذلك تأخر لفظي لا يتحقق إلا في الخارج وهو غير مشعر بالحدوث فإنه يقال في صفات الله تعالى حي، عالم، سميع، بصير، مع قدم الجميع بالاتفاق اهـ

فهذا المصنف يقول أن القول بتسلسل الحوادث في الماضي محال

وقال أيضاً : وكذلك نقول في الصوت حركة اللسان والشفة، وصفاء الحنجرة وخشونتها، وغلظها ودقتها، والإسرار والإجهار، كل ذلك أيضاً محدث لأن هذه الأمور بأسرها من كسب الآدمي ومقدوره بإجراء الله تعالى العادة في ذلك كذلك، و الـذي يـسمع عـنـد تـحقـق هـذا الـمجـموع فـهـو الـكلام الـقـديـم اهـــ

وقال : يعلم بما ذكرنا في الآيات والأخبار المتضمنة إجماع الصحابة وإجماع غيرهم من العلماء والعقلاء أن كـلام الله الـقـديـم مـنـزل على نبي الله صلى الله عليه وسلم حقيقة لا مجازاً اهـ

وقد سبق البحث في إطلاق القول بالقدم ومراد الكلابية ومن وافقهم بذلك

وقال المصنف : قال ابن عباس رضي الله عنهما: نعرف ربنا بما عرفنا به نفسه، ونصفه بما وصف به نفسه، لا يدرك بالحواس ... اهـ

وهذا الذي أقره : باطل لا يثبت عن ابن عباس –رضي الله عنهما–
وهو قول الجهمية !

وقد رد الدارمي على المريسي هذا القول في النقض فقال :
ادَّعَى الْمُعَارِضُ أَنَّ النَّاسَ تَكَلَّمُوا فِي الْإِيمَانِ، وَفِي التَّشَيُّعِ، وَالْقَدَرِ وَنَحْوِهُ، وَلَا يجوز لأحد أَن يتَنَاوَل فِي التَّوْحِيدِ غَيْرَ الصَّوَابِ إِذْ جَمِيعُ خَلْقِ اللَّهِ يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ: اللَّمْسِ، وَالشَّمِّ، وَالذَّوْقِ، وَالْبَصَرِ بِالْعَيْنِ، وَالسَّمْعِ، وَاللَّهُ بِزَعْمِ الْمُعَارِضِ لَا يُدْرَكُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْخَمْسِ.

فَقُلْنَا لِهَذَا الْمُعَارِضِ، الَّذِي لَا يَدْرِي كَيْفَ يُنَاقِضُ : أَمَّا قَوْلُكَ: لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَأَوَّلَ فِي التَّوْحِيدِ غَيْرَ الصَّوَابِ، فَقَدْ صَدَقْتَ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْأمة وَصَوَابه قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [ مَنْ جَاءَ بِهَا مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ]

وَ [ أُمِرْتُ أَن أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ]

مَنْ قَالَهَا فَقَدْ وَحَّدَ اللَّهَ .

وَكَذَلِكَ رَوَى جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَهَلَّ بِالتَّوْحِيدِ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ [ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ] ..

فَهَذَا تَأْوِيلُ التَّوْحِيدِ وَصَوَابُهُ عِنْدَ الْأُمَّةِ، فَمَنْ أَدْخَلَ الْحَوَاسَّ الْخَمْسَ أَيُّهَا الْمُعَارِضُ فِي صَوَابِ التَّأْوِيلِ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ وَمَنْ عَدَّهَا فَأَشِرْ إِلَيْهِ !

غير مَا ادعيتم فِي مِنَ الْكَذِبِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ رِوَايَةِ بِشْرٍ الْمَرِيسِيِّ، وَنُظَرَائِهِ، وَلِمَنْ تَأَوَّلَ فِي التَّوْحِيدِ الصَّوَابَ لَقَدْ تَأَوَّلْتَ أَنْتَ فِيهِ غَيْرَ الصَّوَابِ، إِذِ ادَّعَيْتَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُدْرَكُ وَلَمْ يُدْرَكْ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، إِذْ هُوَ فِي دَعْوَاكَ لَا شَيْءٌ. وَاللَّهُ مُكَذِّبٌ مَنِ ادَّعَى هَذِهِ الدَّعْوَى فِي كِتَابِهِ، إِذْ يَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} ، {وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ} ، و {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ مُوسَى أدرك مِنْهُ الْكَلَامَ بِسَمْعِهِ، وَهُوَ أَحَدُ الْحَوَاسِّ عِنْدَكَ وَعِنْدَنَا، وَيُدْرَكُ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّظرِ إِلَيْهِ بالأعين، هِيَ الْحَاسَّةُ الثَّانِيَةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} .. فَأَيُّ حَوَاسٍّ أَبْيَنُ مِنْ هَذَا ؟ .. ا.هـ المراد

وقال في الجزء أيضاً : اعلم أن القراءة هي المقروء بدليل بحث لغوي مرجعه إلى أرباب اللغة. وقد جعلوهما بمعنى واحد. اهـ

وقال : وأما إن الكتابة هي المكتوب، ففي آيات اهـ

وقال : فصل: في ان القراءة هي المقروء وان الكتابه هي المكتوب اهـ

وهذا القول غير صحيح وقد قال ابن تيمية في المجموع :

وَأَمَّا الْمَنْصُوصُ الصَّرِيحُ عَنْ الْإِمَامِ أَحْمَد وَأَعْيَانِ أَصْحَابِهِ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ فَلَا يَقُولُونَ مَخْلُوقَةٌ وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقَةٍ وَلَا يَقُولُونَ التِّلَاوَةُ هِيَ الْمَتْلُوُّ مُطْلَقًا وَلَا غَيْرُ الْمَتْلُوِّ مُطْلَقًا كَمَا لَا يَقُولُونَ: الِاسْمُ هُوَ الْمُسَمَّى وَلَا غَيْرُ الْمُسَمَّى. وَذَلِكَ أَنَّ " التِّلَاوَةَ وَالْقِرَاءَةَ " كَاللَّفْظِ قَدْ يُرَادُ بِهِ مَصْدَرُ تَلَا يَتْلُو تِلَاوَةً وَقَرَأَ يَقْرَأُ قِرَاءَةً وَلَفَظَ يَلْفِظُ لَفْظًا وَمُسَمَّى الْمَصْدَرِ هُوَ فِعْلُ الْعَبْدِ وَحَرَكَاتُهُ وَهَذَا الْمُرَادُ بِاسْمِ التِّلَاوَةِ وَالْقِرَاءَةِ وَاللَّفْظِ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ: الَّذِي هُوَ الْمَتْلُوُّ. وَقَدْ يُرَادُ بِاللَّفْظِ الْمَلْفُوظُ وَبِالتِّلَاوَةِ الْمَتْلُوُّ وَبِالْقِرَاءَةِ الْمَقْرُوءُ وَهُوَ الْقَوْلُ الْمَسْمُوعُ وَذَلِكَ هُوَ الْمَتْلُوُّ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْقُرْآنَ الْمَتْلُوَّ: الَّذِي يَتْلُوهُ الْعَبْدُ وَيَلْفِظُ بِهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَقَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ مَجْمُوعُ الْأَمْرَيْنِ. فَلَا يَجُوزُ إطْلَاقُ الْخَلْقِ عَلَى الْجَمِيعِ وَلَا نَفْيُ الْخَلْقِ عَنْ الْجَمِيعِ. اهـ

والحاصل : أن هذا الكتاب لو صحة نسبته إلى النووي فهو دليل على استمراره في التخبط والانحراف عن منهج السلف كيف لا !

وقد قال عطاء –رحمه الله– [ مَا يَكَادُ اللَّهُ أَنْ يَأْذَنَ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ ]

وأخرج ابن وضاح بسنده عن علي بن أبي طالب قال [ ما كان رجل على رأي من البدعة فتركه إلا إلى ما هو شر منه ]

وثبت عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ [ إِنَّ لِكُلِّ صَاحِبِ ذَنْبٍ تَوْبَةً، غَيْرَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ لَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ ]

قال الإمام أحمد : لا يوفق ولا ييسر صاحب بدعة لتوبة

الوجه الخامس : وأما نسخ النووي لإبانة الأشعري

وثنائه على الخطابي فلا يساويان شيئاً
لأنه قد سبق بيان شيء من مخالفات الإبانة لعقيدة أهل السنة هذا أولاً

ثانياً : أن هذا النسخ لا يسميه أحد من العقلاء تراجعاً إلا –استثناء منقطع– مشهور وشيعته ! .

وهل يا ترى كان الألباني شيخ مشهور مرجئاً لما شرح وعلق على الطحاوية ولم يتعقب قوله (ولا يخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه)

فإن قيل وهل هذا يبيح نقل كلام المنحرفين دون تعقيب على ضلالاتهم ؟

فأقول لا والله هذا لا يفعله إلا غشاش أو جاهل

لكن الشارح قد سبق بيان تمييعه مع مخالفيه وإدخاله لعامة أهل البدع والزندقة في الإسلام ! فلا يبعد أن يكون هذا من تمييعه أيضاً

وأما ثناؤه على الخطابي ، فالخطابي أولاً كلابي
فلو سُلّمَ أن ثناؤه يدل على موافقته له فهو إذاً كلابي لا سني
لأنه –بلا شك– لم يصفه بالإمامة لقوله بالعلو فقط
بل الحكم صادر من ارتضائه لطريقته ولابد
وإلا صار عامة الناس الذين هم على الفطرة أئمة لإثباتهم للعلو !
وهذا لا يقوله عاقل
ثم قد أثنى (شيخ مشهور=الألباني) على محمد عبده الماسوني في نصب المجانيق وأصل صفة الصلاة فوصفه "بالإمامة" (!) فهل الألباني ماسوني إذاً ؟
كما أنه ذكر الرازي الجهمي الجبري ضمن "الأئمة والعلماء" الذين ذكرهم في نصب المجانيق الذين قالوا بقوله المحدث في تلك المسألة ، فهل الألباني جهمي جبري عند مشهور ؟

ثانياً : لو سلم أن هذا النقل أو الثناء = اعتقاد لمنهج السلف
فما أدرى مشهور أنه آخر أحواله وأقواله ؟!

ثالثاً : لو كان الثناء على الخطابي = إثباتاً للعلو ورجوعاً عن التجهم
فأين توبته –أي الشارح– عن الإرجاء والجبر وبقية الضلالات ؟!

رابعاً : ومما يبين أيضاً وهاء هذه الدعوى أن الذين ترجموا للشارح –وهم أعلم به من مشهور– لم يذكروا تراجعاً ولا توبة !
إنما وصفوه بالتمشعر وقد سبق نقل عباراتهم

خامساً : لو ثبتت توبة النووي فهو لا يعدو أن يكون عامياً لا إماماً
وكيف يكون إماماً وهو قد أفنى عمره في تقرير البدع والضلالات والإحتفاء بالمتكلمين والضلال ثم قبل موته بـ أشهر يسيرة يتوب فيصير إماماً !

الوجه السادس من الوجوه الأصلية : احتجاج مشهور بقول النووي في روضة الطالبين
(لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، أَوْ إِلَّا مَلِكُ السَّمَاءِ، كَانَ مُؤْمِنًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ.
وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا، وَكَذَا لَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ ; لِأَنَّ السُّكُونَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى) ا.هـ

فضيحة له فهي إما تكون صادرة من غفلة شديدة أو تغافل –والأرجح الثانية عندي لقرائن– لأن آخر الكلام ينقض أوله

وليعلم أن هؤلاء المتكلمة لما يتكلمون في هذه المسألة فهم يريدون معناً معيناً لا أظنه يخفى على البحاثة (!) لكن الهوى وما أدراكم ما الهوى

ومما يبين مرادهم قول صنو النووي (= ابن حجر) في شرحه :

لو قال من ينسب إلى التجسيم من اليهود: لا إله إلا الذي في السماء لم يكن مؤمناً كذلك (!) ، إلا إن كان عامياً لا يفقه معنى التجسيم فيكتفي منه بذلك
كما في قصة الجارية التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم: "أنت مؤمنة"، قالت: نعم، قال: "فأين الله"؟ "قالت: في السماء، فقال: "أعتقها فإنها مؤمنة"، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم اهـ
فتأمل قبوله لهذه الشهادة من العامي دون اليهودي !

وذلك لأن اليهود يثبتون العلو الذي يعده العسقلاني وشيعته تجسيماً
وحينئذ من أطلق الشهادة بذاك اللفظ منهم لم يصح إسلامه عند ابن حجر !
لأن قرينة حاله تدل على أنه يريد ظاهر اللفظ بخلاف العامي فيقبل منه
وعلى هذا حمل ابن حجر حديث الجارية **!**
ومفاد هذا أن الجارية قد نطقت بـ التجسيم (=الكفر عند الشارح)
وأقرها النبي –صلى الله عليه وسلم– عليه (!) نظراً لحالها !!
{ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا }
فهذه هي حقيقة مراد القوم

ويكفيك في فهم هذا التأمل في قول النووي (وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا) فلما كان هذا اللفظ يصعب تحريفه عند النووي رأى لزاماً أن مطلقه لا يمكن أنه يريد منه إلا حقيقة العلو لذا حكم بكفره
وقد تورط مشهور لما أورد هذا النص الذي يدل –بزعمه– على إثبات النووي للعلو (!)
ووجد أن هذه الزيادة مشكلة

فأخذ يتخبط كعادته قائلاً ( ... السكون محال على الله

هذا صحيح لذا نقل شيخ الإسلام في بيان تلبيس الجهمية والكلام بحرف موجود عند

أبي نصر عبيدالله بن نصر السجزي .. في رسالته إلى أهل زبيد .. قال وليس من قولنا إن الله فوق العرش تحديد له وإنما التحديد يقع للمحدثات فمن العرش إلى ما تحت الثرى محدود والله سبحانه وتعالى فوق ذلك بحيث لا مكان ولا حد لاتفاقنا أن الله تعالى كان ولا مكان ثم خلق المكان وهو كما كان قبل خلق المكان قال وإنما يقول بالتحديد من يزعم أنه سبحانه وتعالى على مكان وقد علم أن الأمكنة محدودة فإن كان فيها بزعمهم كان محدودا وعندنا أنه مباين للأمكنة ومن حلها وفوق كل محدث فلا تحديد لذاته في قولنا هذا لفظه وهذا يلائم ويوافق قول النووي (وَلَوْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ، لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا) ) ا.هـ المراد

وهذا الكلام فيه تدليس ومغالطات وتجهم :

أما التدليس فهو في إيهامه للسامع أن ابن تيمية مقر للسجزي !

لأنه كان بإمكانه النقل عن السجزي مباشرة دون واسطة

لكنه أورد النقل من كتاب ابن تيمية لغاية في نفسه !

وقد قال تعالى {وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ} " أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم " كما قال ابن كثير

والحق أن ابن تيمية لم يكن مقراً لهذا الكلام ألبتة

لكنه لما كان يذكر الوجوه التي ذكرها أهل العلم في الرد على قول الخطابي في مسألة "الحد" ذكر بعد أن السجزي ممن قال بهذا القول أيضاً = والذي ذكر الوجوه في رده تحذيراً ونصحاً للأمة فيما نحسب والله حسيبه

فقال : وممن نفى لفظ الحد أيضا من أكابر أهل الإثبات أبو نصر السجزى .. ا.هـ المراد

وليراجع كلامه كاملاً في بيان تلبيس الجهمية [1-442 فما بعد] هذا أولاً

ثانياً : لا علاقة لكلام السجزي الخاطئ في نفي الحد والمكان بنفي السكون عن الله !

وهذا الخلط بين المسألتين ظاهر جداً

وبه تتصور مدى جهل أو خبث هذا المرجئ .

ثالثاً : قد أقر مشهور تكفير النووي (!) لمن قال (لَا إِلَهَ إِلَّا سَاكِنُ السَّمَاءِ)

وهذا تجهم ظاهر

وقد صح عن ثابت البناني قال :

[كان داود عليه السلام يطيل الصلاة، ثم يركع، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعت رأسي ( يا عامر السماء) نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء ] .

قال ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية : رواه اللالكائي بإسناد صحيح عنه اهـ

وثابت هو من هو عند التابعين

وقد خرج أثره هذا الأئمة كأحمد والمصنفون في كتب الاعتقاد كاللالكائيّ وغيرهما ولا أعرف منكراً منهم لمتنه

فضلاً عن مكفر لقائله لو سلم أن إطلاقه غير جائز

وقد قال إمامهم الأشعري : أجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى صلى الله عليه وسلم إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: يا ساكن السماء اهـ

هذه عامة الشبه التي ذكرها المدافعون عن الشارح وقد تبين بإذن الله وهائها

{ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفون}

## الخاتمة

والخلاصة أن النووي ينفي العلو ويؤل الصفات على طريقة الجهمية

وقد كذب على السلف في نسبته التفويض لهم

وقد وقع بضلالات الجبرية في تعريفه للظلم

وحصره للحسن والقبح في الشرع

وبتصريحه أن الله لو عذب الطائعين ونعم الكافرين لكان حسناً

وأقر قول من يقول أن الله يحب الكفر من الكافرين

ونفى الحكمة عن الله

وقرر قول الجهم في مسألة آية النبيّ

وقال بالمجاز وجعل طائفة نصوص الصفات منها مسايرة للجهمية والمعتزلة

ووافق الجهمية والمعتزلة في جعله لأحاديث الآحاد مفيدةً للظن مطلقاً

ووقع بالإرجاء وجازف في نقل الإجماعات في هذا الباب وغيره

وفتح الباب للمُحْدِثين في الدين بتقسيمه للبدع على خمسة أقسام

وأثنى وعظم عتاة المبتدعة الذين يكفرون أهل السنة وتكثر بهم في كتبه

وصرح بإئتمامه للمتكلمين ومصحابته لهم

وهو ليس من علماء الحديث بل ولا من أهل الشأن أصلاً

إنما هو متطفل على أهله

فأف ثم أف ثم أف لمن يجعل من هذا حاله إماماً ومحنة

وصدق ابن تيمية القائل : من نصب شخصاً كائناً من كان ، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً اهـ

وهنا أحب أن أنبه على مسائل :

المسألة الأولى : قد قال ابن الحنبلي –رحمه الله– في الرسالة الواضحة مبيناً لاعتقاد أهل السنة : ولا يجوز الصلوات خلف المبتدعة ولا مجالستهم ... ولا يصلى على موتاهم ولا يرحمهم في حياتهم ولا بعد مماتهم . ا.هـ

وقال ابن تيمية كما في الاختيارات : لا يجوز لأحد أن يترحم على من مات كافراً أو من مات مظهراً للفسق مع ما فيه من الإيمان كأهل الكبائر .اهـ

قال المدخلي : فهذا ابن تيمية يمنع الترحم على من مات مظهراً للفسق؛ فمن مات مظهراً للفسق وداعية إلى الضلال أولى بهذا الحكم. اهـ

وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لما أخبر عن المحدثين في العرصات :

[ سحقاً سحقاً لمن أحدث بعدي ]

{أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ}

و قد روى ابن أبي شيبة بسند صحيح عن بُكَير بن عضتيِق قال كنت في جنازة فيها سعيد بن جبير ، فقال رجل :استغفروا له غفر الله لكم .

فقال سعيد [ لا غفر الله لك ] .

" وسعيد تابعي عالم فقيه ثقة ، وقول هذا الرجل بدعة كرهه كثير من أهل العلم فهذا في فعل واحد وبدعة واحدة مثل هذه ، فكيف بالبدعة التي لا تقاس بها هذه ولا تعشرها ، كبدع التأويل في الأسماء والصفات وغير ذلك " .

وقد قال الثوري –رحمه الله –لرجل لم يتعلم السنّة [ لا جزاك الله خيراً ]

فماذا هو قائل لمن ينشر البدعة؟!

و الله تعالى يقول { لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ }

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- [ لا يحب الله أن يدعو أحد على أحد إلا أن يكون مظلوماً ، فإنه يحب الجهر بالسوء من القول قد أرخص له أن يدعو على من ظلمه ، وإن صبر فهو خير له ]

والمبتدع والفاسق ظالم لنفسه وظالم لغيره ومتعدٍّ لحدود الله تعالى .

وفي الحديث [ أتشفع في حد من حدود الله ]

والمقصود من هذا أن من علمت بدعته وضلالته -وإن لم تكن مكفرة- فلا يجوز إظهار الترحم عليه وخاصة حال ذكر ضلالاته

أو جعل هذا الأمر ديدناً لما فيه من مخالفة للآثار التي سبق ذكر شيء منها

ولما فيه من توقير -كما يفهم عامة الناس- لهذا الترحم

والواجب في المبتدعة تحقيرهم لا العكس

كما قال الصابوني نقلاً عن أهل الحديث والسلف : اتفقوا على القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإقصائهم . اهـ

و التوقير هو التعظيم والتفخيم وعكسه التحقير والإهانة والإذلال .

وقد قال عُمر -رضي الله عنه- فيمن لا يستحق التوقير [ لا تعزوهم وقد أذلهم الله]

قال سفيان بن عيينة -رحمه الله تعالى- [ ليس في الأرض صاحب بدعة إلا وهو يجد ذلة تغشاه وهي في كتاب الله ، أما سمعتم قوله تعالى { إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا }

قالوا :يا أبا محمد ، هذه لأصحاب العجل خاصةً !

قال :كلا ، اتلوا ما بعدها {وكذلك نجزي المفترين }

فهي لكل مبتدع ومفترٍ إلى يوم القيامة ]

ورأى أيوب –رحمه الله تعالى –رجلاً من أصحاب الأهواء ، فقال [ إني لأعرف الذلة في وجهه ثم قرأ الآية ، ثم قال :هذه لكل مفترٍ ]

و قد قال ابن عقيل في توبته المشهورة بمحضر أئمة أهل السنة في زمنه وإقرارهم لها بعد إنكارهم عدمها :

( أبرأ إلى الله تعالى من مذاهب المبتدعة ..و الترحم على أسلافهم )

أما من يزيد على مجرد إظهار الترحم على المبتدع –كلما ذكره– ويصفه بالإمامة ويذكره مع العلماء ، فهذا قد أوقع نفسه في بلايا عظيمة

البلية الأولى : ظن السوء به –لأنه أهل له– وقد قال عُمر رضي الله تعالى عنه :
[ من عَرَّض نفسه للتهمة فلا يلومن إلا نفسه ]

الثانية : استحقاق العقوبة التي أمرنا بها في أمثاله ومن ذلك قول صلى الله عليه وسلم [ إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ]

الثالثة : هي أن من وقر المبتدع جزاه الله من جنس عمله فأذله بذلك المبتدع نفسه ، فقد قال الله تعالى {ومن يهن الله فماله من مكرم أليس الله بعزيز ذي انتقام }
فالمبتدع أهانه الله تعالى بالبدعة ، فكيف تكرم من أهانه الله ؟!
فانتظر الثالثة :انتقام الله تعالى منك ؟!

قال الحسن البصري –رحمه الله تعالى– [ إنهم وإن هملجت بهم البرراذين إن ذل المعصية لفى رقابهم ، أبى الله إلا أن يُذلّ من عصاه ] .

المسألة الثانية : ليعلم من يتصدى للدفاع عن المبطلين خطورة هذا الأمر

فقد قال ابن تيمية في الفتاوى :

مَنْ مَنَعَ الْمُنْكِرَ عَلَيْهِ فَقَدْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُد عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: [مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ، فَقَدْ ضَادَّ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ ؛

وَمَنْ قَالَ: فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، حُبِسَ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ، وَمَنْ خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ وَهُوَ يَعْلَمُ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى يَنْزِعَ]

فَالْمُخَاصِمُونَ عَنْهُ مُخَاصِمُونَ فِي بَاطِلٍ، وَهُمْ فِي سَخَطِ اللَّهِ، وَالْحَائِلُونَ دُونَ ذَلِكَ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِ مُضَادُّونَ لِلَّهِ فِي أَمْرِهِ، وَكُلُّ مَنْ عَلِمَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ فَهُوَ عَاصٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . اهـ

فتذكر أيها المسكين موقفك بين يدي رب العالمين

وقد قال الله تعالى {وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً}

{هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}

فارفق بنفسك يا عبد الله ولا توردها المهالك

المسألة الثالثة : أنصح إخواني الذين وفقهم الله للسنة واستبانة لهم هذه المسائل بما أوصانا به سلفنا الكرام

فقد قال الحسن –رحمه الله تعالى- :

[ المؤمن ينشر حَكمة الله :فإن قُبلت أو رُدت حمد الله ]

وقال مالك –رحمه الله تعالى– [ لا يجادل ولكن يخبر بالسنة، فإن قبلت وإلا أمسك ]

وقال أحمد –رحمه الله تعالى [ أخبِر بالسنة ولا تخاصم ]

وقال عبد الله بن البسري –رحمه الله تعالى– [ ليست السنة عندنا الرد على أهل البدع ، إنما هي ترك مجالستهم ] رواه ابن بطة

وقال أيوب –رحمه الله تعالى– [ لست براد عليهم بشيء أشد من السكوت ]

**فعليكم يا إخواني بالأمر الأول ، وعليكم بالعتيق**

**وقد قال أبو طاهر السلفي في معجم السفر - سَمِعت مَسْعُودَ بْنَ عَلِيٍّ الْمَرْوَزِيَّ بِأَذْرَبِيجَانَ يَقُولُ سَمِعت أَبَا الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيَّ بِمَرْوَ يَقُولُ :**
**[ إِنْ أَرَدْتُمُ الصِّدْقَ فَفِي الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَإِن أردتم الصَّادِقِين فَفِي الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ عَلَيْكُمْ بِالْقَدِيمِ عَلَيْكُمْ بِالْقَدِيمِ ]**

**المسألة الرابعة : قد ظن بعض الغششة أن بقمعهم ونفيهم لبعض فضلاء أهل السنة من المملكة لأجل صدعه بالحق في هذه المسائل وغيرها من المسائل أنه بذلك انتصر !**
**وما درى هذا المسكين الغشاش أن الأمر كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه– :**
**[ أن لله عند كل بدعة كيد بها الإسلام وليا من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها ]**

**وقد خَرَّجَ ابْنُ وَضَّاحٍ بسنده عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ [ لَنْ يَزَالَ لِلَّهِ نُصَحَاءُ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَادِهِ، يَعْرِضُونَ أَعْمَالَ الْعِبَادَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَإِذَا وَافَقُوهُ، حَمِدُوا اللَّهَ، وَإِذَا خَالَفُوهُ، عَرَفُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ضَلَالَةَ مَنْ ضَلَّ، وَهُدَى مَنِ اهْتَدَى ] .**

**فلو طال الزمن أو قصر فسيأتيكم –بإذن الله– من يكشف عواركم ويبين حالكم وغشكم للناس فالله تعالى يقول { فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} { وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ}**
**و ليعلم " أني لم أقل شيئاً قبل نفسي ، وإنما قلت ما عليه سلف الأمة وأئمتهم، وأنا أُمهِل من خالفني ثلاث سنين أن يجيئ بحرف واحد عن أئمة الإسلام يخالف ما قلته "**

**{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}**

---

تنبيه كل ما بين قوسين "" فهو مقتبس من بعض كتب المتأخرين والمعاصرين